من تراث الأندلس

٢

قضاة قرطبة
و
علماء افريقية

للمؤرخ الأديب . والمحدث الفقيه

أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني

القيرواني الأندلسي المتوفى سنة ٣٦١ هجرية

عني بنشره ، وصححه ، وراجع أصله

السيد عزت العطار الحسيني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

الطبعة الثانية

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

حقوق الطبع والنشر محفوظة لمكتبة الخانجي

الأصل مأخوذ عن النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة بأكسفرد

رقم الإيداع / ١٦٧٠ / ٩٤

الترقيم الدولي

I.S.B.N

977-505-099-6

١

قضاة قرطبة

[ما جاء فى أصلِ الـكتابِ عن ملـكية النسخة]

« ملَـكه وكسَبَه محمدُ بن محمدِ بن محمد بن عبد الرحمن اللَّواتىُّ »
« الشهيرُ فى طنجة : بابن بَطوطة ؛ عفا الله عنـــه ، وتاب »
« عليه . ثم ملَـكه وكسَبه بأرض بُرتقال (أعادها الله) »
« عمرُ بن أحمدَ بن يوسفَ المقْدِسىُّ . ثم ملـكه بعدَه ابنُه »
« إبراهيمُ بن عُمَرَ بنِ أحمدَ بنِ يوسف الفقيـهُ ، الشهيرُ : »
« بصغرط ؛ غفر الله [له] عامَ خمسةٍ وسبعينَ بعد ثمـانِمائةٍ »

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربِّ : يسِّرْ ، ولا تُعَسِّرْ ؛ يا كريمُ]

الحمدُ لله العليِّ الكبيرِ ، اللطيفِ الخبيرِ ؛ الملكِ القديرِ : فكلُّ مافى العالَمِ من أثَرِ قدرتِه ؛ المقدَّسِ المنزَّهِ عن التغييرِ ؛ مُصَرِّفِ الخلائقِ : بيْنَ رَفعٍ وخَفضٍ ، وبَسطٍ وقبضٍ ، وإبرامٍ ونقضٍ ؛ وإماتةٍ وإحياءٍ ، وإيجادٍ وإفناءٍ ؛ وإعزازٍ وإذلالٍ ؛ يُؤْتِي المُلكَ مَن يشاء ، ويَنزِعُ المُلكَ ممَّن يشاء ، ويُعِزُّ مَن يشاء ، ويُذِلُّ مَن يشاء ؛ إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

والصلاةُ والسلام على سيدِ العَربِ والعَجمِ ، المبعوثِ إلى جميع الطوائفِ والأُممِ ؛ سيدِنا ومولانا : محمدِ بن عبد الله ؛ وعلى آله وأصحابه الأعلامِ الهُداةِ .

* * *

أما بعدُ : فلا يختلفُ اثنانِ فى أنَّ علمَ التراجمِ الذى يَبحثُ عن أحوالِ الفُقهاء والعلماء ، والقُضاةِ والأمراء ، والكُتابِ والشعراء ؛ علمٌ : جَليلُ الفائدةِ ، جَزيلُ العائدةِ ؛ خليقٌ : بأن تَرغبَ فيه الأنفسُ ، وتُصرفَ إليه الهممُ .

وقد أُلِّف فى ذلك كثيرٌ : من علماء الإسلامِ الأعلامِ ، فى كل عصر وزمان .

وقد عُنِيتُ بالبحثِ عن الكتبِ النادرةِ من هذا النوعِ ـ بعدَ أنْ وفقنى اللهُ سبحانه وتعالى ، لنشرِ الكثير : من الكتبِ العلميةِ المفيدةِ ؛ من آثارِ السلفِ الصالحِ . ـ : فوُفِّقتُ لتزويدِ المكتبةِ العربيةِ ، بكتابَىْ : « تراجمِ رجالِ القرنين السادس والسابع ؛ المعروف : بذَيلِ الرَّوضَتَينِ ؛ لأبى شامة المَقْدِسى » ، و « جَذْوةِ المُقْتَبِسِ ، فى ذِكْرِ وُلاةِ الأندلُسِ ، وأسماء رُواةِ الحديثِ وأهلِ الفقهِ والأدبِ ،

وذَوِى النَّبَاهةِ والشعر : لأبى عبدِ الله : محمدِ بن فتوح بن عبدِ الله الحُمَيْدِىِّ » .

* * *

والآنَ قد اعتزمتُ (بفضلِ اللهِ) نشر كتابَيْنِ آخَرَيْنِ لمحمد بن حارثٍ الخُشَنِىِّ:

(أولُهما) : « قُضاةُ قُرْطُبَةَ » ؛ الذى ألفه ، بطلبٍ من الحَكَمِ الثانى : المُسْتَنْصِرِ بالله . والذى يَختصُّ بمنزلةٍ ممتازةٍ ، بيْنَ الوثائقِ : التى تُخبِرُ عن الحياةِ الاجتماعيَّةِ بالأندلُسِ ، فى أيام الإمارةِ ، ثم الخلافةِ الأُمَوِيَّةِ .

وقد سَبقَ : أنْ نشَر هذا الكتابَ ، العلامةُ المُستَشرِقُ الإسْبانِىُّ : « خولْيان ريبرة » ؛ فى عام ١٩١٤ . معتمداً فى طبعته : على النسخةِ الخطيةِ الوحيدةِ ، المحفوظةِ بأُكسْفُرْدْ .

بيْد أن الطبعة المذكورة : قد نفدتْ وأصبحت نادرة ، بل مفقودة . وستمتاز طبعتُنا عنها : بمَلْءِ فراغِ الكلماتِ التى أَشكلتْ على الناشرِ ؛ وبالرجوعِ ببعضِ الأسماءِ إلى مَظانِّها ، والإشارة ـ فى الهامشِ ـ إلى موقعها .

(وثانيهما) : « علماء إفْريقية » ؛ الذى قام بنشرِه — فى عام ١٩١٤ — العالمُ الفاضلُ ، الشيخ محمد بن أبى شَنَبٍ ؛ مرْفقاً بكتابِ أبى العربِ ؛ تحتَ عُنوانِ : « طبقات علماء إفريقية » .

وقد ورد فى التاجِ المُذْهب ، باسمِ : « تاريخ علماء إفريقيةَ » ؛ وفى جَذوةِ المُقْتَبِس ، باسمِ : « أخبار الفقهاء والمحدِّثين بإفريقية » . وقد آثرنا الاختصار فى اسمِه : مراعاةً لاسم الكتاب الأول . وذلك أمر : يُتَسَاهَلُ فيه ، ولا يَسْتَوْجِبُ نقداً . خصوصاً : بعدَ أنْ رأينا المتقدمين لم يتفقوا على تَسْميتِه .

* * *

أما المؤلفُ ، فهو : أبو عبد الله محمدُ بن حارثِ بن أسَدٍ الخُشَنِىُّ .

تفَقَّه بالقَيْرُوانِ على : أحمدَ بنِ نصرٍ ، وأحمدَ بنِ زِيادٍ ، وأحمدَ بن يوسُفَ ،

وابنِ اللبَّادِ . وسمِعَ من غيرِ واحدٍ : من شيوخ إفريقية . وقدِم الأندلُسَ حدَثاً : وسنُّه اثنتا عشرة سنة . فسمِع من ابن أيْمَنَ ، وقاسمِ بن أصْبَغَ ، وأحمدَ بن عُبادةَ ، وأحمدَ بن يحيَى بن لُبَابةَ ، وأحمدَ بن زيادٍ ، والحسن بن سعدٍ ؛ وغيرِهم : من القُرْطُبيِّينَ .

اسْتَوْطَن « قُرْطُبةَ » ؛ وقد دخَل « سَبْتةَ » قبل العشرين وثلاثمائة : فحبَسه أهلُها عندَهم ، وتَفقَّه عليه قومٌ منهم . وقيل : إنه حَقَّق قِبلةَ جامعِهم إذ ذاك ، فوجَد فيها تَغْرِيباً : فامتَثَلوا رأيَه وشرَّقُوها . ثم دخل الأندَلُسَ ، وتَرَدَّدَ فى كُورِ الثُّغُورِ ؛ واسْتَقرَّ أخيراً بقُرطُبةَ .

كان (رحمه الله) : حافظاً للفقه مُتقدِّماً فيه ؛ نَبيهاً ذَكِيًّا ، فقيهاً فَطِناً ؛ مُتقِناً عالِمًا بالفُتْيَا ؛ حَسنَ القياسِ فى المسائِل .

ولِّىَ المواريثَ ببجَّانة ، والشُّورَى بقرطبة ؛ وتَمكَّن من ولىِّ عهدِها : الأميرِ الحَكَمِ ؛ وألَّفَ له تآليفَ حسنةً .

منها : كتابٌ فى الاتفاقِ والاختلافِ فى مذهبِ مالكٍ ؛ وكتابٌ فى المحاضِرِ ؛ وكتابُ رأىِ مالكٍ : الذى خالفه فيه أصحابُه ؛ وكتابُ الفُتْيَا ؛ وكتابٌ فى تاريخ علماء الأندَلُسِ ؛ وتاريخُ قُضاةِ الأندُلسِ ؛ وتاريخ الإفْرِيقِيِّينَ ؛ وكتابُ التعريف ؛ وكتابُ المولِدِ والوفاةِ ؛ وكتاب النَّسبِ ؛ وكتاب الرُّواةِ عن مالكٍ ؛ وكتابُ طبقاتِ فقهاء المالكيةِ ؛ وكتاب مناقب سحْنُون ؛ وكتابُ الاقتباس ؛ وغيرُ ذلك .

كان : عالمًا بالأخبار ، وأسماء الرجالِ ؛ وكان حكيماً : يَعمَلُ الأدْهانَ ، ويَتصرَّفُ فى الأعمالِ اللطيفةِ ؛ شاعراً بليغاً ، إلا : أنه يَلحَنُ . وآلَتْ به الحالُ — بعدَ موتِ الحَكَمِ ، وتَقصيرِ ابن أبى عامرٍ بصَنَائعِ الحكمِ — إلى الجلوس فى حانُوتٍ : لبيعِ الأدهانِ .

حدَّث عنه : أبو بكرِ بنُ حوبيل ، وغيرُه .

قال أحمدُ بن عُبادةَ : « رأينا ابنَ حارثٍ فى مجلسِ أحمدَ بنِ نصرٍ (يَعنِى : وقتَ طلبِه) : وهو شُعلةٌ يتوقَّدُ فى المناظرةِ ». وتوفى سنة ٣٦١ هـ .

وقال الحُميدىُّ فى (جَذْوَةِ المُقتَبِسِ) : « محمدُ بن حارثٍ الخُشَنِىُّ : من أهلِ العلمِ والفضلِ ، فقيهٌ مُحدِّثٌ ، رَوى عن ابن وَضَّاحٍ ، ونحوِه ، جَمَعَ كتابَ : أخبار القُضاةِ بالأندَلُسِ ؛ وكتاباً آخَرَ : فى أخبارِ الفقهاءِ والمحدِّثينَ ؛ وكتاباً : فى الاتفاقِ والاختلافِ لمالك بن أنسٍ وأصحابه . ذكره أبو عُمَرَ بنُ عبدِ البَرِّ ، وأبو محمدٍ : علىُّ ابن أحمدَ . وأوْرَد عنه أبو سعيدِ بنُ يونُسَ — فى تاريخِه — :وفياتِ جماعةٍ من أهلِ الأندَلُسِ : ممَّن مات قبلَ الثلاثمائة ، وبعدَها بمدةٍ . وقد أفصَح أبو سعيدٍ باسمِه ونسبِه ، فى موضعين من التاريخ : فى باب السينِ ، وفى باب النونِ . وما أراهُ : لَقِيَه ، ولكنه : عاصرَه ، وكان فى زمانِه ، ووقفَ عَلَى كتابِه . وإنما يقولُ فيما يُورِدُه عنه — : من ذلك . — : ذكرَه الخُشَنِىُّ فى كتابِه . كان : حيًّا فى حُدودِ الثلاثينَ وثلاثمائةَ . » .

* * *

هذا ما أكتَفِى بذكرِه : من ترجمةِ مؤلِّفِ هذيْنِ السِّفْرَيْنِ اللذَيْنِ هما : وَثيقتان عظيمتا الخَطرِ ، جليلتَا الأثَرِ ؛ عن تاريخ الحياة العلمية والاجتماعية : فى قرطبةِ وإفريقيةَ . راجياً أن لا يُنْكَبَا : بدجَلِ الدجَّالين ، وحسدِ الحاسدين ؛ دكاترةِ الحىِّ اللاَّتينِى ببارِيسَ وأعوانهم ؛ وأن لا ينالا — من قلةِ إنصافِهم ، وحقيرِ افترائهم . — ما نَالَ كتابَ : (جَذْوَةِ المُقتَبِسِ) ؛ الذى خَرَجَ من المعركةِ : عالىَ الهامةِ ، وافرِ الكرامةِ .

* * *

ولمَّا كان الواجبُ : يُحتِّمُ على الإنسانِ الاعترافَ بالجميلِ ؛ فلا يَسَعُنِى إلا الإشادةَ بذكرِ بعض أسماءِ مَنْ يتكرَّمُون : بتشجيعِنا على نشرِ الكتُبِ العلميَّةِ المفيدةِ ؛ ويُسْدُون إلى (مَكْتَبِ نَشْرِ الثقافةِ الإسلاميَّةِ) — : من المعونة الصادقة . — ما كان أكبر دافع له : على الاستمرارِ فى خدمة العلمِ والأدبِ .

فمنهم: اللُّغوىُّ الأديبُ ، الشيخ : إبراهيم مرونى ؛ ناظرُ مدرسةِ المعلمين العُموميَّة .

والشيخ : عبدُ الغنيِّ عبد الخالق ؛ المدرسُ بكُلِّيَّةِ الشريعةِ الإسلاميَّة .

والمحقِّقُ القديرُ ، السيدُ : عبدُ القويِّ الحلبيُّ .

والشيخ : محمد عيسى منون ؛ المدرس بمعهد القاهرة الأزهرى .

والأستاذ البحاثة : سيد صقر : المدرس بالأزهر .

والدكتور المحقق الكبير : سامى الدهان ؛ عضو المعهد العلمى الفرنسى .

والدكتورُ : محمد صادق ؛ مديرُ الشركةِ التجاريةِ للأدوية .

والأستاذُ الكبيرُ ، السيدُ : أحمد خيرى .

والأستاذُ الفاضل : فؤاد افندى السيد ؛ بقسم المخطوطات بدار الكتُبِ المصريةِ .

كما يجب : أنْ أُنوِّهَ بفضلِ أصحاب أكبرِ دُورِ النشرِ للعلومِ والمعارف ، فى الشرق الأوسطِ ، وأصْدقِها معاملةً وأمانةً . وهم : الأستاذُ الأديب ، السيدُ : قاسمٌ الرجب ببغدادَ ؛ والأستاذ الفاضل : محمد نجيب أمين الخانجى بمصر ؛ والعلامةُ الجليلُ الشيخُ : محمد الثمينى بتونس ؛ والأديبُ الفاضـــلُ : الهادى بن عبد الغنيِّ بتونس ؛ والعالم الفاضل : الحاج محمد نمكانى بالمدينة المنورة .

هذا ؛ وفى الختام ، أدعو اللهَ : أن يُوفقَنا إلى ما يحبُّه ويرضاه ؛ إنه سميعٌ مجيبٌ ؟

فى ١٦ ذو الحجة ١٣٧٢ السيد عزت العطار الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

صلَّى الله على محمد وآله وسلَّم تسليما

حدثنا أبو محمد بن عتاب ، عن أبيه ، عن أبي بكر التجيبيّ

قال أبو عبد الله محمدُ بن حارثٍ الخُشَنِيُّ رحمه الله : وصل الله بالأمير الحكَمِ المستنصرِ (رحمه الله) وليِّ عهد المسلمين ، أسبابَ السعادةِ ، ومدّ له في مدة العز ، وزاده من نعمة التوفيق : أنه لما حسُن [رأى][1] الأمير أبقاه الله ، واستحكمتْ بصيرتُه (سدده الله) في حفظ العلوم ومطالعةِ الأخبارِ ، وفي معرفة النَّسَبِ وتقييد الآثارِ ؛ وفي الإشادة لفضائل السلفِ ، والتقليدِ لمناقب الخلَفِ ؛ وفي التذكير بالمنسيِّ من الأنباء ، والإشارة للسالف من القَصَص وبخاصة : ما كان في مِصره قديماً ، وفي عصره حديثاً ـ : جعل الله ذلك سبباً قوياً لحياة القلوب ، وعلَّةً ظاهرةً لنباهة النفوس ؛ فتحرك أهل الـ[علوم[2]] بما حركهم إليه الأمير الموفَّقُ : فاستحفظوا ما أضاعوا : من غُرر الأخبارِ ؛ وقيدوا ما أهمَلوا : من عيون المعارفِ ، واتصلت بجميعهم بركةُ الأميرِ (أبقاه الله) في ذلك ؛ وكذلك خيرُ الفضائل : ماسطع نورُه ، وانتشر ذكره ، وكان علة لفضائلَ وسبباً لمفاخرَ .

فالحمدُ لله الذي جعل الأمير (أيده الله) : إماماً في الخير ، ودليلا في طرائقُ الرشدِ ، وهادياً[3] إلى جميل المذاهبِ ، وأُسْوةً في الحُسنى ، ومفتاحاً إلى حميد الأمورِ ، وبابا إلى الفضل . هنأه الله نعمتَه ، وأدام غِبْطتَه ، و [أسبغَ][4] عليه فضلَه ، ووفَّر من المكارم حظَّه .

---

(١) و (٢) بياض : في الأصل .

(٣) في الأصل : ومهادياً (٤) بياض : في الأصل .

فإنه لما أمر الأمير (أبقاه الله) : بتأليف كتابٍ : (القُضاة) : مقصوراً على مَنْ قَضى للخلفاء (رضى الله عنهم) بأرض المغرب ، فى الحاضِرة العُظمى : (قُرْطُبَةَ) ، ذاتِ الفخر الأعظم ؛ ولعُمَّالِهم بها مِنْ قبلُ — : هززتُ رواةَ الأخبارِ ، فى أخبارهم ، وكاشفتُ أهلَ الحفظِ عن أفعالِهم ؛ وسألتُ أهلَ العلمِ عما تقدم : من سيرهم قولا وفعلا . فألفَيْتُ من ذلك ، فصولا : تَرُوقُ المستَفهِمين ؛ وقِصصاً : تُبهِجُ السامعين ؛ وأخباراً : تدُلُّ الناظرينَ المُتعقِّبين : على حَصَافة العقولِ ، وسَعةِ العلومِ ؛ وعلى رَجاحةِ الأحلامِ ، وثقافةِ الأفهام ؛ وعلى صِدْقِ البصائر ، وصحةِ العزائم ؛ وعلى [حُسن[1]] مآلِ الفضلِ ، [واستقرارِ[2]] العدلِ ؛ وعلى استقامة الطريقة ، و [سلامة المعاملة[3]] ؛ وعلى ما لِمَن اسْتَقْضَاهم — : من الخلفاء رضى الله عنهم . — : من الأوصاف الرضيَّةِ[4] : فى حُسن الارتيادِ ، وجميل الاختيار ؛ وفى [نُصْحِ[5]] القُضاةِ ؛ بحميد[6] العِظات ؛ وفى إيثار الصدقِ ، وتأييدِ [الحقِّ[7]] ؛ وذلك جديرٌ بقضاة مثلِ هذا المصر الأكبر : بَيْضةِ [الخلافة[8]] ، ودارِ الإمامة ، وحاضرةِ الجماعةِ ؛ ومعدِنِ الفضائلِ ، ومَسكَنِ الأفاضل ؛ وكَمِينِ العلومِ ، ومَجمعِ العلماء ، وقاعدة الأرض .

فأدام الله فضلَها ، وأكملَ حُسنَها : بالإمام العادلِ ، والمَلِكِ الفاضلِ ؛ أميرِ المؤمنين عبد الرحمن (أطال الله بقاءه) ؛ ثم : بالمصطَفَى لعهده ، الممثلِ[9] لمجده جعله الله إماماً فى الخيرات ؛ وعَلَماً فى الصالحات .

* * *

قال محمد : لمَّا كان القاضى أعظمَ الولاة خطَراً ؛ بعدَ الإمامِ الذى جعله اللهُ :

---

(١) بياض : فى الأصل . (٢) فى الأصل : واستفزاز .
(٣) بياض : فى الأصل . (٤) فى الأصل : وعلى أوصاف .
(٥) بياض : فى الأصل . (٦) فى الأصل : بحمين .
(٧) و (٨) بياض : فى الأصل . (٩) فى الأصل : الممثل .

زِماماً للدِّين ، وقِوَاماً للدنيا؛ . ـ : لما يتقلَّدُه القاضى : من تنفيذِ القضايا ، وتَخليدِ الأحكام : فى الدماء ، والفروجِ ، والأموالِ ، والأعراض ؛ وما يتصلُ بذلك : من ضُروبِ المنافعِ ، ووجوه المضار . وكانت العقبى من الله فى ذلك : فظيعةَ المقامِ، هائلةَ الموْقفِ ، مَخُوفةَ المَطْلَعِ ، . ـ : اختلفتْ فى ذلك الهِمَمُ من عُقلاء الناسِ وعُلمائهم ، فقَبِل كثيرٌ منهم القضاءَ : رغبةً فى شَرَفِ العاجِلةِ ؛ ورجاءَ لمعونةِ اللهِ عليه ، واتكالاً على سَعةِ عفوه فيه ، ونَفَر آخَرُون منه : رهبةً من مكروه الآجِلةِ ، وحِذاراً من الله : فيما قد يكونُ منهم ، وعلى أيديهم .

قال محمد : وقد سَلَف من رجال الأندَلُس ـ : من أهلِ حاضرتِها العظمى . ـ رجالٌ دُعوا إلى القضاء : فلم يُجيبوا؛ ونُدِبُوا إليه : فلم يَنتَدِبُوا ؛ رهبةً [فى صميم[1]] أنفسهم من مُنْتَظَرِ العاقبةِ .

وقد رأيت . أن [أُدوِّنَ[2]] ذِكْرهم ، وأصِفَ[3] . مَقاماتِهم بيْنَ يَدَىْ خُلفائهم ، وإشفاقَهم مما دعاهم إليه أمراؤهم ؛ وأنْ أجعلَ لذلك باباً فى صَدْرِ الكتابِ ؛ ثم أصِيرَ إلى ذكرِ وُلاةِ القضاء : قاضياً فقاضياً ؛ على ما كانتْ عليه دُوُلهم ؛ إن شاء الله ؛ وأسئلُ اللهَ : جميلَ المعُونةِ : على صوابِ القولِ ، ومحمودِ الفِعلِ ؛ فإنه الهادى إلى سَواء السبيلِ .

---

(١) و (٢) بياض : فى الأصل .

(٣) فى الأصل : ووصف .

« باب : مَن عُرض عليه القضاءُ : من أهل قرطبة ؛ « فأبَى من قبوله »

قال محمد : استشار الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ (رضى الله عنهما) أصحابَه : فيمن يُوَلِّيهِ القضاءَ بقُرْطُبَة ؛ فأشار عليه ابنُه هِشامٌ (رحمة الله عليه) ، وابن مُغيثٍ الحاجبُ : بالمُصْعب بن عِمْرَانَ[1] ، فقَبِلَ الأميرُ عبدُ الرحمن رأيَهما ، وأمَر بالإرسال إلى مُصْعَبٍ ؛ فلمَّا قدِم : أدخلَه عَلَى نفسِه بحضرة ابنِه هِشامٍ ، وأحمدَ بن مُغيثٍ ، وجماعةِ أصحابِه . فعَرَض عليه ولايةَ القضاء : فأبَى من قَبولها ، وذكَر أعذاراً له فى ذلك . فردَّد عليه الأميرُ عبدُ الرحمن القولَ ، وأظهر له العزيمة ، ولم يُوسِعْه العُذرَ فى ترك القبولِ ؛ فأصَرَّ عَلَى الإباية لها ، وتمادَى على النفورِ منها . فلما يئس الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه الله) منه : أطْرَق ؛ وجعل يَفْتِلُ شاربَه ، وكان : إذا غضِب فَتَلَ شاربَه ؛ فالوَيْلُ للمغضوب عليه ، حتى خاف من حضَرَ ، عَلَى مُصْعَبٍ ، من بادِرةٍ تكونُ من الأمير فيه : لهَوْل مَقامِه ؛ وجعل بعضُ الحاضرين : ينظرُ إلى هشامِ بن عبد الرحمن ، و إلى أحمدَ بنِ مَغيثٍ : كالقائلين لهما : [لما][2] عرَّضْتُما بالرجل ؟ فرفَعَ الأميرُ رأسَه ، فقال لمصعب : اذهبْ فعلَيك كذا وكذا ؛ وعلى اللذَيْن أشارا بك . ولم يكن ـ : من عقوبته له فى حُمَيَّا الغضبِ أكثر من ذلك . وخرج مُصعبٌ : فلَحِق بمكانه . فلم يَزَلْ به : حتى أفْضَتْ الخلافةُ إلى هشامٍ (رحمه الله) ؛ فأرسل فيه ، وعزَم عليه : فى القضاء . وسنذكرُ ذلك : مبيَّناً إن شاء الله .

* * *

(١) انظر ترجمته فى «تاريخ قضاة الأندلس ٤٤ ـ ٤٧» .

(٢) فى الأصل : ماذا .

قال محمدٌ : وذكر أبو مَرْوانَ عبيدُ الله بنُ يحيى ، عن أبيه : أن الأميرَ هِشاماً ،
٢ أراد زِيادَ بن عبد الرحمن[١] للقضاء؛ فخرج هارباً بنفسه فقال هشامُ بن عبد الرحمن ـ عند ذلك ـ : « ليتَ الناسَ كزيادٍ : حتى أُكْفَى حبَّ أهلِ الرغبةِ » ؛ وأمَّنه . فرجع إلى مَسكَنه .

قال محمدٌ : قال لى عثمانُ بن محمد : سمعتُ محمدَ بن غالبٍ ، يقول : لمَّا بَعث الوزراء فى زياد بن عبد الرحمن ، وعَرضوا عليه القضاءَ عن الأمير هشامٍ (رحمه الله) ـ قال لهم : « أما إن أكرَهتمُونى على القضاء : فزوجتى طالقٌ ثلاثاً ؛ لئن أتى [لى[٢]] مُدعٍ فى شىء : مما فى أيديكم ؛ لأُخرِجنَّه عنكم ، ثم لأجعلَنَّكم فيه : مدعين. » . فلما سموا ذلك منه : عملوا فى مُعافاته .

***

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ رُواةِ الأخبار ، قال : لمَّا مات القاضى محمدُ بن بشيرٍ : ذكر الأميرُ الحَكَمُ القَضاءَ ، ومَن يَصلُحُ أن يُوَلِّيَه ؛ فقال : « ما أرى غيرَ فقيهِ
٣ البلدِ : محمدِ بن عيسى الأعْشَى[٣] ؛ وما يَغُمُّنِي منه غيرُ إفراطِ الدُّعابةِ التى فيه . » . وعزَم على ذلك من أمره . فقال له بعضُ الوزراء : لو امتحنتَ أمْرَه قبلَ المُشافهةِ : كان ذلك رأياً حسناً ؛ فأرسَل إليه بعضَ وزرائه : فنزَل عليه ، وذاكرَه الأمرَ ، وأعلَمه بما عابه به الأميرُ : من إفراط دُعابته . فقال : « أمَّا القضاء : فإنى (والله) لا أقبلُه البَتَّةَ : ولو فُعل بى وفُعل ؛ فلا يَحتاجُ الأميرُ (أبقاه الله) : أن يَكْشِفَ إلىَّ وجْهَه فى ذلك ؛ وأما الدُّعابةُ : فعنىُّ بن أبى طالبٍ (رضى الله عنه) لم يَدَعْها للخلافة ؛ أأدعها للقضاء ؟!. ». فلمَّا بَلَغ الأميرَ قولُه : عافاه ، ونظر فى غيره.

***

(١) انظر « تاريخ قضاة الأندلس ١٧ » .
(٢) فى الأصل : بى .
(٣) انظر « جذوة المقتبس ٦٩ ؛ ١٠٦ ».

٤ قال محمدٌ : « وكان للأمير الحكمِ (رضى الله عنه) قاض بكُورةِ جيَّانَ فتظلَّمَ أهلُ الكُورةِ منه : فعَهِدَ الأميرُ الحكمُ إلى سعيد بن محمد بن بشيرٍ ـ قاضى الجماعةِ بقُرطبة ـ : أنْ ينظرَ على قاضى جيَّانَ ؛ فإن ظهر بريئاً : أقرَّه على قضائه ؛ وإن ظهر عليه ما رُفع إلى الأمير فيه : عزَلَه عن الكُورَةِ . فنَظَرَ قاضى الجماعةِ : فألفاه بريئاً ؛ فقال له : انصرف إلى قضائك . فقال : « امرأتى طالق ـ وعلىَّ من الأيمان كذا وكذا : أبَرُّ وأوْفى من أيمان أبيك التى حَلَف بها . ـ : لا نَظَرْتُ بين اثنين : حتى ألقَى اللهَ . » . وكان محمدُ بن بشيرٍ : قد عزله الأميرُ ، فحلَف أن لا يلى القضاء أبداً ؛ بطلاق زوجتِه . وعِتْقِ رقيقِه ؛ فلما عزَم عليه الأمير ـ بعد ذلك ـ فى صرفه أُحْنِثَ فى أيمانه ، وطَلَّقَ الزوجةَ ، وأعتَق الرقيقَ ؛ وأخلَفَ له الأميرُ كلَّ ذلك : إذ أعلَمه به .

* * *

قال محمدٌ : وحدثنى عثمانُ بن محمد ، قال : حدثنى أبو مَرْوانَ عبيدُ الله بن يَحيى ،
٥ عن أبيه يَحيى ، قال : « لما وَلِىَ الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحكمِ (رضى الله عنهما) ألحَّ [عَلَىَّ[1]] فى القضاء ـ وكان صاحبَ الرسالةِ فى ذلك طَرَفةً ـ فقلت له: المكانُ الذى أنا به ـ لما تريدون ـ خيرٌ لكم : إنه إذا تَظَلَّمَ الناسُ من قاضٍ أجْلَسْتُمُونى فنَظَرْتُ عليه ؛ وإن كنتُ القاضىَ فتَظَلَّمَ الناسُ منى : مَن تُجلِسُون للنظر عَلَىَّ ؟ : مَن هو أعلم منى ؟ أو مَن هو دُونى فى العلم ؟ ! . فقبِلَ ذلك منى ، وعافانى[2] ».

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : كان أحمدُ بن خالدٍ يحدِّثُ : أنه لمَّا مات يَحيى بنُ يَعْمُرَ : بقِىَ الناسُ بلا قاض ، حتى خَطَر بهم يوماً زرْيابُ : راكباً إلى البلاطِ ؛ فسألوه : أنْ يُخبرَ الأميرَ عنهم ، بما هم عليه : من سوء الحال ؛

---

(١) فى الأصل : عليه . (٢) فى الأصل : وعافى بى .

إذ ليس لهم قاضٍ ؛ فلمَّا دخل زرْيابٌ على الأمير : ذكر ذلك له ؛ فقال له الأمير : « يازرياب ؛ واللهِ : ما منعنى من تَوْلِيةِ قاضٍ ، إلاَّ أنى لستُ أجد أحداً أرضاه ، غيرَ رجلٍ . » ؛ قال زرياب : فقلت : أصلح اللهُ الأميرَ ؛ ومَن هو ؟ قال : « يحيى بن يحيى[1] ؛ غير أنه يأبَى علىَّ من ذلك » . فقال له زرياب : فإذ تَرْضاه للقضاء ، فاسأله : أنْ يَدُلَّك على قاضٍ . فقال له الأمير : « قلتَ قولاً سديداً » فأرسل فى يحيى ، وسأله : أن يُشيرَ بقاضٍ يَرْضاه : إذا لم يقبل هو القضاء فى نفسه . فأشار : بإبراهيمَ بن العباس ؛ فولاَّه الأميرُ .

قال محمد : قال خالد بن سعد : وأخبرنى بعضُ أهلِ العلمِ : أنَّ يحيى أبَى : أنْ يَقبلَ القضاء ، وأبى أن يُشيرَ بأحدٍ .

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : حدثنى مَن أثِقُ به ، عن يحيى بن زكرياء ، عن محمد بن وَضَّاح ، قال : لمَّا عزَم الأميرُ على يحيى : على تَوْلِيةِ القضاء ، فأبى ولج عليه — قال : فأشِرْ علىَّ برجلٍ . قال : « لستُ أفعلُ : لأنى إن فعلتُ : شَرِكْتُه فى جَوْره : إن جار » . فأحفظَ ذلك الأميرَ عبدَ الرحمن : فأمر صاحبَ رسائله : أن يكون رقيباً على يحيى ، وغدا به إلى الجامعِ ، ودَفع إليه الديوانَ ، وقال للخصوم : هذا قاضيكم . فلَبِث فى ذلك ثلاثاً ، فلما ضاق الأمرُ على يحيى : أشار بإبراهيمَ بن العباس .

* * *

٦ قال محمدٌ : وكان عثمانُ بن أيوبَ بن أبى الصَّلْت[2] : من أهل العلمِ بقُرطُبَة ؛ وكان : ممَّن بُسِطَتْ له الدنيا ؛ فأبى أنْ يَقبلَها ، وأعرَضَ عنها .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمعتَ ابنَه إسماعيلَ ، يقولُ : عُرِضَتْ على أبى وِلايةُ

---

(١) انظر « تاريخ قضاة الأندلس ١٥ وجذوة المقتبس ٣٥٩ ، ٩٠٨ » .

(٢) انظر : « جذوة المقتبس ٢٨٥ ، ٦٩٦ » .

القضاء ، فأبَى أنْ يَقبلَها ، واسْتَعْفَى منها .

* * *

قال محمدٌ : وممَّن عُرِض عليه القضاء : من شيوخ قُرطُبةَ ، فأبَى من قبوله — :

٧ إبراهيمُ بن محمد بن بازٍ[1] ، وكان السببُ فى ذلك — فيما أخبرنى بعضُ وُلاةِ الأخبارِ — : أن الأميرَ محمدَ بن عبد الرحمن ، (رحمه الله) أدخَل على نفسه هاشمَ ابن عبد العزيز يوماً ، فقال له : يا هاشم ؛ كنتُ أرَى رُؤيا عجيبةً فى رجل ، لا أدرى : من هو ؟ كنتُ أرَى نفسى فى المصارة ، حتى لقِيتُ أربعةً : من الرجال ؛ رُكباناً على دَوابَّ لهم ؛ لم أرَ فى الرجال : أصبَحَ منهم وُجوهاً ، ولا أبْهَى مَنظَراً ؛ فجعلتُ أتعجبُ منهم ؛ وإنهم طلَعوا إلى الحرف : فتبعتُهم ؛ فأخذوا عَلَى جهةِ اليمينِ : حتى انْتَهَوْا إلى مسجدٍ تُقابلُه دارٌ ؛ فقرَعُوا بابَ تلك الدار : فخرج إليهم رجلٌ منها ، فصافحوه ودَعَوْا له ، وناجَوْه ساعةً ؛ ثم زالوا عنه . فقلتُ : مَن هؤلاء ؟ فقيل لى : محمدٌ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) ، وأبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ؛ أتَوْا لهذا الرجلِ : عائدِينَ فى مرضه . ثم قال لهاشم : قد عَرَّفْتُك بالمسجد والدار : حتى كأنى وَقَفْتُ بك إليها ؛ فاذهبْ فاعرِف : مَن صاحبُ تلك الدارِ ؟ .

فقال له هاشمٌ : قد عرفتُها دونَ أنْ أتعَرَّفَها ؛ هى : دارُ إبراهيمَ بن محمد بن بازٍ .

فقال له الأمير : عزَمتُ عليك : لتذهبن متعرفاً بحاله .

ففعَل هاشمٌ ؛ ثم أتاه : بتصحيحِ ما قال له مِن قبلُ ؛ وأعلمه : أن الرجلَ مريضٌ . فكان ذلك سبباً : لأنْ عرَض عليه الأميرُ قضاءَ الجماعة ؛ وأرسَل إليه بذلك هاشمَ بن عبد العزيز : فأبَى من قبولها ؛ فأعاد عليه الأمير هاشماً : إذ لم تَقبلْ القضاء ، فكنْ أحدَ الداخلين علينا ، الذين نُشاوِرهم فى أمورنا . فقال إبراهيمُ لهاشم : يا أبا خالدٍ ؛ إنْ ألحَّ عَلَىَّ الأميرُ فى شىء من هذا : هرَبتُ بنفسى عن هذا البلد ؛ فأعرَضَ الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) عنه وعن خبره .

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٢ .

قال لى أحمدُ بن عُبَادَةَ الرُّعَيْنِيُّ : كان المنذر بن محمد — إذ كان ولداً — هو : الذى خاطبه فى القضاء ، فأبَى من قبوله ؛ فكان المنذرُ يقولُ : لو قبِل منى الأميرُ لأكرَهتُه عليه .

* * *

٨ قال محمدٌ : وممَّن جاهد بالإصرار على الإباية عن القضاء ؛ محمدُ بن عبد السلام الخُشَنِيُّ[1] فإنه أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن (رحمه الله) : أنْ يُبعثَ فى الخُشَنِيِّ ، ويُستَقْضَى على كُورة جَيَّانَ .

فأرسَل فيه الوزراء ، وقالوا : إن الأميرَ يَسْتَقْضِيك على كُورة جَيَّانَ . فأبَى ونفَر من ذلك نُفوراً شديداً ؛ فعُولِجَ ولُوطِفَ : فلم يزدد إلا نُفوراً وإباية ، فكتَبُوا إلى الأمير : يُخبره ، وأنه لَجَّ فى أن لا يَقبلَ ، فوَقَّع إليهم الأميرُ تَوْقيعاً غليظاً ؛ معناه : إنْ عانَدَنا فقد عرض بنفسه ودمه ؛ فلمَّا سمع ذلك الخُشنيُّ : نَزَعَ قَلَنْسُوَةً من رأسه ، ومَدَّ عُنقَه ، وجعل يقولُ : أبَيْتُ ، أبيتُ : كما أبَتْ السماواتُ والأرضُ ؛ إبَايةَ إشفاقٍ ، لا : إبايةَ عِصيانٍ ونفاقٍ ، فكتَبُوا إلى الأمير بلفظه ؛ فكتَب إليهم : أنْ سَلِّمُوا أمْرَه ، وأخرِجوه عن أنفسكم ؛ فقال له الوزراء : تَنظرُ فى أمرك ليلتَك هذه ، وتَسْتَخيرُ الله فيما دُعِيتَ إليه . وخَرَج عن القوم .

* * *

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : ذكَر لى محمدُ بن فُطَيْسٍ : أن الأميرَ محمداً أمرَ ٩ الوزراء : أنْ يُرسِلوا فى أبَانَ بنِ عيسى بن دينارٍ[2] ، وأنْ يُوَلُّوه قضاء جَيَّانَ . فلمَّا أرسَلُوا فيه ، وعَرَضُوا ذلك عليه — : اسْتَعْفَى وأبى ؛ فأمرَ الأميرُ محمدُ بن عبدِ الرحمن : أنْ يُوَكَّلَ عليه الحَرَسُ ، حتى يَبْلُغَ جَيَّانَ ، ويَجْلِسَ بها : مَجلِسَ القضاء والحُكمِ بيْن الناسِ ؛ فوَكَّل عليه الوزراء الحرسَ ، وسارُوا به

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٣ ، و «جذوة المقتبس ٦٣ ، ١٠٠ »

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٢ — ١٣ ، و «جذوة المقتبس ١٦١ ، ٣١٨ »

واقْعدُوه ؛ فحكمَ بيْنَ الناس يوماً واحداً ؛ فلمَّا آن الليلُ : هرَب ؛ فأصبح الناسُ يقولون : هرَبَ القاضي . فرَجَع الخبرُ إلى الأمير (رحمه الله) ، فقال : هذا رجلٌ صالحٌ ؛ ولكنْ : يُطْلَبُ حتى يُعرَفَ مَوضعُه ؛ فطُلِب ؛ فلمَّا عُرِف مكانُه : رضِيَ الأمير عنه . فلمَّا قدِم قُرطبةَ : ولاَّه الأميرُ صلاةَ الجماعةِ بقُرطبةَ .

قال محمدٌ : قال بعضُ أهلِ العلمِ : فكان - إذْ وُلِّيَ الصلاةَ - : ظاهرَ الخشوعِ ، كثيرَ البُكاء ؛ إذا سَلَّم من صلاة الجُمُعةِ : لم يَلْبَثْ ساعةً في المسجد ؛ اتِّباعاً للسنة .

* * *

١٠ قال محمدٌ : كان المُنذِرُ بن محمدٍ (رحمه الله) : شديدَ الإعظامِ لبَقِيِّ بن مَخْلَدٍ[1] ؛ دَخَل عليه - يوم البُروزِ - في المُصَلَّى : فمنَعه من تَقبيل يدِه ، وأجلَسَه على جانبٍ من فِراشه على رُءوس الناس ؛ وكان له : خاصاً وصنيعةً ؛ قبْلَ وِلايةِ المُلكِ ؛ وكان قد قدَّم إليه بَقِيُّ بن مَخْلَدٍ البُشْرَى بالخلافة . فلما صارتْ إليه الخلافةُ : وَفَّى له ، وتمادَى على ما كان له : من الإجلال والإكرام .

فلمَّا عُزِلَ سُليمانُ بن أسودَ عن القضاء ، أمرَ الأميرُ المنذرُ : في بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ ؛ فعُرِض عليه القضاء : فأبى من ذلك ؛ فذَهب : إلى استكراهه على ذلك ؛ فقال له : ما هذا جزاءُ محبَّتِي وانقطاعي ، فقال المنذرُ : أمَا إذا أبيْتَ ، فما ترى فيمَن أشار به الوزراء ؟ فقال : ومن هو ؟ قال : زيادُ بن محمد بن زيادٍ . فقال له : نعم الحَدَثُ . فقال له المنذر : فأشِرْ عليَّ بقاضٍ ترضاه للمسلمين . فقال : أُشِير عليك برجل من آل زيادٍ ، يُعرفُ : بعامرِ بن مُعاويةَ . فقَبِل منه المنذرُ (رحمه الله) ، وأرسَل في عامرٍ ، ووَلاَّه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ .

* * *

---

(١) انظر : جذوة المقتبس ١٦٧ ، ٣٣١ ؛ وتاريخ قضاة الأندلس ١٨ .

١١ قال محمدٌ : وممَّن عُرِض عليه القضاء ، فأبَى منه — : أبو غالبٍ عبدُ الرءوف ابنُ الفرج [١] .

قال لى أبو محمدٍ قاسمُ بن أصْبَغَ : نزل موسى بن حُدَيرٍ ، عَلَى أبى غالبِ بن كِنانةَ ، فعَرَض عليه القضاء ، عن الأمير عبدِ الله بن محمدٍ (رحمه الله) : فأبى من قبوله .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ أهلِ العلمِ : لمَّا قدِم أبو غالبٍ عبدُ الرءوف بن الفرج من الحجِّ — : سَلَك طريقَ التَّقَشُّفِ والتَّنَسُّكِ والتَّدَيُّنِ ؛ وكان الأميرُ عبدُ الله ابن محمد : به مُعْجَباً ؛ وكان : ربَّما اشْتَهَى رؤيتَه من غير أن يُدخِلَه على نفسه ؛ فتعرَّض رؤيتَه يومَ الجُمُعةِ ، من السَّاباطِ ، عندَ رَوَاحِه من الجُمعة .

فذكَره الأميرُ يوماً ، وقال : لا بُدَّ من أنْ [نَضُمَّه [٢] إلى الوِزارة ، أو إلى القضاء ، وكان عبدُ الله بن محمد بن أبى عَبْدَةَ : أقْرَبَ الوزراء ، من أبى غالبٍ : محبةً ومكانةً ؛ فقال الأميرُ : ينبغى : أن لا يُهجمَ على الرجل ، حتى يُتَعَرَّفَ ما عندَه فى ذلك .

قال سَكَنُ الكاتبُ : فأرسلَنى عبدُ الله بن محمد : إلى أبى غالبٍ ، فعرَضتُ عليه مُراد الأمير (قال سكنُ) : فتلقَّانى فى ذلك : بالتضاحك والدُّعَابة ؛ حتى أطمَعَنى فى نفسه ؛ وجعل يقولُ : أنتم أشَحُّ على دُنياكم ، [وأضَنُّ [٣]] بها : من أنْ تُعطُوا منها لأحد شيئاً ، أو تُشرِكوا فى شىء منها صديقاً . (قال سكنُ) : فلمَّا سرتُ إلى الاستقضاء عليه ، قال لى : باللهِ لئنْ عاوَدْتَنى بهذا ، أو بَلَّغْتَنى عن الأمير فيه عزيمةً — : لأخرُجَنَّ من الأندَلُس .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١٩ .

(٢) فى الأصل نصفه (٣) فى الأصل واظن

« بابُ : أخبارِ قُرْطُبَةَ وقُضَاتِها قبلَ الخُلَفاءِ . »

* * *

« ذِكْرُ القاضي مَهْدِيِّ بن مُسْلِمٍ [1] »

قال محمدٌ : فمِنْ قُدَماءِ قُضاةِ قُرْطُبَةَ ـ : الذين قَضَوْا بها للأمراء ، العُمَّالِ ، الوُلاَةِ ، القُوَّادِ ، قَبْلَ دخولِ الخلفاء (رضى الله عنهم) الأندلُسَ : مَهْدِيُّ ابن مُسْلِمٍ . وهو من أبناء المسالمة : من أهل الدينِ والعلمِ والورعِ ؛ اسْتَقْضاه عليها عُقْبَةُ بن الحجَّاجِ السَّلُولِيِّ .

حدثنى أحمدُ بن فَرَجِ بن منتيلٍ ؛ قال : حدثنى أبو العباسِ أحمدُ بن عيسى ابن محمدٍ المَقَّرِيُّ ـ بمدينة : تنيس [2] . ـ قال : وَلِّىَ الأندَلُسَ عُقْبَةُ بن الحجَّاجِ السَّلُولِيُّ ؛ فكان : صاحبَ جهادٍ ورِباطٍ ؛ وذا نَجْدَةٍ و بأسٍ ورَغْبَةٍ فى نِكايَةِ المشركين ؛ وكان إذا أسَرَ الأسيرَ : لم يقتُلْه حتى يَعْرِضَ عليه الإسلامَ حِينا ، ويُرَغِّبَهُ فيه ، ويُبَصِّرَه بفضله ، ويُبَيِّنَ له عُيوبَ دينه الذى هو عليه . فيُذكَرُ : أنه أسلَمَ على يدَيْه بذلك الفعلِ ألفا رجل .

وكان : قد اتَّخَذَ بالأندلُس مَقَرًّا ، مدينةً يقالُ لها : أربونة ؛ وكان : قد عَرَف مَهْدِيَّ بن مُسلمٍ : بالعلمِ والدينِ والوَرَعِ ؛ فكان : قد اسْتَخْلَفَه على قُرْطُبَةَ ، وأمَرَه : بالقضاء بَيْنَ أهلِها ؛ وكان قد عَرَفه ـ مع ذلك ـ : بالبلاغة والبيان ؛ فلمَّا أراد تَوْليتَه ، قال له : اكتُبْ عَهْدَكَ عنِّى لنفسِك ، فكتَبَ مَهْدِيُّ :

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٢ .

(٢) فى جذوة المقتبس : تنس . انظر معجم البلدان ٢ / ٤١٤

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا ما عَهِدَ به عُقبةُ بن الحجَّاجِ ، إلى مَهْدِيِّ بن مُسلمٍ : حينَ وَلاَّه القضاء ؛ عَهِدَ إليه : بتقوى الله ، و إيثارِ طاعتِهِ ، واتِّبَاعِ مَرْضاتِهِ : فى سِرِّ أمْرِه وعَلانيتِه ؛ مُرَاقِباً له ، مُسْتَشْعِراً لخَشْيةِ الله ؛ مُعْتَصِماً : بحبلِهِ المَتِينِ ، وعُرْوَتِهِ الوُثْقى ؛ مُوفياً بعَهْدِه ؛ مُتوَكِّلاً عليه ، واثقاً به ، مُتَّقياً منه ؛ فإن اللهَ معَ الَّذِينَ اتقوْا والَّذِينَ هم مُحْسِنُونَ . »

«وأمَرَه : أنْ يَتَّخِذَ كتابَ الله ، وسُنَّةَ نبيِّه محمد (صلى الله عليه وسلم) ـ إماماً : يَهْتَدِى بنورِهما ؛ وعَلَماً : يَعْشُو إليهما ؛ وسِرَاجاً : يَسْتَضِيءُ بهما ؛ فإنَّ فيهما : هُدًى من كلِّ ضَلالَةٍ ، وكَشْفاً لكلِّ جَهالَةٍ ؛ وتَفْصِيلاً لكلِّ مُشْكِلٍ ، وإبَانَةً لكلِّ شُبْهَةٍ ؛ وبُرهاناً ساطعاً ، ووكيلاً شافياً ، ومناراً عالياً ، وشفاء لما فى [القلوب (١)] ، وهدًى ورَحمةً للمؤمنين . »

« وأمَرَه : أنْ يَعْلَمَ أنه لم يَخْتَرْه لمصالح العبادِ والبلاد ، وتَوْليةِ القضاء ـ الذى رَفع اللهُ قدرَه ، وأعلى ذِكرَه ، وشَرَّف أمْرَه ـ إلاَّ : لفضل القضاء عند الله (جل جلاله) ؛ لما فيه : من حياةِ الدِّين ، و إقامةِ حُقوقِ المسلمينَ ؛ و إجراء الحُدودِ مَجَارِيها : على مَن وَجَبَتْ عليه ؛ و إعطاء الحُقوقِ : مَن وَجَبَتْ له . ولِمَا رجا عنده ـ : فيما يُمضيه ، ويَتقدَّمُ فيه ، ويَحكمُ به . ـ : من إيثارِ حقِّ الله (عز وجل) ، وطَلبِ الزُّلْفةِ لدَيْه ، والقُرْبةِ إليه ، و : أنْ يُحاسِبَ نفسه ـ فى يومه وغده ـ : فيما تَقَلَّد : من الأمانةِ : الثَّقيلِ حِمْلُها ، الباهِظِ عِبْؤُها (٢) ؛ فإنه مُحاسَبٌ ومُوعَدٌ ومَوْعُودٌ . »

---

(١) فى الأصل : الكدوب .

(٢) فى الأصل : الباهض عبوها .

« وأمَرَه : أنْ يُوَاسِيَ بَيْنَ الخُصوم : بنظَره واستفهامِه . ولُطفِه ولَحْظِه واستماعِه ؛ وأنْ يَفهمَ من كلِّ أحدٍ : حُجتَه وما يدلى به ، ويَسْتَأْنِى : بكل عيى اللسان ، ناقصِ البيان . فإن [فى] استقصاء[1] الحجة : ما يكونُ به لحقِّ اللهِ (تعالى) عليه قاضياً ، وللواجب فيه راغباً ؛ فقد يكونُ بعضُ الخُصوم : ألْحَنَ بحُجَّتِه ، وأبْلَغَ فى منطقه ؛ وأسْرَعَ فى بُلوغِ المَطْلَبِ ، وألْطَفَ حِيلةً فى المَذْهَبِ ؛ وأذكى ذكاءً ، وأحْضَرَ جواباً ؛ من بعض : وإن كان غيرَ الصوابِ مَرْماه ، وخلافَ الحقِّ منهاه ؛ فإن لم يَتَعَاهَدْ القاضى مِثلَ هذا ، ويَجعلْه من القُرُباتِ إلى الله (عز وجل) : بالتَّحَفُّظِ ، والتَّيَقُّظِ ؛ والاسْتِرَابَةِ ، والاحتراسِ من أهلِ : الخِبِّ واللَّدَدِ ، والعِنَادِ ، والتَّلَبُّسِ بشهاداتِ الزُّورِ ، وتَحَيُّفِ الحقوقِ ـ : أهْلَكَ القويُّ الضَّعيفَ ، واقْتَطَعَ حقَّه ، وغَلَبَ عليه . وفى تَقَدُّمِ القاضى ـ : فى النظرِ فى ذلك ، والمراعاةِ له ؛ واحْتِسَابِ ثوابِ اللهِ فيه . ـ : إثباتُ الحقِّ ، [وإزهاقُ] الباطلِ ؛ (إنَّ الباطلَ كان زَهُوقًا : ١٧ — ٨١) ».

« وأمَرَه : أنْ يكونَ وزراؤه وأهلُ مَشُورتِه ، والمُعينُونَ له عَلَى أمْرِ دُنياه وآخرتِه ـ : أهلَ العلمِ والفقهِ ، والدِّينِ والأمانةِ : ممَّن قبلَه ؛ وأنْ يكاتِبَ من كان فى مِثلِ هذه الحالِ المَرْضِيَّةِ : ممن فى غيرِ ناحيتِه ؛ ويُقابِلَ آراءَ بعضِهم ببعضٍ ، ويُجْهِدَ نفسَه فى إصابةِ الحقِّ ؛ فإن اللهَ (جل ثناؤه) يقولُ فى كتابِه الناطقِ على لسانِ نبيِّه الصادقِ ؛ محمدٍ عليه السلام :(وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ؛ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ : ٢ — ١٥٩) . وبأنْ يكونَ حُجَّابُه وأعْوانُه ، ومَن يَسْتَظْهِرُ به عَلَى ماهو ماسَبيله ـ : أهلَ الطَّهارةِ والعَفافِ والطَّلبِ لأنفسِهم ، والبُعدِ من الدَّنَسِ . فإنَّ أفعالَهم مَنْسُوبةٌ إليه ، ومَنُوطةٌ لديْه ؛ فإذا أصْلَحَ ذلك : لم يَلْحَقْه[2] عَيبٌ ، ولم يَعلَقْ به رَيْنٌ ؛ إنْ شاء اللهُ » .

---

(١) فى الأصل : فان استقضاء . (٢) بياض : فى الأصل
(٣) فى الأصل : لم يلحق .

« وأمَرَه : أنْ يُديمَ الجُلوسَ والقُعودَ ، لمَن : اسْتَرْعاه اللهُ أمْرَه ، وقَلَّدَه شأنَه ، وأسْنَدَ الحكْمَ له عليه ؛ ويُقِلَّ السآمةَ منهم ، والتَّبَرُّمَ بهم ؛ ويَصْرِفَ إليهم قلْبَهُ وذهنه ، وشغْلَه وفِكْرَه ، وفَهْمَه ولِسانَه ـ : بما يُوسِعُهُم به عَدلاً و إنْصافاً و إصلاحاً ؛ فإن فى ذلك : قوَّةً لمُنَّتهم ، و إحياءً لتأْميلهم ، وتحقيقاً لجميل ظُنونهم ؛ وثِقةً منهم : بورَعِه ونزاهتِه ، وطِيبِ طُعْمَتِه . فإنَّ فيهم : الضعيفَ عن التَّوَدُّدِ ، والزَّمِنَ الثَّقيلَ ؛ وعليه فى كل وقتٍ : التَّعهدُ ، ـ ووهْنَا ـ لأهلِ التَّلَذُّذِ والفُجُورِ ؛ والتَّفَحُّم فى مُلْتَبِساتِ الأمورِ ؛ وأنْ يكونَ قُعودُه لهم ، وتَصرُّفه فى النظرِ بينَهم : بنشاطٍ وقِلَّةِ فُتُورٍ ؛ ليكونَ ذلك : أقْوَى له ، وأتْقَنَ لما يُحكِمُه ويُبْرِمُه[1] : من سِياستهم وتَدْبيرِهم ؛ إنْ شاء اللهُ . »

« وأمَرَه : أنْ يسمعَ من الشهود شهاداتِهم : على حَقِّها وصِدقِها ؛ ويستَقصِيَها : حتى لا يَبْقَى عليه شيءٌ منها ؛ ومن المُزَكِّينَ : تَزْكِيتَهم ؛ ويُكثِرَ البَحثَ والفَحصَ عن أمورهم أجمعين ، ويسئلَ عنهم أهل الصلاحِ والدينِ ، والأمانةِ والثِّقةِ والرِّعةِ : ممَّن يَعرِفُهم ويُبْطِنُ أحوالَهم ؛ ولا يَعْجَلَ بإمْضاءِ حُكمٍ ؛ حتى يستقصِيَ حُجَجَ الخُصومِ وبيِّناتِهم ومُزَكِّيهم ؛ ويَضربَ لهم الآجالَ ، ويُوسِعَ فيها عليهم : حتى تَتَجَلَّى له حقائقُ أمورِهم ، وتَنْكَشِفَ له أغْطِيَتُها ؛ فإذا أتَى عليها : علْماً ؛ وأيْقَنَها : إيقاناً ؛ لم يؤخِّره الحُكم بعدَ اتِّضاحه وظُهورِه ، وثُبُوتِه : عندَه مَن يُشاوِرُهُ : مِن فقهائه . »

« وأمَرَه : أنْ يُطالعَ بكتُبِه ـ : فى الحوادثِ التى يَحتاجُ فيها إلى المؤامرات : فيما أشْكَلَ عليه ، واسْتَغْلَقَ له ، واحْتاج إليه فى النوازل . ـ إبراهيمَ بنَ حَرْبٍ القاضَى : ليَرِدَ عليه منه ، ما يَعملُ به ويَمْتَثِلُهُ ، ويَقتصرُ عليه ، ويَصيرُ إليه ؛ لتكونَ مَوارِدُ أمورِه ومَصادِرُها : مُبْتَدأةً[2] فَواتِحُها : بالتَّسديد ؛ مَقْرُونةً خَواتِمُها بالتأييد ، إنْ شاء الله . »

---

(١) فى الأصل ويبرمه . (٢) فى الأصل : ومبتدا .

«هذا : عَهْدى إليك ، وأمرى إيَّاك ، وإسْنادى إليك ما أسْنَدْتُ[1] ، وتَفْويضى إليك ما فوَّضْتُ . فإن تَعْمَلْ به — : مُؤْثِراً : لرضا اللهِ وطاعتِه ؛ قائماً : بالحُسْبةِ ، مُؤَدِّياً : حقَّ الأمانةِ . — : يكنْ حُجةً بيْنَ يديْك ، وظهيراً لك ، وإن لم تَعْمَلْ به : يكن حجة عليك ؛ وأنا أسألُ اللهَ : أنْ يُعينكَ ويُقوِّيَك ، ويُرْشِدَك ، ويُوَفِّقَك ، ويُسَدِّدَك ؛ إنه خيرُ مُوَفِّقٍ ومُعِينٍ . وصلَّى اللهُ على محمدٍ . » .

* * *

قال محمدٌ : قال أحمدُ بن فرج : فقلتُ لأحمدَ بن عيسى : لقد عَظُمَتْ هِمَّتُك : إذ حَفِظْتَ مِثلَ هذا ، وشِبْهَه : من الأخبارِ القديمةِ . فقال : حفِظْتُ هذا زمنَ الصِّبا ، عن جَدٍّ لِي ، عَمَّرَ نحوَ عُمْرِى ؛ وكان : من أحفظِ الناس لأخبارِ المَغرِبِ وافْتِتاحِه ، وأخبارِ بنى أُمَيَّة عندكم ؛ ولقد كان عندى — من كتبه — : أخبارٌ حِسَانٌ غريبةٌ ؛ فذهبَتْ بحريقٍ كان فى مَنزلى . ولقد بلغَنى : أنَّ بعضَ مَن عندكم — : من بنى الأغلب ، أو غيرهم : من الشِّيعةِ . — ادعى هذا العهدَ ، وكتَب به نَصًّا إلى بعض وُلاةِ القضاء . وما هو إلاَّ لمَهْدِىِّ بن مُسلمٍ هذا ، عندى قديماً أحفظُه زمَنَ الصِّبا عن جدى ؛ فهل عندكم له ذِكْرٌ ؟ فقلتُ له : ماسمعتُ به عندنا ، ولا باسم مَهْدِىٍّ هذا : فقال لى : قد سألتُ غيرَك — : من أهلِ بلدك . — فلم يكنْ يَعرِفُه . فيا عَجَبى[2] كيف درسَ خَبَرُه عندكم ؟ ! لكنى : أظنُّه لم يُعْقِبْ ؛ فاضْمَحَلَّ خَبَرُهُ ؛ بالفِتَنِ التى دارَتْ فى بَلدِكم .

* * *

« ذِكْرُ القاضى عَنْتَرَةَ بنِ فَلاَحٍ[3] »

(حدثنى) أحمدُ بن فَرج بن مِنْتِيلٍ ؛ قال : حدثنى أبو محمدٍ : مَسْلَمَةُ بن زُرْعَةَ

---

(١) فى الأصل : ماأسنده (٢) فى الأصل : عجمى (٣) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٤٢ .

ابنِ رَوْحٍ؛ بالعَرِيش بالشام ؛ وكان : شيخاً كبيراً قـــد نَيَّفَ على المِائة : فى ما ذكر لى ؛ وأدرَكَ حَرْمَلَةَ صاحِبَ الشافعىِّ؛ وحدثنى عنه وعن أمثالِه ؛ وذَكَر لى : أنه من مَوَالِى بنى أُمَيَّة ؛ وكان : ذا علمٍ بأخبارِهم : القديمةِ والحديثةِ ؛ وأخبارِ بلادِ الأندُلسِ ؛ مُحِباً لهم ، مُتَشَيِّعاً فيهم ؛ وكنتُ قد نظَرتُ يوماً ، فى بعض جوامعِ بَوَادِيهم ، إلى خُطَبٍ مكتوبة بخط غليظٍ : فى رَقٍّ مُلْصَقٍ فى الحائطِ بحذاء المِنبَرِ الذى يَخْطُبُ عليه ؛ فكان إذا قَعد للخُطبة : نظَر إليها ؛ فلم يَدْخُلْ عليه سَقَطٌ ولا تَلَعْثُمٌ ؛ فتكلَّمْتُ معه : فى ذلك ؛ وعِبْتُ عليهم ، وقلتُ لهم : أنتم أهلُ المشرقِ: المَنسُوبُ إليهم البلاغةُ والخطبُ على البَدِيهةِ؛ وتَفْتَقِرُون إلى مِثلِ هذا ؟! ما رأيتُ مثلَ هذا ، فى شىء : من نَوَاحى المغرب ؛ وهم أضعفُ الناسِ فى البلاغة كما[1] تقولون ؟ فقال لى :

قد كان ألْطفُ من هذا عندَكم، وفى بَيْضَةِ بلدِكم ، وموضعِ سُلطانِكم . كان يُخبِرنى أبى ، عن جدى : أنه كان عندكم — بقُرْطُبَة — قاضٍ فى الزمان ، يسمَّى: عَنْتَرَةَ بنَ فَلَاحٍ ؛ وكان تقياً ورعاً ؛ أُستَسْقِى يوما بالناس : فأحسَنَ فى دعائه ، وقيامِهِ بالخُطبة ؛ فقام إليه رجلٌ — :من عامَّة الناسِ . — فقال له : أيها القاضى الواعظُ ؛ قد حَسُنَ ظاهرُك ، فحَسَّنَ اللهُ باطنَك . فقال له : آمينَ ، لنا أجمعين ؛ فهل أضمَرتْ شيئاً يا ابنَ أخى ؟ فقال له : نعمْ ؛ بتفْريغِ أهْرَايك : يَكْمُلُ اسْتِسْقاؤك . فقال القاضى : اللَّهم؛ إنى أُشْهِدُك : أنَّ جميعَ ماحَوَاه مِلْكى : من المأكولِ . — صدقةٌ لوجهك . ثم آلى : أنلا يَرِيمَ[2] مَقامَه ؛ حتى يَقصِدَ دارَه ، ويُفرِّقَ جميعَ ما ادَّخَرَ . (قال) : فأُغِيثوا من يومهم : غَيثاً عامًّا .

قال لى : وكان هذا القاضى : (عنترةُ) يقول : لَحَظْتُ الناسَ : لم أَصِلْ كلاماً.

١٣

---

(١) فى الأصل : بما .

(٢) أى : أن لا يبرح موضعه .

فكان إذا خطَب : سَدَلَ على وجهه من ثوبه ؛ فكان يُذْكَرُ عنه : أنَّ معناه غيرُ ذلك ؛ وأنَّ خُطبتَه : كانتْ مَكتوبةً فى صحيفة مُشْبَكَةً فى الثَّوبِ المَسْدُولِ على وجهه . فهذا : من نحوِ ما رأيتَ عندنا ؛ وهذه الخُطَبُ لها آلاتٌ واسْتِجْمَاعٌ.

* * *

« ذِكْرُ القاضِى : مُهاجِرِ بنِ نَوْفَلٍ القُرَشِىِّ[1] »

قال محمدٌ : أخبرنى أحمدُ بن فرجِ بنِ مِنْتِيلٍ ؛ قال : حدثنى مَسْلَمَةُ بن زُرْعَةَ ؛ قال :

سمِعتُ أبى : يَذْكُرُ مراراً عن جَده ـ : وكان قد دَخَل الأندلُسَ . ـ يقولُ : لم أرَ مِثْلَ قضاةِ الأندلُسِ : فى العبادةِ والوَرَعِ ؛ (قال) : رأيتُ بها قاضياً ، ١٤ يُدْعى : مُهاجِرَ بنَ نَوْفَلٍ القُرَشِىَّ ؛ كان يَجْتَمِعُ عنده الناسُ : للتَّحاكُمِ ؛ فلا يزالُ يُذَكِّرُهُم ويُخَوِّفُهم : اللهَ ، وما يَلحَقُ المُبْطِلَ : من سَخَطِ اللهِ وعقوبتِه ، ومَوْقِفِه بيْنَ يديْهِ فى القيامة ؛ ثم يَذْكُرُ ما يَلزَمُ القاضىَ : من الحساب ؛ بما يَجبُ عليه : من التَّحَرِّى والاجتهادِ ؛ ثم يَأخُذُ فى النَّوْحِ على نفسِه والبكاء : مُعْلِناً بذلك ؛ حتى كنتُ أرَى الناسَ ، يَنصرِفُون عنه : باكِينَ خائفين ، قد تَعَاطَوْا الحقُوقَ بينهم .

ولقد بَلَغنى فى موته أعظمُ العَجَبِ : أنه لما مات (رحمه الله) ـ : وكان لا أهلَ له ولا وَلَدَ . ـ : دُفِن بمَقْبَرَةٍ لهم : بقِبْلِىِّ مدينتِهم ، و بعُدْوَةِ نهرٍ عظيمٍ لهم لَيْلاً ؛ وأظنُّه عَهِد بذلك . فلمَّا هِيلَ الترابُ عليه : سمِعُوا من القَبْرِ كلاماً فاستمعوه ينادِى و يقولُ : أذْكَرْتُكُم ضِيقَ القبرِ ، وسوءَ عاقبةِ القضاء . (قال): فكشَفُوا عنه الترابَ ، وظنُّوه حيًّا ؛ فوجَدُوه : مَكْشُوفَ الوجهِ ، مَيِّتاً بحالِه : التى قُبِرَ بها .

* * *

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ١١ — ١٢.

« ذِكْرُ القاضى يَحيَى بنِ يَزيدَ التُّجِيبِيِّ[1] »

قال محمدٌ : سمعتُ من أهل العلمِ ، سَماعاً فاشِياً : أنَّ عبدَ الرحمن بنَ مُعاوية الإمامَ ، دخَل قُرْطُبَةَ ، وقام بالإمامةِ ؛ والقاضى حينئذٍ : يَحيَى بنُ يَزيدَ التُّجِيبِيُّ ؛ فأثْبتَه على القضاء ولم يَعزِلْه . وكان من قبلِ ذلك ، يقالُ له وللقضاةِ قَبْلَه : فلانٌ قاضِى الْجُنْدِ ؛ فلمَّا امتنع الفِهْرِيُّ بِغَرْناطَةَ ، واضطَرَّه الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه [الله]) إلى النزولِ ـ : اشتَرَطَ : بحضور القاضى يَحيَى ؛ فحَضرَ ؛ وكُتِبَ فى كتابِ المُقَاضاةِ : وذلك بمَحْضَرِ يَحْيَى بنِ يَزيدَ قاضى الجماعةِ .

قال محمدٌ : هكذا بَلَغنى ؛ وقد رأيتُ سِجِلاً عقَدَه محمدُ بن بَشِيرٍ ، يقولُ فيه : حَكَم محمدُ بن بَشِيرٍ قاضى الجند بقرطبة . وإنَّ تسميةَ القاضى : بقاضى الجماعةِ[2] ؛ اسمٌ مُحْدَثٌ لم يكُنْ فى القديمِ .

قال محمدٌ : ولم يَختلِفْ علىّ أحدٌ كاتَبْتُهُ ، فى : أنَّ يحيَى بنَ يَزيدَ التُّجِيبِيَّ إنما اُسْتُقْضِىَ على الأندَلُس بالمَشْرِقِ ؛ فقدِمَها : قاضياً .

واختلفتْ الرِّوَايةُ : فيمَنْ وَلاَّه الأندلسَ . فرأيتُ فى بعضِ الرِّواياتِ عن ابن وَضَّاحٍ ، قال : اُسْتَقْضَى تحيى بنَ يَزيدَ ، على الأندَلسِ ، عُمرُ بن عبدالعزيز . قال : وكان يَحيى رجلاً صالحاً ؛ وحُكِىَ عنه : أنه اعتزل الحربَ عندَ دخولِ عبدِ الرحمن بنِ مُعاويةَ ، ولم يَغْمِسْ يدَه فى الدِّماء ؛ فلمَّا قامتْ البَيْعةُ لعبد الرحمن : أجابَ إليها طائعاً .

قال محمدٌ : وقال لى بعضُ رُوَاةِ الأخبار : لمَّا قدِم بَلْجُ بنُ بِشْرٍ الأندَلُسَ ؛ وأحدَثَ فى عبدِ الملك بنِ قَطَنَ الفِهْرِىِّ ما أحدَثَ ؛ وانْتَصر أبناءُ عبدِ الملكِ بعبدِ الرحمن بنِ عُقْبَةَ اللَّخْمِىِّ ؛ وتَصرّفتْ الحالُ : بقَتْلِ بَلْجِ بنِ بِشْرٍ ـ : اتَّصَلَ الخَبَرُ بحَنْظَلَةَ بنِ صَفْوَانَ الكَلبِىِّ (صاحبِ إفريقية) فوَجَّه إلى الأندَلُس،

---

(١) فى تاريخ قضاة الأندلس : يحيى بن زيد . انظر : ص ٤٣ من التاريخ المذكور .

(٢) أنظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٢١

أبا الخطَّار : حُسامَ بنَ ضِرَارٍ الكَلبيَّ ؛ عاملاً عليها ؛ ووَجَّه معه: يَحيى بنَ يزيدَ التُّجيبيَّ ؛ قاضياً ؛ وكان من عَرَب الشامِ الساكنينَ بإفريقية .

قال محمدٌ : وأخبرنى غيرُ واحدٍ — : من أهلِ العلمِ . — : أنَّ الأميرَ عبدَ الرحمن (رحمه الله) لمَّا دَخَل القصرَ : تَلَقَّاهُ بناتُ يوسُفَ بنِ عبد الرحمن الفِهْرِيِّ ، وبَقِيَّةُ عِيالِه . فقال له بعضُهن : أحْسِنْ يا ابنَ عمِّى ؛ فقد ملَكتَ . فأرسَلَ فى يَحيَى بنِ يَزيدَ القاضى ، ودَفَع إليه بَقِيَّةَ عِيالِ الفِهْرِيِّ ؛ وأَمَرَه : بالحفظ لَهُنَّ . فلمَّا خَرج عبدُ الرحمن (رحمه الله) فى طلَبِ يوسُفَ بنِ عبد الرحمن ، إلى جهةِ ماردةَ — : خالفَه يوسفُ الفِهْرِيُّ إلى قُرطبَةَ ، وظَفِر له بجاريَتَيْن : كان قد علَّقَهما . فأتاهُ القاضى يَحيى بنُ يزيدَ ، فقال له : يا لئيمُ ؛ عبدُ الرحمن : ظفِر ببناتك وكرائمك فتُلُوِّمَ عليْهنَّ : حتى نُقِلْنَ إلى دارِك ؛ ولم يَعرِضْ لهن ؛ وأنتَ ظفِرْتَ بجاريتين له: لم يَستَحِقَّا منه حُرمةً ؛ فأخذْتَهما .؟!. فتَكَمَّمَ الفِهْرِيُّ ، وقال : واللهِ ما رأيتُ لواحدة منهما وجهاً ؛ فاقبِضْهما . وبَرَّ بردِّهما إليه[1] .

قال محمدٌ : ورأيتُ فى بعض الحكاياتِ : أنَّ محمدَ بن وَضَّاح ، ذَكَرَ: أنَّ ولَدَ يَحيَى بنَ يَزيدَ التُّجيبيِّ ، كان ممَّن سَعَى فى الثَّورةِ — معَ : يَحيَى بنِ يزيدَ ابنِ هشامٍ ، وعبدِ الملك بنِ أبَانَ بنِ مُعاويةَ بنِ هشامٍ — على الأمير عبدِ الرحمن ، وأنه قُتِلَ[2] معهما ومع أصحابهما بمِنْيَةِ الرُّصافةِ .

* * *

(١) فى الأصل :وبرى بهما إليه

(٢) فى الأصل : قبل

« ذِكْرُ القاضي : مُعاويةَ بنِ صالِحٍ الحَضْرَمِيِّ[1] »

١٦ قال محمدٌ : أبو عمرٍو معاويةُ بن أبي أحمدَ صالِحِ بن عثمانَ — المعروف : بحُدَيْرِ ابن سعيدِ بن سعدِ بن فِهْرٍ . — الحَضْرَمِيُّ ؛ كان من أهل الشام من حمص [بمكان] يعرف : بغناة عبس . — دخَل الأندلسَ قبلَ دخولِ الإمام : عبدِ الرحمن بن مُعاويةَ (رحمه الله) ؛ فنزل إشْبيلِيَّةَ .

وكان : من جِلّةِ أهلِ العلمِ ورُوَاةِ الحديثِ ؛ شارك مالِكَ بنَ أنسٍ ، فى بعضِ رجالِه : يحيَى بنِ سعيدٍ وغيرِه ؛ ورَوَى عن معاويةَ بنِ صالِحٍ ، جُملةً : من أئمةِ أهلِ العلمِ ؛ منهم : سُفيانُ الثَّوْرِيُّ ، وسُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، واللَّيثُ . وذُكِر : أنَّ مالكَ بن أنسٍ رَوى عنه حديثاً واحداً ؛ وذُكِر : أنه أتاه مالكُ بن أنسٍ يوما إلى دارِه ، فانصرَفَ عنه : دُونَ أنْ يَصِلَ إليه .

قال محمدٌ : وذكَرَ محمدُ بن وَضّاحٍ ، قال : قال لى يحيَى بن مَعينٍ : جَمعتُم حديثَ مُعاويةَ بنِ صالِحٍ ؟ فقلتُ : لا . قال : وما منَعكم من ذلك ؟ قلتُ : قَدِمَ بلَداً لم يكنْ أهلُه يومَئذٍ أهلَ علمٍ . قال : أضَعْتُم (واللهِ) عِلْماً عظيماً .

قال محمدُ بنِ عبدِ المَلِكِ بنِ أيْمَنَ : لمّا وَجَّه الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ مُعاويةَ بنَ صالِحٍ ؛ إلى الشامِ — : حَجَّ فى سَفْرَتِه تلك[2] ، وكتَبَ عنه أهلُ العِراقِ كثيراً : من حديثِه .

قال محمد بن عبدِ المَلِكِ بنِ أيْمَنَ : ورأيتُ حديثَ مُعاويةَ بن صالِحٍ — بالعراق — : أعَزَّ شيءٍ ؛ ولقد قال لى محمدُ بن أحمدَ بنِ أبى خَيْثَمَةَ : لَوَدِدْتُ أنْ أدخلَ الأندلُس : حتى أُفَتِّشَ عن أصولِ كتُبِ مُعاويةَ بن صالِحٍ . قال ابن أيْمَنَ : فلمّا انْصرَفْتُ إلى الأندلسِ : طَلَبْتُ أُمَّهاتِه ، وكُتُبَه ؛ فوجَدْتُها قد ضاعتْ : بسُقوطِ هِمَمِ أهلِها .

---

(١) انظر : جذوة المقتبس ٣١٨ ـ ٣١٩ وتاريخ قضاة الأندلس ٤٣ .

(٢) فى الاصل : ذلك

قال محمدُ بن عبد المَلِك بنِ أيْمَنَ : ولقد تَتَبَّعْتُ حديثَه فى تاريخِ أحمدَ بن أبى خَيْثَمَةَ — : عندَ ذِكْرِ أهلِ الشامِ ، وتَنْقِلِه لأخبارِ أهلِ حِمْصٍ . — فلم أجِدْ له فيها إلاَّ : حديثَيْن أو ثلاثةً .

قال أحمدُ بن زيادٍ : وحدثنى محمدُ بن وَضّاحٍ ، قال : حدثنى يَحيَى بنُ يَحيى ، قال : أوَّلُ مَن دخَل الأندُلسَ بالحديثِ : مُعاويةُ بن صالِحٍ الحِمْصِىُّ .

قال محمدٌ : وذكرَ بعضُ أهلِ العلمِ ، قال : كان معاويةُ بن صالِحٍ : راويةً لحديثِ أهل الشامِ ، فطالَ عُمرُه ؛ وكان مُنفَرِداً به فى زمانهم . ومن الدليلِ على رياستِهوانفرادِه به : أنَّ زيدَ بنَ الْحُبَابِ العُكْلِىَّ ـ وهو : من رجالِ أبى بكرِ ابن أبى شَيْبَةَ ، مَشهورٌ فى أهلِ الحديث . ـ رَحَل إلى الأندُلسِ من العِراق ، وأخَذ عنه كثيراً : من الحديثِ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : حدثنا أبو عبدِ الملِكِ مَروانُ بن عبدِ الملِك الفخارُ ؛ قال : سمِعتُ أبا سعيدٍ الأشَجَّ . يقولُ : أبو الْحُسينِ زَيدُ بنُ الْحُبَابِ : مولًى لعُكْلٍ . وسمِعتُ عَبْدَةَ بنِ عبدِ اللهِ ، يقولُ : سمِعتُ زيدَ الْحُبَابِ ، يقولُ : دخلتُ الأندلسَ ، وكتبتُ عن مُعاويةَ بنِ صالِحٍ .

قال محمدٌ : قدِم معاويةُ بن صالِحٍ الأندُلسَ : قبْلَ دُخولِ الإمامِ : عبدِ الرحمن ابنِ معاويةَ (رضى الله عنه) ؛ أرضَ الأندُلسِ ؛ فنزَلَ بإشبيليَّةَ ؛ فكان بها : حتى قدِمَ الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ فلمّا تَمَّتْ له البَيْعةُ ، واتّسَقَتْ له الأمورُ ـ : أرسلَ معاويةَ بنَ صالِحٍ ، إلىالشام : ليَأتيَه بأخته : أمِّ الأصبَغِ ؛ فأبَتْ عن الانتقالِ ، وقالت : كبِرَتْ سِنِّى ، وأشْرَفْتُ عَلَى انْقِضاءِ أجَلِى ؛ ولا طَاقَةَ لى عَلَى شَقِّ البِحارِ والقِفَارِ ؛ وحسبِى : أنْ أعلَمَ ما صار إليه : من نعمةِ اللهِ .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عبدِ الملِك بن أيْمَنَ : وفى سفْرتِه تِلْك ، كتَبَ عنه وُجوهُ أهلِ العلمِ . (قال لى) : ثم لمَّا صارِ معاويةُ إلى الأميرِ عبدِ الرحمن :

أدخَلَ إليه تُحَفَ أهل الشامِ ـ : وكان فى تلك التُّحفِ من الرُّمّان المعروف اليوم بالأندلس : بالرُّمّانِ السَّفرِى . ـ فجعلَ جُلساءه الأمير : من أهل الشام ؛ يَذْكرُون الشّام ، ويَتأسَّفُون عليها ؛ وكان فيهم رجلٌ يسمى : سَفرَ ؛ فأخَذ من ذلك الرُّمّان شيئاً : لَطُف به وغرَسَه ، حتى عَلِقَ ونَمَى[1] وأثْمرَ فهو اليومَ : الرُّمَّانُ السَّفَرِىُّ ؛ نُسِبَ إليه .

قال محمدٌ : ذكَر أحمدُ بن خالدٍ ، قال : لمّا وَجَّه الأميرُ : عبدُ الرحمن (رحمه الله) ؛ مُعاويةَ بن صالحٍ ، إلى الشام ـ : حَجَّ فى سَفْرتِه تلك ؛ فلمّا دخَل المسجدَ الحرَام فى أيّامِ المَوْسِمِ ، [و] نَظَر فيه إلى حِلَقِ أهل الحديث : عبدِ الرحمن ابن مَهدىٍّ ، ويحيى بنِ سعيدٍ القَطّانِ ، وغيرهما : من نظرائهما . ـ : قصَد إلى ساريةٍ ، فصلَّى ركعتَين ، ثم : صار إلى مُعارضةِ[2] من كان معه ؛ وذكروا أشياءَ : من الحديثِ ؛ فقال معاويةُ بن صالحٍ : حدثنى أبوالزّاهِريّةِ : حُدَيْرُ ابنُ كُرَيْبٍ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن أبى الدّرْداء ، عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وسمعَ بعضُ أهل تلك الحِلق قوله ، فقالوا : اتّقِ اللهَ ـ أيُّها الشيخُ ـ ولا تكذِبْ : فليس على ظهر الأرض أحدٌ ـ : يحدّثُ عن أبى الزّاهِريّةِ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن أبى الدّرْداء . ـ غيرُ رجلٍ : لزِمَ الأندلس ، يقالُ له مُعاويةَ ابن صالحٍ . فقال لهم : أنَا معاويةُ صالحٍ . فانفَضّتْ الحِلقُ كلُّها ، واجْتَمعوا إليه ، وكتَبُوا عنه ـ فى ذلك المَوْسِمِ ـ علْماً كثيراً .

قال محمدٌ . لما قدِم معاويةُ بن صالحٍ من الشامِ ، على الأمير عبدِ الرحمن ـ : ولاّه القضاءَ والصلاةَ ؛ وغزَا الأميرُ سَرَقسطةَ وغزا معه معاويةُ بن صالحٍ : فكان يُحيى الليل بالصلاة ، حتى إذا أصبح : لبس قباءه وسلاحه ، ومضَى إلى الصَّف . حيثُ القتالُ ؛ فوقف فيه .

---

(١) فى الأصل : وثم .

(٢) فى الأصل : معاوضة .

أخبرنى محمدُ بن عمرَ بنِ عبد العزيز ، قال : أخبرنى علىٌّ عن ابن أبى شَيْبَةَ ، قال : غزَا معاويةُ بن صالح — : وهو قاضِى الجماعةِ . — مع الأمير عبد الرحمن، غَزَاةَ سَرْقُسْطَةَ : إذا كان يحاربُ بها ابنَ الأعرابىِّ ؛ فكان إذا هَتَف عَلَى الْجُند إلى الخروج : خرج معاويةُ فى كتيبته[1] من جُند مصرَ ؛ فلا يزالُ : واقفاً فى مَركزِه ، متوكئاً على قَوْسِه ؛ حتى تَنْجَلِىَ الحربُ .

قال أحمدُ بن زيادٍ : حدثنى محمدُ بن وَضَّاح ، قال : حدثنى حَرْبٌ — : رجلٌ من أهلِ شبلار . — قال : كنتُ بقُرطُبَةَ ، فى مسجدها الجامعِ ، فى المقصورة : يومَ جُمُعةٍ ؛ وكان فى الجماعةِ رجلٌ يَتَنفَّلُ ويُعلن بالقُرآنِ ؛ إلى أنْ دخَل معاويةُ ابن صالح المقصورةَ — : وهو يومئذ القاضى ، وصاحبُ الصلاة . — فسَمِع إعلانَ الرجلِ بالقراءةِ : فمضَى إليه ، فأخَذ قَلَنْسُوَتَه من رأسه ، ثم رَمَى بها إلى ناحيةٍ : من نَواحى المقصُورةِ ؛ والناس مُجتَمِعون . ثم قال له عند أذنه : إلى حيث انتهت قَلَنْسُوَتُك ثَمَّ ، يَنْتَهِى أذاك . ثم انتهى معاويةُ إلى موضِعه . فلمَّا سَلَّم الرجلُ : سُئلَ عما قال له ؛ فأخبَرَ به .

قال لى محمدُ بن عبد الملِك بنِ أيْمَنَ : كان قد نال معاويةَ خُمولٌ ، فى أيامِ الأميرِ عبدِ الرحمن (رحمه الله) ؛ فَبَيْنَمَا الأميرُ جالسٌ فى السَّطْح يوماً : إذ نَظَر إلى معايةَ بنِ صالِح ، خاطِراً فى القَنْطَرَةِ ، فذَكَرَه ، وذَكَرَ خُمولَه وما صار إليه ؛ فأرسَل فيه ، ووَصَلَه ، وأعادَه إلى حُسْن نَظَرِه .

قال محمدٌ : سمِعتُ مَن يقولُ : إن سَعيدَ الخيرِ بنَ الأميرِ ، شَفَع له إلى أبيه : عبدِ الرحمن ؛ حتى رَضِى عَنه ، وأعادَه إلى حُسْنِ رأيِه .

قال محمدٌ : وكان معاويةُ بن صالِح : قد عقَد صِهْراً معَ زِيادِ بن عبد الرحمن ؛

---

(١) فى الأصل : فى مكتبه .

وذلك : أنه أنكحه ابنةً له تُسَمَّي : حُمَيْدَةَ ؛ ومنها وَلَدُ زيادٍ . فعَرَض لزيادٍ مع خَتْنِه معاويةَ ، عارضٌ : حُفِظَ يومَئذٍ ، وتُحُدِّثَ به [بعد[1]] . وذلك : أن زياداً رغب أنْ يَنظُرَ إلى زوجتِه فى بيتِ أبيها ، قبلَ بنائِه بها — : على ما يَفعلُه بعضُ الناس . — فتحايلَ[2] النساء عليه فى ذلك ، وأَتَيْنَ به عندَ العِشاء الآخِرة ؛ فصار فى الأُسْطُوَان : فنفرَتْ دابَّةُ معاويةَ منه ، واشْتدَّ قَلَقُها من أجلِه ؛ حتى خَرج معاويةُ إلى الصلاةِ ، فسمع حِسَّ الدَّابةِ : فرابَهُ ذلك ؛ ثم دعا بالمصباح : فوجَد زياداً فى مِزْوَدِ الدابة : فى بعضِ زَوَايَا الأُسْطُوانِ ؛ فما زاد على أنْ قال : اسْتَوْصَوْا بكم خيراً ؛ ثم خَرج إلى الصلاةِ .

قال أحمدُ بن زِيادٍ : أخبرنى عيسى بن بَكرٍ : المُعلِّمُ ؛ قال : أخبرنى بعضُ مَن أثِقُ به [فى][3] ذلك ، عن عامرِ بن معاويةَ ، وعن غيرِه ؛ قال : خَرج معاويةُ ابن صالحٍ حاجاً ، بعد الحَجَّةِ التى تَقَدَّمَتْ له ، من أرض الأندَلُسِ ؛ وخرج معه — حينئذٍ — زيادُ بن عبد الرحمن ؛ فلمَّا قدِما المدينةَ : تَوَجَّه زيادُ بن عبد الرحمن ، إلى مالكِ بن أنسٍ ، فدخل عليه — : وقد كان تَقدَّمَ له منه سماعٌ فى غيرِ سَفْرتِه تلك . — وأعلَمَه : بقدومِ معاويةَ بنِ صالحٍ ؛ فسألَه : أنْ يَأتِيَه ؛ فأتاه ، فدخَلا عليه : فسأله معاوية بن صالحٍ عن نحوِ مِائتَىْ مسئلةٍ ؛ فأجابه مالكٌ عن جميعها . فكَشَف زيادُ بن عبد الرحمن مالكاً ، وقال له : يا أبا عبدِ الله ؛ كيف رأيْتَ معاويةَ بن صالحٍ ؟ فقال له مالكٌ : ما سألَنى أحدٌ قطُّ مِثلَ معاويةَ بن صالحٍ . ثم كَشَف زيادٌ معاويةَ عن مالك ؛ فقال له معاويةُ : ما سألتُ أحداً مِثلَ مالكٍ .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن حَزْمٍ : قال لى محمدُ بن عمرَ بن لُبابةَ : كان يوسفُ

---

(١) فى الأصل : وتحدث به وذلك .

(٢) فى الأصل : فتخيل .

(٣) فى الأصل : أثق به ذلك .

الفِهْرِيُّ : قد أعطَى مُعاويةَ ابنَ صالحٍ ، جاريةً ؛ فأوْلَدَها معاويةُ . فلمَّا وَلِيَ عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ : قَوَّم عَلَى معاويةَ بن صالح : فى الجارية ؛ فاسْتُحِقَّتْ عليه . فسئل معاويةُ بن صالح : عن مسئلةِ نفسِه ، وما يَجِبُ عليه : من الحق فيها. فقال : شهِدتُ أبا الزَّاهِرِيَّةِ — : واخْتُصِمَ إليه فى دِعَامَةٍ : فى حائطٍ لرجُلٍ؛ اسْتَحَقَّها رجلٌ . — فقضَى للمُسْتَحِقِّ : بقِيمةِ الدِّعامةِ ؛ وقال : إنَّ فى نَزْعِهِ ضَرراً على الحائط ؛ وأنا[1] أرَى : أنَّ نَزْعَ هذه عن وَلَدِها ، أشَدُّ ضَرَراً من ضَرَرِ نَزْعِ دِعامةٍ من حائطٍ. فقُبِلَ ذلك منه : فقُوِّمَتْ هكذا . (وأشار ابنُ لُبابة : فَجَمَع بابَ كُمِّه على كُوعه) ولم يُكشَفْ لها ذِراعٌ . قال محمدُ بن عمرَ بنِ لُبابةَ : وكان اسمُ الجاريةِ : خَلَّةَ .

قال محمدٌ : قال أحمد بن سعيدٍ : قال لى عبدُ الله بن محمدِ بن أبى الوَلِيدِ الأعرج: وكانت خُلَّةَ هذه المذكورةُ : قبيحةً ؛ وكان لها خادمٌ فائقة الحُسْنِ ، اسمُها : سُعادُ ؛ فكان الناسُ يقولون : شَتَّانَ ما بيْنَ خُلَّةَ وسُعادَ .

قال محمدٌ : وقد اختلف قولُ مالكِ بن أنسٍ — فى أمِّ الوَلَدِ : تُسْتَحَقُّ . — : . مَرَّةً قال : يُغَرَّمُ السيدُ قِيمتَها وقيمةَ ولَدِها . حتى نزلَتْ بمالكِ بن أنسٍ فى أمِّ ولدِه ، فأفتَى : أنْ يُغَرَّمَ قيمةَ أمِّ ولدٍ ؛ لا غيرُ .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى محمدُ بن هشامٍ ، عن أحمدَ بن يزيدَ بن عبد الرحمن، عن محمدِ بن وَضَّاحٍ ؛ قال : شَهِدَ الأميرُ هشامُ بن عبد الرحمن (رحمه الله) جِنازةَ معاويةَ بن صالحٍ : فى الرَّبَضِ ، ومشَى فى جِنازتِه .

قال خالدٌ : قال محمدُ بن هشامٍ : وأخبرنى عيسى الزَّاهدُ ؛ قال : سمِعْتُ يَحيى ابن يَحيَى يقولُ : ماتَ معاويةُ بن صالحٍ ها هُنا ؛ ودُفِن بالرَّبَضِ .

---

(١) فى الأصل : وإذا .

(٢) فى الأصل : ضر .

قال محمدٌ : وكان لمعاويةَ بنِ صالحٍ ، أخٌ يُسَمَّى : محمدَ بن صالحٍ ؛ عَقِبُه بالشام كثيرٌ : لم يَدْخُلْ أحدٌ منهم الأندَلُسَ .

قال أحمدُ بن محمد بن أيْمَنَ : رأيتُ رسالةً كَتَبَ بها البَقِيَّةُ : من ولَدِه بالشام إلى البَقِيَّةِ : من وَلَدِ معاويةَ بالأندَلُسِ ؛ نُسْخَتُها :

« بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم ؛ إلى جماعةِ وَلَدِ معاويةَ بن صالحٍ الحَضْرَمِيِّ ، من جماعةِ وَلَدِ محمدِ بن صالحٍ الحَضْرَمِيِّ . »

« تَوَلاَكُمُ اللهُ : بِحِفْظِه ؛ وحَاطَكُمْ : بصُنْعِه ؛ ومَدَّ لَكُمْ : فى نِعمتِه ؛ وزادَكُمْ : من إحسانِه ؛ إنَّ اللهَ (جل ثناؤه ، وتَقَدَّسَتْ أسماؤه) ؛ جَعَلَ بَيْنَ الناسِ أنْسَاباً : يتعاطَفُون بها ، ويَتَوَاصَلُون عليها ؛ أَوْثَقَ عُرَاها ، وأَتْقَنَ قُوَها ؛ وأنتم (وَهَبَ اللهُ لكم العافيةَ) : الشَّعْبُ الأدْنى ، والنَّسَبُ الأوْلَى ؛ يَجْمَعُكُمْ وإيَّانا الجَدُّ المعروفُ : بحُدَيْرٍ ؛ والقَرَابةُ بالقرابة ـ : وإنْ جَرَى القضاء : باغْتِرَابِ بَعْضٍ عن بَعْضٍ ، وشَحْطِ دارٍ عن دارٍ . ـ ماسَّةٌ : لا يُوهِنُ أسبابَها تقادُمُ الانْتِزَاحِ ، ولا يُعَفِّى عَلَى واجبِ حُقوقِها بُعْدُ التَّزاوُرِ . وما عَدِمْنا (أكْرَمَكم اللهُ) من أنفُسِنا : تَطَلُّعاً إليكم ؛ ولا تَرَكَ مَنْ رَزَقَه اللهُ الحجَّ ـ : مِنَّا . ـ المَسْئلةَ عنكم فى حُجَّاجِ المَغْرِبِ : طَمَعاً فى مُوَافاةِ بعضِكم ، وتَشَوُّقاً إلى اسْتِفادةِ عِلْمِ خَبَرِكم ؛ فلم يَأْذَنْ اللهُ : أنْ يُوافِيَ سائلُنا : دالاًّ عليكم ، ولا مُخْبِراً عنكم ؛ حتى وَقَعَ بظُنوننا ما يَقَعُ مِثلُه بالظُّنونِ ـ على فُرُوطِ اللَّيالى والأيامِ ، ومُرُورِ الشهورِ والأعوامِ ـ : من الانْقِرَاضِ والنُّفُورِ ؛ حتى أهْدَى اللهُ لنا عِلْمَ ما كنَّا نَتَطَلَّعُ إليه ، منكم ـ : أبْعَدَ ما كنَّا طَمَعاً فيه ، وأشَدَّ يَأْساً . ـ مع حاملِ كتابِنا هذا إليكم ؛ وهو : أبو الحارثِ بِشْرُ بن محمدِ بن موسى القُرَشِيُّ ؛ فإنه صار إلى حِمْصٍ ـ : مُنْصَرَفَه من بَغدادَ . ـ نافذاً إليكم ؛ فسأل عنا : بفضل ما ألْزَمَ نفْسَه لكم ـ : إذ كنتم ، على ما ذَكَر ، أخْوالَه ؛ وكانَتْ أمُّه أمَّ عمرٍو بنتَ محمدِ بن معاويةَ بن صالحٍ . ـ وأحَبَّ . من الانصراف إليكم بخبرنا ؛ فأُخبِرَ بمكاننا ،

وأُرْشِدَ إلينا ؛ وأتانا منه رجلٌ : ظاهرُ الفَضلِ ، مَوْسُومٌ بالخير ، معه ـ : مِن خَبَرِكم ، وعِلْمِ أمْرِكم . ـ ما امتلأتْ به الصُّدورُ : سُرُوراً وحُبُوراً ؛ وجعلنا لا نَكْشِفُهُ فى مُساءلتِنا إيّاه ، وتَقَصِّينا عَلَى ما عندَه ؛ إلاَّ يَكْشِف لنا عمَّا يَزِيدُ النعمةَ علينا فيكم من الله : عِظَماً فى تَسْنِيةِ أقدارِكم ، وتَشْرِيفِ مذاهِبِكم ؛ فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، المنَّانِ الكريمِ ، الذى مَنَّ علينا : بما تَنَاهى إلينا عنكم ، وتقرَّر عندَنا : من فَضْلِ حالِكم . ونسألُ اللهَ : إتمام ما حَبِيتُم [وأن] يزيدَكم[1] به ؛ من كلِّ خيرٍ ؛ ويزيدنا بمَزِيدِكم ؛ وأنْ يُعوِّضَكم وإيَّانا من الفُرْقةِ التى كتَبَها علينا : فَباعَدَ بَيْنَنا ، وشَتَّتَ جَمعَنَا ؛ وأنْ يَجْمَعَ بَيْنَنا : فى جِنانه ، ودارِ رِضْوَانِه ؛ ومَحَلِّ أوْليائه . إنه قَرِيبٌ مُجِيبٌ .

وكتابُنا إليكم (حَجَبَ اللهُ عنكم كلَّ مَكْرُوهٍ) : ونحن من الله : فى نعمة ؛ وكلُّ بلائه عندنا جميلٌ ؛ وحالُنا فى خاصَّةِ قَوْمِنا ، وكافَّةِ عِتْرَتِنا وجُنْدِنا[2] . ـ : الحالُ التى يحبُّون أنْ نكونَ بها وعليها : فى البَسْطَةِ فيهم ، والتَّقَدُّمِ عليهم ، وقد شاهد بشرُ بن محمد ، من أمْرِنا : ما لَعَلَّه سَيُخْبِرُكم به ؛ فحمداً للهِ ، وشُكْراً على إحسانه ؛ ورَغْبَةً إليه : فى صالحِ المَزِيدِ والسلامُ عليكم ورحمة اللهِ وبركاتُه » .

* * *

« ذِكْرُ القَاضِى عُمَرَ بنِ شَرَاحِيلَ »

١٧ قال محمدٌ : أبوحَفْصٍ عُمرُ بن شَرَاحِيلَ المَعَافِرِىُّ ؛ أصلُه من أهلِ باجَةَ ، ونَزَلَ بقُرْطُبَةَ : فى دَرْبِ الفَضلِ ابن كاملٍ ؛ ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ معاوية (رحمه الله) القضاءَ بقُرطبةَ : بعدَ مُعاويةَ بنِ صالحٍ ؛ ثم عزَلَه وأعاد معاويةَ

---

(١) فى الأصل : به ويزيدكم .
(٢) أى : الأنصار والأعوان .

ابن صالح ؛ فكانا جميعاً يتداولان القضاء : عاماً معاوية ، وعاماً عمر ؛ وأقاما بذلك مُدةً من الدهر .

قال : ولقد حدثني محمدُ بن وَضَّاح ، عمَّن أدركَ أيَّامهما ؛ قال :

كان إذا أغفَلَ الأميرُ (رحمه الله) عزْلَه عند انقضاء العام — : رَفَع يُذَكِّرُه بأمرِه ؛ وكان كلُّ واحدٍ منهما : إذا عاقَه شُغْلٌ فى يومٍ من الأيامِ ، لم يَقْبِضْ لذلك اليوم رِزقاً .

وأخبرنى مَن أثِقُ به — : من أهلِ العلمِ . — قال : قال لى أبو مَرْوانَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ يَحيَى :

كان الأمير عبدُ الرحمن بن معاوية (رحمه الله) : يُدِيلُ بيْنَ معاويةَ بن صالحٍ ، وعُمَر بن شَراحِيلَ : عاماً هذا ، وعاماً هذا . فوَلَّى عمرَ بن شراحيلَ عاماً من تلك الأعوامِ ؛ فلمَّا انقضَى العامُ : أقرَّه على القضاء ، ولم يُحَرِّكْه .

فكتَب معاويةُ إلى الأميرِ عبدِ الرحمن : يُحَرِّكُه فى وِلايَتِه ، ويُعْلِمُه : أنَّ عامَ صاحبِه قد انقضَى .

فلمَّا قرأ الأميرُ عبد الرحمن كتابَه : أنكَرَه واسْتَفْظَعَه ؛ وأمَرَ بإدْخَال معاوية على نفسِه ؛ فلمَّا دَخَلَ إليه قال : هذا كتابك ؟ قال : نعم : قال : ومِثلُكَ يَطلُبُ وِلايةَ القضاء : وقد علِمْتَ ما جاء فى ذلك — : من الأثَرِ . — فيمَنْ طَلَبَها وكل إلى نفسه فيها ؟

فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ؛ ولَّيْتَنِى القضاء فى أوَّلِ مرَّةٍ — : وأنا كارِهٌ . — فتَوَلَّيْتُهُ ؛ فلمَّا تَوَلَّى رَأْسُ الشهرِ : رَزَقْتنى رِزْقاً واسعاً : تَوَسَّعْتُ به ؛ ثم اسْتَمَرَّ الرِّزقُ كلَّ شهرٍ : حتى عَزَلْتَنى عندَ رأْسِ العامِ ؛ فاسْتَقْبَلْتُ العامَ الثانى الذى كنتُ فيه مَعزُلا ، بفُضُولٍ : من رِزْقِ العامِ الأوَّلِ ؛ فانْقَضَتْ تلك الفُضولُ : بانقضاء العام ؛ ثم وَلَّيْتَنِى : فعاد علىَّ الرِّزْقُ . فكانت هذه حالتى :

إلى هذا الوقتِ . وقد انْقَضَتْ فُضولى الباقيةُ : من رِزقِ العامِ الأوَّلِ ؛ وانْقَضى العامُ ؛ فانْتَظَرْتُ الولاَيَةَ : التى يكونُ بها الرِّزْقُ ، فأبْطأتْ عنِّى . فكتَبْتُ إلى الأمير : مُذَكِّراً ؛ معَ أنه : إنْ طَلَبْتُ الولاَيَةَ : فقد طَلَبَها مَنْ ظِلُّه فى الأرضِ خَيْرٌ منِّى : يوسفُ عليه السلام ؛ قالَ : ([قال] اُجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ : إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ : ١٢—٥٥) .

فقَبِلَ الأميرُ قولَه منه ؛ وأمَرَ : بعزْلِ عُمَرَ بنِ شَرَاحِيلَ ، وبتَوْلِيَةِ مُعَاوِيَة .

قال محمدٌ : وقد تكَرَّرَتْ الأمانةُ ، وقضاءُ الكُورِ : فى نَسْلِ عُمَرَ بن
١٨ شَرَاحِيلَ ؛ وقد وَلِىَ منهم رجلٌ — يُكَنَّى : بأبى سَعِيدٍ ؛ واسْمُه : محمدُ بن عُمَرْ . — قضاءَ جَيَّانَ ، وأَسْتِجَةَ . وكان مُقَدَّماً : عند الخاصَّةِ ؛ رفيعَ الدَّرجةِ : عند العامةِ : وعَقِبُه كثيرٌ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : عبدِ الرحمنِ بنِ طَرِيفٍ الْيَحْصُبِيِّ »

قال محمدٌ : قال أحمدُ بن خالدٍ : كان من شأنِ الْخُلَفاءِ (رحمهم الله) : السؤالُ عن أخبارِ الناسِ ، والكَشْفُ عن أهلِ العلمِ والخيرِ منهم ؛ والتَّعَرُّفُ لأماكنهم : من قُرْطُبَةَ أو غيرِها : من الكُورِ . فكانوا : إذا احتاجوا إلى رجلٍ يَصْلُحُ لُحطَّةٍ من خطَطِهم ، اسْتَجْلَبُوهُ .

واحتاجَ الأميرُ عبدُ الرحمن بن معاويةَ (رحمه الله) ، إلى تَوْلِيةِ قاضٍ جماعةِ بقُرْطبةَ ؛ وكان : قد بَلَغَه عن رجل — بماردةَ — : صلاحٌ ، وصَلاَبةٌ ، وورَعٌ . فاسْتَجْلَبَه وولاَّه : فسار فى القضاءِ بأفْضلِ سيرةٍ .

قال محمدُ بن عبدِ الملكِ بنِ أيْمَنَ : وممَّن وَلِىَ القضاءَ لعبدِ الرحمن بنِ معاويةَ
١٩ (رضى الله عنهما) : عبدُ الرحمن بنُ طَرِيفٍ ؛ من ساكِنى مدينةِ : ماردةَ [1] . وكان رجلاً : صالحاً محمودَ السِّيرةِ .

---

(١) انظر الروض المعطار ص ١٧٥ — ١٧٧ .

ولقد قرأ على القاضى : أحمدُ بن محمدِ بن زيادٍ ؛ صَكاً فيه : ذِكْرُ مالٍ : وَقَفَه عبدُ الرحمن بن طَرِيفٍ ، لأُمِّ العباسِ ، وأمِّ الأصْبَغِ : أُخْتَىْ الأميرِ عبدالرحمن ابنِ معاويةَ . وكان فى ذلك الكتابِ ــ عندَ ذِكْرِ التَّوْقيفِ ــ : إذ كان المُتَوَفَّى فلانٌ : مَوْلاهما ؛ ووَجَب لهما مِيراثُه : وهما غائبَتانِ فى الشَّام . قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : سمِعتُ محمدَ بن إبراهيمَ بن الحُبَابِ[1] ، يقولُ عمَّن حدَّثه :

إن الأميرَ عبدَالرحمن بن معاوية (رحمه الله) ، دخَل عليه حَبيبٌ القُرَشِىُّ : فشَكَى إليه القاضىَ[2] : عبد الرحمن بنَ طَرِيفٍ ؛ وذَكَرَ : أنه يُريدُ : أنْ يُسَجِّلَ عليه فى ضَيْعةٍ : قِيمٌ فيها عندَه ؛ وادَّعَى عليه حَبيبٌ فيها : الغَصْبَ والعِدَاءَ .

فأرسَلَ الأميرُ (رحمه الله) : فى القاضى ؛ وتَكَلَّمَ معه : فى ذلك ؛ وأمَرَهُ : بالتَّثَبُّتِ ؛ ونَهَاهُ : عن العجَلَةِ .

فخَرَجَ ابنُ طَرِيفٍ من فَوْرِه ، وأرسَلَ : فى الفقهاء والعُدُولِ ؛ فنَفَّذَ القضيَّةَ : على حَبيبٍ ، وسَجَّلَ وأشْهَدَ .

فدخَلَ حَبيبٌ على الأمير فأغْرَاه : بالقاضى ؛ ووَصَفَهُ : بالبُغْضَةِ له ، والاسْتِخْفافِ به .

فغَضِبَ الأميرُ غَضَباً شديداً ؛ وأرسَلَ إلى القاضى : ابنِ طَرِيفٍ وأدْخَلَه على نفسِه . ثم قال له : مَنْ أقْدَمك : أن تُنَفذَ . الحُكمَ بعدَ أن أمَرْتُك : بالتَّثَبُّتِ والأناةِ . ؟

---

(٢) فى الأصل : الجباب .

(١) فى الأصل : بالقاضى .

فقال له ابنُ طَرِيفٍ : أقْدَمَنى عليه : الذى أَقعدَكَ هذا المَقْعَدَ ؛ ولَوْلاَه : ما قَعَدْتَهُ .

فقال له الأميرُ : قولُك هذا أعْجَبُ مِن فِعلك ؛ ومَن أقْعَدَنى هذا المَقْعَدَ ؟.

فقال : رسولُ رَبِّ العالَمِينَ ؛ فلَوْلاَ قَرَابتُك منه : ما قَعَدْتَ هذا المَقْعَدَ . وإنما بُعِثَ بالحقِّ : لِيُقْضَى عَلَى القَرِيبِ والبَعِيدِ .

ثم قال له القاضى : أيُّها الأميرُ ؛ ما الذى يَحْمِلُك : عَلَى أنْ تَتَحامَلَ لبعضِ رَعِيَّتِك ، عَلَى بعضٍ : وأنتَ تَجِد مِن ذلك وَجْهاً : أنْ تُرْضِىَ به مَن تُعْنَى به ، مِن مالِكَ .؟.

فقال له الأميرُ : فلَعَلَّ الذين اسْتَحَقُّوا الضَّيْعةَ : أنْ يَبِيعُوها ؛ فأشْتَرِيَها لحبيبٍ مِن مالِى ؛ وأُرْضِيَهم : فى ثمَنِها .

فقال له ابنُ طَرِيفٍ : أنا أُرسلُ : فى القَوْمِ ؛ وأُخاطِبُهم : فى ذلك ؛ فإن أجابُوا إلى البَيْع ؛ وإلاَّ : فإنَّ حُكْمِى قد نَفَذَ .

فخَرَج القاضى : فأرسَلَ فى القوم ، وتكلم معهم فى الضَّيْعةِ ؛ فأجابُوا إلى البَيْع : إنْ أجْزَلَ لهم الثَّمَن .

فكان حَبِيبٌ ، يقولُ بعد ذلك : جَزا اللهُ عنِّى ابنَ طَرِيفٍ خيراً : كانتْ بِيَدِى ضَيْعَةٌ : حَرامٌ ؛ فجعَلَها ابنُ طرِيفٍ : حَلاَلاً .

قال محمدٌ : وسمِعتُ بعضَ أهلِ العلمِ ، يقولُ :

إن حَبِيباً كانتْ له معَ ابنِ بَشِيرٍ ، قِصَّةٌ : تُشْبِهُ هذه القِصَّةَ ، فكان حَبِيب : يَلْقاه من بَعدُ ، فيقولُ : بأبى أنتَ ؛ أرَدْنا : أنْ نَأكُلَ الحرامَ ؛ فأبَيْتَ إلاَّ : أنْ تَجعلَه حَلالاً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى المُصْعَبِ بنِ عِمْرَانَ الهَمْدَانِىِّ[1] »

٢٠ قال محمدٌ : هو : المصْعَبُ بن عِمْرانَ بنِ شَفِىِّ بن كَعبِ بن كَعْبَرِ بن زيدِ بن عمرو ابنِ امرىء القيس بن زيدٍ الهَمْدَانِىُّ ؛ من العرب الشامِيِّينَ ؛ ومكتبُه فى جُند حِمْص .

دخَل الأندلسَ قبلَ دخولِ الأمير : عبدِ الرحمن بن مُعاويةَ (رضى الله عنهما) فنزَل بكُورَةِ : جَيَّان ؛ بقرية : بادو ؛ ثم رحَل إلى موضعٍ من عمل قرُطبةَ : بجوفى المدور الأَدْنى إليْها ؛ وكان سُكناه بقريةٍ تعرف : بغلبار ؛ فى الجبل من إقليم المدورِ .

وكان أبوه عِمرانُ : من جُند هشامِ بن عبدِ الملكِ بالشام ؛ وكان : قد تَزوجَ امرأةً من بنى حاطِبِ بن أبى بَلْتَعَةَ ؛ وتَزوجَ الأميرُ عبدُ الرحمن أختَ تلك المرأةِ ، ووُلِدَ له منها سُليمانُ ابنُه والسيدةُ ابنتُه ؛ وقد لحِقَتْ بقُرطبةَ مع أبيه ، ودُفِنَتْ بمقْبرةِ الربضِ .

قال محمدٌ : ورأيتُ فى بعض الأخبار : أنَّ هشامَ بن عبدِ الرحمن (رحمه الله) لمَّا أدركَ ، وخرَج من القصر إلى داره — : انتَهَى إليه زُهدُ مُصْعَبِ بنِ عِمرانَ وورَعُه ؛ فاسْتَجْلَبَه إلى نفسه ، واسْتَخْلَصَه ؛ وجعله وزيرَه وسَمِيرَه . فلمَّا احتاجَ الأميرُ إلى قاضى جماعةٍ : أشار هشام بالمُصعَبِ ؛ فقَبلَ ذلك منه الأميرُ ، فدَعا مَصعباً إلى القضاء : فأبَى منها — على ما وصفْتُه فى صَدر الكتابِ : فى بابِ مَن عُرِض عليه القضاء فأبَى مِن قَبُولِه[2] . — وانصَرَف إلى منزله .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُوَاةِ الأخبار : فلما وَلِىَ الخِلافةَ هشامُ بن

---

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ٤٥ — ٤٧ . (٢) انظر : ص ١٣ .

عبدِ الرحمن (رحمهما الله) : أرسَل فى مُصْعَبِ بن عِمرانَ إلى ضَيْعتِه ؛ فذُكِرَ : أنه أتاه الرسولُ : وزوجتُه تَنسِجُ فى منسجٍ لها ، والمُصعبُ بَيْن يدَىْ المنسج : يعملُ لها الوَشَايِعَ ؛ ففَتَحَت المرأةُ بإصبَعِها فى المنسجِ ، ثم قالتْ له : تَرُدُّ القضاءَ أيضاً على هذا الأميرِ ، كما رَدَدْتَه على أبيه ؛ ثم تَرجِعُ إلى وَشايعِ المنسجِ ؟ .

فلمَّا قدِم المُصعبُ على هشامٍ ، قال له : قد علِمتُ : أنه إنَّما مَنَعك من قَبُولِ القضاء من أبى ، الأخلاقُ التى كانت له ؛ وقد عَرفتَ أخلاقى : فتولَّ القضاءَ . فأبى عليه ؛ فعزَم عليه هشامٌ (رحمه الله) عزماً شديداً : حتى وَلِىَ القضاء .

وكان : يَخْطُبُ بالناس ، ويُصلِّى بهم : إذا غاب الأميرُ هشامٌ . فاشتَرَطَ عَلَى الأميرِ هشامٍ — : إذ قَبلَ منه القضاءَ . — : أنْ يَأْذَنَ له فى اطلاعه ضَيعتَه : كلَّ يومِ سبتٍ ويومِ أحدٍ . فرَضِىَ له بذلك . وكان مسكَنُه بقُرطبةَ — : إذ وَلِىَ قضاءها . — برَحَبةِ عبدِ الله بن عبد الرحمن بن معاوية رحمهم الله .

وكان كاتبُه : محمدَ بن بَشيرٍ المُعَافِرىَّ . وكان مُصعبٌ فى قضائه : من أهل العدلِ والسِّيرةِ المحمودةِ ، صَليباً فى الحق ، مُنَفِّذاً له على الخاصة والعامة . وكان ذلك أيامَ هشام رحمه الله .

ثم تُوفِىَ هشامٌ : فأقرَّه الحَكَمُ بن هشامٍ (رضى الله عنه) : عَلَى قضاء الجماعةِ ، وعلى الصلاةِ . وكان يَعْرِفُ صلابتَه وتَنفيذَه ؛ فكان يُؤَيِّدُه ، ولا يَفتُّ فى عَضُدِه ؛ ويُجيزُ . أفعالَه ، ويُنَفِّذُ أحكامَه ؛ وإن وَقَعتْ منه بغير المَحْبُوبِ .

قال محمدٌ : ورأيتُ فى بعضِ الحِكَايَاتِ : أنَّ العباسَ بن عبد الله المَرْوانِىَّ ، غَصَب ضَيْعة من رجلٍ بجيَّان ؛ وتُوُفِّىَ الرجلُ . وتَرَك أطفالاً . فلمَّا بَلَغُوا ، وانتَهَى إليهم عَدْلُ مُصعبِ بن عِمرَان ، — : قَدِموا قرطبةَ ، وأنهَوْا إليه

مَظْلَمَتَهم وأثْبَتُوها عنده ؛ فبَعثَ القاضى : فى العباس بن عبدالله ؛ وأعلَمَه ماذكَرَه القومُ ؛ وعرَّفَه بالشُّهودِ عليه ؛ وأباحَ له الدفعَ[1] وضَرَب له أجلاً بعدَ أجل . فلمَّا انْصَرَمَتْ الآجالُ ، وعَجَز عن الدفع[2] — : أعلَمه : أنه يُنَفِّذُ الحكمَ عليه . فدَخَل العباسُ عَلَى الأميرِ الحَكَمِ (رحمه الله) وسألَه : أنْ يُوصِىَ إلى القاضى : بالتَّخَلِّى عن النَّظَرِ ؛ وأنْ يكونَ الأميرُ : الناظِرَ بينَه وبيْنَ خَصمِه . فدَعَى الأميرُ بفتى له ، يُسَمَّى : بزنت ؛ وأوْصاه إلى مُصعبِ بن عِمرانَ : بأنْ يَتَخَلَّى عن النظرِ . فلمَّا أدَّى الفتى الوصيَّةَ ، قال له مُصعبٌ : إنَّ القومَ قد أثْبَتُوا حقَّهم ، ولزِمَهم فى ذلك عناءٌ طويلٌ ؛ ونصبٌ شديدٌ : لبُعدِ مكانِهم ؛ وقد ثَبَتَتْ دَعْواهم ؛ ولستُ أتَخَلَّى عن النظرِ : حتى أحْكُمَ لهم . فرَجَع الفتى ، وأدَّى ما قال إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ فجعَل العباسُ ؛ يُغْرِيه ، ويقولُ له : قد أعلمتُ الأميرَ باستخفافِه ، وأنه يَرَى : أن الحُكْمَ له ، لا للأمير . فصَرَف الأميرُ الحَكَمُ (رحمه الله) الفتى إليه ، يقولُ له : لابُدَّ أن تَكُفَّ عن النظرِ بيْنَهم ، وأنْ أكونَ انا الناظرَ فى ذلك . فلمَّا عاد الفتى إلى مُصعبٍ بذلك ، من عند الأميرِ — : أمَرَه بالقُعودِ ؛ ثم أخَذَ كتاباً ، فعقَد حُكمَه للقوم : بالضَّيعة ؛ ثم نَفَّذه بالإشهادِ فيه . ثم قال للفتى : اذهب ، فأعلِمْه : أنى أنْفَذْتُ مالزِمنى إنْفاذُه : من الحقِّ ؛ فإن أراد أنْ يَنقُضَه : فذلك إليه ، يَتَقَلَّدُ منه ماشاء : فذَهَب الفتى : فحَرَّف كلامَ القاضى ، ونَقَل عنه إلى الأمير ، أنه قال : قد حكَمْتُ بحكمِ العَدْلِ ؛ فيَنْقُضُه الأميرُ إنْ قَدَر . فأطْرَق الأميرُ الحَكَمُ (رحمه الله) ، وجَعَل العباسُ : يُغْرِيه ، ويُوقِدُ غضَبَه ؛ وثَابَ إلى الحَكَم — : من توفيقِ الله وعصمتِه : التى اكْتَنَفَ بها خُلفاءه . — ما صار به إلى ما هو : أشْبَهُ بخلافتِه ، وأليَقُ

---

(١) و(٢) فى الأصل : المدفع .

بإمامته فقال للعباس : ما أشْقاه مَن لَطَمَه قَلَمُ القاضى ثم رَجَع إلى ما كان فيه ، ولم يَعرِضْ للقاضى ، ونَفَّذ له حكمَه .

وذكَرَ بعضُ أهلِ العلم ، قال : اُعْتَلَّ مُصعبٌ فى ضَيعتِه ، فكَشَف عنه الأميرُ الحكم (رحمه الله) : فذُكِرَتْ له عِلَّتُه ؛ فخَرَج مُتَنَزِّهاً إلى جهةِ المدور ، فقَصَدَه إلى دارِه ، ونَزَل عليه فى منزله . فقال له مُصعبٌ : إنَّ الأميرَ (أعزه الله) قد خرج للتَّرَوُّح ؛ فإن وَلِىَ أنْ يكونَ صدْرُه علَىَّ : فْليفعَلْ . فاسْتَعَدَّ له بطعامٍ يُصيبُه . فركِب الحَكَمُ (رحمه الله) فقَضَى من تَرَوُّحِه وَطراً ، ثم انصرف إليه ، فأحضَر طعامَه ؛ ثم نظر الحَكَمُ إلى خادِمٍ لمُصعبٍ تُسَمَّى : علة ؛ فاسْتَسْقاها ماء ؛ فقال لها مُصعبٌ : كفى ياعلةُ ؛ ونادَى بابنةٍ له تُسمى : ككوية ؛ فقال لها : اُسقى مولاك ماء ؛ فقامت الصَّبِيَّةُ وسَقتْه ، وتولَّتْ خِدمتَه . فقال له الحَكَم (رحمه الله) : هذا لَقَبٌ أو اسم ؟ فقال له : بل اسمُ جَدتى أمِّ حاطِبِ بن أبى بَلْتعَةَ ؛ فسمَّاها النساء به : على عادتِهنَّ فى الأسماء .

فقال له الأميرُ الحَكَمُ (رضى الله عنه) : إنْ وهبَنِى اللهُ ابنةً : سَمَّيْتُها باسمِها : فوُلِدَتْ له ابنةٌ : فسمَّاها بذلك الاسمِ . وهو أولُ من سَمَّى بهذا الاسم : من الخلفاء رضى الله عنهم .

وتُوُفِّىَ مُصعَبٌ من تلك العِلةِ ، وتَرَكَ ولَدَيْنِ . وعَقِبُه باقٍ ؛ ولم تَزَلْ الخلفاء (رضى الله عنهم) على مُحافَظةٍ لهم .

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : أنه تَوَافَى على باب الأميرِ الحَكَمِ (رحمه الله) جُملةٌ من الناس شَتَّى : يَذكُرُون كِفايَتَهم فى الخِدمةِ ؛ ويسألون الأميرَ : أنْ يُشْتَرَوْا له من مَوَاليهم . فأمر : أنْ يَسألُوا عن أسماءِ مَواليهم ؛ فكان فيهم : عبدٌ لولَدِ مُصعَبٍ ؛ فأمَرَ الحَكَمُ (رحمه الله) : بزجْرِه ؛ وقال : مَن

يَخدُم وَلَدَ القاضى ؟ لومات لهم هذا العبدُ : لأخْلَفْتُ لهم مكانَه ؛ فكيف أنْ أنزِعَه منهم ؟ !

قال محمدٌ : ولم يكنْ مُصعَبٌ بالْمُتَّسِعِ : فى علم السُّنن ، ولا فى روايةِ الأخبارِ .

قال أحمدُ بن زيادٍ : حدثنى محمدُ بن وَضَّاحٍ ؛ قال : حدثنى يَحيى بن يَحيى : أنَّ زِيادَ بنَ عبد الرحمن ، أوَّلُ مَن دخَل الأندلُسَ : بالفقهِ ، والحلالِ والحرام ؛ وهو : أولُ مَن أظْهَرَ سُنَّةَ تَحويلِ الأرْدِيَةِ فى الاسْتِسْقاء ؛ وصاحبُ الصلاةِ والحكوماتِ يومئذٍ : ابنُ شَفِيٍّ ؛ فقال على الجهل منه : هذا قدرُ نشرة . قال يحيى فخَرَجْتُ من هاهنا إلى المشرقِ ، ولَقِيتُ مالِكَ بنَ أنسٍ ، واللَّيثَ بن سعدٍ ، ومَن دونهما : فوجَدْتُ سُنةَ تَحويلِ الرداء ، معروفةً فاشِيةً .

قال محمدٌ : وذَكَرَ عبدُ الملكِ بنُ الحسن ؛ قال : سمِعتُ محمدَ بن بَشيرٍ ، يقول : سمِعتُ مالكَ بن أنسٍ ، يقولُ : تكادُ أحاديثُ ابنِ عِمرانَ تكون سِيَراً .

قال محمدٌ : فلا أدرِى : أىَّ ابنِ عِمرانَ أراد ؟ إن كان مُصعبَ بن عِمرانَ : لأن ابنَ بشيرٍ كان كاتبُه . — فلعله : كان يَحكِى له أخبارَه ؛ أو أرادَ محمد ابن عِمرانَ الطَّلحىَّ قاضى المدينة ؟ والأقربُ : أنْ يكونَ المرادُ مُصعبَ بن عِمرانَ : لمجالستِه ابنِ بَشيرٍ له ، وأنه كان : كاتبَه ، وأعْرَفَ الناسِ بأخبارِه .

* * *

« ذِكرُ القاضى : محمد بن بَشيرٍ المُعَافِرِىِّ [1] »

٢١ قال محمدٌ : كان محمدُ بن بَشيرِ بن شَرَاحِيلَ المُعَافِرِىُّ ، أصلُه من جُند باجةَ : من عربِ مِصرَ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : طلَب محمدُ بن بشيرٍ القاضى العلمَ ، بقُرطبةَ : عندَ شُيوخ أهلِها ؛ حتى أخَذ منه بحظٍ وافرٍ ؛ ثم كتَب لأحدِ أولادِ عبدِ الملِك بن عمرَ المَرْوَانىِّ ، لمَظْلَمةٍ نالتْه ؛ على وجْهِ الاعتصامِ به ؛ وتَصرَّف معه تصرُّفًا لطيفًا ؛ ثم انقَبض عنه ، وخرج حاجًّا .

قال محمدٌ : وكتَب محمدُ بن بشيرٍ ، فى حَدَاثية ، للقاضى : مُصعَبِ بن عِمرانَ ؛ ثم خرج حاجًّا : فلَقِىَ مالكَ بن أنسٍ ، وجالَسَه وسمع منه ؛ وطلب العلمَ أيضًا بمصرَ ؛ ثم انصرف : فلزِم ضَيْعتَه فى باجةَ .

قال محمدٌ : أخبرَنى مَن أثِقُ به من أهلِ العلمِ ؛ قال : لمَّا تُوُفِّىَ المُصْعَبُ ابنُ عِمرانَ شاوَرَ الحكَمُ (رضى الله عنه) العباسَ بن عبد الملِك المَرْوانىَّ : فيمَن يُوَلِّيه قضاءَ قُرطبةَ ؛ فقال له العباسُ : إنَّ مُصعَبَ بن عِمرانَ — : و إن كان حكَم علىَّ ، فأغضَبَنى : فنافرْتُه ونابَذْتُه . — : فليس ذلك بالذى يُبلغُنى إلى الطعنِ عليه : فى فضلِه ، وحُسنِ اختيارِه ؛ وقد كان اختيارُه : وقَع عَلَى محمدِ ابن بشيرٍ ، فاسْتَكْتَبه : معرفتى أنا بابن بشير : إذ تَوَلَّى الكتابةَ لأخى إبراهيمَ . فقَبِل الأميرُ (رحمه الله) رأىَ العباسِ ، وأمَر : باسْتقدامِ محمدِ بن بَشيرٍ .

قال محمدٌ : رأيتُ فى بعضِ الكتُبِ : أنَّ محمدَ بن بَشيرٍ لمَّا أتَى فيه رسولُ الأمير ، أتَى : وهو لا يعلمُ ما يُرادُ به ؛ فلمَّا صار بسهلةِ المدورِ : مالَ إلى صديق له كان بها : من العُبَّادِ ؛ فنزَل عليه ، وتحدَّث معه فى أمرِ نفسِه ؛ وذكَر : أنه يَتَوَقعُ : أنْ يُضَمَّ إلى الكتابةِ التى تَخلَّى عنها .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٤٧ — ٥٣ .

فقال له صديقُه العابدُ : ما أُراك إلا بُعْث فيك : للقضاء ؛ لأنَّ القاضيَ تُوُفِّي بقُرطبةَ ، وهى الآنَ بلا قاضٍ .

فقال له ابنُ بَشِيرٍ : إذ قلتَ هذه المقالةَ ، وتوَهَّمتَ هذه الحالةَ ؛ فاذاً أَسْتَشِيرُك فى ذلك ، وأسألُك : أنْ تَنْصَحَ لى ، وتُشِيرَ بالصوابِ عَلَىَّ .

فقال له العابدُ : أسألُك عن أشياءَ ثلاثةٍ ، فأصْدِقْنى فيها ؛ ثم أُشيرُ عليك بعد ذلك .

فقال له محمدُ بن بشيرٍ : ما هىَ ؟

قال له : كيفَ حبُّك لأكلِ الطَّيِّبِ ، ولِباسِ اللَّيِّنِ ، ورُكوبِ الفارِهِ ؟ .

فقال له : واللهِ ما أُبالِى ما رَدَدْتُ به جَوْعَتى ، وسَتَرْتُ به عَوْرَتى ، وحَمَلْتُ به رِجْلَتى .

فقال له العابدُ : هذه واحدةٌ . ثم قال له : كيف [حبُّك] للتمتع بالوجوهِ[1] الحِسانِ ، وما يشاكل ذلك : من الشَّهواتِ ؟

فقال له محمدُ بن بَشِيرٍ : هذه حالةٌ واللهِ : ما أُسْتَشرَفَتْ نفسى قطُّ إليها ، ولاخَطَرَتْ ببالى ، ولا اكْتَرَثْتُ لفقْدِها .

فقال له العابدُ : هذه ثانيةٌ . فكيف حبُّك لمدحِ الناسِ وثنائهم عليك ؛ وكراهتُك للعزلِ وحبُّك للولايةِ ؟.

فقال له : واللهِ ما أُبالِى فى الحقِّ : مَن مدحَنى ، أومن ذمَّنى ؛ وما أُسرُّ بالولايةِ ، ولا أَسْتَوْحِشُ للعزلِ .

فقال له العابدُ : فاقبلْ القضاءَ ؛ فلا بأسَ عليك .

فقدِم قُرطبةَ : فولاَّه الحكمُ (رحمه الله) قضاءَ الجماعةِ والصلاةَ ،

قال محمدٌ : فمِن مُستَفيضِ الأخبارِ — : التى لا يُتواطأُ على مثلها . — : أنَّ محمدَ بن بَشِيرٍ : من عُيونِ قُضاةِ الأندلُسِ ، ومن وُجُوه أهلِ القضاء بها . كان : شديدَ الشَّكِيمةِ ؛ ماضِىَ العزيمةِ ، مُؤثراً للصدقِ ، صليباً فى الحقِّ ؛

(١) فى الأصل : للتمنع الوجوه .

لا هَوَادةَ عنده لأهلِ الحرم[1] ، ولا مُداهنةَ فى أحكامِ السلطانِ ؛ ولا يَعْبأُ على جميعِ أهل الخدمةِ ، ولا على من لاذ[2] بالخليفة : من جميع الطبقاتِ .

قال أحمدُ بن خالدٍ : كان أولُ ما أنفَذه محمدُ بن بَشيرٍ — : من أحكامِه . — التسجيلَ على الأميرِ الحكمِ (رحمه الله) فى أرْحاء القنطرةِ : إذ قام عنده فيها بعضُ من قام ، فسمع من البيِّنةِ فيها ، ثم أَعْذَرَ إلى الأميرِ (رحمه الله) ، ثم سَجَّل فيها وأَشْهَدَ ؛ ثم ابتاعها الأميرُ الحكمُ بعد ذلك ابْتياعاً صحيحاً .

فكان الأميرُ الحكمُ بعد ذلك ، يقولُ : رحِم اللهُ محمدَ بن بَشيرٍ : فقد أحسن فيما فعَل بنا ؛ كان فى أيدينا شىءٌ مُشتَبَهٌ : فصحَّحه لنا ، وصار حلالاً طيباً : فطاب لنا مِلكُه .

قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : حكمَ محمدُ بن بَشيرٍ عَلَى ابنِ فطيسٍ ، ولم يُعرِّفْه بالشهود ؛ فرَفَع ابنُ فطيس بذلك ، إلى الحكمِ الأميرِ (رحمه الله) ، فأوصى الأميرُ إلى ابن بشير : أنَّ ابن فطيسٍ ذكَر : أنك حكمتَ عليه بشهادةِ قومٍ ، ولم تُعرفْه بهم ؛ وأنَّ أهلَ العلم يقولون : إن ذلك له .

فكتب إليه ابنُ بَشيرٍ : ليس ابنُ فطيسٍ : ممَّن يُعَرَّفُ بمن شهد عليه ؛ لأنه إن لم يجدْ سبيلا إلى تجريحهم ، طلَب أذاهم فى غيرذلك : حتى يجليَهُم من أموالهم .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى محمدُ بن فطيس ؛ قال : حدثنا يَحيَى بن يوسفَ بن يحيى المُعَافِرِىُّ : أنه سمع عبد الملك بن حبيبٍ — : وذكرَ محمد بن بشيرٍ . — فقال : كان من خيار المسلمين ؛ وذكر عدلَه . قال عبدُ الملك : وكان يُصلى بنا الجُمُعةَ : وعليه قَلَنْسُوَةُ خَزٍّ .

---

(١) هكذا فى الأصل : ولعله يريد آل الأمير .

(٢) فى الأصل : لاث .

قال محمدٌ : ذكر بعضُ أهلِ العلمِ ، قال : كان محمدُ بن بشيرٍ يَقضى فى سقيفةٍ مُعلَّقةٍ بِقِبْلِيِّ مسجدِ أبى عثمانَ ؛ وكانتْ دارُه فى الدَّربِ الذى بقبلىِّ ذلك المسجدِ ؛ وكان إذا قعَدَ للقضاء ، جلَسَ وحدَه : لا يَجلسُ معه أحدٌ ؛ وخَريطتُه بيْن يدَيْه : يتولَّى أكثر الكتاب بيده . فيتقدمُ الخصومُ على كُتُبِه : فيَقفُ الخصمانِ على أقدامِهما ، فيُدْليانِ بحجَّتِهما ، ثم يفصلُ بينَهما وينصرفان . وكان يقعُدُ لسماعِ الخُصومةِ من غُدْوة إلى قبلِ الظهرِ بساعةٍ ؛ ثم يقعدُ بعد صلاة الظهرِ إلى صلاةِ العصر: لا يكونُ نظرُه غيرَ السماع من البَيِّنات ؛ ولايسمع من بَيِّنةٍ : فى غيرذلك الوقت ؛ وكان لايُخاليه أحدٌ فى مجلسِ نظرِه ، ولا فى دارِه ؛ ولا يَقرأُ كتاباً لأحدٍ : فى سببٍ من أسبابِ الخُصومةِ .

قال محمدُ بن وَضَّاح : ولمَّا وَلِىَ القضاءَ محمدُ بن بشيرٍ ، طَبع طوابعَ[1] عشرةً ؛ فلم تَزَلْ فى خَريطتِه إلى أنْ مات . كان إذا أتاه الرجلُ يسئلُ الطابع : كتبه[2] فيمن يُحبُّه ؛ فإن كان قريباً بقرطبةَ : أعطاه طابعاً ، وأمَرَ الكاتبَ بزَمِّ اسمه ومسكنه ، وفيمن أخذ الطابعَ ؛ ويقولُ : إياكَ إنْ كنت ظالماً : أن تَقدمَ على أحدٍ بطابعى ؛ ويعهدَ إليه بصرفِ الطابع بعينه . وإن كان بعيداً : أجَّل له بقدرِ ذلك . فلم تَزَلْ تلك الطوابعُ : تَتردَّدُ على يديه ، حتى تُوُفِّىَ .

وذكر بعضُ الرُّواةِ ، قال : شهِد رجلٌ : من أكابرِ أهل زمانِه؛ معَ رجلٍ كان رفيقاً للقاضى فى حجِّه ؛ وكان الناس يَعُدُّونه أثيراً عنده ، وأميناً لديْه . فقالَ للمَشهودِ له : زِدْنى بيِّنةً . وشاع ذلك فى الناسِ ، وعلموا : أن الشاهدَ الأولَ قبلَه ؛ وأن صديقَه ورفيقه هو المردودُ الشهادةِ . فقال له الخصمُ : يُعرِّفُنى القاضى بمَن قَبِل : من شاهِدىَّ ؛ وبمن لم يَقبلْ : لأُعِدَّ له ..؟

(١) فى الأصل : طابع عشرة .
(٢) فى الأصل : كشفه .

فقال له : الذى لا أقبل لا يفعلك عدلك عندى : وهو فلان : صاحبى ورفيقى
قال: فلمَّا تكلَّم بذلك القاضى : أتاه رفيقه ذلك فى مجلس النظر ، على عيون الناس .
فقال : أيها القاضى : قد علمت أنى لا أقدر على محالاتك وسؤالك عما أحبَّ أن
أسئلك عنه : إلاَّ فى هذا الملإ : وقد رأيتُ أن أوقفك نفسى بين يدَيْك . هذا
الموقفَ وأسألك عن السبب الذى أوجب ردَّك لشهادتى : فقد علمتَ أنه جمعنى
بك : المنشأ والجصار ، وطلبُ العلم ، وطريقُ الحجِّ : واطَّلعتَ : من باطنى
على مثلِ ما اطلعتُ : من باطنك : فعرِّفنى السبب الذى أنكرتَ علىَّ : لأعرفه ،
وأعترف بخطئى فيه أمام هذا الجماعة . فقال له ابن شبرمة : صدقت :
قد جمعنى بك ما ذكرت . وعرفتنى كما وصفتَ : وما أعثرتُ لك من حربةٍ
فى دينك : ولكن صدَرْ ذا عن الحجِّ ، ونزلنا بمصر ، وابتدأنا بالسماعَ
من شيوخها ، وعزمنا على المقام بها : فقالت لى : إن الغربةَ قد أضرت بى ،
وإنى أحبتُ ابتياع جارية : فحسنتُ ذلك لك ، واستعرضتُ الرقيقَ :
فقلتَ لى : إنى وجدتُ جارية تساوى على وجهها كذا وكذا ، وبيدها
صنعة ويتكسَّب بها صاحبها من أجل صنعتها ، كذا وكذا : أكثرَ مما تساويه
بغير صنعة : فقلت لك : لا حاجة لك إلى صناعتها ، وإنما تبتاعها لمتعة : فدعها ،
وابتع غيرها : فإنها تقوم لك مقامها : فلا معنى للزيادة فيها . فأظهرتَ منى
القبول ، ومضيت فابتعتها ، وربحت فيها على قدرها : فلمَّا رأيتُ الشهوة قد
غلبتك : فى ابتياع تلك الجارية ، وإتلافك المال فى المغالاة فيها — خشيتُ :
أن يكون مثلُ تلك الشهوة ، قادتك إلى هذه الشهادة : لمال حدُّه ، أو ميلٍ
تميله : فاحتطتُ لدينى ، ولم أحدُّ فى سعةٍ : من قبول شهادتك .

قال محمد : وشهد عنده رجل من إخوانه — : من أهل الخاصة به ، والسكون
إليه — بكلمة فى السمع ، ولم يشهده . فسمع الرجلَ يتكلم منه : فتصدى

له : وهو رائحٌ إلى الجامعِ ماشياً ؛ فقال له : على خاصّتى بك ، ومَحبّتى لك ؛ تَرُدُّ شهادتى عندَك ؟ ! . فقال له محمدُ بن بشيرٍ : الورعُ يا أبا اليَسعِ ، الورعُ يا أبا اليَسعِ مرّتَيْن ، لم يَزِدْه على ذلك .

قال محمدُ بن أحمدَ الشَّيبانىُّ الزاهدُ : سمعت محمدَ بن وَضّاح يقول : أخبرنى مَن كان يَرى محمدَ بن بَشيرٍ القاضَى : داخلاً على بابِ المسجدِ الجامعِ ، يومَ جُمُعةٍ : وعليه رداءٌ مُعَصْفرٌ ، وفى رجليْه حذاءٌ يَصِرٌ ؛ وعليه جُمَّةٌ مفرقة ؛ ثم يقومُ : فيخطُبُ ويَقْضِى : وهو فى هذا الزِّىِّ ؛ وإذا رام أحدٌ من دِينِه شيئاً : وجَدَه أبعدَ من الثُّريّا .

قال محمدٌ : وممّا يَحْكِيه الناسُ ، ويدُورُ على ألسنتِهم ـ عن أخبارِ محمدِ ابن بشيرٍ ـ : أنه أتاه رجلٌ لايَعرفُه ، فلمّا نظَرَ إلى زىِّ الحداثةِ ـ : من الجُمّةِ المفرقةِ ، والرِّداءِ المُعصفرِ ، وظُهورِ الكُحلِ والسِّوَاكِ . وأثرِ الحِنّاء فى يديْه ـ : لم يَتَوَسَّمْ ، عليه القضاء ، فقال لبعضِ مَن يَجلسُ إليه : دُلُّونى على القاضى . فقيل له : ها هو ذا (وأُشيرَ له إلى القاضى) . فقال لهم : إنى رجلٌ غريبٌ ، وأراكم تَستهزِئون بى : إذْ أسألُكم عن القاضى ، وأنتم تَدُلُّونى على زامِرٍ . فزُجِرَ من كلِّ ناحيةٍ ، وقال له ابنُ بَشيرٍ : تَقدمْ فاذكُرْ حاجتَك . فلمّا أيقنَ الرجلُ : أنه القاضى ؛ تَذَمَّم واعتذَر ؛ ثم ذكَر حاجتَه : فوجد ـ : من العدلِ والإنصاف . ـ فَوقَ ظنّه .

قال محمدٌ : وكان محمدُ بن عيسى : كَثيرَ النادرِ ، كثيرَ التَّطْنيبِ ؛ فكان : إذارأى الرجلَ من أصحابِ محمدِ بنِ بَشيرٍ ، قال له : متى رأيتَ عشر[1] الدلال ؛ ومتى تَمضِى إلى عشر[2] الدلال ؟ . فبلغ ذلك محمدَ بن بشيرٍ : من قوله ؛ واستَفاض عندَه : فأحْفَظَه ذلك . فلمّا اجتَمع معَه : عطَف عليه محمدُ بن بشيرٍ ، فقال له : أبا عبدِ الله ؛ إن الشرَّ لا يَعجزُ عنه أحدٌ ؛ وكلُّ مَن رضِىَ به : قدَر عليه

(١) و (٢) هكذا : بالاصل

و إن الخيرَ لا يَنالُه إلا : أهلُ الصبرِ ، ومَن يقومُ على نفسِه بالرِّياضةِ المحمودة : فأقصِرْ عما يَلفنى عنك : فإنه أجملُ بك .

قال محمدٌ : وهـذا المعنى ـ : الذى أتَى به محمدُ بن بَشِيرٍ . ـ قد قاله مالكُ بن أنسٍ لبعض الشعراء ؛ حدثنى به بعضُ أهلِ العلمِ بمدينةِ تونس ؛ قال : اختصم رجلان إلى عاملِ المدينةِ ، أحدهما شاعرٌ ؛ فرفعهما إلى مالكِ بن أنسٍ : ليَفْصِل بَيْنهما ؛ فتكلما عندَ مالكِ بنِ أنسٍ ، وتناظرا : فحكم مالكٌ على الشاعر لصاحبه؛ فقال الشاعرُ ـ : وقد أحفَظَه فُتيا مالكٍ عليـه . ـ : أتَظُنُّ الأميرَ : لم يكن يَعرفُ هذا القضاء الذى قضيت به علىَّ ؟! إنما صَرَفنا إليك : لتُصالِحَ بَيْننا ؛ فلم تفعل ، أما واللهِ : لأُقطِّعَنَّ ظهرَك هِجاء . ثم خرَج عنه . فأمَر مالكُ بن أنس : أن يصرف إليه ؛ فصُرِف ؛ فقال له : ياهذا ؛ تَدرِى، بأى شىء وصفتَ نفسك؟ : بالسَّفَهِ ، والدَّناءةِ ؛ وهما : اللذان لايَعْجِزُ عنهما أحدٌ : ولـكن : عليك بمـا تَنْقطع الرِّقابُ دُونَه ؛ وهو الـكرمُ والمُرُوءَةُ .

حدثنى أحمدُ بن محمد بن عبدالملك بن أيْمَنَ ؛ قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ؛ قال : كان فيما يُجاورُنا ، شيخان : من أهلِ العدلِ فى ذلك الزمان ؛ وكانا : صديقين لمحمد بن بشير ، متكررين عليه ؛ يَظُنُّ بهما خيراً ، ويَحسِبُ عندهما فَضْلا .

كان أحدهما جَدَّ أحمد بن بَشِيرٍ المعروف : بابن الأغبس : فتُوُفِّىَ رجلٌ من تجار قُرطبةَ : عظيمُ النعمةِ ؛ فقام مملوكٌ له عنـد القاضى : محمدِ بن بَشِيرٍ : يَذكُرُ : أنَّ مولاه المتوفَّى أعتَقَه ، وأنه أنـكحَه ابنتَه ، وأوْصَى إليـه بمالِه . فدعاه بالبَيِّنةِ على ما ادعاه ؛ فأتاه بالشيخين : فشهِدا عندَه على ما زعَم المملوكُ : فأنفَذَ شهادتَهما ، وقضَى للمملوك بما قام . ثم لم يَلبَثْ أحد الشاهدين إلا مدةً يسيرةً ، حتى حضَرتْه الوفاةُ ؛ فأوْصى إلى القاضى : أنى أريدُ أنْ أراك : وكان على القاضى حضورُ جنازةٍ بمَقبرةِ بلاطِ مُغيثٍ ؛ فلمَّا صدر عنها : دخـل عليه :

فلما بَصُر به الشاهدُ ـ : وهو فى مرضِه وكَربِه : يُعالِجُ الموتَ . ـ : جَثا على رُكبتيه ، وجعلَ يَنْجَرُّ إليه ؛ فقال له القاضى : ما شأنُك ؟ ما عرض لك ؟ (وظَنَّ به خَبالا من العِلَّةِ التى به) فقال له الرجلُ . أنا فى النار : إن لم تُنقِذْنى منها . قال له محمدُ بن بشير . يُجيرك اللهُ من النار إن شاء الله ؛ فما خَبرك ؟ . فقال له الرجلُ : الشهادةُ التى شهدتُ بها عندَك لفلانٍ المملوكِ : مملوكِ فلانٍ ؛ لم يكنْ شىءٌ منها ؛ فاتَّقِ اللهَ وافْسَخْ الحكْمَ ، وانقض ماانعقدَ منه . فلم يَزِدْ محمدُ ابن بشير ، على : أنْ وضَع يديه فى ركبتيه ؛ ثم قام وجعل يقولُ : مضَى الحكم وأنتَ إلى النار ؛ مضى الحكم وأنت إلى النار . وخرَج عنه .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى محمد بن عبد الأعلَى ، عمَّن حدثه : أنَّ محمد بن بَشيرٍ وَلِىَ القضاءَ بقُرْطُبةَ مرَّتين ؛ وأنه لمَّا عُزِل المرةَ الأولى : انصرف إلى بلده .

قال خالد بن سعدٍ : سمعت أحمدَ بن بَقِىٍّ القاضىَ . يقولُ : كان بعض إخوانِ محمدِ بن سعيدِ بن بشيرٍ : يُعاتبهُ فى صَلابَتِه ، ويقولُ له : أخشى عليك العَزْلَ . فكان يقولُ : ليتَه مَن قد رأى الشَّقراءَ (يعنى : بغلتَه) تَقطَعُ بى الطريق إلى باجةَ .

فما مضى إلا يسيرٌ : حتى حدثتْ حادثةٌ أظهَرَ فيها ابنُ بشيرٍ صلابةً ؛ فكانت سبباً لعزله كما يتمنى ؛ فلم يَلبَثْ إلا يسيراً : حتى أتى فيه رَكَاضٌ من قِبَلِ الأمير (رحمه الله) فرفعَه إلى قرطبة .

فلمَّا كان ببعض الطريق : عدَل إلى صديقٍ له ـ : من أهل الزُّهد . ـ فاجتمع معه ، وقال له : قد أرسل فىَّ الأميرُ : أنه يُريدُ إعادتى إلى القضاء مرةً ثانيةً ؛ فما ترى ؟ .

فقال له صديقُه الزَّاهدُ : إن كنتَ تعلمُ : أنك تُنفِّذ الحقَّ على القريب والبعيدِ ،

ولا تأخذُك فى الله لَومةُ لائمٍ ـ : فلستُ أرى لك أنْ تَحرِمَ الناسَ خيرَك . وإن كنتَ تخافُ أن تعدلَ ـ : فتَرْكُ الولايةِ أفضلُ لك .

قال محمد بن سعيد بن بشيرٍ : أمَّا الحقُّ : فلستُ أُبالِى عَلَى من أدَرْتُه ـ : إذا ظهرَ لى . ـ : من قريبٍ أو بعيدٍ .

فقال له صديقُه الزَّاهدُ : لست أرى لك : أنْ تَمنَعَ الناسَ خيرَك .

فلمَّا قَدِم : أعاده الأميرُ إلى القضاء ؛ فعَدَلَ فى ذلك .

قال خالدُ بن سعدٍ : وأخبرنى بعضُ أهل العلمِ ؛ قال : لمَّا مُنع محمدُ بن بشيرٍ من بعضِ الخاصَّةِ ، وقَصُرَتْ يده عنه ـ : حلَف : بطلاق زوجتِه ، و بصَدقةِ ما يَملِكُ على المساكينِ ؛ إنْ حكمَ بيْن اثنين . فعزله الأميرُ الحكَمُ . فلمَّا أراد ردَّه إليها ثانيةً ، اعتذَر إليه بتلك الأيمانِ : رجاءَ أنْ يُعافيَه ؛ فأخْرَج إليه الأميرُ جاريةً من جواريه ، ومالاً : عِوَضاً عن مالِه ؛ فقَبِلَ القضاءَ ثانيةً .

أخبرنى مَن أثِقُ به ، عن أحمدَ بنِ زِيادٍ ؛ قال : محمدُ بن وَضَّاحٍ : أخبرنى قاسمُ بن هِلالٍ ؛ قال :

دَخَلْنا عَلَى محمد بن بشيرٍ : نُعَدِّلُ عنده رجلاً ؛ فقال : أحْلِفُوا باللهِ الذى لا إلهَ إلا هو : أنه عَدْلُ رِضاً ؛ فقالوا : بيمينٍ أصلَحَك الله ؟! . فقال : والله لا كتَبْتُها حتى تحلفوا .

قال قاسمُ بن هلالٍ : وكنتُ أحْدَثَ القومِ سِنًّا ؛ فتَسَلَّلْتُ .

قيل لابن وَضاحٍ : فما صنعوا ؟ قال : لا أدرى .

قال محمدٌ : وكان محمدُ بن بشيرٍ : إذا اختلف عليه العلماء ، وأشْكَلَ عليه الأمرُ ـ : كتَب إلى مصرَ : إلى عبد الرحمن بن القاسم ، و إلى عبدِ الله بن وَهْبٍ .

أخبرنى عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال : أخبرنى عُبَيْدُ الله بن يحيى ، عن أبيه ؛ قال :

حَمَّلَنى محمدُ بن بشيرٍ : أنْ أسألَ له ابنَ القاسم عن مسائل ؛ وحَمَّل أيضاً ذلك : محمد بن خالد . فلمَّا قدِمتُ مصرَ : سألتُ عنها ابن القاسم ، فأجابنى : فكتبت عنه جوابَه . وقدِم محمدُ بن خالدٍ من المدينةِ ، فسألهُ عن تلك المسائل بأعيانِها ، فأجابه فيها ، وكتب عنه . فاجتَمعتُ معَ محمدِ بن خالدٍ : فامتحنْتُ ما أجابه به ابنَ القاسم فى مسائله ، فأصَبْتُها : مخالِفةً لِما أجابنى به . فأتيتُ ابنَ القاسم ، فأعلَمْته بذلك ، وقلتُ له : إن قدمنا البلد بأجوبةٍ مخالفةٍ : أدركت كلَّ واحدٍ منا التُّهْمةُ : فى نَقْله عنك ؛ وأوْقعت القاضى فى شبهةٍ وشكٍّ ؛ فاحتاج أن يكاتبَك ثانيةً . فقال : صدقت .

فأرسَلَ فى محمد بن خالد ، فقال له : أجبتُك : وقلبى مشغولٌ ؛ ولكنْ : رُدَّ الأجوبةَ إلى ما كتَبَ عنِّى يحيى . ففَعَل ، وأتَيْنا بأجوبةٍ متفقة .

وكان محمدُ بن بشير : جيد الفطنة ، حَسنَ الإدراكِ . قال لى بعض أهل العلم : كان رُبَّما قَبِلَ الشاهدَ : عَلَى التَّوَسم ، والفِراسةِ ؛ وربَّما كشَفَ فى السرِّ عن البيِّنة .

قال لى عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال لى عُبيدُ الله بن يَحيى :

قال يَحيى بن يَحيى لمحمدِ بن بَشيرٍ القاضى : إن الحالاتِ تَتَغيرُ ، فإذا عَدَّل عَدْل عندك الرجلَ ، فحكمتَ به ، ثم تطاولَ أمرُه ، وشهدَ عندك ثانيةً : فكلِّفْه التَّعديلَ ، وأَعِدْ فيه الكَشْفَ . فقبل ذلك ابنُ بَشيرٍ ؛ فلمَّا شَعَر الناسُ بذلك : أخذوا منه حِذْرَهم .

قال محمدٌ : وكا يَحيَ بنُ يَحيى : من أشدِّ الناسِ تعظيماً لمحمدِ بن بَشيرٍ ، وأحسنِهم عليه ثناءً : فى حياتِه ، وبعدَ وفاته .

سُئلَ يَحيَ بنُ يَحيى عن اللِباسِ العائمِ ، فقال : هى لِباسُ الناسِ فى المَشرِقِ ، وعليه كان : أمْرُهم فى القديمِ .

فقيل له : لو لبِستَها : لا تَبِعَك الناسُ فى لباسِها ! .

فقال : قد لَبِس ابنُ بَشيرٍ الخزَّ : فلم يَتَّبِعْه الناسُ ؛ وكان ابنُ بَشيرٍ أهلا : أنْ يُقتدَى به ؛ فلَعَلِّى لو لبستُ العِمامَة : لتَرَكَنى الناسُ ، ولم يَتَّبِعُونى : كما تَرَكوا ابنَ بَشيرٍ .

وكان يَحيى بنُ يَحيى : كثيراً ما يَحْكِى عن محمدِ بن بَشيرٍ ، عن مالكِ بن أنَسٍ . ذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ، عن يَحيَ بن يحيى ؛ قال :

تَظَلَّم حَمْدُونُ بن فطيسٍ ، من محمدِ بن بَشيرٍ — : فى شىءٍ حَكَم به عليه . — إلى الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) ؛ فقال لى : يا أبا محمدٍ ؛ إنى سألتُ الأميرَ : أنْ يُجلِسَ لى الفقهاءَ ؛ وقد سألتُه : أنْ يُجلِسَك مَعَ مَن يُجلِسُ . فقلتُ [1] له : إنى لأعْظُمُ : أن أجلِسَ المجلسَ الذى يُتَظَلَّمُ فيه مِن مثلِ محمدِ بن بَشيرٍ ؛ فإن كنتُم لا بُدَّ فاعلين : فعلَيْكم بشيخِنا يَحيى بنِ مُضَرَ القيسىِّ ؛ واعلَمْ : أنَّ محمدَ بن بَشيرٍ : على السَّخَطِ ؛ خيرٌ لك منِّى : على الرِّضا .

قال : فاستَحْيَا حَمدونُ — وكان : حليما دَمِنا . — وكَفَّ عن جَمْعِ الفقهاءِ .

* * *

ومِمَّا حكاه محمدُ بن بَشيرٍ ، عن مالكٍ — :

قال عبدُ الملك بن الحسن : قال محمدُ بن بَشيرٍ : سمِعتُ مالكاً ، يقول : انظُرُوا فى هذه الكتُبِ ، ولا تَخْلِطُوها بغيرها . قال محمدٌ : أرَاهُ يعنى : الموطأَ .

قال عبدُ الملك بنُ الحسن : قال محمدُ بن بَشيرٍ : سمِعتُ مالكاً ، يقولُ : تَكادُ أخبارُ ابنِ عِمرانَ : أن تكونَ سِيَراً .

قال محمدٌ : فلا أدرِى : أىَّ ابنِ عِمرانَ أرادَ مالكُ بن أنس ؟ : ابنَ عِمرانَ الطَّلَحِيَّ قاضىَ المدينةِ ؟ أو مُصعَبَ بنَ عمرانَ قاضى الجماعةِ بقُرطبة ؟ . وأخلِقْ

---

(١) فى الأصل : فقال

به : أنْ يكونَ أراد المُصعبَ ؛ لأن محمدَ بن بَشيرٍ : كان كاتباً للمصعب ؛ وكان عالماً بأخبارِه ؛ ثم جالَسَ مالكاً من بعدُ : فلَعَلَّه : قَصَّ عليه من أخبارِه ؛ فأعجَبَه : فقال فيه ما قال .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عمرَ بن عبد العزيز :

ذَكَرَ محمدُ بن عمرَ بن لُبابَةَ ، ومحمدُ بن عبد الله بن القوت : أنَّ محمدَ بن بَشيرٍ سأل مالكاً عن لَبَنِ الأُتُنِ ؛ فلم يَرَ به بأساً . قال محمدٌ : قال لى بعضُ رواةِ الأخبارِ : أكثرَ موسى بنُ سَماعَةَ (صاحبُ الخيلِ) على الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) فى محمد بن بَشيرٍ ، وشَكَا إليه : انه يَجُورُ عليه .

فقال له الأميرُ : أنا أمتَحِنُ قولَك الساعَة ؛ أخرُجْ من فَوْرِك هذا ، واقْصِدْ ابنَ بَشيرٍ : فاستأذِنْ عليه ؛ فإنْ أَذِنَ لك : عزَلْتُه ؛ وإن لم يأذَنْ لك — دُونَ خَصْمِك — : فليس بجائرٍ ؛ وإنما مَقْصِدُه الحقّ .

فخَرج موسى ابنُ سَماعَةَ ، من عندِ الأميرِ ، إلى دارِ ابنِ بَشيرٍ ؛ ثم أمَرَ الأميرُ (رحمه الله) مَن وَثِقَ به — : من الفتْيان . — أنْ يَقْفُوَ أثَرَه ، ويَعرِفَ ما يكون منه .

فلم يكنْ إلا رَيْثما بَلَغ ، ثم انصرَفَ ؛ فجعل يَحْكِى للأميرِ ؛ قال : لمَّا خَرج الإذنُ إلى موسى ، ثم انصرف ، وأُعلِمَ به القاضى — : خرَج إليه ثانيةً ، فقال له : إن كانتْ لك حاجةٌ ، فتقصدُ فيها : إذا جلَس القاضى فى مجلسِ القضاءِ .

فقال الأميرُ (رحمه الله) قد أعلمتُه : أن ابنَ بَشيرٍ صاحبُ حقٍّ ، لا هَوَادَةَ عندَه فيه لأحدٍ .

قال محمدٌ : أخبرنى مَن أثِقُ به : من أهل العلم ؛ قال :

كان محمدُ بن وَضّاحٍ يَحكِى عن الأميرِ الحكَمِ (رحمه الله) حكايتين ؛ إحداهما : فى محمدِ بن بَشيرٍ ؛ والثانيةُ : فى ذكرِ شىء : من الحدثان .

فكان محمدُ بن وضَّاح ، يقول عند فَراغ الحكايتَيْن : والله لو لم يكنْ للحكَم غيرُ هاتَيْن لَرجَوْتُ له الجنةَ .

وأحكى الحكايتين التى فى ابنِ بَشير : أنه ذُكِرَ عن بعضِ الخاصَّةِ : أن كَريمةً من كَرائم الحكَم (رحمه الله) ذكرتْ : أن الحكَمَ قام عنها ليلا ، فساء به ظنُّها : عَلَى ما يَتوَهَّمُ النساء ، ويَسبِقُ إليهن: من وجْهِ الغيرة . قالت[1]: فقَفَوْتُ أثرَه ، فوجَدْتُه فى بعضِ الأماكنِ : يُصلِّى ويَدْعُو قالت : فلمَّا انصرَفَ أعلمتُه : بما ظنَنتُ ، وبما فعَلتُ ، وبما رأيتُه عليه : من الصلاةِ والدعاء .

قالت / : فقال لى : كنتُ قد قَلَّدتُ محمدَ بن بشيرٍ القضاءَ بيْنَ المسلمين ، فكانتْ نفسى عليه طَيِّبةً ، وقلبى واثِقاً ؛ وكنت مستريحاً من أخبارِ الناس وظُلاَماتِهم ؛ لما علِمتُ : من عدلِه ، وثِقَتِه . حتى أُعلِمتُ فى هذه العَشيَّةِ : أنه فى السِّياقِ ، وأن الموتَ قد حضَرَه . فقَلِقتُ لذلك واغتَمَمْتُ ، وقمتُ فى هذه الساعةِ : أدعو اللهَ وأبْتَهِلُ إليه : أنْ يُوَفِّقَ لى رجلاً ، يكونُ عِوضاً منه : تَسْكُنُ إليه نفْسى ؛ فأُوَلِّيه القضاءَ قضاءَ المسلمين بعدَه .

---

(١) فى الأصل : قال .

« ذِكْرُ القاضي : سعيدِ بن محمدِ ابن بشيرٍ المَعافِرِيِّ[1] »

٢٢ قال محمدٌ : سعيدُ بن محمد بن بشيرِ بن شَراحِيلَ المعافِرِيُّ ، كان : نَبِيلاً فاضلاً ؛ وكان : مُعِيناً لأبيه على العَدلِ ، ومؤيداً له : في اتِّباعِه الحقَّ ؛ وكانتْ بَصِيرتُه من بصيرةِ أبيه : في جَميلِ المذاهبِ ، واستقامةِ الطرائقِ .

قال محمدٌ : ذكرَ خالدُ بن سعد ؛ قال : أخبرني بعضُ أهلِ العلمِ :

أن أهلَ « أَسْتِجَةَ[2] » رفَعُوا إلى الأميرِ (رحمه الله) : يسألونه قاضياً يَقضي بينهم ؛ فأخرجَ الأميرُ (رحمه الله) كتابَهم ، إلى قاضي الجماعة : محمدِ بن بشيرٍ ؛ وأمرَه : أنْ يتخيَّرَ مَن يَراه .

قال خالدٌ : فأخبرني أحمدُ بن بَقِيٍّ ، قال :

لمَّا قرأ محمدُ بن بشيرٍ كتابَ الأميرِ : أقْرَأه ابنَه سعيداً ، ثم قال له : أنت تعرفُ جميعَ من يَختلفُ إلينا : من الناس ؛ فما تَرى : أنْ نُشيرَ به عَلَى الأميرِ ؟ فقال له : لستُ أعرفُ ، ولا أتقلَّدُ أحداً من الناس .

فقال له محمدُ بن بشيرٍ : ماترى في المؤدِّبِ الزاهدِ الذي يَختلفُ إلينا من «شقندة»؟.

فقال : هو أمْثَلُ مَن يَختلفُ إليك ؛ غيرَ أني لستُ أُشيرُ به ، ولا أتقلدُه .

فقال له أبوه : فأنا أتقلَّدُه ، وأُشيرُ به . ثم أخذ كتاباً ، وبدأ يكتُبُ : بخبرِ المؤدِّبِ ؛ إلى الأمير ؛ إلى أنْ قُرِع عليهما البابُ . فقال له أبوه : أخرُجْ واعرِفْ : من هو ؟

فخرَج ، فوجَد قوماً يَسألون عن القاضي . فقال لهم ابنُه : هو بحالِ شُغلٍ . فبيْناهُ يَتكلمُ معهم : إذ أتَى المؤدِّبُ الزاهدُ ؛ فتعَرَّضَ للدُّخولِ على القاضي ؛ فقال له ابنُه : هو مَشغولٌ بكتابٍ يخاطِبُ فيه الأميرَ . فقال : لا بُدَّ من رؤيتِه ،

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ٢١ .

(٢) انظر : تاج العروس « استاج » .

لأمرٍ : أخشَى فَواته ؛ وذلك : أنه ذُكِرَ لى أنه سأله الأميرُ : أنْ يُشيرَ بقاضٍ لأهلِ « أَسْتِجة» ؛ فأحبَبتُ : أنْ يُشيرَ بى .

فدَخَل سعيدٌ على أبيه : وهو يكتُبُ ؛ فقال له : ارْفَعْ يدَك عن الكتاب ؛ فإن الرجلَ الذى تخاطِبُ فيه : قد هَدَم نفسه . وأعلَمَه الخَبرَ . فأسقَطَ محمدُ ابن بشيرٍ الكتابةَ فيه ، وأشار بغيرِه .

قال محمدٌ : وكان السببُ — : الذى من أجْلِه وُلِّىَ القضاءَ سعيدُ بن محمد . — قِصَّةً دارَتْ عليه : فى وَدِيعةٍ كانت فى يدَيْه .

قال خالدُ بن سعدٍ : حدثنى من أثِقُ به — : من أهل العلم . — عن يَحيَى ابن زكريَّاء — وكان : من أثبتِ أصحابِ محمد بن وَضَّاحٍ . — قال : أخبرنى أصْبغُ بن خليلٍ ؛ قال :

كنت جالساً عندَ يحيَى بنِ يحيى ، حتى أتاه سعيدُ بن محمد بن بشيرٍ ، فجلس : فرآه يحيى مغموماً ؛ فقال له : ما دهاك ؟. فقال له : هَمٌّ طَرأ علىَّ. قال : وما هو ؟: فما عليك أُذُنٌ ، ولا عينٌ .

فقال : إن ربيع القومس أوْدَعَنى مالاً عظيماً ؛ وهـذا الهاتفُ يَهْتِفُ : مَن كان عنده لربيعٍ مالٌ أو وَدِيعةٌ — فلم يُظهِرْه بعد ثلاثٍ — : سفَكْنا دمه ، وأذهَبْنا ماله .

فاسْتهْوَلَ يحيى الخبرَ واستعظمه ؛ وأكبَّ طويلاً ، ثم قال له ، وما تُريدُ أنْ تَصْنَعَ ؟ أرى والله : أن لا تُحفِرَ أمانتَك ؛ للحديثِ الذى أتى : « أنَّ الأمانةَ تُؤَدَّى : إلى البَرِّ والفاجرِ ؛ والرَّحِمَ تُوصَلُ : بَرَّةً كانتْ أوفاجرةً ؛ والعَهدَ يُوفَى للبرِّ والفاجرِ » .

فتُمِيَ الحديثُ ، وفَشَى : حتى انتَهى إلى الأميرِ ، فبَعَث فيه بعد ثلاث ؛ فخرَج إليه الإذنُ من عندِ الأميرِ ، فقال له : ما دعاك إلى سَترِ ما أوْدَعك

رَبيعٌ : وقد سمعتَ ما هتف عنا الهاتفُ ، وما أظهرُه : من العـــريمة في ذلك . ؟

فقال للآذِن : تعلمُ الأميرَ (أصلحه الله) عنى : أنى إنما فعلتُ ذلك للحديث الذى أتى — ثم نَصَّ الحديث . حتى انتهى إلى قوله : « والأمانة أُدِّى إلى البَرِّ والفاجر » . — ولا أفْجَرَ من ربيعة .

فأنهَى الفتى ذلك إلى الأمير عنه ؛ فأوصى الأميرُ إلى الوزراء : هذا رجل صالح ؛ فوَلُّوه القضاءَ . فكان ذلك سبباً لولايته القضاءَ .

قال محمدٌ : وكان سعيدُ بن محمد بن بَشِير : صاحباً ليحيى بن يحيى ؛ وكان يحيى له : على محافظةٍ وإكرام .

أخبرنى عثمانُ بن محمد : قال : أخبرنى أبو مروَانَ عُبيدُ الله : قال : قال يحيى ابن يَحيى : الحِلْمُ زَينُ الرجال : جئتُ عبد الملك بن مُغيثٍ : يوماً أربونة فى الغزو ؛ ومعنا سعيدُ بن محمد بن بشير : فكان : يُرسِلُ إلينا و يستشيرُنا . (قال يحيى) : وكان ربما اختصَّنى بالإرسال دون سعيدِ بن محمدٍ : فقلتُ لعبد الملك . لاتفعلْ : فإنَّ صاحبى سيَسُوءه ذلك : فقبِل منى ، و بعث يوماً إلىَّ بصلةٍ : ثمانية دنانيرَ ، و إلى سعيدِ بن محمدٍ بمثلها . فقلتُ له : أما أنا فممْتَنِعٌ عنها : ولكن اجمعنا وابعثْ بها إلى صاحبى : فإنه محتاجٌ .

فلمَّا غَنِم المسلمون وعظمت فى أيديهم : قسَم ماهنالك برأينا ، و بحضرته . فقلت له فى بعض مادار بينى وبينه : أحبُّ أن أكلمك بشىء برِقٍّ وجهى عنك فيه . فقال لى . يا أبا محمد كلُّ مابلغ بك الحشمة . فصُنه عن نفسك (قال عبيد الله : فكان يحيى يُعجَبُ بهذا الجواب جداً).

قال : فلمَّا قفلْنا ، قال لى : يا أبا محمد . وددتُ أن كلمكما أتت وصاحبك . قلتُ له : لماذا ؟ قال : لأن أسمعكما تسبانى حسنة (قال) فقلت له : أنت

— واللهِ — يريدُ هَوَانَنا ، لا إكرامَنا . (قال) : فقال لى : يا أبا محمدٍ ؛ لا تَظُنَّ ذلك ؛ فواللهِ : ما كان رَأْىُ مَن قَبْلَك : أن يُبَالِغَ فى إكرامِهم ؛ حتى يُفعلَ ذلك بهم . (قال) : فقلتُ له : لاجزاهم اللهُ خيراً : عن أنفسِهم ، ولاعنك ؛ فقد خانُوا اللهَ ورسولَه . قال يحيى : فاحْتَشَم وكَفَّ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : الفَرَجِ بنِ كِنَانَةَ الكِنَانِىِّ[1] »

٢٣ قال محمدٌ : هو : الفَرَجُ بنُ كِنانَةَ بنِ نِزارِ بنِ عَتْبانَ[2] بنِ مالكٍ الكِنانىُّ ؛ نسبُه : فى كِنانةَ ؛ ومَكْتبُه : فى جُندِ فِلسطِينَ . كان مسكنه : بشذونة ؛ وكان : من أهل العلم والتَّقْييدِ ؛ وكانت له رِحلةٌ إلى المشرق ، وسمع فيها من عبدِ الرحمن ابن القاسم ، ومن غيرِه : من أهل العلم .

ولمَّا قَدِم من رِحلتِه : اسْتَخَصَّه الأميرُ الحَكَمُ بن هشامٍ (رحمه الله) ، واسْتَقْضاه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ .

قال محمدٌ : ولم يَزلْ القضاءُ متردداً فى ولده بشَذُونَةَ : فى أيامِ الخلفاء (رحمهم الله)؛ إلى أن ولَّى أميرُ المؤمنين (أعزه الله) رجلاً من ولده — يُكَنَّى : بأبى العباسِ . — قضاءَ شَذُونة ؛ وكان قد عُنِىَ بطلب العلم : عند شيوخ الأندلُسِ ؛ مَع محمدِ بن عبد الملكِ بن أيْمَنَ ، وغيرِه : من نُظَرَائه .

قال محمدٌ : ذكر خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : حدثنى بعضُ أهل العلم ، عن رجلٍ من

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٣ — ٥٤

(٢) ابن غسان . انظر جذوة المقتبس ص ٣٠٩ ، ٧٦٢ .

أهلِ الزُّهد : من آلِ الفرجِ بن كنانةَ ؛ أنه اتُّهِم[1] بالحركة فى الهَيجِ ؛ فتَسُوِّرَ عليه : ليُقْتَلَ ؛ فصَرَخ النساء : فسمع الفرجُ الصُّراخَ ، فقال : ماهذا ؟ فقيل له : جارُك فلانٌ أتاه الأعوانُ ، فهجموا عليه : ليُقتَلَ . فخرج الفرجُ إلى بابِ الدارِ ، فاجتَمَع معَ الأعوانِ ، فقال : إنَّ جارى هذا سَليمُ الناحية ، وليس فيه : مما تظُنُّون : شىءٌ . فقال له المُرسَلُ معَ الأعوان — وكان رئيسَهم — : ليس هذا من شأنك ، ولا ممَّا عَصَبَ[2] بك ؛ انظُرْ فى أحباسِك وأحكامِك ، ودع مالا يعنيك . فغضِبَ الفرجُ بن كنانةَ عندَ ذلك : فمشى إلى الأميرِ الحكَمِ (رضى الله عنه) ، واستُؤْذِنَ له عليه ؛ فلما دخَل : سلَّم ، ثم قال : أيُّها الأميرُ (أصلحَك الله) . إنَّ قُرَيْشاً حاربتْ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) ، وناصَبَتْه العَدَواة ؛ ثم : إنه صَفح عنهم ، وأحسَنَ إليهم ؛ وأنت أحقُّ الناس بالاقتداء به ؛ لقَرابتِك منه . ثم حَكَى له القصَّة ، وما عرضه له . فأمرَ بضرْب الناظر فى ذلك السَّببِ ؛ وعفى عن بَقيَّةِ أهل قُرْطُبةَ ، وبَسَط الأمان لجماعتهم ، واستالفهم[3] إلى أوطانهم .

قال محمدٌ : ذكَر محمدُ بنُ حَفْصٍ ؛ قال : قرأتُ فى كتابٍ بخطِّ أحمدَ بن فرجٍ — فيه نُبذٌ ؛ من أخبار الأندلسِ . — : أن الفرجَ بن كنانة غزا : معقودا له عَلَى جند شَذُونةَ : من العَرب ؛ معَ عبد الكريم بن عبد الواحد ؛ إلى جلِّيقيَّةَ ؛ وأن عبدَ الكريم قدمه من استرقةَ إلى جمعٍ للنصرانية ؛ فقَضَّهم وقتل فيهم قتلا ذريعاً .

(قال) : وقرأت فى هذا الكتاب : أن الأمير الحكَمَ (رضى الله عنه) اُستُقْدِمَ الفرجَ بن كنانةَ ، من شَذُونةَ ، ووَلاَّه القضاءَ بقرطبةَ ؛ وأنه لمَّا أدالَ عبدالرحمن

---

(١) فى الأصل : فاتهم .
(٢) أى : أحاط بك ، وقرب منك .
(٣) كذا بالأصل . يعنى استقدمهم .

ابنَه من سَرَقْسطة[1] ، وولاَّها عبدَ الرحمن بن أبى عَبدَة — : استَخَفَّ به عُمارَةُ (رجل من العرب) على موالاةٍ له ؛ فوَلَّى سرقسطةَ الفرجَ بن كنانة : إذ هو منهم ؛ فلحِق الفرجُ بالثَّغْر ، وكان فيه مدةً . ثم إن عُمارةَ : استَمَالَ قوماً : من البرْبر ؛ وأدخلهم المدينةَ ، وثاروا على الفرج بن كنانة : فملَكوه ؛ ثم تَداعَى العربُ ووُجُوهُ البربر ، على عُمارةَ ومن معه : فقتلوهم وأَجْلَوْهم عن المدينةِ ؛ فتَقَبَّضُوا على عُمارةَ وابنِه ، وفَرُّوا به إلى الفرج بن كنانةَ ؛ وسأله العربُ ووُجوهُ البرْبر : مخاطبةَ الأمير الحكم (رحمه الله) : بما كان : من قِيامهم معه ، ونُصرتهم له . فكتَبَ لهم ، وسَكَنَتْ حالُهم .

قال محمدٌ : وقرأتُ فى الدِّيوان ، جوابَ الحكَمِ (رضى الله عنه) إلى الفَرَج ابن كِنانةَ : بما يُصَدقُ هذا الحديثَ ؛ ونُسْخَتُه:

« أمَّا بعدُ : فقد بلغَنا كتابُك : تَذكُرُ الذى زاوَلْتَ : من صلاح ما قِبَلَك ؛ وشَغلَك عن الكتابِ إلينا : بأمرِ عُمارةَ : وما كان : من أمْرِه ، وأمْرِ مَن خرَج معَه ؛ ونَقضِ الذى اختَلَف عليك : من أمرِ أهلِ المدينةِ ؛ بدُخولِ مَن داخَلَهم : من البَربَرِ ؛ وما كان : من نَفيرِ مَن نفَر إليك : من خِيارِهم ووُجوهِهم ، وأهلِ الدَّعةِ والصلاحِ منهم ؛ نُصْرةً لك ، ومَعرفةً بما فى الطاعةِ : من العافيةِ والسعادةِ ؛ ورُثوبِ من وَثَب عليك : من شِرارِهم ، وأهلِ السَّفهِ منهم ؛ وحُسنِ مُراجعتِهم بعدَ الذى كان منهم ؛ ومن تَذَمُّمِهم على مافَرَط : من فِعلهم ، وزَلَّ : من رأيهم ؛ وقد كان — : من اسْتِجماعِ كلمةِ خِيارِهم ووُجُوهِهم وصالحيهم ، على نُصرتك ؛ ومُدافعةِ مَن وَثَب عليك : من سَوَادهم . — ما عَفا على ما ركب رِعاعُهم ، ومَن شَذ : من سُفهائهم ؛ ودَعا ذلك إلى العفو عنهم ، والصفحِ عن زَلَلِهم . وإنا كاتبون إلى عامَّتِهم — معَ رُسُلِك إلينا — : بما سألتَه ؛ ونُعجل[2] ذلك إليهم.

---

(١) انظر : معجم البلدان ٨ / ٤٢٣ . (٢) فى نسخة : ومعجل .

[ولقد][1] أصبتَ رأيَك فيما جمعتَ : من كلمةِ الفريقَيْن ؛ وأصْلَحتَ : من أمرِهم . وقد عرَفْنا : حُسنَ رأيك ، وصَوابَ سِياستِك ؛ فيما حَمَّلْناك : من أمانتِهم، وعَصَبْنابك : من أمرِهم ؛ ووقَع لك منا : مَوْقِعَ المَعرفةِ والسلامُ . » .

وكتب إليه مُدرَجة ، فيها : « قد كان — : من أمرِ عُمارةَ وابنِه ، واستِجماعِ مَن قِبَلَك : من العرب ؛ على دَفعِهما إليك — ماعرفتْ : ثقةَ بك و بنَصيحتك ؛ وما بلَو : من طاعتِك . فاحتفِظْ بهما فى ليلِك ونهارِك ؛ واحذَرْ الضَّيْعَةَ فيهما ، والغفلةَ عنهما ؛ إلى قدومِ المُغيرةِ ذلك الثغرَ ؛ إن شاء اللهُ . »

« واعلمْ : أنك ضامنٌ لهما : إن فاتا من يَديْك ؛ فانظرْ لنفسك بالاحتفاظِ بهما : أبْلَغَ التَّحَفُّظِ ؛ إن كانتْ لك بما قِبَلَنا حاجةٌ ؛ ولا تَلُومَنَّ إلا نفسكَ : إن ضَيَّعتَ ؛ والسلامُ . » .

وكان الفرجُ بن كِنانةَ : قد بعَثَ بكتابِه بعض أهلِ العَناء عنه : من العرب ؛ إلى الأميرِ الحَكَمِ (رضى الله عنه) . فأمر لهم : بالكِساتِ والصِّلاتِ ؛ وبعثَ إلى قومه مِثلَ ذلك .

وقرأتُ جوابَ الحَكَم (رضى الله عنه) إلى الفَرج : فى أمْرِ مَن وَجَّه : من العربِ ؛ وما كان منه إليهم . وهذه نُسخَتُهُ :

« أمّا بعدُ : فقد قرأتُ كتابَك بما ذكَرتَ : من حالِ عامَّةِ مَن قِبَلَك — : من العرب . — : فى طاعتِهم ومُناصَحَتِهم ؛ وخاصَّةً : مَن سمَّيتَ : من أهلِ البلاءِ منهم . وقد وقَعَ ذلك لهم : مَوقِعَ جزاءٍ ومَعرفةٍ ؛ وصَرَفْنا إليك رُسُلَك : بجواباتِ كتُبِك وكُتُبِهم ؛ وأجزْناهم على وِفادَتِهم : بأوْسَعِ الجائزةِ . والسلامُ . » .

وهذه نسخةُ كتابِ الأميرِ الحَكَم (رضى الله عنه) إلى حُبَيْشِ بن نُوح ، ومَن قبلَه — : من العَربِ . — :

---

(١) بياض : بالأصل .

« أمَّا بعدُ : فقد بلَغنا كِتابُكم : تذكُرون أن الذى كان : من صُنعِ الله لنا فى ذلك الثغر ؛ بما مُنِّتم فيه وحاوَلْتم : من صلاح ما فسَدمنه، وأخْطَرتُم : من دمائكم وأنفسكم ؛ فى نُصرةِ عاملِكم وعزِّه ؛ ومُجاهدةِ من نَزَع عنه ، ودافَع أمرَه . حتى أصلَح اللهُ الأمرَ ، وجمعَ الكلمةَ ، وقوَّم الطاعة . وكلُّ الذى كتبتُم : تذكُرونه، وتَمُنُّون به ؛ قد وقَع منا : بأفضلِ مَوقعٍ : فى معرفته ، وحُسنِ الجزاء به ، وجميل المكافأةِ عليه . وقد ولَّينا المُغيرةَ بن الحَكَم أمرَ ثَغرِكم ؛ وعهِدْنا إليه : أنْ يَعرِف حقَّ بلائكم ، وحُسنَ طاعتِكم وغَنائكم ؛ وأنْ يَتَّسعَ لكم : فيما جعلتُه إليه ؛ بما أنتم أهلُه : فى طاعتِكم وصبْرِكم ، ومناصحتِكم ، وفَضلِ ما قدَّمتُم من ذلك . واللهُ المستعانُ ؛ والسلامُ . » .

قال محمدٌ : ولم أجِدْ عندَ رُواةِ الأخبارِ ، للفَرج بن كِنانةَ — بعدَ مقدَمِه من الثَّغرِ — خَبَراً .

وقال عبدُ الملِك بن أيْمَنَ : عَقِبُ الفَرج بن كِنانَة — بشَذُونَة — كثيرٌ ؛ وقد أدركْتُ : من ولَدِه ؛ أبا العباسِ : يَطلُبُ العلمَ معنا عندَ شيوخ بلدِنا ؛ ثم ولاَّه أميرُ المؤمنين (أعزه الله) قضاءَ شَذُونَةَ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : قَطَنِ بنِ جزْءٍ التَّميمِيِّ . »

٢٤ قال محمدٌ : هو : قَطَنُ بن جزْء بن اللجلاج ، بن سَعْد بن سَعيد بن مُحمَّد بن عُطَارِد بن حاجب بن زُرَارةَ التَّميمِيُّ ؛ وكان : من أهلِ جَيَّان[1] ؛ ووَلاَّه الأميرُ الحَكَمُ بن هشامٍ (رضى الله عنهما) قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبَةَ .

---

(١) انظر : الروض المعطار ص ٧٠ ـ ٧٢

ولم أجِدْ له — عندَ رُواةِ الأخبارِ — خبراً : أُقَيِّدُه عنه .

ثم تَلاَه فى القضاءِ بِشْرُ بن قَطَنٍ

* * *

« ذِكْرُ القاضى : عُبيْدِاللهِ بنِ موسى الغافِقِىِّ . »

٢٥ قال محمدٌ : هو : عُبَيْدُ اللهِ بنُ موسى بنِ إبراهيمَ بنِ مُسْلِم بن عَبْد الله بن مُسلم ابن عَبْد الله بن خالِد بن يَزيدَ بن عَمَّار بن عُبَيْدٍ الغافِقِيُّ .

كان أصلُه : من عربِ الشامِ ، ثم من جندِ فِلسْطِينَ ؛ سكَن ناحيةَ الجَزيرةِ ، وسكَن ولَدُه إشْبِيلية .

و بنو موسى الوزيرِ يَتَوَلَّوْن عُبَيْدَ اللهِ هذا: القاضىَ المَنسُوبَ ؛ ولاَّه الحَكَمُ (رضى الله عنه) قضاءَ الجماعة بقُرطُبَةَ .

ولم تَحفَظْ الرُّواةُ له خبراً : يُوضَعُ بهذا الكتاب ؛ عنه .

ثم تَلاَه محمدُ بن تَليد بن حامد بن محمدٍ الرُّعَيْنِىَّ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : حامدِ بن محمدٍ الرُّعَيْنِىِّ . »

٢٦ قال محمدٌ : هو : حامدُ بن محمد بن سعيد بن إسماعيلَ بنِ حامد بن عبد اللطيف الرُّعَيْنِىُّ .

كان : من أهل شَذُونةَ ؛ ولاَّه الأميرُ الحَكَمُ (رضى الله عنه) قضاءَ الجماعة بقُرْطُبَةَ .

ولم يحفَظ أهلُ العِلمِ له ، شيئاً : يَحكُونه عنه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مَسْرُورِ بنِ محمدِ بنِ بَشِيرٍ المَعَافِرِىُّ . »

٢٧ قال محمدٌ : هو : مَسْرُورُ بن محمد بن سعيد بن بَشِيرِ بن شَرَاحِيلَ المَعَافِرِىُّ ؛ وقد تَقدَّم ـ فى صدْرِ هذا الكتابِ ـ ذِكْرُ أبيه : محمد بن بَشِيرٍ[1].

قال محمدٌ : ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحَكم (رحمهما الله) قضاء الجماعةِ بقُرْطُبَةَ ؛ وكان من الصالحين الفاضِلين .

حدثنى مَنْ وثقتُ به : من أهلِ العلمِ ؛ قال : حدثنى محمدُ بن أحمدَ بنِ عبد الملك (المعروفُ : بابنِ الزَّرَّادِ) ؛ قال :

كان عندَنا بقُرطُبَة ، قاضٍ يُعرَفُ : بمَسرورٍ ؛ وكان : من الزُّهَّادِ . أستأذَن مَن حضَرَه ـ : من الخُصوم . ـ يوماً : فى أن يقوم لحاجةٍ يَقضِيها : من حوائجِ نفسِه . فأذِنُوا له : فقام عنهم ، ثم خرَج عليهم : وفى يده خُبزةُ عَجينٍ ، وهو يسِيرُ بهـا إلى الفُرنِ ؛ فقال له بعضُ مَن حضَر : أنَا أكْفِيكَ (أيُّها القاضى) حَمْلَها . فقال له : وإذا عُزِلتُ عن القضاء : أيْنَ أجِدُك ؛ كلَّ يومٍ تَكْفِينى حَمْلها ؟! بل الذى حَمَلَها قبلَ القضاء ، هو : يَحْمِلُها اليومَ .

ثم تَلاَه فى القضاء : سعيدُ بن محمد بن بَشِيرٍ ؛ مَرَّةً ثانيةً .

* * *

(١) انظر : ص ٤٧

« ذِكْرُ القاضى : يَحيَى بنِ مَعْمَرٍ الإلْهانِيِّ . »

٢٨ قال محمدٌ : هو : يَحيَى بنُ مَعْمَرِ (١) بن عِمْرانَ بنِ مُنيرِ بن عُبَيْدِ بن أُنَيْفٍ الأطلوحيُّ الإلْهانِيُّ ؛ من العربِ الشَّامِيِّين؛ وكان: من أهلِ إشْبيلِيَةَ ؛ ومَنزِلتُه(٢) بها تُسَمَّى « مغرانة» : (حارةٌ : مِن طَرَفِ الحاضِرةِ ؛ عليها مَمَرُّ السَّابلَةِ) . وكان فى وقتِه : فقيه إشبيلِيَةَ وفَرَضِيُّها ؛ وكانت له رحلةٌ : لَقِيَ فيها أشْهَبَ ابنَ عبد العزيز ، وسَمِعَ منه ومن غيره : من أهلِ العِلمِ . وكان فى مَذهَبِه : وَرِعاً زاهداً ، فاضلاً ، مقبلاً على إقامة ضَيْعتِه ، و إصلاحِ شأنِه .

قال لى محمدُ بن عُمَر بن عبد العزيز : لَهِجَ الناسُ بإشْبيلِيَةَ : أن يَحيى بن مَعْمَرٍ يُستَقْضى بقُرطبَةَ ؛ (قال لى) : فحكَى رجلٌ : من أهلِ إشبيلِيَةَ (يُعرَفُ بمُرَّةَ بنِ دَيْسَمٍ)؛ قال: كنتُ معَ يحيى جالساً فى قَريته —فى بعضِ الأبْنِيَةِ—: حتى نَظَرْتُ إلى فارسٍ يَرْكُضُ : وهو مُعْـــدٍ فى السيرِ ، مُستفيمٌ على المَحَجَّةِ العُظْمَى . (قال) : فأتْبَعتُه بَصرى ؛ فلمَّا بلَغ إلى الطريقِ : الذى يعطَفُ فيه إلى مَنزلِ يحيى بن مَعْمَرٍ ؛ وقَفَ : وقوفَ الجاهلِ بالمكان ، المُستَدِلِّ . (قال) : وظننْتُ : أنه رسول الخليفةِ — من قُرطُبَةَ — : فى يحيى بن معمر ؛ ليُوَلِّيَه القضاء : (قال) : فعطفْتُ على يحيى ، فقلت : أبا زكرياء ؛ لَهِجَ الناس من أمرك ؛ بشىء ؛ وأُحِبُّ : أن أعرِفَ الحقيقةَ مما تَعْتَقِدُه ؛ فقد أزِفَ الأمرُ : تَقبَلُ القضاء ؟ أولاتقبل ؟ قال : أقبَلُ . (قال): فقلتُ له إذا كنتَ قاضِيَ الجماعةِ بقرطبة : ما يكونُ حظُّ صَديقِك ومُحِبِّك من ذلك؟. قال: حظٌّ وافِرٌ إن شاءالله .

(قال) : فقلتُ له : هذا رسولٌ مُقْبِلٌ فيك من قرطبة ؛ (قال) : فما انقضَى الكلامُ : حتى وقَفَ بنا الرَّكَّاضُ المُرسَلُ : فى يَحيى بنِ مَعْمَرٍ .

(قال) : فلمَّا صار يحيى إلى قضاء الجماعةِ بقُرطُبَة : قصدتُ إليه من إشْبيلِيَةَ ،

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص : ٤٤ ـ ٢٥ . وجذوة المقتبس ص : ٣٥٦ رقم ٩٠٤

(٢) بالأصل : ومنزله وهو تحريف وإن كان المعنى واحدا .

فنزلتُ عليه ؛ فحيَّ وأكرمَ وأنزلَ . فلمَّا صِرْنا إلى العَشَاء ، قدَّم : من الإدام ؛ شيئاً مختصراً . فقلتُ له : وما هذا ؟ وأينَ نَعيمُ قُرطُبةَ ، وما فيها : من ضُرُوبِ الخيرات ؛ وأنتَ قاضي الجماعةِ ؟ . ثم قلتُ : أخشَى (واللهِ) : أن أندَمَ على رحلَتي إليكَ . قال : لا ؛ إن شاء الله .

(قال) : فلمَّا أصبحَ يحيى بن مَعْمرٍ ، وضعَ يدَه — : وأنا لا أشعُرُ . — فكتَب إلى الأميرِ عبدِ الرحمن بن الحَكَم (رضى الله عنهما) : يَحكِي له القِصَّةَ على وَجهِها ؛ وكيفَ كانتْ العِدَةُ من يحيى ؛ وأنَّ مُرَّةَ بن دَيْسَمٍ : قدِم عليه : مُسْتَنْجِزاً ؛ ثم سأله : أنْ يَعقِدَ له على قومه سنةً كاملةً ، وأن يُجَمِّلَهُ ويَكْسُوَه .

قال مُرَّةُ بن دَيْسَمٍ : فما شعَرْتُ — : وأنا قد اسْتَشْعَرْتُ اليأسَ من خيرِ القاضي : لِما رأيتُ : من زُهدِه ، ومأخَذِه فى نفسِه . — : حتى أتَتْ العُقْدَةُ إلى يحيى ، من عندِ الأميرِ ، معَ صِلةِ مِائتَيْ دينارٍ وبَغْلِ حُمْلانٍ ، وثيابِ كُسْوةٍ ؛ وكتابٍ مَعها من الأميرِ ، يقولُ فيه : قد أنجَزْنا عنك : عِدَتَك لمُرَّةَ ابنِ دَيْسَمٍ .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أحمدُ بن خالدٍ ، وعثمانُ بن عبد الرحمن بن عبدالحميد ابن أبى زيد قالا[1] — وأحدهما يزيد على صاحبه — : أخبرنا محمدُ بن وضاح ؛ قال :

صلَّيتُ صلاةَ الكُسوفِ معَ ابنِ مَعْمَرٍ ، فى الجامعِ بقُرطُبةَ : سنةَ ثمانَ عشرةَ ومِائتَيْن ؛ فصلَّى وأحسنَ الصلاةَ — ولم يُقِمْ الصلاةَ — وطوَّل فى

---

(١) فى الأصل : قال أخبرنا محمد بن وضاح وأحدهما يزيد على صاحبه .

صلاته : بدأ بالصلاة ضحًى ، وقوَّم فى القابلة : وقد تجلَّتْ الشمسُ ؛ وكنَّا فى زمنِ الصَّيفِ .

قال أحمدُ بن خالدٍ ، وعثمانُ بن عبد الرحمن : أخبرنا محمدُ بن وضَّاح ؛ قال : صلَّيتُ الجمعةَ — فى ولايةِ ابنِ مَعْمَرٍ — : أربعَ ركَعاتٍ ؛ وابن أبى عيسى حاضرٌ ، وسعيدُ بن حسَّان ، وعبدُ الملك بن زونان ، وحارثُ بن أبى سعدٍ ، وعبدُ الملك بن حبيبٍ . وصلَّاها أكثرُ الناس — فى صَحْنِ المسجدِ ركعتيْنِ .

قال محمدٌ : وكان يَحيَى بن مَعمَرٍ : إذا أشْكَلَ عليه الأمرُ ، واختلفَ عليه الفقهاء : كتبَ إلى مصرَ : إلى أَصْبَغَ بن الفَرَج وغيرِه ، وكشَفَهم : عن وَجْهِ ما يُريدُ علمَه .

وقد قرأتُ رسائلَ حِسَاناً : ممَّا كتب بها أصبَغُ بن الفرج ، إلى يَحيَى بن معمرٍ (قاضى الجماعةِ بقرطبة) : أجوبةً فى مسائلَ سأله عنها — : من أخبار القضاء . — طويلةً مَديدةً ؛ هَمَمْتُ : [باستنْسَاخِها [1]] واجْتِلاَبِها [2] ؛ ثم رأيتُ : أن لا أُخْرِجَ الكتابَ عن حدِّه ، ولا أصرِفَه عن وَجْهِه .

قال محمدٌ : ذكَرَ خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : سَمِعتُ غيرَ واحدٍ — : من مشايخِ أهلِ العلمِ . — يقولُ :

كان بيْنَ يَحيى بنِ مَعمَرٍ ، وبينَ يَحيَى بن يَحيَى — عداوةٌ فسعَى يحيى بنُ يحيى فى عزْلِ يَحيى بن مَعمرٍ القاضى ، عندَ الأمير عبد الرحمن (رحمه الله) ؛ وأقامَ عليه البيِّناتِ : من أهل العلمِ والعدلِ ؛ فشهدوا عَلَى يَحيى بن مَعمر — عندَ الوزراءِ — : بأحوالٍ قبيحةٍ نسبت إليه .

(١) بياض : بالأصل .
(٢) أى : ليلحقها بالكتاب .

فرَفَعَ يَحيى بنُ مَعمرٍ إلى الأميرِ : عداوَةَ يَحيى ، وأنه هو ضَمَّ الفُقهاءَ والعُدُولَ إلى الشهادةِ : فطاعُوا له بها .

فأخرَجَ الأميرُ عبدُ الرحمن ، عهداً إلى الوزراء ، يأمرُهم : بأنْ يُرسِلوا فى وُجوهِ التُّجارِ ، فيسألوهم : عن يَحيى بنِ مَعمَرٍ .

فأرسل الوزراء : فى غيرِ واحدٍ ؛ فكان قولُ التجارِ : مِنْ شاكِلَةِ الشهاداتِ المتقدِّمةِ ؛ وذلك : لمطالبةِ مَنْ كان يُطالِبُه — : منَ الفقهاءِ . — حينئذٍ . فعزَلَه الأميرُ عبدُ الرحمن : عندَ ذلك .

قال محمدٌ : كان يَحيى بنُ مَعمرٍ — فيما شُهِرَتْ به أخبارُه ، وحَكَتْه آثارُ فِعلِه — : قايلَ المدارثِ[1] لفقهاءِ قُرْطُبة ؛ لا يَلينُ لهم فيما يُريدون ، ولا يصغى إليهم فيما يُحبُّون . فنفَروا بأجمعهم عنه ، وصاروا كلُّهم إلْباً عليه .

وبلَغ من تحامُلِ يَحيى بنِ مَعْمَرٍ عليهم : أنْ سجَّل بالسَّخطةِ على سبعةَ عشرَ رجلاً منهم ؛ فرموْه كلُّهم عن قَوْسٍ واحدةٍ ، وقالوا فيه بأجمعهم قَوْلَ سَوْءٍ .

حدثنى عثمانُ بن محمدٍ ؛ قال : حدثنى أبو مَروانَ عُبيدُ الله بنُ يَحيى ؛ قال : قال يَحيى بنُ يحيى : لمَّا قام الناسُ على يَحيى بنِ مَعمرٍ قاضى الجماعةِ بقُرْطُبة — أتانى سعيدُ بن حسانٍ ، فقال لى : ما تَرى فى الشهادة عليه ؟ . (قال يحيى) : فقلتُ له : لا تفعل ، وانظرْ أنْ تكونَ مشاوِراً فيه ؛ فيكونَ رأيُك فيه أنفذَ — حينئذٍ — مِنْ شَهادتك .

(قال) : فغَلَبَتْه شَهوتُه فيه إلى أنْ ذهبَ فشهِدَ عليه ؛ ثم أتانى فقال : قَدْ شَهدت عَليْه .

(١) كذا بالأصل .

(قال يحيى) : فلم ألبثْ أنْ أتانى كتابُ الأمير عبدالرحمن بن الحكم (رحمه الله) ، يقولُ فيه : « قد تَصَفَّحتُ الشهاداتِ عَلَى القاضِى يَحيى بنِ مَعْمَرٍ ، فلم أرَ لك فيها شهادةً ؛ وقد وَجَّهتُ إليك الشَّهاداتِ عليه ؛ فتَصَفَّحْها ، واكتُبْ برأيك فيها » .

(قال يحيى) : فكتبتُ إلى الأمير : ماعندى مِن أخبار القاضى علمٌ ؛ لأنه لم يكنْ يُحضِرُنى مَجْلِسَه ، ولا يشاوِرُنى فى أحكامه . وأمَّا الشَّهاداتُ الواقعةُ عليه : فقد تَصفَّحتُها ؛ ولو وَقَعَ مِثلها على مالكٍ واللَّيثِ : مارَفَعا بعدها رأساً .

(قال يحيى) : فأمسَى ابنُ مَعمَرٍ : مَعزُولاً عن القضاء .

قال محمدٌ : قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أحمدُ بن عبد الملك ؛ قال : أخبرنى عثمانُ بن سعيدٍ : (الرجلُ الصالحُ الفاضلُ) ؛ قال :

لمَّا عُزل يَحيى بنُ مَعمَرٍ ، عن القضاء بقُرطُبةَ — : بَعثَ إليه أحدُ الوزراء — وكان من أخَصِّ إخوانِه به — ابناً له : بزَوَامِلَ وأعوانٍ ؛ وقال لابنه : تَذهبُ إلى القاضى (رحمه الله) ، وتسألُه : أنْ يَحملَ على هـــذه الزوامِلِ ثِقْلَتَه ، وما احتاج إليه .

فلمَّا أتاه ابنُ الوزير برسالة أبيه ، وأحضَره الزَّوَامِلَ - قال له القاضى : أدْخُلْ حتى تَرَى ما عندنا : من الثِّقلَةِ .

فدخَل : فإذا بيتِ القاضى لَيْس فيه إلاَّ حصيرٌ ، وخابِيَةٌ بدقيق ، وصَفحةٌ ، وقُلَّةٌ للماء ، وقَدَحٌ ، وسريرٌ : كان يرقُدُ عليه .

فقال له ابنُ الوزير : وأين الثِّقلةُ ؟ فقال : هذه ثِقْلَتِى أجْمَع . ثمَّ قال لِلْغُلَام : فرِّقْ الدَّقيقَ عَلَى مَن بالباب من الضُّعفاء ؛ وامضِ فى بعض القَومةِ : يُقصُوا هذا الحَصيرَ والأوانِيَ . ثم خرج ، وقال : جَزَى الله الوزيرَ أباك خيراً ؛ تقرئُه سلامى ثم تَوجَّه إلى إشْبيلية

قال محمدٌ : ذكر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : فُوجِئَ ابنُ مَعمَرٍ بالصلاة — فى بعضِ الأعيادِ — فأتَى المُصَلَّى : وقد أخَذ أشرافُ الناسِ وخَدَمَةُ السلطانِ ، مواضِعَهم بقُربِ سترةِ الإمامِ . فلمَّا نَظَرَ يَحيى إلى ذلك : أمَر الخدمةَ بتقديمِ السُّترةِ ؛ فبادرَ سَوَادُ الناسِ حتى قَربُوا من الإمام ؛ وصار مَن كان متقدِّماً : خلفَهم مُتأخِّراً ؛ ثم قام فخطبَهم .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : الأسْوَارِ بنِ عُقْبةَ النَّصْرِىِّ . »

٢٩ قال محمدٌ : هو : أبو عُقْبةَ الأسْوَارُ بن عُقبةَ بن حَسَّانَ بن عبد الله النَّصْرِىُّ ؛ كان : من أهل جَيَّان ؛ ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن (رضى الله عنه) ، قضاءَ الجماعةِ بقُرْطُبةَ ؛ فكان : من أهلِ التَّحَرِّى والخيرِ ، والتَّواضُعِ وحُسن السِّيرةِ . كان : يَحملُ خُبزَه إلى الفرنِ بنفسه ، ويتصرَّفُ فى مِهْنةِ أهله .

ولمَّا عزَله الأمير (رحمه الله) : رأى بعد ذلك صَرْفَه إلى القضاء ؛ فأبَى . فكُلِّم : فى ذلك ؛ فقال : لى عيوبٌ كثيرةٌ : كبَرَ ولَدِى ، وضَعُفَ بدَنِى . — وكان له ولدٌ يُسمَّى : حُسيناً . — فقيل لَهُ : أوَ تَجعَلُ كِبَرَ ولَدِك ، عَيباً من عيوبِك؟! قال : مِن أشَدِّ العُيوبِ .

قال أحمدُ بن محمد بن أَيْمَنَ : رأيتُ للأسوارِ بنِ عقبةَ ، حُكماً [خاصًّا[1]] به فى حُدودِ مَقبرةِ الرَّبضِ ، ومُنتَهَى أقطارِها . وشهِدتُ أحمدَ بنَ بَقِىٍّ — وهو عَلَى القضاءِ يومئذٍ — : قد ركِبَ إلى الموضعِ معَ الفقهاءِ — وذلك الحُكمُ معه — : حتى امْتَحَنَ الحُدودَ ، واحْتَمَل عَلَى ما وجَد فى الحكم .

---

(١) بالأصل : حكماً به .

قال محمدٌ : أخبرنى أصْبَغُ بن عيسى الشَّقَّاقُ؛ قال : سمعتُ أحمدَ بن بَقِيٍّ ، يقولُ : دخَل محمدُ بن عيسى الأعْشَى يوماً ، على الأسْوارِ بن عُقبةَ ، فقال له : كيفَ أصْبَحت أبا عُقبةَ ؟ . فأطْرَق أبو عُقبةَ القاضى : عن إجابتِه ؛ ثم شهِد عندَه الأعْشَى — فى ذلك المقامِ — بشهادة ؛ فقال له القاضى : أنتَ رجلٌ يُكثِرُ الهزْلَ ؛ ولستُ أدرِى : إن كانتْ شَهادتُك هذِه : من جِدِّك ، أو هَزْلِك .؟. فوَقذه بهذا الكلامِ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : يَحيى بن مَعْمرٍ ؛ ثانِيَةً[1] . »

قال محمدٌ : قال لى محمد بن عُمَر بن عبد العزيز :

٣٠ كان السَّببُ — : الذى من أجْله صُرِفَ يَحيى بن معمَرٍ ، إلى القضاء ثانيةً . — أنَّ الأميرَ عبدَ الرحمن بن الحكم (رضى الله عنهما) ، خَرَج فى زمان الخَرِيفِ ، على ما كانت الخلفاء تَلتزمُهُ من التَّروُّحِ إلى إشْبِيلِيةَ وساحلِ البحر ؛ فنظَرَ بعضُ خَواصِّ الأمير ، إلى يَحيى بن معمرٍ : وهو فى جنانٍ له : يستقِى الماء بخَطَّارةٍ ويسقِى بَقْل الجِنانِ ؛ فلمَّا رأى ذلك : دخل ذٰلِكَ الرجلُ — : النَّاظرُ إلى يَحيى ابن معمرٍ ، فى تلك الحالِ . — على الأمير ، وأعلَمَه بما رَأى من يَحيى بن معمرٍ . فقال الأمير عندَ ذلك : واللهِ ؛ ما أشُكُّ فى فضْلِ الرجل وورَعه ؛ وإنى لأَظُنُّ الرَّافِعين عليه : متَمالئين بالباطل . وأمر من ساعتِه تلك : بتَوْجيهه إلى قرطبة قاضياً .

فلمَّا قدِم يحيى بن معمرٍ إلى قرطبةَ قاضياً ، أقسَمَ : أن لا يستفتِى يَحيى بن يحيى ، ولا سعيد بن حَسَّانٍ ، ولا زُونان[2] .

---

(١) انظر : ص ٦٩ . (٢) ابن زونان . انظر تاريخ قضاة الأندلس ٦٠ .

فَبَقِيتْ الأحكامُ مُعلَّقةً إلى مَقدَم الأميرِ عبد الرحمن (رحمه الله) من وِجهته ؛ و بلَغَ الخبرُ إليه ، فأوْصَى إليه : بإنكارِ ذلك .

فقال يَحيى : قد أقسمتُ على ذلك ؛ و بالْبِيرَةَ رجلٌ ـ : من أهل العلمِ والتَّقدُّم ـ يُستَغْنَى به عنهم . يعنى عبدَالملكِ بنَ حَبيبٍ .

فأُمِر : باسْتِقْدامِه ؛ فكان : المُنفرِدَ بفتْياهُ .

وحَكَى محمدُ بن عبدالملكِ بن أَيْمَنَ ، عن عمِّه ـ : وكان خاصًّا بابنِ معمَرٍ . ـ قال: كنتُ عندَ ابنِ معمَرٍ القاضى يوماً ، فى بَيتِه — : فى دَوْلَتِه الثَّانية . — فاسْتأذَنَ عليه عبدُ الملك : فأذِن له ؛ فلمَّا أخَذ مَجلِسَه ، قال . قَضيَّةُ فُلانٍ أحَبُّ إلىَّ : أنْ يُنفَّذَ الحكمُ فيها بما أشَرْتُ عليك : فإنه الحقُّ إن شاء الله . — : وكان ابنُ مَعمَرٍ يُريدُ : أنْ يَحكُمَ فى ذلك بقولِ ابنِ القاسمِ ؛ وكان عبدُ الملكِ يُريدُ : أنْ يُحكَمَ فيها بقول أشْهَبَ . — فقال له يَحيَ بنُ مَعمَرٍ : لا واللهِ ؛ لا أفعلُ ، ولا أخالِفُ ما وجَدتُ عليه أهلَ البلَدِ ؛ و إنَّما وجَدتُهم : يَحتَملون عَلَى قولِ ابنِ القاسم ؛ وتُريدُ أنتَ : أنْ تَصْرِفَنى إلى قولِ أشْهَبَ ثم ضرَب له مَثلاً يقولُه العامَّةُ : « سنة عفص ، وسنة بلوط » .

قال : فما زال التَّراجُعُ بيْنَهما : بالكلام ؛ حتى قام ابنُ حَبيبٍ عنه مُغْضَباً .

قال محمدُ بن أَيْمَنَ : قال لى عمِّى : فعذلْتُه ، وقلت له : هذا الرجلُ أثْبَتَه عَلَى أعدائك ، كأنى أُراه : قَدْ صَار فى عَدَدِهم ؛ ثم يَعزِلونك ثانيةً .

فقال لى : بالعزلِ تُخَوِّفُنى ؟ ! واللهِ : ليْتَ بَغلَتِى قد عُجِرَتْ بى فى سَهْلة المدورِ : مُنْصَرِفاً إلى إشْبيلية .

فكان يقولُ : فما أنْسَى قوله : قد عُجِرَتْ بى .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أحمدُ بن عبد الملكِ ؛ قال : أخبرنى عُثمانُ بن سعيدٍ الزاهدُ ؛ قال :

لمّا احْتُضِرَ يَحيى بنُ مَعمَرٍ بإشْبِلِيَةَ ، وأيْقَنَ بالموتِ — : قال لمَوْلًى له كان قد صحبه — : من أهل الخير . — : حَرجْتُ عليك باللهِ العظيمِ : ألا إذا متُّ فاذهَبْ إلى قُرطُبَةَ ، ثم قِفْ بيَحيَى بنِ يَحيى وقل له : يقولُ لكَ يَحيى بنُ مَعْمَرٍ : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ٢٦ — ٢٢٧) .

قال : فلمّا ماتَ يَحيى بنُ مَعمَرٍ ، أتَى مَوْلاه إلى يَحيى ، فَبلَّغه ذلك . (قال) : فبكى يَحيى حتى اخْضَلَّ لِحيتُه ؛ ثم قال : إنَّا للهِ وإنَّا إليه رَاجِعُونَ ؛ ما أظُنّ الرجلَ إلا : خُدِعْنا فيه ووشِيَ بيْننا وبيْنَه . ثم تَرَحَّم عليه ، واسْتغفَرَ له .

قال محمدٌ : وهذه الحكايةُ — التى حكاها عثمان بن سعيدٍ — تَدُلُّ : عَلَى أن يَحيَى بنَ مَعمرٍ عُزِل مرةً ثانيةً ، ولم يَمُتْ قاضياً وله حكايةٌ ثانيةٌ — لم نسندها — تَدُلُّ على أن يحيى بن معمرٍ مات قاضياً ؛ سنذكُرُها : فى افْتتاحِ أخبارِ القاضى إبراهيمَ بنِ العبَّاسِ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : إبراهيمَ بنِ العبَّاسِ القُرَيْشِيِّ (١) . »

٣١ قال محمدٌ : إبراهيمُ بن العبَّاس بن عيسى بن الوَليد بن عبدالملِك بن مَرْوانَ رحمه الله .

قال محمدٌ : قال خالِدُ بن سَعدٍ : لمَّا تُوُفِّىَ يَحيى بنُ مَعمرٍ القاضى : بَقِىَ الناسُ بلا قاضٍ نحوَ ستةِ أشهرٍ ؛ فجَعَل الناسُ يَتَصَدَّوْنَ للوزراء — إذا رَكِبُوا — : يسألونهم أنْ يَنْهَوُا إلى الأميرِ (رحمه الله) ذلك ؛ ففُعِلَ . فعَرَض الأميرُ (رحمه الله) حينئذٍ ، القضاءَ عَلَى يَحيى بنِ يَحيى ؛ فأبَى من قَبولِه .

وقد ذَكَرت الرِّواياتِ فى ذلك ، وشَرَحتُ خبرَ يَحيى شَرْحاً حَسناً ، فى صَدَر

---

(١) فى تاريخ قضاة الاندلس : القرشى . انظر : ص ١٥

الكتاب : فى باب مَنْ عُرِض عليه القضاء — : من علماء قُرْطُبَةَ . — فأبى من قَبولِه[1] .

قال محمدٌ : كان إبراهيمُ بن العبَّاس : محموداً فى قَضَائه ، عادِلاً فى حُكمِه ، متواضعاً فى أمورِه ؛ غيرَ مُتصَنِّعٍ ولا مُتهيِّبٍ .

أخبرنى فرجُ بن سَلَمةَ بن زُهيْرٍ البلوىُّ ؛ قال : قال محمد بن عُمَر بن لُبابةَ :

كان إبراهيم بن العبَّاس : رُبَّما جلَس يَقضِى فى بيتِه ، بينَ الناس : وخادِمه تَنْسِج فى ناحِيةِ البيتِ .

أخبرنى مَنْ أثِقُ به — : من أصحابنا . — عن أحمدَ بن زِيَادٍ ، عن محمدِ ابن وَضَّاحٍ ؛ قال :

لمَّا أبَى يَحيى بنُ يَحيى من قبول القضاء ، أشار بإبراهيمَ بنِ العبَّاس : أنْ يُستقْضَى ، وأنْ يكونَ كاتبَه زونانُ . فقبلَ منه الأمير رأيَه : فى ذلك ؛ ووَلَّى إبراهيمَ ابن العباس القضاءَ .

فشَهد عنده يوماً يحيى بن يحيى : فى الماء الذى كان « بفرن بريل »[2] : الذى قام فيه بنو العباس وابنِ عيسى فلما خرج : تَنَاوَلَه بعضُ الخُصومِ ؛ فانصَرَف يحيى إلى القاضى ، فقال : إن هذا تَنَاوَلنِى ؛ فأدِّبْه . فقال : وما أدَبُه ؟ قال : أبعَثْ به إلى السِّجنِ . فبَعَث به القاضى إلى السِّجْنِ . ثم خَرَج يحيى بن يحيى إلى باب الصَّوْمعةِ ، فرَكِب دابَّتَه ، ومَضَى نحوَ السَّويقةِ وانصَرَف ، فدخَل علَى القاضى ، فقال له : تَأمر بإطلاق الذى حَبَسْتَ : فى الذى كان منك أدَبُه .

وكانتْ ولايته هذه الأولى سنةَ أربعَ عشرةَ أو خمسَ عشرةَ ومِائتين ؛ ثم

(١) انظر : ص ١٥ . (٢) هكذا : بالأصل .

عزل وولّىَ غيرهُ . فلما كانت سنة ثلاثٍ وعشرينَ ، علَى أثر سعيدِ بن سليمانَ : ولِّىَ القضاء أيضاً .

قال محمدٌ : قوله : « على أثرِ سعيد بن سليمان » يخيل إلىَّ أنه غلطٌ : لأن سعيدَ بن سليمانَ إنَّما ولِّىَ بعد محمدِ بن زيادٍ ، وبعدَ موتِ يحيى بن يحيى . وذلك كلُّه بعد سنةِ أربعٍ وثلاثين ومائتين . ولم أرَ فى شىءٍ — من الرِّواياتِ . — أن سعيدَ بن سليمانَ ولِّىَ ولايتين حاشَى ما ذكر لى أحمدُ بن عُبادةَ الرُّعَيْنِىُّ ؛ فإنه قال لى : عُزل سعيد بن سليمانَ ساعةً من نهارٍ ، ثم اُستُدْرِك الأمير عبد الرحمن (رحمه الله) رأيُه ، وأمر : بإثباته .

فلما طُلِب — : ليعلم عن الأمير : بالتمادِى على القضاء . — أُلْفِىَ قدارتحل إلى إلى بلَدِه فأُعلمَ بذلك الأمير ، فقال : إن هذا رجلٌ صالحٌ . وازداد به غِبْطَةً : وأمر : أن يدرك ، ويصرَفَ إلى قضائه . فأُدْرِك ، ورُدَّ — كما كان — قاضياً .

قال محمدٌ : فإن كان إبراهيمُ بن العبَّاس ، ولِّىَ القضاء سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ ومائتين — فيمكنُ أنْ يكونَ بعدَ بعضِ القُضاةِ : غيرَ سعيد بن سليمانَ .

قال محمد بن وَضَّاحٍ : وفى ولايةِ إبراهيمَ بن العبَّاس الثانية ، رُفِعَ إلى الأميرِ (رحمهُ الله) : أنَّ القاضِىَ ليس يَقبَل من أهلِ قُرطُبةَ ، إلاَّ مَن أشار يحيى بقبوله ؛ وإنما يعملون هذا الأمر لهذا القُرشى القاضى .

فبعثَ الأمير عبد الرحمن : فى عبدِ الملك بن حَبيب ؛ فقال له : قد تَعلمُ يدِى عندَك ؛ وإنى أُريدُ : أنْ أسألَك عن شىءٍ ؛ فاصْدقْنِى فيه[1] .

فقال : نعم ، لاتسألنى عن شىءٍ إلا صَدَقتكَ .

فقال : إنه رُفع إلينا عن يحيى بن يحيى وعن القاضى : أنهم يعملون علينا فى هذا الأمر ؟ .

---

(١) انظر : تاريخ قضاة قرطبة ص ١٥ .

فقال عبدُ الملك . قد علم الأميرُ ما بيني و بيْنَ يَحيَى بنِ يَحيَى ؛ ولكني لا أقولُ إلا الحقَّ : ليس يجيءُ من عند يَحيَى بن يَحيَى إلاَّ ما يَجيءُ منى ؛ وكلُّ ما رُفِعَ عليه إليك : فباطلٌ . وأمَّا القاضى : فلا يَنْبَغِى للأمير أنْ يَشْرَكَه فى عدله ، مَنْ يَشرَكُه فى نَسَبِه .

فعزَلَه الأميرُ — حينئذٍ — عن القضاء .

قال محمدٌ : وأخبرنى بعضُ العلماء ؛ قال :

قدِم موسى بنُ حُدَيْرٍ من الحج ؛ فعَرَض عليه الأميرُ عبدُ الرحمن (رحمه الله) وِلاَيَةَ الخِـزَانَةِ ؛ فأبَى مِن قَبولِهَا ، وذهَب إلى الانقِباضِ عن الخِـدْمةِ ؛ فعافاه الأميرُ .

فلم يَلبَثْ موسى بنُ حُدَيرٍ إلا يسيراً : حتى اسْتَعْدَتْ عليه امرأةٌ — : من جِيرانِهِ . — عندَ القاضى : إبراهيمَ بنِ العباسِ ؛ وذكرتْ : أنه ظَلَمَها[1] فى دارٍ لها تُلاصِقُه .

فأرسَلَ فيه إبراهيمُ بنُ العباسِ ، فأحْضَرَهُ ، فقالَ لَهُ : إنَّ هٰذه المرأةَ تقُولُ كَذَا وكَذَا ؛ وتدَّعِى عَلَيْكَ بِكَذَا وكَذا . فما تقولُ ؟ .

فقَالَ له مُوسَى : أوَ كُلُّ مَنْ يُخَاصِمُها .

فقال له : تُقِرُّ أوْ تُنْكِرُ ؛ ثم توَكَّلُ بعد ذلك : مَنْ شِئتَ على الخصومةِ .

فقال له : أوَ كُلُّ مَنْ يقُرُّ عَنى أو يُنْكِرُ .

فأبَى إبراهيمُ : أنْ يَقْبَلَ ذلك منه ، واضطرَّهُ إلى أنْ يجيبَ المرأةَ فى دَعْوَاها : مُقِرًّا أو مُنْكِرًا .

فلمَّا لم يَجِدْ من ذلك بُدًّا ، قَالَ لَهُ : جميعُ ما تدَّعِيهِ حقٌّ ؛ وهى الْمُصَدَّقَةُ .

---

(١) بالأصل : طلبها .

ثم انصرف عنه : وقد اعتقد له ضغناً عظيما ، وأضمر له حقداً شديداً .

ثم وضع يده ، فكتب إلى الأمير : يسأله ولاية الخزانة ؛ ويذكر : أنه تعقب أمرها ، فاستسهله : من أجل أنها أمانة يعطى الأموال كما يأخذها .

فأسعفه الأمير عبد الرحمن (رحمه الله) بذلك ، وولاه الخزانة . فكان خازناً نحو الشهر .

ثم كتب إلى الأمير : يستأذنه للدخول عليه ؛ فأدخله على نفسه ، ثم قال له : أمر لا قرار عليه ، صح عندى — : أن القاضى إبراهيم بن العباس ، فى مجلس قضائه ، يخاطب بأن يقال له : يا ابن الخلائف . فعزله عبد الرحمن بذلك .

قال محمد : وسمعت الأمير ولى عهد المسلمين الحكم (أبقاه الله) يقول : سمعت الحاجب : موسى بن محمد بن حدير ؛ يقول : إن موسى بن حدير دس امرأة من مواليه ؛ فوقفت للقاضى على طريقه ، ثم قالت له : يا ابن الخلائف . فكان ذلك سبباً لعزل إبراهيم .

قال أحمد بن محمد بن أيمن : أخبرنى أبى : أن عباساً القريشى (جد بنى العباس) ، شكاه إلى الأمير فى قصة دارت . فقال له : اذهب إليه ، فإن أذن لك مخلياً فقد عزلته .

فلما توجه عباس استأذن عليه ؛ فلم يأذن له ؛ وأوصى إليه : إن كانت لك حاجة : فاقعد فى المسجد حتى أخرج إلى العامة ؛ فيسعك ما يسعهم .

فاتصل ذلك بالأمير : فازداد بذلك — عنده — : رفعة ودرجة .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : يُخامِر بنِ عُثْمانَ الشَّعْبانِيِّ . »

٣٢ قال محمدٌ : هو يُخامِرُ بنُ عُـثمانَ بنِ حسَّانِ بنُ يُخامِرِ بنِ عبيدِ بن أقنانَ ابنِ وَدَاعَةَ بنِ عمرٍو . وَلِّىَ القضاءَ سنةَ عشرينَ ومائتَيْنِ .

وهو : أخو مُعاذِ بنِ عُـثمانَ . ومعاذٌ هذا : والدُ سَـعدِ بنِ مُعاذٍ الفقيهِ . وكانا : من أهل جيَّان ، من قَلعةِ الأشْعَثِ . وكان انتِسابُهما فى العـرب : إلى جِذام[1] ؛ فيما أحْسِبُ . وكانوا — فيما قيل لى — : من جَنَدِ قِنَّسْرِين .

وُلِّىَ يُخامِرُ القضاءَ ، فعامَلَ الناسَ بخُلُقٍ صَعْبٍ ، ومَذْهَبٍ وَعْرٍ ، وصَلابةٍ : جاوَزَتْ المِقْدارَ . فلم تَحْتَمِلْ العامَّـةُ له ذلك : فتَسَلَّطَتْ عليـه الألْسُنُ ، وكَثُرَتْ فيه المَقالَةُ ؛ وانْبَرَى له رجلٌ : من شُعراء قُرْطُبَةَ فى ذلِكَ الزمانِ ؛ وهو المعرُوف : بالغزالِ . فكان يَهجُوه ، ويَصِفُه : بالبَلَهِ والجهلِ .

ومِن بعضِ ما ذكرهُ فيه ، قولُه فى شِعْرٍ له :

فَسُبْحانَ : مَنْ أعْطاكَ بَطْشًا وَقُوَّةً ؛ وسُبْحانَ : مَنْ وَلَّى القَضاءَ (يُخامِرا)

قال محمدٌ : قال لى وَلِيُّ العَهْدِ (أبقاه الله) يوماً — : وقد ذَكَرَ القُضاةَ وأخبارهم . — : حدثنى محمدُ بن أبى عيسى ؛ قال :

طَرَحَ ابنُ الشَّمرِ بيْنَ سَجِيَّاتِ يُخامِرِ بنِ عُـثمانَ الشَّعْبانىّ ، سَحَاءةً فيها مكتوبٌ : يونُسُ بن مَتى ، والمسيحُ بنُ مَرْيَمَ . فخَرجَتْ السَّحَاءةُ إلى يُخامِرٍ ، فأمَرَ : أنْ يُدْعَى بهما . فهَتَفَ الهاتفُ يُونُسُ بن مَتى ، والمسيحُ بنُ مَرْيَمَ . فصاحَ ابنُ الشَّمرِ : نُزولُهما من أشْراطِ الساعةِ ؛ ثم أخَذَ سَحَاءةً ، فكَتَبَ فيها :

يُخامِرُ : ما تَنفَكُّ تَأتى بفَضْحَةٍ : دعَوْتَ ابْنَ مَتّى ، والمسيحَ بْنَ مَرْيَمَا
بما قالَ حِيناً ؛ ثم نادَاكَ صائحٌ : فإنَّهما بَقْىٌ عَلَى الأرض ؛ فاعْلَمَا
قَفَاكَ : قَفَا ضَرْبٍ[2] ووَجْهُكَ مظلِمٌ ؛ وعَقْلُكَ : مَا يَسْوَى مِنَ البَعْرِ دِرْهَمَا

(١) بالأصل : « جدام » . (٢) بالأصل : قفاك قفا خرباً ، ووجهك مظلماً

فَلاَعِشْتَ مَوْدُوداً؛ ولاعِشْتَ سَالِمًا ؛ ولا مِتَّ : مَعْفُوًّا[1] ؛ ولا مِتَّ مُسْلِمًا

قال محمدٌ : وتألَّبَ الناسُ ، ورَفَعُوا إلى الأميرِ (رحمه الله) : يَشْكُون يُخامِرًا القاضيَ . فلمَّا كَثُرَ ذٰلك عَلَى الأميرِ عبدِ الرحمن (رحمه الله) ، أمَرَ الوزراءَ : بسَماعِ الشَّهادةِ ، والنظرِ فى أمْرِ يُخَامِرٍ :

فذُكِرَتْ عنه أشياء : مَدَارُها عَلَى قِلَّةِ المُدَاراةِ ، وتَرْكِ حُسن المُعاملةِ .

وكان حِينئذٍ بالمدينةِ ، شيخٌ أعْجَمِيُّ اللسانِ يُسمَّى : ينيرَ ؛ وكان مُقدَّمًا عندَ القُضاةِ ، مَقْبُولَ الشهادةِ ، مَشْهُوراً فى العامَّة : بالخيرِ وحُسْنِ المَذهَبِ . فأرسَل فيه الوزراء . وسألُوه عن القاضى ؛ فقال بالعجمية : ما أعْرِفُه ، إلاَّ أنِّى سمِعتُ الناسَ ، يقولون : إنه إنسانُ سُوءٍ . وصَغَّرَه باللفظِ العَجَمِيِّ .

فلمَّا رُفِعَ قولُه إلى الأميرِ (رحمه الله) ، عَجِبَ من لَفْظِهِ ، وقال : ما أخْرَجَ مِثلَ هٰذِهِ الكلمةِ ، من هٰذَا الرجلِ الصالحِ ، إلاَّ الصـــدْقُ . فعزَلَه عن القضاءِ حينئذٍ .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أيْمَنَ :

فلمَّا أتَى الفَتَى إلى يُخَامِرٍ : بعَزْلتِه ؛ من عندِ الأميرِ (رحمه الله) — : قال له يُخامِرٌ عَلَى رؤوسِ الناسِ : قلْ للأميرِ (أصلحه الله) : إذ وَلَّيْتَنِي أمْرَتَنِي : أنْ أتَحفَّظَ من السِّلْسِلةِ السُّوء ؛ واليومَ تعزِلُنى ببَغْيِها علىّ ؟!

فلمَّا بَلَّغ الفتَى قولَه إلى الأميرِ ، قال : قَبَحـــه اللهُ ؛ ذَكَرَ أسْرَارَنا على رُؤوسِ الناسِ .

* * *

(١) بالأصل : مقفواً . والظاهر أنه مصحف عما ذكرنا .

« ذِكْرُ القاضى : علىِّ بنِ أبى بَكرٍ الكلابِىِّ . »

قال محمدٌ : ولمَّا عَزَل الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الحَكَم (رضى الله عنهما) يحامِراً ،
٣٣ عن القضاء — : وَلَّى بعدَه رجلاً : من أهلِ قَبْرَةَ ؛ يُسمَّى : علىَّ بن أبى بَكْرِ ابنِ عُبَيْد بن علىٍّ الكِلاَبِىَّ ؛ وكان لَقَبُه : يُوَانِسَ . ولا أحفظُ له خبَراً أكثرَ مِن ذِكْرِه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُعَاذِ بنِ عثمانَ الشَّعبانِىِّ[1] . »

قال محمدٌ : ثم وَلَّى الأميرُ عبدُ الرحمن بن الحَكَم (رضى الله عنهما) قضاءَ
٣٤ الجماعةِ ، مُعاذَ بن عثمانَ الشَّعبانِىَّ ؛ وكان : من أهلِ جَيَّان ؛ [ومكثَ] قاضياً : سبعةَ عشرَ شهراً ؛ ثم عزَله مِن بعدُ .

ورأيتُ فى بعضِ الحِكاياتِ : أنه إنَّما عزَله : لأنه حُفِظَتْ عليه — فى تلك المُدَّةِ — سبعونَ قَضيَّةً قَضَى بها فاسْتُكْثِرَتْ منه .

قال محمدٌ : وهى — فيما أُرَى — حكايةٌ مَدْخولةٌ : لأنه لا يُنكَرُ تَنْفيذ الأقْضِيَةِ وكَثْرَتُها : مع حُضورِ الحقِّ ، وانْكِشافِ الصِّدقِ .

قال محمدٌ : فَكرْتُ فى مَخرَجِ هذه الحكايةِ : فاسْتَرَبْتُها ؛ وذلك : أن صاحِبَها — الذى حكاها وكتَب بها إلى وَلِىِّ العهدِ أبقاه الله — هو : فلانُ ابن فلانٍ حكاها عن أبيه ؛ وأُراه صادقاً على أبيه . ولا تَخلو هذه الحكايةُ : من

---

[1] انظر : تاريخ قضاة الأندلس : ص ٥٥ .

أنْ تكونَ صحيحةً على أهلِ هذا الزمانِ الذى كان فيه مُعاذٌ قاضياً ؛ أو : تكونَ غيرَ صحيحةٍ .

فإن كانتْ صحيحةً : فإنما طَمَسَ نورَ هـذه الفضيلةِ ، وجَحَدَ حقَّها ؛ أهلُ التَّفقهِ : من أهلِ ذلك الزمان : ولا سيَّما الذين كانوا يشاورون — : من تعجيلِ الأحكامِ ، وسُرعةِ التَّنفيذِ . — : ممَّا يُقرِّبُهم من أهلِ الخُصومات ؛ [ويحققِ لهم[1]] ما يُحبُّونَ ؛ وكُلَّما طالتْ الخصوماتُ كان أنفعَ لهم . وأهلُ العلمِ بهم : يَعلَمون ما أقولُ .

وإن كانتْ غيرَ صحيحةٍ : فهى من تَشنيعِ فلان لتَثْبيط[2] القضاةِ عن سُرعةِ التنفيذ ؛ للذى أرَاغَه وكَنَاه[3] : من المعنى الذى ذكرناه آنفاً . (فاعتَبِرُوا[4] يا أُولى الأبْصَارِ ٥٩ — ٢) .

وكان مُعاذٌ — فيما سمعتُ — : حَسنَ السِّيرةِ ، لَيِّنَ العَرِيكةِ ؛ خالَقَ الناسَ : بغيرِ خُلُقِ أبيه ، وأحْسَنَ التَّخَلُّصَ منهم .

وسمعتُ مَن يحكى : أنه كانتْ مَعه صِحةٌ وسَلامةُ قلبٍ ؛ فكان لا يَظُنُّ بأحد شرًّا . وكان : قد وَلَّى أحْباسَه بقُرطُبةَ ، رجلاً : ظَنَّ به خيراً ؛ فخالَفَ ظنَّه فيه . فقال فى ذلك الغزالُ :

يقولُ لىَ القاضِى مُعَـــاذٌ ، مُشاوِراً ... وَوَلَّى أمْرَهُ — فيما يُرَى — مِن ذَوِى الفَضْلِ :
فَدَيْتُكَ ؛ مَاذَا تَحسَبُ المَرْءَ صانِعاً ؟ ... فقلتُ : ومَاذَا يَصْنَعُ الدُّبُّ بالنَّحْلِ ؟
يَدُقُّ خَـــلاَيَاهَا ، ويَأكُلُ شَهْدَهَا ؛ ... ويَتْرُكُ للذِّبَّانِ ما كانَ : مِن فَضْـلِ

قال محمدٌ : كان معاذٌ قاضياً بقُرطُبةَ : سنةَ اثنتَيْن وثلاثين ومائتَيْن ؛ وفى هذا التاريخِ : كان على سُوقِ قُرطُبةَ إبراهيمُ بن حسينِ بنِ خالدٍ ؛ وفيـه : فَسَخَ

---

(٢) بالأصل : الخصومات ما يحبون . (٢) بالأصل : لتثبت .
(٣) أى : طلبه وأراده . (٤) بالأصل : فاعتروا .

مُعاذُ بن عثمانَ . حُكْمَ إبراهيمَ عن بَنى قُتَيْبَةَ : فى الحَوانيتِ التى هَدَمها عليهم إبراهيمُ . وكان إبراهيمُ بن حسينِ بن خالدٍ : صاحبَ نَظَرٍ ؛ فخالفَ فُقهاءَ زمانِه : يَحيى ، وعبدَ الملكِ ، وزُرُونان . فتَظاهَرُوا عليه ، وأبانُوا خَطَأَه ؛ وجازَ قولُهم عليه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُحمدِ بنِ زِيادٍ اللَّخمِىِّ[1] . »

قال محمدٌ : ثم وَلَّى الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الحكمَ (رحمه الله) قضاءَ الجماعةِ ،
٣٥ محمدَ بن زيادِ بنِ عبد الرحمن بن زُهَيْر بن ناشِرَةَ بن لُوذانَ بنِ حيس بن حاطِب ابن حارِثةَ بن راشِدَة بن زيد بن حارِثة بن جَديلةَ بن لَخمِ بن عَدِىٍّ .

قال محمدٌ : ومحمدُ بن زيادٍ ، هو : والدُ القاضى : الحبيبِ بن زيادٍ ؛ فكان : حَسَنَ السِّيرةِ ، مَحْمُودَ الولايةِ ؛ وكان : من أهلِ الفَضلِ والخَيرِ ؛ وكان : قد سَمِعَ من مُعاويةَ بنِ صالحٍ الحَضْرَمِىِّ ، سَماعاً كثيراً .

قال محمدٌ : وقال لى محمدُ بن عبد الله بنِ أبى عيسى :

لمَّا احْتُضِرَ يَحيى بنُ يَحيى : أسْنَدَ وَصِيَّتَه — فى أداءِ دَيْنٍ ، وبَيْعِ مالٍ — إلى محمدِ بن زيادٍ ؛ وكان القاضى يومَئذٍ ؛ فكان وصِيَّه فى ذلك الوقتِ .

قال محمدٌ : أخبرَنى بعضُ رُوَاةِ الأخبارِ ؛ قال :

لمَّا وُضِعَتْ جَنازَةُ يَحيى بنِ يَحيى ، قال عُبَيْدُ الله بنُ يَحيى — وهو يومئذ : ابنُ سبعَ عشْرةَ سنةً — للقاضى محمد بن زياد : تَقَدَّمْ . فتَقدَّمَ محمدُ بن زيادٍ ، وتقدَّمَ إسحاقُ بن يَحيى للصلاةِ على أبيه : فكَبَّرَ محمدُ بن زيادٍ ، وكَبَّرَ إسحاقُ : حتى بَلغُوا إلى السَّلام ؛ فسَلَّمَ محمدُ بن زيادٍ ، وسَلَّمَ إسحاقُ بنُ يَحيى . هكذا

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٥ — ٥٦ . وجذوة المقتبس : ص٥٢ : ر٥٥ .

كانتْ الصلاةُ عَلَى يَحيَ بنِ يَحيَ . فلمَّا أُنْقَضَتْ الصلاةُ : نَظَرَ محمدُ بن زيادٍ ، إلى إسحاقَ بنِ يَحيَ ، ثم قال له : ومَنْ قَدَّمك عَلَيَّ مهذا ؟ ! فقال له إسحاق : ومَنْ قَدَّمك أنتَ عَلَى أبِي ؟ ! فقال له : حكمُ الصلاةِ عليه : إليَّ دُونك ؛ ومَعَ هذا : فإنَّ أخاكَ قَدَّمَنى ؛ وهو : أرشَدُ منك ؛ أما واللهِ : لَوْلاَ حِفْظُ هذا الميِّتِ ، لَفَعلْتُ بك وفَعلْتُ . قيل : فكان ثَناه محمدِ بن زيادٍ ، عَلَى عُبيدِ اللهِ بنِ يَحيَى — ذلك اليومَ — أوَّلَ سُؤْدُدِ عُبيدِ اللهِ ؛ ثم كان له : على إكرامٍ ومَبَرَّةٍ .

قال محمدٌ : حَكَيْتُ هذه القصةَ لمحمدِ بن عبد اللهِ بن أبي عيسى ؛ فلم يَعرِفْها وقال : كان عُبَيدُ اللهِ : من أشَدِّ الناسِ إعْظاماً لأخيه إسحاقَ ؛ وكان : يَأخُذُ برِكابِه إذا أرادَ أنْ يَركَبَ ؛ فما أدرِى : إن كان فَعَل مثلَ هذا فى أبيه ؟ ! .

قال محمدٌ : ذَكَر أحمدُ بن زيادٍ ، عن ابنِ وَضَّاحٍ ؛ قال :

شهِد شاهدٌ عندَ محمدِ بن زيادٍ بشهادةٍ ، فقال غُرابٌ لمحمد بن زيادٍ : ومَنْ شهِدَ عَلَيَّ ؟ لو كان الشاهدُ مثلَ اللَّيثِ بنِ سعدٍ[1] . فقال له محمدُ بن زيادٍ : وما ذِكْرُ الليثِ بن سعدٍ هاهنا ؟ . ! فأمَرَ به — وذلك فى المسجدِ ؛ وهو وَالِى الشُّرْطَةِ — : فقُنِعَ أسْواطاً . قال : فكان ذلك — : من فِعلِه . — صَواباً .

قال ابنُ وَضَّاحٍ : وابنُ القاسم يَرَى : أنْ يُعَزِّرَ السلطانُ الرجلَ فى المسجدِ بالسوط . وسَحْنُونُ يأبَى ذلك .

(قال) : ولمَّا وُلِّىَ سُحنُونُ بن سعيدٍ القضاءَ : حَمَل الضربَ على الذى لا يُريدُ غُرمَ ما عليه — : وهو مَلِىٌّ . — بعدَ أنْ حَبَسه . فقيل له : مِن أيْنَ أخذتَ الضربَ و إنما كنَّا نَحبِسُ حتى يَغْرِمَ ؟ . قال : من حديثِ النبىِّ (صلى الله عليه وسلم) فى قوله : « مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ » ؛ فإذا كان ظالماً — كما سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم — : أدَّبْتُه على ظُلمِه .

---

(١) أى : لقبلت شهادته ، فالجواب حذف للعلم به .

قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : وقَعَتْ شهاداتٌ على بعضِ آلِ السلطانِ ، عند القاضى محمدِ بن زِيادٍ ؛ فأرسَلَ القاضى إلى المشهود عليه ، رجلَيْن يقولان له : إن فُلاناً وفُلاناً شهِدا عليك بكذا وكذا ؛ فإن كان عندَك مَدْفَعٌ : فهاته . ولم يُمكِّنْه من نسخةِ الكتابِ .

فكتَبَ بذلك المشهودُ عليه ، إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ فأوْصَى الأميرُ إلى القاضى : فى ذلك . فقال محمدُ بن زياد : إنى خِفتُ : أنْ يَفرِضَها على الزَّيغ والفُجُورِ ؛ فيَعمَلَ له الحُجَجَ : حتى تَبطلَ الشهاداتُ ؛ وقد عرفتُه بهذا ظاهراً .

قال محمدٌ : ذكر لى بعضُ أهلِ العلم ؛ قال : كان محمدُ بن زياد يوماً ، يَمشى معَ محمد بن عيسى الأعْشَى : حتى لَقِيَا رجلاً يَتمادَى سُكراً ؛ فأمرَ القاضى محمدُ بن زياد بأخذِه — : ليقيمَ عليه الحدَّ . — فأخَذَه أعوانُه . ثم مشَى قليلاً ، فأتى إلى موضعٍ ضَيِّقٍ : فتقَدَّمَ القاضى ، وتأخَّرَ الأعشَى ؛ ففى تأخرِه عن القاضى : ألْتفَتَ إلى الذى كان يُمسِكُ السكرانَ ، فقال : يقولُ لك القاضى : أطْلِقْه . فأطْلَقَه . ثم افترقا جميعاً ، ونزل القاضى ، ودعا بالسكران ؛ فقيل له : أمَرَنا عنك أبو عبد الله الفقيهُ : أنْ نطلقه . فقال : وفعل ؟ قال له : نعم . قال : أحسن .

قال محمدٌ : وما أتَى عن القُضاةِ فى هذا المعنى خاصَّةً — : من الإغْضاءِ عن السَّكارَى ، والتَّغافُلِ لهم ، والرِّقَّةِ عليهم . — : فلا أعرِفُ لذلك وَجْهاً : من الوُجُوه — : يَتَّسِعُ لهم فيه القَوْلُ ، ويقومُ لهم به العُذرُ . — إلاَّ وَجْهاً واحداً ؛ وهو : أن حَدَّ السُّكْرِ — مِن بيْنِ الحُدودِ كلها — لم يَنُصَّه الكتابُ المُنْزَلُ ، ولا أتَى فيه حَديثٌ ثابتٌ عن الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) . وإنما ثَبَتَ : أن النبىَّ (صلى الله عليه وسلم) أُتِىَ برجلٍ قد شَرِبَ ؛ فأمَرَ أصحابَهُ : أن يَضربوه عَلَى مَعصيتِهِ ؛ فضُرِبَ بالنِّعالِ ، وبأطْرَافِ الأرْدِيَةِ . ومات النبىُّ (صلى الله عليه وسلم) : ولم يَحُدَّ فى ضَرْبِ السكرانِ ، حَدًّا : يَلْحَقُ بسائرِ الحدودِ . فلما نَظَرَ أبو بكرٍ

(رضى الله عنه) فى ذلك بعدَ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، واستشار أصحابَهُ — : قال له علىُّ بن أبى طالبٍ (رضى الله عنه) : « مَن شرب : سَكِرَ ؛ ومَن سَكِرَ هَذَى ؛ ومن هَذَى افْتَرَى ؛ ومَن افْتَرَى : وَجَبَ عليه الحدُّ ؛ أرى : أن يُضرَبَ الشاربُ ثمانين . » . فقَبِلَ ذلك منه الصحابةُ فذكرَ أهلُ الحديثِ : أن أبا بكرٍ — عندَ موته — قال : « ما شىءٌ — فى نفسه منه شىءٌ . — غيرُ حدِّ الخمرِ : فإنه شىءٌ لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ وإنما هو شىءٌ : رأيناه من بعدِه . » .

قال محمدٌ : كان السببُ فى عزْلةِ محمدِ بن زيادٍ عن القضاء ، ما كان : من أمْرِ ابن أخى عجبَ ؛ وذلك : أنه شهدَ عليه بلفظٍ : نطق به مُتعَبِّثاً فى يومِ غيثٍ ؛ فأمَر الأميرُ عبد الرحمن (رحمه الله) بحبسه ؛ فأبْرَمَتْه عجبُ فى إطلاقه — : وكانت مُدِلَّةً عليه ؛ لمكانها من أبيه : — فقال لها : نَكشفُ أهلَ العلم عما يجب عليه فى لفظه ؛ ثم : يكون الفصلُ فى أمرِه .

فأمَرَ الأميرُ (رحمه الله) محمدَ بن السَّليمِ — وهو يومئذٍ : وَالِى المدينةِ . — أن يُحضرَ القاضىَ محمدَ بن زيادٍ وفقهاءَ البلدِ ؛ فجَمَعَهُمْ فى مجلس النشمة . فحضر حينئذٍ عبدُ الملك بنُ حبيبٍ ، وأصبغُ بن خليلٍ ، وعبدُ الأعلى بنُ وهبٍ ، وأبو زيد بن إبراهيمَ ، وأبانُ بن عيسى بن دينارٍ . فشاورهم فى أمره ، وأخبرهم بما كان : من لفظه . فتوقف عن الإشارة بسفك دمه : القاضى محمد بن زيادٍ ، وأبو زيدٍ ، وعبدُ الأعلى ، وأبانُ . وأشار بقتله : عبدُ الملك بنُ حبيب ، وأصبغُ بن خليلٍ . فأمرهم محمدُ بنُ السَّليمِ : أن ينصُّوا فُتياهم على وجهها ، فى فى صكٍّ ؛ ليرفعها إلى الأمير (رحمه الله) ففعلوا .

فلمَّا تصفَّحَ الأميرُ قولَهم ، اسْتَحْسَنَ قولَ عبدِالملك وأصْبَغَ ؛ ورَأى ما رَأيا : من قتلِه ؛ وأمَرَ حسَّانَ الفتَى : فخَرج عليهم ، فقال لِصاحبِ المدينةِ : قد فهم

الأميرُ (أكرمه الله) ماأفتَى به القومُ: فى أمْرِ هذا الفاسقِ ؛ وهو يقولُ للقاضى: اذْهَبْ فقد عَزَلْناكَ . وأمَّا أنتَ (يعنى : عبدَ الأعلى) : فكان يَحيى بنُ يحيى : يَشْهدُ عليك بالزَّندقةِ ؛ ومن كانتْ هذه حالَه فَحَرِيٌّ أن لايُسمَعَ فُتياه . وأمَّا أنتَ يا أبانَ بنَ عيسى : فإنَّا أردْنا أنْ نُوَلِّيكَ[1] القضاءَ بجَيَّانَ؛ فزعَمتَ : أنك لاتُحسِنُ القضاءَ ؛ فإن كنتَ صادقاً : فما آنَ لك أن تَتعلمَ الفُتْيا ؛ وإن كنتَ كاذباً : فالكاذِبُ لا يكونُ أميناً . وقال للآخر كلاماً : أمْسَكَ عنه صاحبُ الحكاية[2] ؛ وأُراه : ذَهب إلى حِفظ بعضِ ولَدِه . ثم قال حَسَّانُ الفَتَى لصاحبِ المدينةِ : والأميرُ (أكرمه الله) يأمرك : أنْ تَخرُجَ الساعةَ معَ هذيْن الشَّيْخَيْن: عبدِ الملكِ وأصبغَ . فأمَرَ لهما : بأربعين غلاماً — : من الغِلمان . — يُنفِّذُون نَقْماً فى هذا الفاسقِ ، ما رَأيَا .

فخرَج عبدُ الملكِ وهو يقولُ : سُبَّ ربٌّ عبَدْناه ؛ إن لم نَنتصِرْ له : إنَّا لَعبيدُ سُوءٍ[3] . ثم أُخرِج المحبُوسُ ؛ فوقَفا حتى رُفِع فى خَشبتِه : وهو يقولُ لعبد الملكِ : أبا مَروان ؛ اتَّقِ اللهَ فى دَمى : فإنى أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأن محمداً رسولُ اللهِ . وعبد الملكِ يقول : (آلْئن : وَقدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ١٠ — ٩١) ؛ حتى صُلِب : وانْصَرفا[4] .

قال محمدٌ : ولم يُنقَمْ على محمدِ بنِ زِيادٍ ، فى ولايتِه ، شىءٌ من الأشياءِ — فيما ذَكَر أهلُ العلمِ — غيرُ دالَّةٍ كانتْ تَظهَرُ من امرأتِه عليه : على ما يفعلُه الأزواجُ ببعُولَتِهنَّ . والناسُ إلى تَقَفِّى المَعايِرِ سِراعٌ . فكان ذلك مما يُغْمَضُ به عليه فى ذلك الوقتِ ، وكانت تلك المرأةُ ، تسمَّى كفات .

---

(١) بالأصل : يوليك . (٢) بالأصل : الجناية . (٣) بالأصل : لسوء .
(٤) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٦ .

قال أحمدُ بن أيْمَنَ : وأخبرَنى أبى : محمدُ بن عبد الملك بنِ أيْمَنَ ؛ قال :
لمَّا أفضَتْ الخلافةُ إلى محمدٍ (رحمه الله) : كُلِّمَ فى إعادةِ محمدِ بن زيادٍ ، إلى القضاءِ والصلاةِ — : وكان له صَنيعةً قبلَ وِلايتِه . — فأبَى وقال : تُرَانى نَسِيتُ ما كان الناسُ يُشَنِّعون به فى أمْرِ كفاتَ ؟ ! فصَرَفه إلى الصلاةِ وحدَها .
قال محمدُ بن وَضَّاحٍ : سمِعتُ محمدَ بن زيادٍ — لمَّا وُلِّىَ الصلاةَ المرةَ الثانيةَ ، فى أيام محمدٍ الأميرِ (رحمه الله) — يقول للقَومةِ — وقد دعاهم — : « إنَّما بلغتنى عنكم [أشياء][1] ؛ فاتَّقُوا اللهَ واسْتَقِيموا ؛ وأعِينونى على الحقِّ ؛ لَئِنْ وجَدْتُ أحداً منكم قد خَلَط : لأجعلَنَّه نَكالاً » ؛ ثم قال : « انظروا إلىَّ ، واجعلونى بالِكم ؛ فإن رأيْتُمونى أخلِط : فأتمِ فى سَعة من التَّخْليطِ ؛ وإن رأيْتمونى أريدُ الحقَّ : فأعِينُونى ، ولا وتَجعلُوا إلى أنفسكم سبيلاً . » .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : سَعيدِ بنِ سُلَيْمانَ الغَافِقِىِّ .[2] »

٣٦ قال محمدٌ : [هو] : أبو خالدٍ سَعيدُ بن سُليمانَ بن حَبيبٍ ؛ كان أصْلُه من مَدينةِ : « غافِقٍ » ؛ وَلِّىَ قضاء « مَاردةَ » وغيرِها : قبْلَ وِلايتِه قضاء قُرْطُبَةَ ؛ ثم ولاَّه الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الحَكَمِ (رضى الله عنهما) قضاء الجماعةِ بقُرطُبةَ .
قال محمدٌ : وسليمانُ بنُ سعيدٍ ، غيرُ سليمانَ بن أسودَ : قاضى الجماعةِ بقُرطُبةَ .
قال محمدٌ : وكان الفقيهُ أبو عُثمانَ العِراقىُّ : يَحكِى عن أبى عبدِ اللهِ محمدِ بن وَضَّاحٍ — فيما أخبرنى فَرَجُ بن سَلَمةَ ؛ وذكَرَه أيضاً خالدُ بن سعدٍ — قال : وُلِّىَ القضاءَ أربعةً — : فاتَّصَلَ العدلُ بهم فى آفاقِ الأرضِ — : دُحَيْمُ

(١) بياض : بالأصل .
(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص٥٤ .

ابنُ اليَتيمِ : بالشام ؛ والحارثُ بنُ مِسْكين : بمِصرَ ؛ وسُحْنُونُ بنُ سعيدٍ : بالقَيْرُوَانِ ؛ وأبو خالدٍ سعيدُ بنُ سليمانَ : بقُرطُبة .

قال محمدُ بن حارثٍ : فأمَّا دُحَيْمُ بن عبد الرحمن بن إبراهيمَ : فكان من أهل دِمَشْقٍ ؛ ووَلاَّه قضاءَ الشَّامِ جَعفرٌ المُتَوَكِّلُ . وكانتْ وَفاةُ دُحَيمِ بن عبد الرحمن (المَعروفِ : بابن اليتيم) : بالرَّمْلةِ ؛ سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومِائتَيْن . ولم أعلَمْ بتاريخ ولايته القضاءَ : مَتَى كان ؟.

وأمَّا الحارثُ بن مِسكين : فإنه ولاَّه قضاءَ مِصرَ جَعفرٌ المُتَوَكلُ : سنةَ سبعٍ وثلاثينَ ومِائتين ؛ جاءتْه وِلايةُ القضاءِ : وهو بالإسكَنْدَرِيَّةِ ؛ ثم حُمِلَ إلى مِصرَ : فكان قاضِيَها إلى أنْ عُزِل يومَ الجمعةِ لسبعِ ليالٍ بَقينَ من شهرِ ربيعٍ الآخرِ : سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومِائتين .

وأمَّا سُحْنُونُ بن سعيد التَّنُوخِيُّ : فإنه ولاَّه قضاءَ إفْرِيقية محمدُ بن الأغْلَبِ التَّمِيمِيُّ : سنة أربع وثلاثين ومِائتين. وتُوُفِّيَ سحنون — : قاضياً غيرَ معزول. — : يومَ الثلاثاء لسبعةِ أيامٍ مَضَتْ من رجبٍ سنة أربعين ومِائتين .

وأمَّا سعيدُ بن سليمان : فإنه ولاَّه قضاءَ الجماعةِ : بقرطبة ؛ عبدُ الرحمن بن الحكم (رحمهما الله) ؛ فكان قاضِيه : حتى مات عبد الرحمن (رحمه الله) . ثم أقرَّه عَلَى القضاءِ محمد بن عبد الرحمن (رضى الله عنه) ؛ فقَضَى له : نَحوَ السنتين ؛ ثم ماتَ بقُرطبة : قاضياً غيرَ مَعْزُولٍ .

قال محمدٌ : ولم أسمَعْ بتاريخِ وِلايتِه القضاءَ : متى كان ؟ غيرَ أنه كان — بلا شَكٍّ — : بعدَ سنةِ أربعٍ وثلاثينَ ومِائتَيْن .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى بعضُ أصحابِنا — : من أهلِ العِلم . — عن أحمدَ بن عبد الله بن أبى خالد : أنه أدرَكَ القاضىَ : سعيدَ بن سليمانَ ؛ ورآه : يقضِى بين الناس . وأنه لمَّا أراد الأميرُ عبد الرحمن بن الحكم (رحمه الله) : أنْ يُوَلِّيَه القضاءَ بقُرطبة — أرسلَ فيه رسولاً ، فوافقَه : وهو يَقِفُ عَلَى أزواجِ له

تَحرُثُ بفَحْصِ البَلُّوطِ ، فى ضَيْعتِه . فقال له الرسولُ : تَركَبُ إلى قرطبة ؛ فإن الأميرَ ذَهَب إلى تَوْليتك القضاءَ . قال له : دَعْنِي حتى أَبْلُغَ إلى مَنزلى ، وأتجهَّزَ بما أحتاجُ إليه . فأبَى الرسولُ : أنْ يَترُكه ؛ وقال : كُنْ هاهُنا مَعِى ؛ وأرسِلْ إلى منزلك : فى دابَّتِك ، وما تحتاجُ إليه : من الزَّادِ . ففَعَل .

فلمَّا قدِم قرطبة : ولَّاه الأميرُ (رحمه الله) القضاءَ ؛ فجلس للحُكم فى المسجدِ : وعليه : جُبَّةُ صُوفٍ بَيْضَاء ؛ وفى رأسه : أقْرُوفٌ أبيضُ ، وغِفَارةٌ بَيْضَاء : من ذلك الجنسِ .

فلمَّا نَظَر الخصومُ إليه : اُحْتقَرُوه : فجاءوا — فى مَغِيبه عن المسجد — : بقُفَّةٍ مَمْلوءة من قِشْرِ البَلُّوطِ ؛ فوَضَعوها : تحتَ الحَصيرِ الذى كان يُصَلِّى عليه.

فلمَّا أتى القاضى بعد ذلك ، وقام عَلَى الحصير — : أحَسَّ تحتَه شيئاً يَتَكَسَّرُ ؛ فلمَّا فَرَغ من الصلاة : أخَذ يَرفَعُ الحصيرَ ، فنظر إلى قِشرِ البَلوطِ ؛ فقيل له : إنَّ بعضَ الخصوم فعلوا ذلك . وصَحَّ عنده ما قِيل له فيهم .

فلمَّا أتَوْه من بعد ذلك ، قال لهم : يامَعشَرَ الخصوم ؛ غَيَّرْتُمونى : بأنى بَلُّوطِىٌّ ؛!! أنَا أشْهدُ عَلَى نفسى : أنى بَلوطِىٌّ ؛ عُودٌ — واللهِ — صَلِيبٌ : لا تفعلوا فيه . ثم حلَفَ لهم بإثْرِ كلامِه هــذا : أن لا يُخاصموا عندَه سنةً ؛ فكاد : أنْ يُورِثَهم الفقرَ .

قال محمدٌ : حدثنى فَرجُ بن سُليمانَ البَلَوِىُّ ؛ قال : حدثنا سَعدُونُ بن ناصر ابن قيسٍ — : وكان شيخاً من أهل الحَرَكة . — أنَّ أباه كان وَكيلاً لِسعيدِ بن سُليمانَ ؛ وأنه قدِمَ فى بعضِ الأيام — من فَحصِ البلُّوطِ عَلَى القاضى : سعيدِ ابن سُليمانَ ؛ فألْفَى بيْنَ يدَيْه : رجلاً وزوجتَه . (قال ناصرُ بن قيسٍ) : فلمَّا دخَلتُ على القاضى : قام إلىَّ مُسلِّماً ؛ ثم جلَسَ : فقال لِمَن حَولَه : هــذا مُقيتِى ومُقيتُ عِيالى بحولِ اللهِ . ثم سألَنى : عن رَفْعِه فى ذلك العامِ ؛ فقلتُ له : رَفْعُ

القاضى : سبعةُ[١] أمْدادٍ[٢] من شعيرٍ ؛ وثلاثةِ أمدادٍ[٢] : من قَمحٍ . فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ؛ ثم عادَ إلى التَّكلُّمِ بيْنَ الرجلِ وزوجتِه : اللذَيْنِ ألفَيْتُهما بين يديه. فقال الرجلُ : ياقاضى ؛ تأمرُها : بالنُّهوضِ مَعِى إلى مَنزلى . فلَصِقتْ بالأرض المرأةُ وآلت[٣] : أن لاتمشِىَ معَه فى الأرضِ شِبراً ؛ ثم قالتْ للقاضى : باللهِ — الذى لا إله إلاَّ هو — : لَئِنْ صَرفتَنى إليـه : لأقتُلنَّ نفسى ، وتكونُ المسئولَ عن دَمِى .

(قال ناصرٌ) : فلمَّا سمِعَ القاضى كلامَ المرأةِ : عَطَف على رجلٍ إلى جَنبِه (حَسِبتُه كان فقيهاً) ؛ فقال له : ماترى ؛ فقال له : إن كان القاضى (وفَّقه اللهُ) لم يَظهَرْ له أنَّ هذا الرجلَ يُضِرُّ بزوجِه ـ : فلْيَجْبُرْها على المَسيرِ معَه : أحَبَّتْ أو كَرِهَتْ ؛ إلاَّ : أن يشاء الرجلُ أن يُفارِقَها بفِدْيةٍ أو غيرِها ؛ فإن أبَى إلَّا الفِدْيةَ : فذلك حَلالٌ له ؛ ويَخلَعُها — ولو من قُرْطِها — : إن لم يكن له منه ضُرٌّ إليها .

فقال الزوجُ : واللهِ ؛ ماَلَها مالٌ .

قال له : فلو ذَهَبَتْ إلى الافتداءِ منك : أكنتَ تُفارِقُها ؟ .

فقال له : كنتُ أسْمَحُ . (قال ناصرٌ) : فعادَ علىَّ القاضى ، فقال : هـــل جَلَبتَ : من الطعامِ ؛ فى جَيْئتِك هٰذه شيئاً ؟ . فقلتُ له : بلَى ؛ جَلَبْتُ مُدًّا[٤] : من قَمحٍ ؛ ومُدَّيْنِ : من شَعيرٍ . (قال ناصرٌ) : فرأيتُه : يُقلِّبُ أصابِعَه ؛ ثم قال : قُوتُ تِسعةِ أشهرٍ كثيرٌ . ثم قال لزوجِ المرأةِ : خذْ ماَبقِىَ : من رَفْعِى ؛ فى ضَيْعتى ؛ وأرِحْها من نفسِك ، وأرِحْ نفسَك منها .

فقال الزوجُ : كنتُ أفعلُ : لو كان الطعامُ بقُرْطبةَ .

---

(١) بالأصل : بسبعة . (٢) بالأصل : إمداء . (٣) بالأصل : وقالت .
(٤) بالأصل : مديا .

فقال له القاضى : أحْسَبُك مُغتما . ثم وَضَع يدَيْه فى الأرضِ ، وقام ودخل الدارَ ، وأخرَج شُقَّةَ بَيْضاء : من صوفٍ ؛ فدَفعها إليه وقال للزوج : هذه شُقَّةٌ عُمِلَتْ فى بَيْتى : لِشِتْوتِى ؛ وأنا (إن شاء الله) غَنِيٌّ عنها ؛ فخذْها واسْتَعِنْ بثمنِها : فى جَلْبِ الطعامِ إلى نفسِك . فأخَذَها ، وبارأ زوجته . وأمَرَنى : بدفْعِ الطعامِ إليه ؛ فأقْبَضْتُه إيَّاه .

قال خالدُ بن سَعدٍ : أخبرنى بعضُ أصحابِنا : من أهلِ العلم ؛ عن رجلٍ فاضلٍ — : من خِيارِ المسلمين ؛ أدرَكَ سَعيدَ بن سُليمانَ القاضى . — قال :

قَضى سعيدُ بن سُليمانَ يوماً ، فى المسجدِ ، إلى أنْ مَضى صدرُ النهارِ ؛ ثم قام مُنصَرِفاً إلى داره . فلمَّا هَمَّ بدُخولِ الدارِ : فإذا بوالدِ نَصرِ الفتَى مُقبلاً : وأعوانُه بيْن يديْه — وكان أعجمِىَّ اللسانِ — فصاحَ على البُعدِ (بالعَجَمِيَّة) : كَلِّموا القاضى يَثْبُتْ ؛ علَّى أُكلِّمُه . فقال القاضى : قولوا له (بالعجميةِ) : إنَّ القاضىَ قد أدركَتْه المَلالَةُ والسَّآمَةُ : من طُولِ الجلوسِ للقضاء ؛ فإذا جلَس بالعَشِىِّ فى المسجد — : للنظرِ بيْن الناسِ . — تَعودُ إليه : ليَنظُرَ فى حاجتِك ؛ إن شاء الله . ثم دخَل القاضى دارَه ، ولم يَقِفْ عليه .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وكان محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبابَة : يَصِفُ سعيدَ بن سُليمانَ القاضىَ : بالخيرِ والفَضلِ ؛ ويُثْنِى عليه ، ويَصِفُه : بالتَّواضُعِ .

قال محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبابَةَ : أخبرنى محمدُ بن أحمدَ المُتَيِّىُّ ؛ قال :

صلَّى بنا سعيدُ بن سليمانَ القاضى ، صلاةَ الجُمُعةِ ، فى المسجدِ الجامعِ بقُرطُبَةَ ؛ ثم خرَجنا معه : فمَشَى ولم يَرْكَبْ ، ومشَيْنا معه : حتى بلغ الفُرنَ الذى كان يَطبَخُ فيه خُبزُه . فقال للفرَّانِ : خُبزَتى مطبوخةٌ ؟ فقال له : نعمْ : فقال له : هاتِها . فناوَلها له : فأخَذها فجَعلها تحتَ عَضُدِه ؛ وأقبلْنا نَمشِى : حتى بلَغْنا الدارَ ؛ فدخَل وانصرَفْنا عنه .

قال محمدٌ : ذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : كان سَعيدُ بن سُليمانَ القاضى :

يَحكُمُ فى المسجدِ الجامعِ ، ويأتِى إليــه ماشياً ؛ وإنه كان يوماً : من الأيام ؛ مُقبِــلاً ضُحًى ؛ فلمَّا أتَى بابَ اليهودِ : ٱلتَقَى بسعيدِ بن حَسَّانٍ الفقيهِ — : وكان سعيدُ بن حسانٍ منقبضاً عنه . — فقال له القاضى : أبا عُثمانَ ؛ مالكَ تَنقبِضُ عنِّى : فلا تأتينى ؟ ! فواللهِ : ما أُريدُ إلا الحقَّ ، ولا أَقصِدُ غيرَه . فقال ســعيدُ ابن حسانٍ : واللهِ ؛ لو أعلَمُ هذا : ما قعَدتُ عنك ، ولَتَحَمَّلْتُ هذه المَطِيطةَ بَيْنَ يدَيْك . ثم عاد سعيدٌ إلى إتيانِه .

قال محمدٌ : ولَبِث سعيدُ بنُ سُليمانَ قاضياً : إلى أنْ ماتَ الأميرُ عبدُ الرحمن بنِ الحَكَم (رضى الله عنه) . سنةَ ثمانٍ وثمانين ومائتيْن .

فحَكَى محمدُ بن عبد الملكِ بنِ أَيْمَنَ ، عمَّن أخبره — : ممَّن شَهِد البَيْعةَ للأميرُ محمدٍ رحمه الله . — : أنه لمَّا دخل عليه القاضى : سعيدُ بن سُليمانَ ؛ ودَنَا منه — قال له محمدٌ الأميرُ :

أيُّهَا القاضى ؛ أُمضِ عَلَى نَظَرِك . فتَمَادَى قاضــياً ، فى أولِ أيامِ الأميرِ محمد (رحمه الله) : نحو عامَيْنِ ؛ ثم ماتَ : غيرَ مَعزُولٍ . ولا أعلمُ له عَقِباً .

قال محمدٌ : وجَدتُ فى التَّسْمِيةِ [1] المُستَخرَجةِ من دِيوانِ القُضاةِ : أنه تَلَا سعيدَ ابن سُليمانَ فى القضاء محمدُ بن سعيدٍ . فلا أدرِى : إن كان : محمدَ بن سعيدِ بن سُليمانَ ، أو غيرَه ؟ . ولم أجِدْ له خبراً ؛ ولا سمِعتُ له — عندَ مَن أدرَكْتُ : من العلماء . — ذِكْراً ؛ حاشَى اسمَه : فإنه مَوضوعٌ معَ جُملةِ أسماءِ قُضاةِ الجماعةِ : فى التَّسميةِ المُستَخرَجةِ من الدِّيوانِ .

* * *

(١) بالأصل : تسمية .

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ زِيادٍ اللَّخْمِى »[1]

٣٧ قال محمدٌ : أحمـــدُ بن زيادِ بنِ عبد الرحمن : أخو محمدِ بن زيادٍ المتقدِّم ذِكْرُه من قبلُ ؛ وقع عليه اختيارُ الأمير محمدٍ (رحمه الله) : فاستقدَمه من «شَذُونة»، وولاَّه قضاء الجماعة . فسار : بخير سيرةٍ وأجملها ، وكان : رجلاً صالحاً ، صحيح المذهبِ ، حَسَنَ السِّيرةِ ، ويُقالُ : إنه كانتْ فيه عَجْرَفةٌ[2] : مع حُسن حالِه ، واستقامةِ حالِه .

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : كان أحمدُ بن زيادٍ القاضى : شَديدَ التَّهَيُّبِ فى قضائه ؛ لا يُخاطَبُ فى شىءٍ ـ : من أمْرِ الخصومِ ـ إلاَّ فى مجلس نظَرِه ؛ ولا يَأذَنُ لأحدٍ ـ : يَلْقاه فى طريقٍ . ـ : فى مواكبته ؛ ولا : أن يَنصرفَ معَه . ومَن ألَحَّ فيما لا يَنبَغِى : من ذلك ؛ أمَرَ بحبْسِه .

وذُكِرَ : أنه لَقِيَه محمـــدُ بن يوسُفَ [الأعرجُ] عندَ بابِ القَنْطَرَةِ ، يوماً من الأيامِ — : وقد أمَرَ أحمدُ بن زيادٍ ، بحبْسِ رجلٍ : أعترَضَه بكلامٍ لا يَصلُحُ له : أنْ يُكلِّمَه به ، وكان الأعْرَجُ : ضَيِّقَ الخُلُقِ،شَديدَ الحَرَجِ . — فقال له حينئذٍ : هَيْبةَ الجَبَّارين ، ومَذهَبُ المُتكبِّرين ؛ لا يُكلَّمُ على الطريقِ ! . فأمَرَ أحمدُ بن زيادٍ : بحبْسِ الأعرجِ ؛ واتَّصَل الخبرُ بأهلِ الجامعِ : لِقُربِ الموضعِ ؛ وكان فى تلك الساعةِ ، فى الجامعِ ، صاحبُ الشُّرْطَةِ : محمدُ بن عبد الرحمن بنِ إبراهيمَ ؛ فخرج إلى أحمدَ بن زياد مُسرِعاً : فعابَ عليه فعلَه ؛ وكَسَرَ رأيَه . فانصَرَفَ القاضى عن رأيه ، وأمَرَ : بتَرْكِ محمدِ بن يوسُفَ .

قال محمدٌ : وكان أحمدُ بن زيادٍ قاضياً : تسعةَ أعوامٍ وأشهُراً ؛ إلى أنْ أحدَثَ بعضُ أولادِه بشَذُونة حَدَثاً ؛ فاتَّصل ذلك بالأمير محمـــدٍ (رحمه الله) : فوَجَّه

(١) انظر : جذوة المقتبس ص ١١٦ رقم ٢٠٩ . (٢) بالاصل : عجرفية .

لامْتِحانِ ذلك ، ولَداً لمحمدِ بن موسى الوزيرِ ، يُسمَّى بموسى — وكان : لَقِناً ذكِيًّا ؛ من أهلِ النظرِ والحركةِ . — فقدم بتَصْحيحِ ذلك الحَدَثِ[1] ؛ فدارَتْ عَلَى القاضى فيه غَضاضَةٌ ، ونالَتْه منه ذِلَّةٌ .

قال محمدٌ : أخبرنى أحمدُ بن محمد بن عُمرَ بنِ لُبابَةَ : أنَّ هاشِمَ بن عبد العزيز ، أرادَ القاضىَ أحمدَ بن زِيادٍ : عَلَى أنْ يَبيعَ داراً : كانتْ بالمدينةِ للأيْتامِ ؛ من بعضِ أولادِ الأميرِ محمد (رحمه الله) ؛ فأبَى ولَجَّ ، وقال : لا أبيعُها . وكان كاتبَه يومئذٍ عَمرُو بن عبد الله : فعَمَدَ لنفسِه فى القضاءِ ، معَ هاشمِ بن عبد العزيز ؛ ثم زَيَّنَ لأحمدَ بنِ زِيادٍ : أنْ يكتُبَ إلى الأميرِ : يَسْتَعْفِيه عن القضاءِ ؛ فأطاعَه أحمدُ ابن زِيادٍ ، وكَتَب بذلك .

فلمَّا خرَجَ الكتابُ من حُكمِه : دخَل عليه من خاصَّتِه رجلٌ ، فقال له : أنتَ قَصيرٌ ، وكاتبُك قصيرٌ ، وأناقَصيرٌ ؛ فاحذَرْ : أنْ يَغلِبَك ويَغلِبَنى كاتبك عمرُو ؛ فما الذى أشار به عليك ؟. قال : بأنْ أسْتَعْفِىَ ، وأكتُبَ بذلك إلى الأمير وقد فعَلْتُ . قال : أنتَ (واللهِ) مَعزُولٌ .

قال : فحكَى ذلك الرجلُ ؛ قال : فما بَرِحتُ من بيْنِ يدَيْه : حتى أتَى صاحبُ الرسائلِ ، فقال له : يقولُ لك الأميرُ (أصلحه الله) : تَبرَأُ بالدِّيوانِ إلى قاضِينا : عمرِو بن عبد الله .

وحَكَى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : لما نالَتْ أحمدَ بنَ زِيادٍ الكسْرَةُ ، وأدرَكَتْه الغَضاضَةُ — فيما أحْدَثَ ولدُه بشَذُونَةَ — : شاوَرَ كاتبَه عمرَو بن عبد الله : فى أمْرِ نفسِه ، وما يُحملُ عليه فى السببِ الذى دار عليه . فقال له عمرٌو : أرَى : أن تكتُبَ إلى الأميرِ : تَسْتَعْفِيه ؛ فإنَّ الملوكَ من شأنِهم — إذا اسْتُعْفُوا — أن يَلجُّوا ؛ فيكونُ إقرارُه لك بعدَ الاسْتِعفاءِ : ولايةً مُجدَّدةً .

---

(١) بالاصل : الحديث.

فأَصْغَى أحمدُ بن زيادٍ إلى ذلك ، وكَتَب بِطاقةً وخَبَّرها عن رأيه . وكان عَلَى أحْباسِ أحمدَ بنِ زِياد (أيْ : ذلك الوقتَ) ؛ رجلٌ : من أكْياسِ الناس ودُهاتهم ؛ يُعرَفُ بزيدٍ الغافِقِيِّ . فدخَل زيدٌ عَلَى أحمدَ بنِ زيادٍ : وعمرُو بن عبد الله خارجٌ عنه ؛ وقد أحْكَم البِطاقة : فلمَّا دخَل عليه زيدٌ ، قال له : أيُّها القاضي ؛ إنَّ هـذا الخارجَ عنك (يعني : عمْراً) قصيرٌ ؛ وأنَا قصيرٌ ؛ وليس فينا خيرٌ . فقال له زيدٌ : وإنه خَدَعك؛ فوَاللهِ : لئنْ رَفَعتَ إلى الأميرِ : تَسْتَعْفِيهُ : لَيَغْتَنِمَنَّها منك[1] : بسببِ مادارَ عليك .

فعصاه القاضي ، وأمضَى البِطاقةَ عَلَى وَجْهِها . فعَزَله الأميرُ (رحمه الله) .

فكان محمدُ بن أَيْمَنَ : يَحكِي عن زيدٍ ؛ قال : بَيْنما أنا في السُّوقِ : إذ ضَرَبَ عَلَيَّ شُرْطِيٌّ ؛ فقال : أجِبْ القاضيَ . فقلتُ : أيَّ قاضٍ ؟ . فقال : عَمروَ ابنِ عبد الله .

قال : فأَتَيْتُه ؛ فوجَدتُه ؛ في الجامعِ : قاعداً . (وكان زيدٌ : يَحكِي قِصةً طويلةً عَرَضتْ له مع عمرٍو ؛ في ذلك) .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرني بعضُ أصحابِنا ؛ قال : أخبرني يَحيَى بن زكرياء ؛ قال :

لما ولِّيَ عمرُو بن عبد الله القضاءَ ، أبَى : أن يَقْبِضَ الدِّيوانَ ، إلاَّ من أحمدَ بنِ زيادٍ . فبَعَثَ فيه عمروٌ ، وعَزَم عليه : أنْ يَأْتِيَه بالدِّيوانِ بنفسه ؛ لا يَكِلُ ذلك إلى أحدٍ سِواهُ . وأتَاه به إلى الجامعِ : فدَفَعه إليه . فلمَّا قام أحمدُ : أخَذ بعَضُدِه ؛ ثم قال له : يا عَمْرُو ؛ لقد فَتَحَت عَلَى القضاءِ باباً : لا يُخْطِئك شَرُّه .

* * *

(١) بالأصل : منها .

« ذِكْرُ القاضى : عَمرِو بنِ عبدِ اللهِ بنِ لَيْثٍ القبعة . »

٣٨ قال محمدٌ : هو مَوْلى أبيه عبدِ الرحمن بنِ مُعاوية ؛ وهو : عَمرُو بن عبـدِ اللهِ أبو عبد الله ؛ كان : مَولًى ؛ وهو أولُ مَنْ وَلِيَ قضاءَ الجماعةِ للخلفاء : من المَوَالِي .

فشَقَّ ذلك على العربِ ، [وتأثَّرُوا منه[1]] ، وتكلَّموا فيه .

فَبلغ ذلك الأميرَ محمداً (رحمه الله) ؛ فقال : وجَدتُ فيه مالم أجِدْ فيهم .

فقال العربُ : أمَّا القَضاء : فإنَّا لا نَعترِضُ فيـه ؛ لأنه : من سُلْطانِه . وأمَّا الصَّلاةُ : فإنَّا لانُصلِّى وراءَه .

فولَّى الأميرُ (رحمه الله) الصـلاة ، النُّمَيْرِيَّ : عبدَ اللهِ بنَ الفَرجِ ؛ وكان عَمرُو بن عبدِ اللهِ صَنيعةً للأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : من قَبلِ أنْ يَلِيَ الخلافةَ ؛ وكان : عارفاً بفضلِه وعقلِه وأدبِه ؛ فقدَّمه : على تَجرِبةٍ ؛ ووَلَّاه : عن خِـبْرَةٍ ؛ وقلَّده قضاءَ الجماعةِ : سنةَ خمسينَ ومِائتَيْن .

قال محمدٌ : ومِن قبلِ أنْ يَكتُبَ عَمرُو بن عبدِ اللهِ ، لأحمدَ بنِ زيادٍ القاضى — كان : قاضياً على كُورَةِ أسْتِجةَ .

فأخبرنى مَن أثِقُ به ؛ قال : أتاه عيسى بنُ فُطيسٍ : مُتَظَلِّماً من ابنِ عائشةَ القُرشيِّ . فقال : وشَـكَى وأكْثَرَ ؛ فسكَتَ عنه عَمرُو بن عبـدِ الله ، ولم يُجِبْه بحرفٍ . واستَمرَّ ابنُ فُطَيْسٍ فى الشكوى . فلمَّا بَلغ عمرو إلى دارِ سُكناه : دَخَلَ من الباب ، وحَوَّل وجْهَه إلى ابنِ فُطيسٍ ، وألْقَى إليه كلامًا فَصْلاً : قليلَ اللفظِ ، كَثيرَ المعانى ، عَجيبَ الحِكَمِ ؛ قال له : الغالبُ فى القَرْيةِ ، هو : الغالبُ عندى .

فلَقِنَها عنه ابنُ فُطَيْسٍ ، فجَمَع عبيـدَه ومَن لاذَ[2] به : من سُلطانِه ؛ عَلَى

(١) بياض : بالأصل (٢) بالأصل : لاث .

خَصمِه : فغَلَبه . ثم اُجتَمَعا عنـدَ القاضى من بعدُ : فأنـكَرَ ابنُ فُطيسٍ جميعَ ماادَّعَى به عليه خَصمُه ؛ وانْصَرَف غيرَ محكومٍ عليه . وكُلِّف ابنُ عائشةَ البَيِّنَة عَلَى دَعْواه ؛ فغَلَب ابنُ فُطيسٍ فى الظاهرِ ، كما غَلَب فى الباطنِ .

قال محمدٌ : وجُملةُ القولِ فى وصْفِ عَمرِو بن عبدِ اللهِ : « أنه كان : جميلَ الرَّأْيِ ، حَسنَ السَّمتِ ، طَويلَ الصَّمتِ ؛ قَليـلَ الحَرَكةِ[1] ؛ إذا نَطَقَ : كأنمـا يَنْطِقُ من صَدْعِ صَخْرةٍ ؛ معَ الهَيْبةِ الشَّديدةِ ، والمُروءةِ الظَّاهرةِ ؛ لايَنْظُرُ إلاَّ لَمْحًا ، ولا يَنطِقُ إلاَّ تَبَسُّما . حَكَى فى وِلايتِه الأولى ، محمـدَ بنَ بَشيرٍ : فى صِحَّةِ الأمورِ ، وشِدَّةِ النَّقَاوةِ ، وحُسنِ السِّيرةِ ؛ وإيثارِ العَدْلِ . وكان إذا قعدَ : لا يَتقرَّبُ منه خَصمٌ ، ولا يَدْنو منه أحـدٌ . وكذلك : كان إذا رَكِبَ : لايَصْحَبُه[2] صاحبٌ ولايَصيرُ إلى جانبِه راكِبٌ ؛ معَ قُوَّةِ السَّكينةِ ، والصَّلابةِ الشَّديدةِ ؛ والتَّنْفيذِ الوشيكِ ، وقِلَّةِ المُدَارةِ لِمَن لَصِقَ بالخليفةِ : من وُجُوهِ خاصَّتِه[3] ، وعُيُونِ رِجالِه . » .

أخبرنى بعضُ رُواةِ الأخبارِ ؛ قال : حَكَمَ عَمرُو بن عبـدِ اللهِ ، عَلَى هاشمِ بن عبـدِ العزيزِ — فى مَحْشَرٍ كان فى يده ، بجانب جَيَّان — : بعلمِه : بلا بينة ، ولا إعذارٍ ؛ وسَجَّلَ ، وأشهد ، ونَفَّذَ .

وذكر بعض أهل العلم ؛ قال : حدثنى بعض شيوخ مسجد أبى عثمان ؛ قال : ٱلْتَقَى عمرو بن عبـد اللهِ بهاشم بن عبد العزيز ؛ فلم يَزِدْ القاضى : عَلَى أن سَلَّمَ عَلَى هاشم ؛ فَلَوَى : لم يَثْنِ معه عناناً ، ولا وَقَف عليه فُوَاقاً .

قال خالدُ بن سعدٍ : كان محمدُ بن مِسْوَرٍ ، يَذكُرُ : أنه تَوَجَّه ذاتَ يومٍ إلى القاضى عمرو بن عبدِ اللهِ — وذلك قبل الظُّهرِ — (قال) : فوجَدتُ الناسَ :

(١) بالأصل : الحركات . (٢) بالأصل : نصحبه .
(٣) بالأصل : خاصة .

ينتظرون خُروجَه إلى المسجد ؛ فخرج : و بيْنَ يدَيه رجلٌ يحمل خريطته بكتبٍ ، وشيخٌ يمشى إلى جَنبه ؛ فإذا همَّ رجلٌ أن يَدنُوَ من القاضى — : ليكلمه فى مَسيرِه إلى المسجدِ . — : دفعَه عنه ؛ وقال : اذهَبْ حتى يَجلسَ القاضى فى مَجلسِ القضاءِ .

قال محمدٌ : وذكر بعضُ أهل العلم ؛ قال: ماتَ ابْنٌ لِعمرِو بن عبد الله : فمَشَتْ قريشٌ فى جِنازته : فى حَفْلٍ لم يَشْهَدْ أحدٌ أفْخَمَ منه : مَنظَراً : ولا أكثرَ: عَدَداً .

قال محمدٌ : وكان عَمرُو بن عبد الله : حليماً وَقُوراً ، ضابطاً لنفسه : عندَ ساعةِ الغَضَبِ ، ومُعايَنة المَكْروهِ .

حَكَى أحمدُ بن محمدبن عبدِ الملكِ — فى كتابه — قال : كان عَمرُو بن عبدِ الله ، يُلقَّبُ : بالقبعةِ ؛ وذلك : أنه كان دحْداحاً قصيراً : يكاد يَخْفَى إذا قَعَدَ ؛ وكان : إذا قَعَدَ مَقْعَدَ القضاءِ ، أمَرَ مَنْ كانتْ له عندَه خُصومةٌ : أنْ يَكتُبَ اسمه فى رُقعةٍ . ثم : يَجمَعُ الرِّقاعَ ، ويَخلِطُها بيْنَ يديه ؛ ويَدعُو بأصحابها[1] الأوَّلَ فالأوَّلَ ؛ على ما يَخرُجُ إلى يده : من الرِّقاعِ .

فأتَى رجلٌ إلى مُؤمِنِ بن سعيدٍ الشاعرِ — : وكان كثيراً ما يَلْزَمُ المسجد الذى كان يَجلِسُ فيه عَمرو بن عبد الله : لِقُرْبِ جِوَارِه منه . — فسأله : أن يُوَقِّعَ له اسمَه فى رُقْعةٍ ؛ فقال له : ما اسمُك ؟ . فقال له : عُقْبةُ . فكتب له مُؤمنُ بن سعيد : « قبعة » . فأخَذَها الرجل : فقذَفها بيْنَ الرِّقاع . فلمَّا خَرَجَتْ إلى يَدِ القاضى : شعَر له ، وجَعَل يُؤخِّرُها : حتى انقضَتْ الرقاعُ . فقال القاضى — لمَّا خَفَّ الناس عنه — : مَن عُقبةُ ؟. فتقدَّم إليه الرجلُ . فقال له : مَن كَتَبَ اسمَك ؟. فوصَف له صِفةَ مُؤمنٍ ؛ فقال له : إيَّاكَ أنْ تَقعُدَ إليه ثانيةً .

قال لى عُثمانُ بنُ محمدٍ : أخبرنى أبى : قال : شَهِدتُ مَجلسَ عَمرو بن عبدِ الله يوماً : من الأيام ؛ فى المسجد المجاورِ لدارِه — فرأيته جالساً يحكمُ بيْنَ الناس وعليه

---

(١) بالأصل : بأصحابه.

ثوبٌ مشرطاب[1] ؛ وهو جالسٌ فى رُكنِ المسجدِ معَ مَن جلَس إليه : من أهل الحَوَائجِ والخصوماتِ ؛ وفى الرُّكْنِ الثانى الذى يُقابِله : مُؤمنُ بن سعيدٍ ؛ قد جلس معَ مَن جلس إليه من الأحداث : من رُوَاةِ الشّعر وطُلاَّبِ الأدبِ .

(قال) : فتلاَحَى حَدَثان : من جُلاَّسِ مُؤمنٍ ؛ فى شىء ؛ فرَفعَ أحدُهما يدَه بخُفٍّ : فضَرَب صاحبه ، فأصابَه ؛ ثم سقط الخُفُّ — بعدَ الضَّرْبة — فى مجلس القاضى — وظَنَّ مَن حضَر : أنه ستكونُ منه صَوْلةٌ . — فما زاد : أنْ قال : لقد آذَانا هؤلاءِ الأحْداثُ . (قال) : فرأيتُ الأحداثَ يَتسَلَّلُون لِوَاذاً : فَرَقاً من القاضى ، وحِشْمةً مما أتَى مِن جِهَتِهم .

(قال) : ثم لم أبْرَحْ من المجلس : حتى قام عَمرو بن عبدِ اللهِ : مُتَوَجهاً إلى دارِه ، وقام الناسُ معَه . فلمَّا بَلَغ بابَ الدَّارِ : وقَفَ وحَوَّل وجْهَه ، واتَّكا على عصاه ؛ ثم قال : مَن كانتْ له حاجةٌ : فلْيتَكلَّمْ فيها . فتكلَّم الناسُ . ثم قال عَمرٌو : أيْنَ رسولُ الأميرِ أبى إسحاقَ (حفظه الله) ؟ . فدَنَا منه رجلٌ ، فقال : أنا هو . فقال : أبلغْ الأميرَ (أكرمه الله) السلامَ (يعنى : أخا الأميرِ (رحمهما الله) ؛ وقل له : ظَلَمتَ وأسأتَ فيما فَعلْتَ ؛ عَمَدت إلى رجلٍ قد أخَذه حُكمى : فأوَيْتَه وسَتَرْتَه ؛ تُريدُ : أنْ تَمنعَ الحقَّ من أنْ يُنفَّذَ عليه ؛ إن لم تُخْرِجْه وتُبْرِزه — : لِيُؤدىَ ما عليه ، ويَصِيرَ فيه إلى الواجبِ . — وإلا أرسلتُ إليك مَن يُسَمِّرُ أبوابَ دارِك . ثم دخل إلى داره .

قال محمدٌ : [سَمِعتُ] بعضَ أهلِ العلمِ يَحكِى ؛ قال : اخْتَصَم رجُلانِ إلى عَمرِو بن عبدِ اللهِ : فأظهرَ أحدُهما وَثيقةً ، ثم صار إلى سَتْرِها . فقال له عَمرٌو : أظهِرْ الوَثيقةَ ؛ فأبَى . فعزَم عليه عَمرٌو واشْتَدَّ ؛ فأخرَجَها الرجلُ — : وهو مُغْضَبٌ . — من كُمِّه ؛ فرَمَى بها إلى القاضى : فأصابَ وجْهَه ؛ فاصْفَرَّ وجْهُ

---

(١) هكذا بالأصل .

عمرو : حتى انتفع لونُه ؛ وظنَّ الناسُ : أنه سيأمُرُ به ؛ فأدركه حِلمُه ، وأعرَضَ عن ذلك ؛ ونظر فى الوَثيقة . ثم قال للرجل : أليس هذا أحسَنَ ؟ !.

وكان سُليمانُ بن عِمْرانَ قاضى القَيْرَوان ، يكتب إلى عمرو بن عبدِ الله : « مِن سُليمان بن عمران قاضى القَيْروَانِ ، إلى عمرو بن عبدِ اللهِ » ؛ فكان عَمرٌ : يَسوغُه ذلك ، ولا يُنكِرُه عليه ؛ ويَكتُبُ إليه الجوابَ : بتقديمِ « سُليمانَ بنِ عِمرانَ » وتأخيرِ نفسِه .

فلمَّا وُلِّىَ سليمان بنُ أسْودَ : عامَلَه سليمانُ بن عِمْرانَ تلك المعامَلَة ؛ فلم يَتَحَمَّلْها سُليمان بنُ أسودَ ، فجاوبه : بتقديمِ نفسِه ـ فكان سُليمان بن عِمْرانَ يقولُ : ياعَجَباً ؛ يُعْزَلُ مثلُ عَمرِو بن عبدِ اللهِ عن القضاء ، ويلِى مثلُ سُليمانَ بنِ أسْودَ : ذلك الخِلْفِ الجافِى .

قال محمدُ بن عبدِ الملك بن أيْمَنَ : كان مُؤمنُ بن سَعيدٍ الشاعرُ يوماً ، جالساً عند عمرو بن عبدالله ـ وكان فى مؤمنٍ : من الهزْلِ والنادِرِ ؛ ماقد عُرِفَ وحُفِظَ ـ فقال : هذا أبو زيدٍ الحذرى اتَّخَذَ غِلماناً لخدمتِه ؛ فقال الناسُ : كَيْتَ وكَيْتَ — فَعرَّض بالشيخِ — : فاسْتَغرَب كلُّ من حضر : ضَحِكاً ؛ فلم يَزِدْ عمرٌو على أن وضع يديه على فَمِه ، وأشار إلى التَّبَسُّمِ .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى وَليدُ بن إبراهيمَ ؛ قال :

أرسلَنى أبى إبراهيمُ بن لبيبٍ — ذاتَ يومٍ — : فى حاجةٍ ؛ إلى عمرو بنِ عبد الله القاضى — وكان صديقاً لأبى — فدخلْتُ عليه فى المسجدِ : وهو يَقضى بين الناس ؛ إذا أتاه رجلٌ ضعيفٌ : عليه أطْمارٌ ؛ فشَكَا إليه بعضَ عُمَّالِ الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) وكان ذلك العاملُ : عظيمَ الشأنِ والقَدْرِ ، مرشَّحًا فى وقتِه : للمدينةِ ؛ ثم صار بأثرِ ذلك إلى ولايةِ المدينة ـ فقال له : ياقاضى المسلمين ؛ إن فلاناً غَصَبَنى داراً . فقال له عَمرُو بن عبدِ الله القاضى : خُذْ فيه طابعاً . فقال له الرجلُ الضَّعيفُ : مِثْلى يسيرُ إلى مِثلِه بطابعٍ !! لستُ آمَنُه على نفسى . فقال

له القاضي : خذْ فيه طابعاً ؛ كما آمرُك : فأخذَ الرجلُ طابعَه ، ثم توَجَّه إليه به .

(قال وَليدُ) فقلتُ في نفسي : لأقعُدَنَّ حتى أعلمَ كيف تكونُ صلابتُه في أمْرِه ؟ . فلم تكنْ إلا ساعةً : إذ رَجع الرجلُ الضعيفُ ؛ فقال له : ياقاضي : إني عرضتُ عليـــه الطابعَ عن بُعْدٍ ، ثم هربتُ إليك . فقال له عمرو : أجْلِسْ ؛ سَيُقْبِلُ .

(قال وَليدُ بنُ إبراهيمَ) : فلم أنْشَبْ : أن أتى الرجـلُ في رَكْبٍ عظيمٍ — : وبيْن يدَيْه الفرْسان والرِّجالةُ . — فثنَى رِجلَه ونزَل ؛ ثم دَخل المسجدَ : فسلَّم على القاضي وعلى جميع جُلسائه ؛ ثم تمادى كما هو ، وأسندَ ظهره إلى حائط المسجد .

فقال له القاضي عَمرُو بن عبدالله : قُمْ هاهُنا ؛ فاجلِس بين يدَيَّ معَ خصمِك .

فقال له : أصلحَ اللهُ القاضيَ ؛ إنّما هو مسجدٌ والمَجالِسُ فيه واحدةٌ : لا فضل لبعضها على بعضٍ . فقال له عمرُو : قُم هاهُنا كما أمَرْتُك ؛ واجلس بين يدَيَّ معَ خصمِك .

فلمَّا رأى عزْمَ القاضي في ذلك : قام فجلس بين يدَيه ، وأشارَ القاضي إلى الرَّجلِ الضعيفِ : أن يقعُدَ مع صاحبِه بين يدَيْه .

فقال عَمرُو للرجلِ الضعيفِ : ما تقولُ ؟ .

فقال : أقولُ : غَصَبَني داراً لي .

فقال القاضي للمدَّعَى عليه : ما تقولُ ؟

فقال : أقولُ : إنَّ لي عليه الأدَبَ فيما نَسَبَ إليَّ : من الغَصْبِ .

فقال القاضي : لو قال ذلك لِرَجُلٍ صالحٍ : كان عليه الأدبُ كما ذكرتَ ؟ ! فأمّا من كان معروفاً بالغَصْب : فلا ؟! . ثم قال لجاعة من الأعوان — : ممن كان بين يديه . — امْضُوا معَه ، وتوَكَّلوا به ؛ فإن رَدَّ إلى الرجل دارَه ؛ وإلاّ : فرُدُّوه إليَّ ؛ حتى أُخاطِبَ الأميرَ (أصلحه الله) : في أمْرِه ، وأصِفَ له ظلْمَه وتطاوُلَه .

فخرَج مع الأعْوان ، فلم تكنْ إلاّ ساعةً : حتى انصرَف الرجل الضعيف والأعْوانُ .

فقال الرجُل للقاضي : جزاكَ اللهُ عني خيراً قد صَرَف إليّ داري . فقال له القاضي : اذْهَب في عافيةٍ .

قال محمدُ بنُ وليدٍ : لم يزَلْ عَمرُو بن عبدِالله فى وِلايَتِه الأولى : عظيمَ القَدْرِ ، ظاهرَ الفَضْل ، معرُوفَ العَدْلِ ؛ تُضْرَبُ به الأمْثالُ ، ويُهَدَّدُ به الظَّالِمُ ؛ لا يَعْدِلُ به أحدٌ فى جَميلِ مَذاهِبِه ؛ إلى أنْ قيمَ عندَه عَلَى بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ بذلك الأسْبابِ النَّاجِمَةِ ؛ وتَشاهَدَ عليه بَيَاضُ البَلدِ ، وشُيوخُ المِصْرِ : عازِمِينَ عَلَى سَفْكِ دَمِه ، وقَطْعِ أثَرِه ؛ وشَنَّعوا عندَ الأميرِ (رحمه الله) من ذلك شُنَعاً : عَظُمَ اهْتِمامُ الأميرِ بها ؛ فشاوَرَ الأميرُ فى ذلك هاشِماً ، وقال : قد شَهِدَ شُيوخُ البَلَدِ ووُجُوهُه على هذا الرجل : بما شَهِدُوا به ؛ فإن أردتُ : أنْ أرُدَّ شهاداتِهم ، وأسْقِطَ مَقالاتِهِم صَعُبَ ذلك علىَّ ؛ وإن أوْقَعْتُ بالرجل — : على زُهْدِه وخَيرِه . — : فَعلْتُ عظيماً ؛ فما تَرَى ؟ . قال له هاشمٌ : أرَى : أنْ تعزِلَ القاضىَ : الذى قام هذا السَّببُ عندَه ؛ فإنك إذا عَزَلْتَه : سَكَنَ القومُ ، وانكسرَ حَدُّهُم ، وصَعُبَ عليهم اسْتئنافُ الخَبَرِ عندَ الوالى بعدَه . فعَزَلَ الأميرُ محمدٌ عَمرو ابنَ عبدِ الله : لهذا السَّببِ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : سُليمانَ بنِ أسْوَدَ الغافِقِىِّ[1] . »

قال محمدٌ : سليمانُ بن أسْوَدَ بن يَعِيشِ بن جشيد من مَدينةِ « غافِقٍ » وَلِىَ كُورةَ ماردةَ : وقتَ وِلايَةِ عَمِّه سعيد بن سليمان ، قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبةَ ؛ ووَلِىَ خالدُ بن سعيدٍ هذا : قضاءَ فَحصِ البَلُّوطِ .

قال محمدٌ : وبمدينة ماردةَ ، كان تزوَّج سليمانُ بن أسودَ ، أختَ سليمان بن سليمان بن هاشمٍ المَعافِرِىِّ .

ولّاه الأميرُ محمدُ بن عبدِ الرحمن (رضى الله عنهما) ، قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبة :

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٦ — ٥٩ .

إذ عَزَل عن القضاء عَمرَو بن عبدِ الله . وكان السَّببُ الذى قدَّمه عندَ الأميرِ ، وأحلَّه بقلبِه مَحلَّ الجَلالَةِ — أمرَيْنِ ؛ (أحدُهما) : أنَّ الأميرَ محمداً رحمه الله — : إذ كان بماردةَ فى حياةِ الأميرِ عبدِ الرحمن رضى الله عنه . — تَطاوَلَ بعضُ أعوانِه : فانْتَزَع من رجلٍ ابنتَه — وكان سُليمانُ بن أسودَ حينئذٍ : قاضياً بماردةَ . — فلَجَأ الرجلُ المظلومُ إلى سليمانَ القاضى : فاستغاثَه ؛ فكَتَب إلى الأميرِ محمدٍ : يُعلِمُهُ بالخَبرِ ؛ فأبطأ عليه الجوابُ بما أحبَّ منه : من الإنصاف ؛ فركِبَ دابَّتَه ، ووَقَف بابِ القَصرِ بماردةَ ، وكَتَب إلى الأميرِ (رحمه الله) : « هذه طَريقى إلى أبيك : إن لم تُغَيِّرْ عَلَى أعوانك ما صنعوا » . فبَلَّغه الأميرُ محمدٌ إلى ماأحَبَّ : من الإنصاف .

فلمَّا وَلِىَ محمدٌ (رضى الله عنه) ، قيل لسُليمانَ : اُخْرُقْ الأرضَ ، وادخُلْ فيها : فقد علِمتَ ما قدَّمتَ إلى الأميرِ محمدٍ : إذ كان بماردةَ . فلم يَرَ منه مكروهاً ؛ وكان : حَظِيًّا عندَه ، مُقدَّماً لَدَيه ؛ وكان أحَدَ الأربعةِ الدَّاخِلِينَ عَلَى الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : فيما يَحْتاجُ : من إشْهادٍ واستِفتاءٍ .

(والثانية [1]) : أنَّه لمَّا عُزِلَ سُليمانُ عن قضاءِ ماردةَ : وافى بابَ القَصرِ بقُرطُبةَ ، وكَتَب إلى الأميرِ محمدٍ (رحمه الله) : « إنَّ بيَدِى مالًا : تَجَمَّعَ من أرْزاقى ؛ وَجَب عَلَىَّ صَرْفُه إلى بَيتِ المالِ ؛ وهو : ممَّا حاسَبْتُ فيه نفسى : من أيَّامِ الجُمَعِ ، وأوقاتِ الأشْغالِ والأحيانِ التى وَجَب عَلَىَّ فيها النَّظَرُ ، فلم أنظُرْ » .

فخَرَج إليه الجوابُ من عندِ الأميرِ : « هو لك صِلَةٌ مِن عندِنا » .

فأبَى : أنْ يَقبَلَه ؛ حتى يُقْبَضَ منه [2] .

---

(١) كذا بالأصل . والظاهر : (والثانى) . ولعل أنت : مراعاه لأنه قصة .

(٢) يعنى : حتى يتسلم منه ؛ ثم بعد ذلك يصله الأمير بما شاء : فيقبل الصلة حينئذ .

أمَّا [1] القِصَّةُ الأولى : فَمَشْهورةٌ مُسْتَفِيضَةٌ عندَ العامَّةِ والخاصَّةِ .

أمَّا [1] القِصَّةُ الثانيةُ : فأخبرنى بها فَرَجُ بْنُ سَلَمَةَ البَلَوِىُّ ، عن محمدِ بنِ لُبَابَةَ .

قال محمدٌ : وبَلَغنى : أنَّ سُليمانَ بنَ أسْودَ ، كان له حَظٌّ : من علمِ الأدبِ : ورُبَّمَا صَنَعَ الأبياتَ : من الشِّعرِ ؛ فخاطَبَ بها الخُلفاءَ ، والخاصَّةَ : من الإخْوانِ .

قال خالدُ بنُ سَعدٍ : أخبرنى وَلِيدُ بنُ إبراهيمَ بنِ لَبِيبٍ ؛ قال . أخبرنى سُليمانُ ابنُ سُليمانَ بنِ أسْوَد ؛ قال :

حضرتُ خَتَنِى سُليمانَ بنَ أسْودَ : اذ وُلِّىَ القضاءَ ، وعُزِلَ عَمرُو بنُ عبدِ اللهِ ؛ وكانا جميعاً فى ذلك الحِينِ : مُجتمِعَيْنِ فى الجامعِ ؛ فَخَرجا جميعاً فى [وقتٍ] واحدٍ : (الوالى والمعزول) ؛ فلَمَّا أتَيَا بابَ العَطَّارِينَ ، وخَرَجا من المدينةِ — : افْتَرَقا ؛ فمالَ الناسُ كلُّهم معَ سُليمانَ بنِ أسْودَ ؛ ومالَ عَمرُو بنُ عبدِ اللهِ وحدَه إلى دارِه : ليس معه أحدٌ . — وكان من قبلِ ذلك « بياغه » : قاضياً . — (قال سليمانُ) : فهَمَمْتُ : أنْ أمِيلَ مع عمرِو بن عبدِ اللهِ — : ممَّا اسْتَحَيَيْتُ وعجِبْتُ : من غَدْرِ الناسِ ، وقِلَّةِ وفَائهم . — فلم يَمنعْنى من ذلك إلاَّ مَخافَةُ أنْ يَعُدَّ عَلَىَّ خَتَنى سُليمانُ بنُ أسْودَ .

قال : وأخبرنى بعضُ أصحابِنا — : من أهلِ العلمِ . — عن يَحيَى بنِ زكريَّاءَ : وكان من كبارِ أصحابِ محمدِ بنِ وَضاحٍ ؛ قال

حضَرَ سليمانُ بن أسْودَ ضيفاً عندَ بعضِ الوُزراءِ : فى يومِ جُمعةٍ ؛ فسألَه الوَزيرُ : أنْ يَطْعَمَ وحدَه ؛ فاعتَذَرَ إليه : بأنه صائمٌ . فدعا له بغَالِيَةٍ : ليُغَلِّفَه بها ؛ فأبَى من ذلك ، وقال : إنَّ هذا يومُ جُمعةٍ ؛ ولا بُدَّ من الاغْتِسالِ فيه ؛ فيَصيرُ هـذا الطيِّبُ إلى الذَّهابِ والتَّلَفِ . فتَوَقَّفَ الوزيرُ عمَّا كان أمَرَ به : من ذلك .

---

(١) بالأصل : « وأما » ؛ ولعل زيادة الواو من الناسخ .

فلمَّا خَرَجَ سُلَيمانُ بنُ أَسْوَدَ من عندِه ، قال لِبعضِ إخوانِه: كَرِهتُ (واللهِ) : أنْ أكونَ خَطيبَ المسلمينَ اليومَ ووَاعِظَهم : وعَلَيَّ طِيبٌ فيه مافيه .

قال محمدٌ : أخبرنى غيرُ واحدٍ : من أهل العلم ؛ قال : كان سليمانُ بن أسْوَدَ : فيه ذَكَرَةٌ[1] وصَلَابَةٌ ، وتحامُلٌ على حاشيةِ السُّلطانِ ؛ وقِلَّةُ مُداراةٍ لِمَن لاذَ[2] بالخليفةِ : من وُجُوهِ رِجالِه ، وأكابرِ وُزرائه .

قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ : قال هاشم بن عبد العزيز :

كَتَبَ القاضى سليمانُ بن أسْوَدَ إلى الأميرِ ، كتاباً :

عَرَّضَ فيه : عَلَى السَّيفِ ، وعَزْلِ أُمَيَّةَ بن عيسى من المدينةِ ؛ وحَبْسِ ابنِ أبى أيُّوبَ القُرَشِيِّ فى الحَبْسِ ، وكان المعنى فى ذلك الكتابِ ، أنه قال للأميرِ — فيما خاطَبَه فيه — : «إنَّ ابنَ أبى أيُّوبَ خَرَجَ نهاراً بالسيف : مُشتهِراً ؛ فجرح به رجلاً ، وأخافَ آخَرِينَ . وقد كانت لِفَعْلَتِه هذه ، نظائر : كَتَبتُ فيها إلى صاحبِ المدينةِ : فلم يَقْمَعْه عن شَرِّه ، ولا أخَذَ فيه عَلَى يَدِه . ومن قبلِ ذلك : ما كَتَبتُ إليه فى عُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ العزيزِ : إذ ظَهَرَت دعارَتُه وشَرُّه ؛ فتهاوَنَ بذلك : حتى أحْدثَ ما أحدثَ ؛ واضْطُرَّ فيه الأميرُ إلى ما اضْطَرَّ . » .

فذَكَّرَ الأميرَ (رحمه الله) : بقِصَّةِ أخى هاشمٍ — : وفيها : من الغَضاضَةِ والتَّوْبيخِ لهاشمٍ ؛ ما فيها . — وشَهِدَ بالتَّقصيرِ على أُمَيَّةَ صاحبِ المدينةِ ؛ وحَكَى فعلَ ابنِ أبى أيُّوبَ القُرَشِيِّ فأمَرَ الأميرُ : بحَبْسِه .

قال محمدٌ : ذُكِرَ لى : أنَّ هاشمَ بن عبدِ العزيزِ كايد سليمان بن أسود ، ورام خَديعتَه فى تَرِكَةِ قومسِ بن أنْتِيْان ؛ فلم يُنَفِّذْ له عليه : من ذلك ؛ ما أحَبَّ ، وذلك أنَّ هاشمَ بن عبد العزيز ، كان مَحَلُّه من الأمير (رحمه الله) محلاً لطيفاً ،

---

(١) ذكرة الرجل والسيف : حدته .

(٢) بالأصل : لاث

فكان النَّاهضَ بأعباء الخلافةِ ؛ والمُتَصَرِّفَ فى وُجُوهِ النَّظَرِ ؛ والمُستَولىَ على أسبابِ التَّدبير لا تُنَفَّذُ[1] العُقودُ إلا به ، ولا يَحكمُ الأميرُ إلا على يدِه ؛ وكان لا يَجدُ معارضاً ، ولا يَعرفُ لِنفسِه مُلاَحِياً .

فلمَّا نَجَم قومسُ بن أنْدِنْيان ، وظَهَر فضلُ أدبِه : وتَوَلَّى الكِتابةَ ، واضطَلَعَ بالأثْقالِ ، وخاطَبَ ونَبَّه ، وعارَضَ فى الأمورِ ، ودَسَّسَ بالرَّفْعِ ؛ ولم يَرضَ : أنْ يكونَ تابِعاً لغيرِه ، ولا مُستَحْذِياً لِسِوَاه — : أشْتَغَل به قلْبُ هاشمٍ ، ونَفِسَ[2] عليه مَكانتَه ، وردَّ فِكرَه إلى : ضَرِّه ومُطالَبَتِه .

فلمَّا أحَسَّ بذلك قومس : اسْتَشْعَر الحَذَرَ ، وتَخَلَّقَ بالحَزْمِ .

فَبلَغ : من حَذَرِه وعَزْمِه ؛ أنَّ محمدَ بنَ يُوسُفَ بنِ مطْرُوحٍ ، كان له: صديقاً ، وبه خاصًّا ؛ فطرَقه ليلا : فَخَرج إليه قومس ، فخاطَبَه من وراء البابِ . فقال له : افتحْ . فقال : لستُ (بالله) أفعَلُ ؛ ولكنْ : قلْ حاجتَك . فقال له محمدُ بن يوسُفَ : إنها من الحوائجِ التى لا تُقالُ من وراء البابِ . قال له قومس: فأخِّرْها إلى الصباح .

فانصَرَف عنه مَغموماً : إذ أقامه ذلك المُقامَ . فلم يَنَمْ محمدُ بن يوسُفَ باقِيَ ليلتِه . فلمَّا صلَّى الصبحَ : عذَا إليه ، فأعظَمَه قومس وأكرمَه وبَجَّله .

فقال له محمدُ بن يوسُفَ : الآنَ تُكرِمُنى[3] : وإذ أتَيْتُك البارِحَةَ لم تَرَنى أهلاً : أن تَفتَحَ بابَك !!.

فقال له : أعذِرْنى ؛ فإنى رجلٌ مَطلُوبٌ ؛ وأنتَ تَعرِفُ مَن يَطلُبُنى ؛ وقد أخذْتُ نَفسِى : من الحَزْمِ ؛ بما رأيْتَ ؛ ورأيْتُ : أنْ أجعلَ تَحفُّظِى منك ، حُجَّةً فى التَّحَفُّظِ ممَّن هو دُونَك ؛ فلا تَلُمْنِى . فذكَر له حاجَتَه .

---

(١) بالأصل : ينفذ (٢) بالأصل : ولبس . (٣) بالأصل : يكرمنى .

فلمَّا مات قومسُ بن أنتنيان : طالَبَ هاشمٌ ورَثَتَه وتَرِكَته ، وأثارَ الشَّهاداتِ من كلِّ جانبٍ ؛ وأقام مُحتَسِباً : تقدَّمَ إلى القاضى سُليمانَ بن أسودَ ؛ فقال له : إن قومس بن أنتنيان ، ماتَ على النَّصرانيَّة : فمالُه لبيتِ المالِ . ورَفعَ هاشمٌ (أيضاً) بذلك إلى الأمير ، وقال له : أنتَ أحقُّ بمالِه من ورثتِه ؛ ولكن : تأمُرُ القاضىَ بالنظر فى ذلك .

فأمر الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) سُليمانَ بن أسودَ : بالنَّظَرِ فيه ؛ فوقَعَتْ عندَ سليمانَ شَهاداتٌ عظيمةٌ كثيرةٌ — من وُجُوهِ الناسِ ، وأعلامِ العُدولِ — : أنَّ قوماً ماتَ على النَّصرانيةِ ؛ ولم يتَخلَّفْ عن الشهادة بذلك — : من بَيَاضِ الناسِ وفُقهائهم — إلا الأخصُّ الأقلُّ ؛ منهم : محمدُ بن يوسفَ بن مَطْروحٍ : فإنه كان إذا قَعَدَ فى الجامع ، قال على رُؤوسِ الناسِ : مَن[1] مِثْلُ قومسٍ السَّجَّادِ العَبَّادِ حَمامةِ هذا المسجدِ ، يُقالُ فيه : ماتَ على النَّصرانيَّةِ ؟ ! ثم تَرَجَّعَ[2] ، وتعَجَّبَ الناسُ ممَّن شهد عليه بذلك .

واتَّصَل ذلك كلُّه بالأميرِ محمدٍ (رحمه الله) ، فأوْصَى إلى الوُزراء : أن يَبعَثُوا فى القاضى سُليمانَ بن أسودَ ، ويَسألوه : عما ثَبَتَ عندَه على قومسِ ابن أنتنيان .

فَحَضَر سُليمانُ بن أسودَ ، فقال له الوُزراء : إنَّ الأميرَ (أبقاه الله) ، أمر : بالإرسالِ فيك، وأنْ يَكشِفَك عما قِيمَ به عندك : من أمر قومسٍ. فأخرَجَ سُليمانُ طُوماراً من كُمِّه ، ثم قال : هذا ما شُهِد به عندى فى أمرِه ، ولكن : يُرسَلُ إلى الأمير، فيَتَصفَّحُه ؛ ثم يأمُرُ فيه : بمايراه .

---

(١) بالأصل : من مثل . والزيادة من الناسخ أو الطابع .

(٢) أى : قال إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأراد هاشمٌ : أنْ يعترضَه ؛ فقال له : يا قاضي ؛ الطُّومارُ كبيرٌ ، والشَّهاداتُ كثيرةٌ ؛ وليس كلُّ الناسِ : يَعرفهم الأميرُ ؛ ولـكن : أُقْصِدْ إلى أسماءِ الشُّهودِ الذين قَبِلْتَهُمْ : فاذكُرْ شهاداتِهم .

ففطن سُليمانُ لِمَذْهبِه ؛ فقال له : لستُ أفعلُ ؛ ولا بُدَّ : أنْ يرى الأميرُ الشَّهاداتِ على وُجُوهِها .

فأرسِلَ بالطُّومارِ — بجميع ما فيه — : فلم يكنْ إلاَّ قليلٌ ، حتى خَرَجَ الفَتَى من عندِ الأمير ، فقال للقاضي : يقولُ لك الأميرُ : دَعْنِي من الشَّهاداتِ وطُولِها ؛ وأخبِرْنى بما ثبَتَ عندَك منها .

فقال للفَتَى : قلْ للأمير (أبقاه الله) : لم يثْبُتْ عندى على قومسٍ شيءٌ : من المَكْروهِ ؛ وجميعُ الشَّهاداتِ الواقعةِ فيه ، مَعْلُومةٌ : لم يُرَدْ اللهُ بشيءٍ منها .

فقال له هاشمٌ : سبحانَ اللهِ يا قاضي : شَهِد عندَك ابن قلزمٍ ، وفلانٌ ، وفلانٌ .

فقال : الَّذى صَحَّ عندى قد أعلمْتُ به الأميرَ .

فَخَرَجَ التَّوْقِيعُ إلى القاضي : أقسِمْ مالَ قومسٍ بيْنَ ورثتِه فقسَمه القاضي : وكان مالاً عظيماً .

قال محمدٌ : ذكَر خالدُ بن سعدٍ ؛ قال : أخبرنى محمدُ بن قاسمٍ ؛ قال : أخبرنى عمُّ محمد بن بزيغٍ القَيِّم ؛ قال :

حضرتُ عند سُليمانَ بنِ أسودَ : وقد أتاه رجلٌ ، فتَظَلَّم عنده من صاحبِ المدينةِ . فأمَرَ سُليمانُ شيخاً بيْن يدَيْه : من أعوانِه — وذلك بالعَشِيِّ — فقال : تَغدو فتكونُ فى طريقِ صاحبِ المدينةِ ، عند موضعِ جُلوسِ الخَزَّان ؛ فإذا أقْبلَ للنُّزول : فخُذْ بعِنانِه ، وتأمُرُه عنى : أنْ يَرتفِعَ إلىَّ ؛ فإنه تُظُلِّمَ منه عندى ؛ فإن رَجَع طَوعاً ؛ وإلاَّ : فاحمِلْ العصا على دابَّتِه ، حتى تَردَّها إلىَّ كَرْهاً .

قال عمُّ ابن بزيغٍ : فغَدوْتُ معَ الشيخِ المأمورِ ، فوقفتُ معه فى طريقِ

صاحبِ المدينةِ ، حتى أتَى — : ومعَه جُملٌ من الناس ، قد رَكِبُوا معه . — فأخَذَ الرسولُ بعنانه ، فذَهب صاحبُ المدينةِ : أنْ يأمرَ بزَجْره ؛ فقال له الرسولُ : القاضى أرسانى فيك ، بسَببِ رجلٍ تظلَّم عنده منك ؛ فارْتفِعْ إليه : إن شئت طَوْعاً ، وإن شئتَ كَرْهاً . فقال صاحبُ المدينةِ : بل طَوْعاً . فانصرفَ حتى أتى القاضىَ ، ونزلَ عليه ، ونظر إليه فيما بينَه وبين الرجل المُدَّعِى عليه بالحق . فقضَى بينَهما : بالذى ظَهر له ؛ ثم انصَرفَ عنه .

قال : أخبرنى محمدُ بن عُمَر بن عبدِ العزيز ؛ قال : لمَّا عُزِلَ يوسفُ بن بسيلٍ ، عن شَذُونة : قام عليه بعضُ أهلِها ، فى مالٍ ادَّعاه فى يديْه . فَبعث فيه [سليمانُ] بطابعٍ ؛ فلما وَقَف إليه بطابَع القاضى : زجَرَه ، وأمر بضَرْبه . فجَمع سليمانُ الأعوانَ ، ثم بعثهم فى يوسف : فتَرصَّدُوه ؛ فلمَّا خَرج أتَوْا به عَلَى عُنُفٍ . فلمَّا صار إليه : وقَفه موقِفَ الحقِّ : بالإقرار والإنكار ؛ فأبَى من الإجابةِ إلى ذلك . فأمر : بامتهانه ؛ فلمَّا رأى العَزيمةَ من القاضى : تكلَّم .

قال خالدُ بن سعدٍ : وأخبرنى ثِقةٌ : من أصحابِنا ؛ عن رجلٍ فاضلٍ قديمٍ — كان : اسمه أحمد بن خالدٍ ؛ وكان قد أدرَكَ القاضىَ سليمانُ بن أسودَ :

أنَّ رجلاً طالبَ رجلاً عند سليمانَ بن أسودَ — وهو : عبدُ الملكِ بنُ العباس القُرَشِىُّ . — فوَقَفه سليمانُ مَوقفَ الإقْرار والإنْكار : فأبى مِن ذلك ؛ فعزَم القاضى : على امْتهانه ؛ فقامَ الناسُ إلى عبدِ الملكِ — من كلِّ جانبٍ — وقالوا : اتَّقِ اللهَ على نفسِك وشَرفك ؛ وصُنْ عرضَك ؛ فإنك إن لم تفعلْ : نَفَذ فيك ما أمرَ به ؛ فكانتْ : سُبَّةً عليك وعلى عقبِك . فلمَّا رأى ذلك ، قال : اشْتَرَيتُ قال له القاضى : اثبت عندى أنَّك اشْتَرَيتَ ؟ !

قال محمدٌ : وهـذا قولُ بعض أهلِ الفُتيا ، فى العمَّال المعرُوفينَ : بالغصْب والتَّعدِّى .

قال محمدٌ : أخبرنى مَن أثِقُ به : من أهل العلم ؛ قال : سمِعتُ الوَزيرَ : أبا مَرْوانَ عبدَ الملك بنَ جَهورٍ ؛ يحكِى ؛ قال :

كان الفقيه ابنُ الملَون : يُعنى بأسبابِ الوثائق ؛ وكان : حسنَ الفطنة فيها ، ولطيفَ الحيلةِ فى أبوابِها ؛ وشَنَّع عليه [أنْ] بابُ الفُجور والتَّدليسِ : فيما يعقِدُ منها .

فطلَبه سُليمانُ بن أسودَ : فخافَهُ ابنُ ملونٍ ، على نفسه : فتوَارى عنه ، وقَصَد الوَزيرَ محمد بن جهْوَرٍ : فكَنَفه وآوَاهُ .

(قال) : ثم أرسَل الوزيرُ محمدُ بنُ جهْورٍ أخاه ، إلى القاضى : يسئلُه فيه ، ويَذكُرُ له ما انْعقد بينه و بينَ ابنِ الملونِ : من الأزْمةِ[1] الموجِبة للطَّلب إلى القاضى .

فكان جوابُ القاضى ، أنْ قال : « لا بُدَّ من تَنفيذ الحقّ عليه : فيما بَلَغنى عنه ؛ وقد بلغنى : أنَّه — فى دارِ الوزير — مُختَفٍ منِّى ؛ ولم يَصِحَّ ذلك عندى ؛ فمتَى صَحَّ : أرسلْتَ من يَدخُلُ دارَه ، ويُخرِجُه[2] منها .

(قال) : فشُغِل بنَفسه ؛ وكان : لا يطْمئنُّ أنْ يَدَعه فى دارِه ، حتى يُنقلَ عنها إلى بعض مواضِعه الخارِجةِ عن الدَّارِ .

قال محمدٌ : قال لى ابن عُمر بن عبدِ العزيز : أخبرنى شيخٌ من أهلِ إشْبيليَّةَ — يُسمَّى هاشِمَ ابنَ رُزَيْنٍ . — قال : كنتُ يوماً فى مَرْكَبِ محمد بن موسى الوَزير — وهو يومئذٍ : أعظَمُ وزراء الأمير محمدٍ ، وأقْرَبُهم مَحَلاًّ منه . — فلمَّا حاذَى الجامعَ : خَرَج إليه ابنُ عمِّه (زَوجُ ابنتِه) فقال له : القاضى جالسٌ فى المسجد ؛ وهذا طابَعُه ؛ وهو يأمُرُك : بالنُّزول إليه . فقال : سمعاً وطاعةً ؛ وثنَى رجلَه ونزل . فلمَّا توَسَّط بابَ المسجدِ : بدَرَ إليه من حَضَر — : من القَومَة . —

---

(١) فى الأصل : أذمة . وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل : بالنون .

فقال لهم : تَفَقَّدُوا لى أحَد الخصوم ؛ واسْتقبَلَ القبلةَ : فرَكع ركعتَين ؛ فلمَّا سَلَّم : وجَد القَومةَ قد أحضَرُوه برجلٍ من الخصـوم . فقال : أنا أُشْهِدكم : أنِّى قد وكَّلْتُه على مُناظرةِ ابن عمى . فلَجَّ ابنُ عمِّه : فى تَقديمِه إلى القاضى، وأنْ يُوقِفَه مَوْقِفَ الإقرارِ والإنْـكارِ . فوَبَّخَه الناسُ ، وقالوا : قد أنْصَفَك ؛ إذ وَكَّلَ من يُناظرُك. فانْـكسَر ؛ وخرَج الوزيرُ : فرَكِبَ .

قال محمدٌ : ذَكر خالدُ بن سَعـدٍ ؛ قال : كان محمـدُ بن عُمَر بن لُبابةَ : يُحدِّثُ ؛ قال :

كنتُ جالساً عندَ القاضى : سُليمانَ بنِ أسودَ ؛ فجاءه رجلٌ : يُخاصِمُ خَتَنَه زَوجَ ابنتِه ؛ وكانتْ الابْنَةُ : فى وِلايَةِ الأبِ ؛ وكان الزَّوجُ : ساكِناً معَها فى دارِها؛ فطَلَب الأبُ من الزَّوجِ : أنْ يُرَحِّلَ الابْنةَ من دارها ، وأنْ يُكْرِيَها لها : فتَنْتَفِعُ بِكرَائِها .

فقال سُليمانُ بن أسودَ للزوجِ : ألَكَ دارٌ ؟ فقال : لا . وصَدَّقه أبو الجاريةِ .

فقال القاضى لأبى الجاريةِ : ولا كَرامةَ لك : أنْ تُخرِجَ ابنتَك من دارها ، إلى دار خَرْجٍ معَ زوجِها ؛ فتَمشِىَ بفِراشها إلى عنُقِها، من دارٍ إلى دارٍ:فتَهتِكَ سِتْرَها ؛ ليْس هذا : من حُسْنِ النَّظر لها .

فـكان ابنُ لُبابةَ : يُعجِبُه ذلك : من قضاء سليمان . (قال) : وكان محمـدُ بن عُمَر بنِ لُبابةَ ، يقول : حضَرْتُ سُليمانَ بنَ أسودَ ، يَقضِى بها . على الاستِحسانِ لها من قضاءِ سُليمانَ .

ومن ذلك : أنَّ أحمدَ بن أبى خالدٍ ، أخبرنى : أنَّه سَمِع محمد بن عُمَر بن لبَابةَ ، يقولُ : حضرت [سُليمانَ] : وقد خاصَم إليه رجلٌ ، فى فُرنٍ بَناه صاحبُه : فأضَرَّ الدُّخانُ به وبالجِيرانِ . — وهذه المسألةُ يقول ابنُ قاسمٍ [فيها] .

إنَّ ذلك من الضَّرَر : الذى يَجبُ قَطْعُه ، ولا يُباحُ اتِّخاذُه . — فقضى سليمان ابن أسودَ ، بغير ذلك : أنْ يَجعل أنبوباً فى أعلى الفُرنِ ؛ فيَخرجُ الدُّخانُ من أعلاه . فلا يَضُرُّ ذلك بمَن جاوَرُه .

فكان محمدُ بن عُمَر : يُفتِى بهذا ، ويَحملُ الناسَ عليه ؛ فيما أخبَرَنى أحمدُ ابن خالدٍ .

قال محمدٌ : أحسَبُ سليمانَ بن أسودَ : رأَى تلك الصَّنْعة ، أو بَلغَتْه عن أفْرانِ المَشرِقِ — : فإنها مَصْنُوعةٌ عَلَى تلك الشَّاكِلةِ : التى ذَكَر . — : فاسْتَحْسَنَ ذلك ، فأمَرَ : بامتثالِه بالأندلُسِ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وأخبرنى بعضُ مشايخنا — : من أهلِ العلمِ . — : أن القاضىَ سُليمانَ بنِ أسودَ ، أرسَلَ فى عبدِ الله بن خالدٍ : ليُشْهِدَه فى كُتُبِ الأمير (رحمه الله) ؛ فأبَى ابنُ خالدٍ : أنْ يَقومَ إلى القاضى .

فكَتَبَ سُليمانُ بن أسودَ ، إلى الأميرِ (رحمه الله) : يُكثِرُ عَلَى عبدِ الله بن خالدٍ ، ويَصِفُ تَثاقُلَه [1] . وكَتَب عبدُ الله بنُ خالدٍ ، إلى الأميرِ محمدٍ : فى سَبَبِ القاضى سُليمانَ .

فوَقَّع الأميرُ فى بِطَاقةِ سُليمانَ بنِ أسودَ : « نحن : أحَقُّ مَن عَظَّمَ العِلْمَ وأهْلَه ؛ فإذا أردتَ : أنْ يَشْهَدَ فى كُتُبِنا ؛ فاجلِسْ إلى الفَقيهِ : عبدِ الله بن خالدٍ » .

قال محمدٌ : وذَكَر لى غيرُ واحدٍ — : من أهلِ العلمِ . — : أنَّ سُليمانَ بن أسودَ كانتْ فيه دُعَابةٌ ، تَليقُ به ، وتحسُنُ منه .

وحَكَوْا عنه فى ذلك ، حِكايةً : حُفِظتْ عنه فى مجلسِ حُكمِه ؛ وذلك : أنه كان فى وقتِه رجلٌ : من العُدولِ ؛ يُعرَفُ : بابن عَمَّارٍ ؛ كان : يَختَلِفُ إلى

---

(١) بالأصل : تناقله . وهو تصحيف .

مجلس القاضى ويلتزمه ، ولا يقومُ عنه إلاَّ بقيامه . وكانت لابن عَمَّار ، بَغلةٌ هَزيلةٌ : تَلوكُ لجامَها طُولَ النَّهارِ على باب المسجدِ ؛ قد أضْناها الجَهْدُ ، وغيَّرَها الجوعُ . فتقدَّمَتْ امرأةٌ إلى القاضى ، فقالت له بالعَجَمِيَّةِ : يا قاضى ؛ أنظُرْ لشَقِيَّتِك هذه . فقال لها بالعَجَمِيَّةِ : لستِ أنتِ شَقِيَّتِي ؛ إنَّما شَقِيَّتِي : بَغلةُ ابْنِ عَمَّارٍ التى تَلوكُ لجامَها على بابِ المسجدِ طول النهارِ .

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عبد الملكِ بن أَيْمنَ : كان بعض فُقهاء البَلدِ — وهو : فُلانُ بن فُلانٍ (وذَكر رجلاً عظيمَ القَدْرِ) — : قد أخذَ من رجلٍ هَدِيَّةً عَلَى حُسنِ المعُونةِ : جُبَّةً خَضْراء . فَشَعر لذلك خَصمُ المُهدِى : فأعلَمَ سُليمان بالقصَّة : وجَعَل الشيخُ الفقيهُ — بصِحَّةِ المذهبِ ، وسَلامةِ الضَّميرِ — يَلْبَسُها فى المحافلِ . فقال سُليمان لخصمِ الرجلِ صاحبِ الجُبَّةِ : إذا رأيْتَ الشيخَ — : وعليه الجُبَّةُ ، وأفتَى عليك فقلْ : يا قاضى ؛ ليس الشيخُ يُكلمك ؛ إنَّما تُكلِّمُك الجُبَّةُ التى عليه . فإنك إذا فَعلتَ ذلك خَرجْتُ عليك ، وأمَرْتُ بسِجنِك : فلا يُلهِيَنَّك ذلك عن قولِك . ففَعَل الخَصمُ ما أمَرَه به القاضى : فاسْتَحيَى الشيخُ ، وانقلب خَجِلاً .

قال لى أحمدُ بن عُبادةَ الرَّعَيْنِيُّ : أخبرنى مَن سمعَ سُليمان بن أسودَ القاضىَ : وهو يقولُ لمُؤَذِّنِى الجامعِ : إذا حَضَر وقْتُ الصلاةِ : فلا تُؤخِّرُوها عن وقتِها ؛ وإن أحْسَسْتُم أنى قد نَزَلْتُ عندَ بابِ الصَّوْمَعَةِ : فلا تَنْتَظِرُونى ، وأقيموا الصَّلاةَ ، وصَلُّوا .

قال محمدٌ : ثم عَزَل الأميرُ محمدُ بن عبد الرحمن ، قاضِيَه : سليمان بن أسودَ ، عن القضاء ؛ وأعادَ عَمرو بن عبد الله .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبادةَ : قال لى أبو صالحٍ أيُّوبُ بن سليمان : أوَّلُ مَن شاوَرَنى — : من القُضاةِ . — سليمانُ بن أسْودَ .

قال محمدٌ : واختُلِف علىَّ فى عَزْلةِ سُليمانَ بنِ أسودَ الأولى : كيفَ دارَتْ ؟ ولأىِّ شىءٍ كانتْ ؟ .

فأمَّا خالدُ بن سعدٍ ، فذكر : أنَّ عبدَ الله بن يونُسَ ، أخبره : أنَّ الأميرَ (رحمه الله) أمَرَ بعضَ الوُزراء : بالإرسالِ فى القاضى سُليمانَ بنِ أسودَ ، وأنْ يُتَكلَّمَ معَه فى دارٍ كانتْ لِيتيمٍ : كان فى نَظَرِ القُضاةِ ؛ أحَبَّها الأميرُ لبعض ولَدِه . فأرسلَ الوزيرُ من نَظَرَ إلى الدَّارِ وقوَّمَها ؛ ثم بَعَث فى سليمان بن أسود ، وأعلَمَه بما أحَبَّ الأميرُ : من شِراء تلك الدَّارِ بما قوَّمَها المُقوِّمُون .

فقال له سليمان : لستُ أبيعُ نَقْضَها بهذا الثَّمن ؛ فكيف الدَّارُ جميعاً ؟! . وسأل القاضى لليتيمِ أضعافَ تلك القيمةِ .

فأنْهى ذلك الوزيرُ إلى الأمير ؛ فأمر الأميرُ (رحمه الله) : بالكَفِّ عن شراء تلك الدَّار .

وكان ذلك الوزيرُ : يَشْنَأُ سُليمان ، ويَلُوم عليه عندَ الأمير من قبلُ ؛ فلا يَضُرُّه بكبير شىء . فلمَّا امْتَنَع من بَيعِ الدَّار : أمكَنَتْه الفُرْصةُ ؛ فجعل يَذكُرُ للأمير بُغْضَتَه ؛ ويُذكِّرُه : بما كان يَصِفُه له عنه . فلم يَزَلْ بذلك : حتى ثَقُل على نفس الأمير : فأمرَ بعزْلِه .

وحكى أحمدُ بن عبد الملك ؛ قال : لم يَزَلْ سُليمانُ قاضياً فى الدَّولةِ الأولى ، إلى أنْ خَرَج الأميرُ غازياً سنةَ ستينَ ؛ فَخَرج القُرَشىُّ عَمرُ بن عِيصٍ : مُشَيِّعاً له وشاكِياً سُليمان بن أسودَ ، فى كلِّ مَحِلَّةٍ حتى انْتهى قلعة رَبَاح .

فكتَب الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) إلى أُمَيَّةَ بن عيسى (صاحبِ المدينة يومئذٍ) . يأمُرُه : بعزْلِ سُليمانَ عن القضاء ، وأن يبعَثَ إليه أربعةً : من عدولِ قُرطُبةَ : يَقبِضون الديوانَ منه ؛ ثم يجعلَه فى بيتِ الوُزراء . ففعَلَ ذلك أميَّةُ بن عيسى :

فلمَّا قَدِم الأميرُ (رحمه الله) : صَرَف عَمرَو بن عبدِ الله إلى القضاء .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : عَمرِو بن عبدِ اللهِ المرَّةَ الثانيةَ ؛ »

« وكان ذلك : فى سنةِ سِتِّين ومِائتَيْن . »

قال : محمدٌ : ذَكَر أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن عبدِ الملك بن أيْمَنَ — فيما حَكى ابْنُه عنه — : أنه لمَّا عُزِل سليمانُ بن أسود ، خاض الناسُ : فيمَن يَلِى بعدَه .

(قال) : فأخبرنى مَن سمع عَمروَ بن عبدِ الله ، يقولُ فى تلك الفَتْرةِ — وهو قاعدٌ على بابِ دارِه — : القضاء ، القضاء (قال) ؛ لمن شاء اللهُ [أنْ] يَلِيَه ؛ واللهِ : لا أُفلِحُ فيه .

(قال) : ثم ولاَّه الأميرُ محمدٌ (رضى الله عنه) القضاء .

فأخبرنى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : لمَّا وُلِّىَ عَمرُو بن عبدِ اللهِ المرة الثانية : اسْتَخْرَجَ إلى سُليمانَ بن أسود ، وتعقَّبَ عليه بعض أقْضِيَتِه ، ونظر عليه نَظَراً : وقَفَهُ به موقفَ الضِّيقِ فنصح عمراً — فى ذلك — بعضُ إخْوانِه ؛ ونَهاه عن الاستفسادِ مع سليمان فأبى وتمادَى عليه . ثم انْقضَتْ تلك الأمور . وخُلِّص سُليمان من مَضايِقِه مع عمرو بن عبدِ اللهِ .

وأخبرنى مَن أثقُ به : من أهلِ العلمِ ؛ قال : لمَّا وُلِّى عمرٌو المرَّةَ الثانيةَ : تَنَكَّرَتْ أحوالُه ، وتغيَّرتْ سيرَته . وكان السَّببُ فى ذلك ؛ أنه كَبِرَ بَنُوه ، وغَلَب عليه وَلَدُه المُكنَّى : بأبى عمرٍو . فمَشَتْ إليه التُّحَفُ ، ودَخلتْ عليه الهَدايَا .

حكى لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ ؛ قال : جَلَس أبو عمرٍو (ولَدُ القاضى عمرو بن عبدِ اللهِ) يوماً ، فى مَجلِسِ أبيه — ومَجلِسُه : فى حَفْلٍ من الناسِ . — فقال لبعضِ أهلِ السُّوقِ — : ممَّن كان فى المَجلِس . — : أحْبَبْتُ أن أشْتَرِىَ لَزْمةً مُحبَّبةً حَسنةً لفَرَسٍ : اكْتَسَبْتُه ؛ فانظرْ لى فيها . (قال) : فما أمسى الليْلُ من

ذلك النهار ، إلاَّ : وفى بَيتِهِ سبعَ عشْرةَ لزمةً : هـدايا كلُّها . وكُثِرَتْ القالَةُ فى ولدِهِ أبى عمرٍو ، ونُسِبَ إليـه تَدْلِيسٌ فى الديوانِ : فى مالٍ مُسْتَوْدَعٍ ؛ . سنذكُرُه مُفَسَّراً إن شاء الله : على ماذكَرَه الواصِفُ له .

وقال فى ذلك الوقتِ ، مؤْمنُ بن سَعيدٍ الشاعرُ :

لَعَمْرِى : لقدْ أَنْدَى ـ بِعَمْرٍو ـ أبو عَمْرٍو ؛
ومِثْـــلُ أبى عمرٍو : بِوَالِدِه يُزْرِى
وقَدْ كان عَمْـرٌو : يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ ؛
فأَضْحَى أبو عَمرٍو : كُسُوفاً عَلَى البَدْرِ
وماَ عُرِفَتْ ـ مِنْ عَمْرٍو ٱلنَّدْبِ ـ سَوْأَةٌ
سِوَاها ؛ وهَلْ تَنْجُو العِتَاقُ من العَثْرِ ؟!

قال محمدٌ : واخْتَلَف الناسُ : فى السَّببِ الذى عَزَلَ عَمروَ المَرَّةَ الثانيةَ .

فقيل لى: إنَّ هذه الثلاثةَ الأبياتَ (التى قالها مُؤمنٌ) : لمَّا سَمعها الأميرُ (رحمه الله) ، قال : قد أكثر الناسُ : فى عَمرٍو ، وفى ولَدِه . فعَزَلَه حينئذٍ

وقيل : إنَّ هاشِماً كان يَسْتَثْقِلُه بسَببِ ما تَقَدَّم له : من التَّحامُل على بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ ، فسعى فى عَزْلِه .

وذكر أحمدُ بن عبـدِ الملك : أن عمراً كان قاضياً فى المرَّة الثانية — فى سنةِ ستينَ — إلى أن غَزَا وَلِيدُ بن هاشمٍ — فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ — إلى أرض الحربِ : الغَزَاةَ التى تُعْرَفُ : بغَزَاةِ البَرْبَرِ . فغزا القاضى عَمروٌ تلك الغزَاةَ ؛ فلمَّا قدِم لم يُؤْمَرْ بالنَّظرِ ؛ وكان الرَّسمُ حينئذٍ — إذا غَزَا القاضى ، ثم قدِم — : لم يَنظُرْ ؛ حتى يُعْهَد إليه : بالنَّظَرِ .

فأقامَ الناسُ يومئـذٍ نحواً من ستةِ أشهُرٍ : لا قاضىَ لهم ؛ ثم أعاد الأميرُ

(رحمه الله) : سُليمانَ بن أسود ؛ إلى القضاء ثانيةً . وذلك : فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ ومائتين .

***

« ذِكْرُ القاضى : سُليمانَ بنِ أسْوَدَ المرَّةَ الثانيةَ ؛ »

« وكانتْ ولايتُه هذه : فى سنةِ ثلاثٍ وستينَ ومائتين »

قال محمدٌ : ثم وُلِّىَ سُليمانُ بن أسودَ المرَّةَ الثانيةَ ؛ فتَعقَّبَ على عَمرِو بن عبد الله ، وكافأه : بمثلِ ما فعل به عَمرٌو من قَبلُ ؛ وتصفَّحَ الدِّيوانَ : فأصابَ فيه ذِكْرَ مالٍ عظيمٍ : نحوِ عشرةِ آلافِ دينارٍ . — وكان ثُلثاً : أوْصَى بتفريقِه رجلٌ من التُّجَّارِ ، يُعرَفُ : بابنِ القصيبيِّ . وكان موقوفاً على يَدَىْ بعض العُدولِ . — فأرسل سليمان فى الرجل العدل : (الموقوف على يدَيْه المالُ) ؛ فقال له : أحْضِرْنى المالَ . فقال له الرجلُ العدلُ : كانَ المالُ عَلَى يدىَّ وقتاً طويلاً ، ثم قبضه منِّى القاضى عَمرُو بن عبدِ اللهِ — : إذا كان قاضياً : — وأبْرأنى منه .

فقال له سُليمانُ : أقِمْ البَيِّنةَ عَلَى ماتقولُ . فأتَاه بصَحيفةٍ : فيها بَراءةٌ مِن عَمرِو بن عبدِ الله — : إذ كان قاضياً . — للرجلِ من المال ؛ وأقامَ عليه ستةَ عشرَ شاهداً : من الناسِ . فكوشف[1] عَمرُو بن عبدِ اللهِ عن ذلك : فأنكرَ القبضَ ، وكذَّبَ الشُّهودَ ؛ ونزَعَم : أنها حِيلةٌ اُحْتِيلَتْ فيه ، ودائرةٌ أُديرَتْ عليه .

ووَقَفَ سُليمانُ عَلَى الحُكمِ عليه : بالمالِ ؛ فاسْتَعاذَ عَمرٌو بالأميرِ محمدٍ (رحمه الله) ، ورَفَع إليه فى ذلك : مُتَنَصِّلا ممَّا[2] قُذِفَ به .

فحَكَى لى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال : أخبرنى رجلٌ : كان خاصاً بعَمرِو بن عبدِ اللهِ ؛ قال : إنِّى لقَاعدٌ معَ عَمرٍو : حينَ أتَاه — مِن لَدُن الأميرِ محمدٍ —

(١) بالأصل : فشكف (٢) بالأصل : بما

فتًى : من أصحابِ الرَّسائلِ؛ فسَألَه : أنْ يَدْخُلَ معَه فى بَيتِه ؛ فأقامَ معَه ساعةً ، ثم خَرَجَ الفتَى عن عَمرٍو . فلمَّا خَرَج : اسْتأذَنْتُ عَلَى عَمرٍو ؛ فأذِنَ لى . فدَخلْتُ عليه ، فوَجَدْتُه : واجِماً مُطْرِقاً . فقلتُ له : ما الذى أتاكَ به الفتَى ؟ . (قال) : فسَكَتَ عنِّى ساعةً ، ثم أنْشأَ يقولُ :

نُضْحِى عَلَى وَجَلٍ، نُمْسِى عَلَى وَجَلٍ؛ كُلِ ٱلتُّرابَ ، ولاَ تَعْمَلْ لهم عَمَلاَ

ثم قال : أتَانى الفتَى : بمُصحَفٍ فى كُمِّه ؛ وأمَرَنى أنْ أحلِفَ : أنِّى بَرِىءٌ من المالِ : فحَلَفْتُ .

(قال) : فأبرأه الأميرُ محمدٌ (رحمه الله) من أمْرِه ؛ وأمَرَ : أن يُغَرَّمَ وَرَثَةُ القصيرِىِّ ثُلثاً ثانياً ، ممَّا فى أيديهم : من المالِ . فغَرِمَوه : بعدَ أنْ كانوا أنفقُوه . فقيل لى : إنَّه كان سَبَبَ فقرِهم .

قال محمدٌ : وذَكَر أحمدُ بن محمدِ بنِ عبدِ الملكِ : أنه كان فى الدِّيوان مالٌ عظيمٌ : مُوقَفٌ عند بعضِ العُدُولِ ؛ فماتَ ذلك العَدولُ ؛ فعامَلَ أولادُه أبا عمرٍو — ولَدِ عَمرِو بن عبدِ اللهِ — : عَلَى أنْ يَقسِمُوا ذلك المالَ ؛ ويأخُذَ أبو عَمرٍو أكثرَه : عَلَى أنْ يَقتَلِعه من الديوانِ . — وكان الدِّيوانُ يومَئذٍ : لا شُهودَ عليه ؛ وإنما كان ذِكْرُه : فى دَفتَرٍ مُطلَقٍ . — فاقتَسَمُوا المالَ ، وغَفَل أبو عمرٍو عن قَلْعِه : حتى عُزِلَ عَمرٌو ؛ فوَجَدَهُ سليمانَ فى الديوانِ : مذكوراً .

فدارَتْ بيْنَ القاضِيَيْنِ — : سليمانَ وعَمرٍو . — أحْوالٌ شَنِيعةٌ ؛ ثم آلَ[1] الحالُ فى ذلك : إلى أنْ شاوَرَ الأميرُ (رحمه الله) الفُقهاء ، فأشارُوا : بتَحْليفِ عَمرٍو ؛ غيرَ بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ : فإنه قال : إن اتَّصَلَ ببَنِى العبَّاسِ : أنَّا نُحَلِّفُ

(١) بالأصل : « اله » والظاهر : أنه مصحف عنه .

قُضَاتنا ؛ كان ذلك : من أعظمِ ما نُعَابُ به عندَهم . فاستَحْسَنَ الأميرُ قولَ بَقِيٍّ ابن مَخْلدٍ ، وأوْصَى إلى عَمرٍو : أنْ يَكتُبَ إليه بيَمينِه فى السِّرِّ ؛ ففَعَلَ .

قال : وكان ممَّا يَحتَجُّ به عَمرٌو عَلَى سليمانَ — عندَ اجْتِماعِهما بمَحْضَرِ الوزراء — أن يقولَ : لو دَلَّسْتُ فى هذا المالِ : لَمَا أبْقَيتُ ذِكْرَه فى الديوانِ .

فكان سليمانُ يقولُ : بحَذْلانِ اللهِ تَرَكْتَه .

وكان عَمرٌو — فيما يقولُ أهلُ العلمِ والمَعرفةِ فى [هذا] الزمان — : مُبرَّأً من ذلك مَنزِّهاً ؛ سيَّمَا : أنه لم يَزَلِ الغَمُّ : يَسْرِى فى قَلبِه ، ويَعمَلُ فى نفسِه ؛ حتى أخَذَه ذُهولٌ أخْرَجَه عن حَدِّه ؛ حتى أنَّه : لقد كان يخرُجُ إلى الزُّقاقِ حاسراً ؛ بعدَ تلك المرُوءةِ الكاملةِ ، والنَّزاهةِ العظيمةِ .

قال خالدُ بن سعدٍ : حدَّثنى أبو العبَّاس : وَلِيدُ بن إبراهيمَ بنِ لَبيبٍ ؛ قال :

أتيتُ عمرو بن عبدِ الله : وقد عُزِلَ عن القضاءِ ؛ وكان الذى سَعَى فى عزلِه : هاشِمَ بن عبد العزيز ؛ من أجْلِ بَقِيِّ بن مَخْلدٍ : إذْ كانت الشهاداتُ عَلَى بَقِيٍّ عنده ؛ وكانت له شهوةٌ فى إنفاذِ ماشُهِدَ به على بقىٍّ . فلمَّا عُزِلَ وَلَّد عليه هاشمٌ أشياء : غَمَّتْه ؛ فخولِطَ فى عقله : من أجْلِ ذلك :

قال وَلِيدٌ : قال لى عَمْرُو بن عبد الله — قبلَ استِحْكام ذلك الذُّهول فيه — : يا بُنَىَّ ؛ ما يُتَمَنَّى منه المَوتُ : أشَدُّ من الموتِ ؛ ولوَدِدْتُ : أنِّى قَدْ مِتُّ .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمِعتُ أسلَمَ بن عبدِ العزيز : وقد نزلَ من القصْرِ بالعَشِىِّ فأتاه بَقِىُّ بن مَخْلَدٍ : فخَرج عليه هاشِمٌ وعنَّفَه ، وقال له : مَهْ ؛ واللهِ : ما كانت بَيْنِى وبيْنَ عَمرٍو ، حالةٌ : مُوجبةٌ لعداوَةٍ ؛ ولا سَعيتُ فى عزله عندَ الأميرِ ، إلاَّ : من سببِك ، ولِمَا أرَاه : أن يَفعلَ بك ؛ فعَلْتُ ذلك : لله عز وجل ؛ فأتَيتَ أنتَ اليومَ : فأفْتَيتَ فى أمرِه بفُتْيا : هَدمَت علَيْنا ما كنَّا بَنَينَا فى أمرِه ؛ وخالفْتَ جميعَ أصحابِك : من الفُقهاءِ .

قال اسلمُ : وكان هاشمٌ : قد أرسلَ فى الفُقهاءِ -- قبْلَ ذلك — واستَفتاهم فى مَسئلته ؛ فأَوْجَبُوا فيها : اليَمِينَ عَلَى عَمرِو بن عبدِ اللهِ ؛ فى مَقْطَعِ الحقِّ ؛ من أجْلِ مالِ يَتيمٍ : كان قد أَوْدَعَه عندَ بعضِ مَن أَوْدَعَه ؛ وقال : لستُ أحفَظُ : عندَ مَن أودعَتْهُ ؟ . فأفتَى أهلُ العلمِ : أن يُحلَّفَ فى ذلك .

ولم يُرسِل أخى : هاشمٌ ؛ فى بَقىٍّ بن مَخْلَدٍ : من أجْلِ ثِقتِه به؛ وظَنَّ : أنَّه لا يُخالِف أصحابَه فى الفَتْوَى ؛ لا سيَّما : أنَّ الحاجةَ كانتْ لِبَقِىٍّ ؛ إذا كان عَمرُو بن عبدِ اللهِ : عَدُوَّه .

فاجْتَمَع الفُقهاء فى بيْتِ الوُزراء : فأفتَوْا باليمين ؛ وأتى بَقِىُّ بن مخلَدٍ فى آخِرِهم ، فقال : لا يمينَ عليه ؛ لأنَّ القُضاة أمْرُهم : على السَّلامةِ ؛ حتَّى يثبُتَ عليهم غيرُ ذلك ؛ والأميرُ — : إذا قدَّمَه . — : إنَّماقدمه وهوعندَه منأهلِ العدلِ .

فلما رُفِعتْ الآراء إلى الأميرِ محمدٍ أمَرَ : أن يُوخَذَ فى أمْرِ عَمرٍو : بفُتيَا بقِىِّ بن مَخْلَدٍ :

فلما عَدَّدَ أخى على بَقىٍّ فِعْلَه ذلك ، بَحْضرَتى — قال له : أصلَحَك اللهُ ؛ كنتَ تَرْضَى لِشيخٍ مِثلى :أن يُفتِىَ على عدُوٍّه بغيرِ ما يعتقِدُه : من الحق .؟ ! واللهِ : ما أفْتَيْتُه فى أمْرِه ، إلاَّ بما اعتَقَدتُ : أنه الحقُّ ؛ فلا تَلُمْنى .

(قال أسْلَمُ) : ومكَثَ أخى هاشمٌ — بعدَ ذلك — :عاتباً على بَقِىِّ بن مخلَدٍ نحوَ الشهرين ؛ثم أسقطَ مُعاتبته فى ذلك .

قال محمدٌ : ثم استنفر سليمان بن أسود : على القضاء ؛ بعد عمرِو بن عبد الله ؛ فى المرَّةِ الثانية — : حتى أخَذَتْ منه السِّنُّ ، وظَهَر فيه الهَرَمُ [1] .

فرُفِعَتْ بِطاقةٌ إلى الأميرِ محمدٍ رحمه الله — على لسانِ عمرِو بن عبدِ الله —

---

(١) فى الأصل : الهدم . وهو تصحيف .

يقالُ فيها : إنَّ سليمانَ بن أسودَ : كبرَت سنُّه ، وضعُفَ بدنُه ؛ ولا طاقةَ له على القضاء .

فأمرَ الأميرُ (رحمه الله) الوزراء : أنْ يبعثُوا فى سليمان وعمرٍو ؛ ويُسْئَلَ عَمرٌو عن البِطاقة : إن كان هو [1] رافِعُها ؛ ويُسْئَلُ سليمان : عمَّا يَجِدُ فى بدنه : من القُوَّةِ على القضاء .

فأحضرَ الوزراء إلى أنفسهم الرجلين : فجلسا ؛ وكان عَمرُو بن عبدِ اللهِ : وَقُوراً ساكِناً مُتَثاقِلاً [2] ؛ وكان سليمانُ فى ضِدِّ هذه الصفةِ : كانت به هَشَاشَةٌ وحَرَكَةٌ ، وخِفَّةُ بَدَنٍ . فأخْرَجَ الوزراء البطاقة ؛ ثم قُرِئَتْ على عَمرٍو ، وقيل له : أنتَ رافعها إلى الأمير ؟ . فقال : أعوذُ بالله ؛ لا — والله — : ما كتبْتُها .

فقال له سُليمانُ : إنْ كنتَ لم تَكْتُبْها — أبا عبدِ اللهِ — : فقد أمْلَلْتَها .

فقال : لا واللهِ ؛ ولا أمْلَيْتُها ، ولا علِمْتُ بها .

فقال له سُليمان : إن كنتَ صادقاً فى نَفسِك ، فصاحِبُ البطاقةِ : وَلَدُكَ أبو عَمرٍو .

واسْتَطَالَ عليه سُليمان : فى اللَّفْظِ ؛ فأطْرَقَ عَمرُو بن عبد الله ، واستَعْمَلَ الحِلْمَ ، والأخْذَ بالفَضْلِ .

فقال له سُليمان : وتَتَغافَلُ أيضاً ، وتَتَحَلَّمُ ؛ كأنَّا لا نَعرِفُك ؟ ! .

فقال عَمرٌو : حسْبُنا اللهُ ، حسْبُنا اللهُ . ثم وَضَعَ يدَيْهِ جميعاً فى الأرضِ : ليَقُومَ ؛ فوَثَبَ سليمانُ إلى عَمرٍو — : بخِفَّةِ بدَنِه وهَشَاشَتِه . — فمَدَّ يده إليه ، ثم قال له : هاتِ يدَكَ — أبا عبد الله — : لنُقيمَك .

فنظر إليه عَمرٌو ، ثم رَجَع واستَوَى جالساً ، وقال : اللهُ المُسْتَعانُ ، اللهُ المُسْتعان ، اللهُ المُسْتَعانُ . ثم افْتَرقا .

---

(١) فى الأصل : هذا ، ولعله مصحف عنه . (٢) بالأصل : متثاقل . وهو تحريف .

قال محمدٌ : قال لى أبو عبد الله محمدُ بن عبد الملك بن أَيْمَنَ :

مرِضَ سُليمان بن أسودَ مَرْضَةً : أشْفَى فيها عَلَى الموتِ ؛ وكان حينئذٍ : صاحب الصَّلاةِ ؛ وكان إبراهيمُ بن قلزَمٍ : مُتَرَشِّحاً للصلاةِ . وكانت له ناحِيَةٌ من هاشمٍ : فأتاه يومَ خَمِيسٍ ، فقال له : قد تَعلَمُ ما فيه سُليمانُ ، وغداً الجُمُعةُ . فكَتَب هاشمٌ إلى سُليمان بن أسودَ ، يسأله : إن كان به نَهْضَةٌ للصَّلاةِ بالناس ؛ وإلاَّ فيُعلِمُ بذلك : لينظر فيمن يقومُ بالخُطبةِ والصلاةِ .

فكَتَب سُليمانُ إلى هاشمٍ : أنا مُتَخفِّفٌ ، وبى أكثرُ من نهضةٍ .

فلمَّا كان من الغَدِ : تحامل ، وأتى يَتهادى بَيْنَ اثنَيْنِ ؛ حتى خَطَب بكلماتٍ مختصرةٍ .

قال محمدٌ : وسمِعتُ بعضَ رُواةِ الأخبارِ : يُحكِى عن سليمان وابن قلزمٍ — فى الصلاةِ — حكايةً مُسْتَطْرَفةً ؛ قال :

كان سليمانُ بن أسْود : يعلمُ شِدَّةَ شَهْوةِ ابنِ قلزمٍ : فى الصَّلاةِ وتَرَشُّحِه لها ؛ فلم يَشْعر سليمان يوماً من أيام الجمعة : فى ضُحَى النهارِ ؛ حتَّى استأذَنَ عليه ابن قلزمٍ : للدخول عليه . فحضَرَتْ سليمان فيه طيِّبَةٌ ؛ فقال لغلامِه اخرُجْ إليه — وأنتَ تبكى — وقل له : مَوْلاى فى الموتِ ؛ ثم أدْخِلْهُ علىَّ من بعدُ . ثم اضْطَجَعَ سليمان ، وسجَّى على نَفْسِه ، وجَعَل يَسُوق النَّفس : كما يفعلُ من احْتُضِرَ .

فدخل ابن قلزمٍ : فتوجَّعَ واستعبَرَ ؛ ثم خرج من فورِه ذلك إلى هاشمٍ ، وقال : سليمان يُحَشرِجُ الموتَ ، وما أظنُّه يبلُغُ وقت الجمعة : حتى يموتَ ؛ فتدارَكْ بالكتاب إلى الأميرِ (أبقاه الله) : فإن المَقامَ — فى ضيقِ الوقت — صعبٌ .

فقال هاشمٌ : أنتَ رأيتَه بهذه الحالِ ؟

فقال : نعمْ ، هذا خُروجى من عندِه إليك .

فقال هاشمٌ : ما بعد هذا شيء ؛ ثم وضع يده ، فكَتَب إلى الأمير ، يُخبِرُه : أنَّ ابنَ قلزمٍ أتاه وحَكَى له : أنه دَخل على القاضي سليمان : وهو يُحَشْرِجُ ؛ وقد ضاق الوقتُ ؛ فلْيَنظُرْ الأميرُ (أبقاه الله) في ذلك .

ففكَّرَ الأميرُ (رحمه الله) . ساعةً — وكان : من الكمالِ ؛ بحيثُ ما عَرَفَتْ الخاصَّةُ والعامَّةُ . — فوقف : على أن ابنَ قلزمٍ كان يشتهي الصَّلاةَ ؛ ولم يسمع لسليمان — قبل تلك الساعةِ — : بعلَّةٍ ولامرضٍ . فأدْرك بنظَرِه : مالم يُدرِكْ هاشمٌ ؛ وعلم : أنَّ بالخبر[1] دَخَلاً . فقال لفتًى — من وُجوهِ فِتْيانِه — : اذهب الساعة ، وادخل على القاضي ، وانظرْ حالته وما هو عليه ؛ فإن وجدتَه : يتكلَّمُ ويُبينُ عن نفسه فسله [2] : إن كانت به طاقة على الخطبة والصلاة اليوم؟.

فأتى الفتى ، فدخل على سليمان ، فوجده : جالساً جلوس الصِّمةِ . فسلَّل [3] له الأمر وأعلَمَه ببعض الخبر .

فقام سليمان من مقعده ذلك [في] حضرةِ الفتَى ، وجَلس على كُرسيٍّ ، وأمَرَ : أن يُؤتَى بالماء فتوضَّأ [4] ولبِسَ ثيابَه ، وخَرَج مع الفتَى : راجلاً إلى الجامع .

ورَجَع الفتى إلى الأميرِ فأعلَمَه بالقِصَّة عَلَى وَجْهِها . فقال له الأميرُ (رحمه الله) : لقد طيَّبَ سُليمانُ في ابن قلزمٍ ، ولَعِبَ به كيفَ شاء . ثم ضَحِك على ذلك : ضَحِكاً عظيماً .

قال محمدٌ : وكان سليمان : قوياً جَلْداً ، حديدَ النفْسِ : مع كِبْرَةِ السِّنِّ . وكان يَرُوحُ إلى الجامع راجلاً من دارِه .

قال محمدُ بن عبد الملك بن أيْمَنَ : أخبرني بَكرُ بن حَمَّادٍ القَسَّامُ — وكان : جاراً لسليمانَ . —

---

(١) بالأصل : «الخبر» . (٢) بالأصل: فسئله ؛ وهو مصحف عنه أو عن: «فاسأله» .
(٣) كذا بالأصل . ولعل المراد منه : أوصل .
(٤) بالأصل : يتوضأ . وهو مصحف عنه . وإلا كان بالكلام نقص .

قال : خَطَرْتُ عليه آخرَ جُمعةٍ عاشَها ؛ فحَرَّكْتُه للرَّواح : فَخَرج معى إلى الجامع : ماشياً ؛ ثم انصرفنا . وذلك : فى دولةِ الأمير عبدِ الله (رحمه الله) ؛ والقاضى حينئذٍ : النَّضْرُ بن سلمةَ .

قال محمدٌ : وأقامَ سليمانُ فى قضائه الثانى ، عشرة أعوامٍ : من سنةِ ثلاثٍ وستينَ إلى سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ .

وتُوُفِّىَ فى ذلك العام : الأميرُ محمدٌ (رضوانُ الله عليه ورحمتُه) . وكان الناسُ : يذكُرون موت الأمير : من غير أن يَصِحَّ ذلك عنه عندهم ؛ حتى خطب سليمانُ ابن أسودَ ؛ فلما بلغ ذِكْرَ الدُّعاء له : خَنَقَتْه العَبْرَةُ ، فنَعَاهُ بذلك إلى الناس : فأيقنُوا بموته .

ثم وُلِّى المُنذِرُ الأميرُ (رحمه الله) : فأقرَّ سليمانَ بن أسودَ ، علَى القضاء .

قال لى أبو محمد قاسمُ بن أَصْبَغَ البَيانِىُّ : أقامَ سليمانُ بن أَسودَ قاضياً — فى خلافةِ المنذر — : نحو أربعين يوماً ؛ ثم عزله المنذرُ ، وولى أبا مُعاوِيَةَ .

قال محمدٌ : وما أحسَبُ : أنَّه كانت لعَزْلةِ سليمانَ المَرَّةَ الثانية ، عن القضاء — علَّةٌ : غيرُ كِبَرِ السِّنِّ ، وظهور الهَرَمِ[1] .

قال بعض أهل العلم : كان سُليمانُ بن أسودَ : صَنِيعةً للأمير عبد الله (رحمه الله) قبْلَ ولايته ؛ فكان سليمانُ : يَسْتَبْطِىءُ قيام دولته : طَمَعاً فى العَوْدة . فلما وُلِّىَ وأغفَله : جَعَل سليمان يُنْشِدُ فى بعض مداخِلِه عليه — مع جُملة الفقهاء : للإشْهادِ — :

لَمَّا بَلَغْنا الَّتِى[2] كُنَّا نُؤَمِّلُها : صِرْنَا شُهوداً [عَلَيْهَا] مِثْلَ غُيَّابِ

قال محمد : أخبرنى بعضُ أهل العلم ، قال :

---

(١) بالأصل : الهدم . وهو تصحيف ظاهر .

(٢) بالأصل : الذى . وهو تصحيف . والزيادة : الآتية متعينة .

دَخَل ناسٌ على سليمانَ بن أسْودَ : فى الشهرِ الذى مات فيه ؛ فسألوه : عن عُمُرِه ؛ فسَكَتَ عنهم ساعةً ، ثم دعا خادماً له : فأتَتْه ؛ فأمَرَها : أن تأتِيَه بزنفليجةٍ : كانتْ عنـده ؛ فأتَتْه بها : فاستَخرَج منها صحيفةً ؛ فرماها إلى القَومِ ، وقال : اقرءوا ؛ فقرأ القومُ الصَّحيفة : فإذا فيها كتابٌ من عندالأمير هشامِ بن عبدالرحمن ، إلى قاضيه — على جِهة الجـــوفِ : فَحص البَلُّوطِ ، وما يَليـه : من تلك الجهاتِ . — : أسْودَ بن سليمانَ ؛ يأمُرُ فيه : بقبْضِ الصَّدقاتِ : عند وُجُوبِها ، وتفْرِيقِها : على وُجُوهِها . (على مافسَّرَه فى ذلك الكتاب)؛ وفى آخر الكتابِ، مَكتُوبٌ بخَطِّ القاضى أسْودَ بن سُليمانَ : « وُلد سليمان بن أسْوَد (أمتع الله به) : يومَ كذا ، من شهر كذا» . فعَدَّ القومُ — من وَقْتِ المَولِدِ : الذى وُلد فيه ؛ إلى وَقْتِهم : الذى كانوا فيـه . — : تسعة وتسعين عاماً ، وعشْرَة أشهرٍ . فقال لهم سُليمانُ : إنْ عِشْتُ شهرين : أتْمَمْتُ مائةَ عامٍ . فماتَ فى ذلك الشهرِ : قبْلَ أن يُتِمَّ المائةَ عام .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : عامرِ بن مُعاوِية اللَّخَمِيِّ . »

قال محمدٌ : لما وُلِّىَ المنذِرُ (رحمه الله) الخِلافةَ : رأى الاسْتِبدالَ بسُليمانَ ؛ فاسْتشارَ الوزراءَ ، فأشاروا : بزِيادِ بن زِيادٍ .

فعرَضَ المُنذرُ القضاء على بَقِىِّ بن مَخْلَدٍ : فلم يَقبَلْه .

فاسْتشارَه : فى زِيادِ بن محمد بن زِيادٍ ؛ فقال له : نعمَ الحَدَثُ ! .

فسألَه : أن يُشيرَ عليـه ؛ فأشارَ عليه : بأبى مُعاوِيةَ[1] اللَّخَمِيِّ — وهو : عامرُ بن مُعاوِية بن عبدالمسلم بن زياد بن عبدالرحمن بن زُهير بن نَاشِرَةَ بن لوذان

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص ١٩ .

اللَّخَمِيُّ . — فقَبِلَ المُنذرُ (رحمه الله) منه ؛ ووَلاَّه قضاءَ الجماعةِ بقُرطُبَة . فقال :

قال[محمدٌ][1] : حدَّثنا خالدُ بنُ سَعدٍ ؛ قال: سمِعتُ عبدَ الله بن يونُسَ ، يقول:

كان الحبيبُ بن زيادٍ : خاصَّةً لِبَقِيِّ بن مَخْلَدٍ ؛ وكان :رَجَا فى أيام الأمير المُنذرِ (رحمه الله) : أنْ يُشيرَ به لقضاء قُرْطبةَ . فلمَّا شاوَرَه الأميرُ ، وأشارَ عليه : بأبى مُعاويةَ — : أتَى الحَبيبُ بن زيادٍ إلى بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ ، فعاتَبَه فى ذلك ؛ فقال له بَقِيُّ بن مخلَدٍ : لا تَلُمْنِي فيما فَعَلْتُ ؛ فإنى إنَّما أشَرْتُ : بمن هو عندى أفضَلُ منك . فسكَتَ عنه الحبيب بن زيادٍ .

قال محمدٌ : قال لى أبو عبد الله محمدُ بن عبد الملك بن أيْمَنَ :

كان أبو معاويةَ اللَّخَمِيُّ من بنى زيادٍ ؛ وكان مسكَنُه برَيَّةَ ؛ وكانت له رحْلةٌ فى أيامِ عبد الرحمن بن الحكَم (رحمهما الله) : سمع فيها من سُحنون : بالقَيْرُوانِ ؛ ومن أَصْبَغَ : بمصرَ ؛ ومن غيرهما . وكان : من أهلِ الرِّوايةِ ؛ لابأس به ؛ وقد سمِعتُ منه ، وكتَبْتُ عنه .

قال محمدٌ : وعنه كانت تُرْوى — فى ذلك الزَّمان — آدابُ القُضاةِ : من تأليفِ أَصْبَغ . وذكر بعض أهل العلم : أن روايتَه اخْتَلَطَتْ عليه ؛ فترك .

قال محمدٌ : وقال لى ابنُ أَيْمَنَ :

قدِمَ أبو معاويةَ قُرطُبةَ : فى آخر أيامِ الأمير المُنذرِ ، حتى ماتَ المُنذرِ ؛ رحمه الله .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرنى أبو عُمَـــر صاحبُه ؛ قال : أخبرنى أبو يحيى بن

---

(١) بالأصل : فقال . ولعل التصحيف والنقص من الناسخ أو الطابع .

خميس : أنه لمَّا وُلِّيَ عامر بن معاوية القضـــاء ، وقعَد فى الجامع — : رأى سُليمانَ بن أسْودَ : أتاه بالدِّيوانِ ؛ فلمَّا سَـــلَّم قال : الحمدُ للهِ الذى جَعَل عَلَى إثْرِى مثلَك .

فلمَّا خَرَج من عنـدِه سُليمانُ بن أسْودَ تلقَّاه رجلٌ من قُريشٍ — : ممَّن كان يُخاصِمُ عندَه قبْلَ أنْ يُعزَلَ . — فلَبَّبَه بردائه ، وقال : الحمدُ لله الذى جَـلاَ الظُّلمةَ ، وأخَذَ الجَوْرَ ؛ أجِبْنِى إلى القاضى . فانْصرَف معه إلى عامر بن مُعاويةَ ، فقال له سُليمانُ : إنى مَعـزُولٌ ، وأنتَ والٍ ؛ وما فَعلْتَ فىَّ اليومَ : ستُكافأُ غداً بمثلِه . فخَرَج عامرُ بن معاويةَ : عَلَى القُرشىِّ ، ودَفَعه عنه .

قال أحمدُ بن محمدِ بن عبدِ الملكِ : حَكَمَ أبو معاويةَ لأيْدُونِ الفتَى : بالفَدَّانِ المعروفِ : بفدان أجل[1] — بعَدْوةِ الوادِى — بعدَ خُصومةٍ طويلةٍ : دارتْ فيه عندَ سُليمانَ بنِ أسْودَ ؛ كان مُتَوَلِّيها محمد بن غالب بن الصَّفَّارِ ؛ فأبَى سُليمانُ: من الحُكمِ فيها ؛ فقال يوماً لابن الصَّفَّارِ : إن هذا الرجل قد ألحَّ عَلَىَّ : فى أنْ أحكمَ له ؛ ولا أجِدُ سبباً إلى هذا : إذ لم يَتَّضِحْ لى ما أحكمُ به ؛ واللهِ : لا يأتِينى منه أمرٌ أكرَهُه إلاَّ أخَّرْتُ به .

فَضَمَّ ابنُ الصَّفارِ الفتى : إلى الإمساكِ ؛ حتى عُزِلَ سُليمانُ ، ووُلِّىَ أبو مُعاويةَ . فقام عندَه ، وكان يَلْزَمُ مجلِسَه ؛ فإذا رآه أبو مُعاويةَ ، قال له : مَن أنتَ يرحمُك اللهُ ؟ . فيقولُ له : أنا محمدُ بن غالبٍ المعروفُ . يسئلُه كلَّ يومٍ : بسَلامةِ قلبٍ كانتْ فى أبى معاويةَ . فلم يَزَلْ محمدُ بن غالبٍ : مُتَرَدِّداً عليه فى تلك الخصومةِ ؛ حتى قَضَى له : بالفَدَّان ؛ وأشهدَ له عَلَى القَضِيَّةِ . ثم صارَ الفَدَّانُ بعـد ذلك إلى محمدِ بن غالبٍ .

---

١) كذا بالأصل .

ولم يَزَلْ أبو معاويةَ : قاضياً ، وصاحبَ الصلاةِ ؛ حتى ماتَ المُنذِرُ رحمه الله .

قال محمدُ بن عبدِ الملك بنِ أيْمَنَ : سمعتُ القاضيَ أبا مُعاويةَ : يَخطُبُ عَلَى الناسِ فى الاسْتِسْقاء : بخُطبةِ إرْميا التى قام بها فى بنى إسرائيلَ ؛ وكانتْ فيه رِقَّةٌ : تَسْتَميلُ القلوبَ ، وتُبكِى العُيونَ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : وكان أحمدُ بن خالدٍ ، ومحمدُ بن مِسْوَرٍ : يَصِفان أبا مُعاوية : بالخيرِ والفَضلِ ؛ غيرَ أنَّ أحمد بن خالدٍ كان يَذكُرَ عنه طُرفةً ؛ ذَكَر : أنه أتاه يسألُه : أنْ يُسمِعَه سَماع أصْبغَ بن الفَرَج ، وأنْ يَجعلَ له فيه دَوْلَةً . فلمَّا أتَى إلى السَّماعِ : أخْرَجَ إليه الشيخُ كُتُبَ أصولِ العلمِ : من تأليفِ أصبغَ . فظَنَّ : أن الأصولَ والسَّماعَ شىءٌ واحدٌ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : النَّضْرِ بن سَلَمَةَ الكِلاَبىِّ . »

٤١ قال محمدٌ : النَّضْرُ بن سَلَمَةَ[1] بن وَليد بن أبى بكرٍ محمدِ بن علىٍّ بن عُبَيْدٍ الكِلاَبىُّ ؛ كان أصلُه : من « قبرةَ » ؛ ووُلِّىَ قضاءَ « كُورَةِ شَذُونةَ » : والأميرُ عبدُ الله بن محمدٍ (رحمهما الله) بها ؛ فأدخَلَه ، وقَرُبتْ منه خاصَّتُه .

وكان النَّضْرُ : من أهلِ الذَّكاء ، والنُّبْل ، واليَقَظةِ .

ولمَّا وَلِّىَ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رحمهما الله) الخلافةَ : وَلَّى النَّضْرَ بن سَلَمَةَ : قَضاءَ الجماعةِ والصَّلاةَ معاً ؛ فأحْسَنَ السِّياسةَ ، وخالَقَ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ ؛ وخَطَب : فأبْلَغَ فى الخَطَابةِ .

وأمَرَه الأميرُ (رحمه الله) : بالْتِزَامِ خطبةٍ اسْتَحْسَنَها منه — وهى مَشْهورةٌ

---

(١) انظر : جذوة المقتبس ص ٣٣٦ ر ٨٤٥ .

فى النـاسِ — : فالْتَزَمَهَا طولَ وِلايَتِهِ الأُولى — وكانت ولايَتُه : نحواً من عشْرةِ أعوامٍ . — : حتَّى حُفِظَتْ عنه ، وصارَتْ مُسَطَّرةً لوُلاَةِ القَضَاءِ : يَحْتَذُون عليها فى أوَّلِ مقاماتِهِم ، ومُبْتَدإ ولايتهم .

وكانتْ له خُطبَةٌ أُخرَى — فى الأعيـادِ — : حَسَنةً مُهذَّبةً ، مُشْتَمِلةً على السُّنَّةِ .

قال محمدٌ : وذَكَر أحمدُ بن محمـدٍ ؛ قال : كان النَّضْرُ بن سَلَمَةَ : يَتَصَرَّف لِلأميرِ (رحمه الله) — فى كلِّ الأسباب — : تَصَرُّفاً كاملاً .

أخبرنى مَن أثِقُ به : أنَّ الأميرَ (رحمه الله) كان فى السَّابَاطِ — يوم جُمُعةٍ — مُنتَظراً للصلاة : (صلاة العصرِ) ؛ فوَرَدَه كتابٌ مُؤَثَّرٌ[1] : حَرَّكَ منـه ساكناً ؛ فالْتَمَسَ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الزَّجَّالِيَّ : ليَكتُبَ الجوابَ ؛ فأُلْفِيَ : غائباً . فهَمَّ : بالإرسالِ فيه ؛ فقال له النَّضْرُ — وكان بحَضْرَتِه — : ما الأمْرُ الذى حَرَّكَ — من الأميرِ أصلَحَه اللهُ — ما أرى ؟ . فأخبَرَه الخَبَرَ ، ورَمَى إليه الكتابَ . فعَرَضَ عليه نَفْسَه : فى المُجَاوَبَةِ : فأذِنَ له الأميرُ (رحمه الله) : فجَاوَبَ وأحْسَنَ ، وكَتَبَ : فأبْلَغَ . فأعْجبَ الأميرَ (رحمه الله) : بيَقْظتِه ؛ وشَكَرَ له فَضْلَ مِنَّتِه .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ : عالماً بعِلَلِ الوَثَائقِ ، ومُدْرِكاً لمَوضعِ[2] الزَّلَلِ منها ، والإغلالِ[3] فيها ؛ يُوقِفُ الفُقهاءَ عَلَى ذلك : فيُقِرُّون له : بالإصَابَة ؛ ويَعترِفون له : بفَضْلِ الإدراكِ .

---

(١) بالأصل : كلمة مترددة بين : « موثم » و « موشم » ؛ ولعل أصلها ما ذكرنا .
(٢) بالأصل : « بموضع » ؛ ولعله مصحف .
(٣) أى : الخيانة . انظر : المختار .

والنَّضْرُ بن سَلَمَةَ : أوَّلُ مَن شاوَرَ فى الأحكامِ ، محمد بن عبد الملك بن أَيْمَنَ .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبَادة الرُّعَيْنِيُّ .

كان النَّضْرُ بن سَلَمَةَ : حَسَنَ المذهبِ ، ظاهِرَ الحِلْمِ . حضَرْتُه يوماً — فى مجلسِ قضائه — : دخَل عليه رجلٌ ، فوقَف بيْنَ يدَيْه ؛ ثم قال له : يا قاضى ؛ ظلَمْتَنى وتحاملْتَ عَلَىَّ ؛ حَسْبُك اللهُ .

(قال) : فسَكَتَ عنه : حتى فَرَغ من كلامِه ؛ ثم قال له النَّضْرُ : أمَا لَوْلاَ أنَّ سَبَّك لم يُجَاوِزْنا إلى غيرِنا : لأحْسَنْتُ[1] الجوابَ . وأعطاه رَحْلاً : من الصَّدَقةِ ؛ فأرضاه .

فشَكَرَ له الرجلُ : فأخَذَ برِكابِه . وأعاد القولَ بمَدْحِه .

فقال النَّضْرُ : (فَإنْ أُعْطُوا مِنْهَا : رَضُوا ؛ وَإن لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا : إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)[2] .

قال خالدُ بن سعدٍ : سمِعتُ محمدَ بن مِسْوَرٍ ، يقولُ : سمِعتُ القاضىَ يقولُ — وهو : النَّضْرُ بن سَلَمَةَ . — وقيل له : إنَّ محمدَ بن أسْباطٍ يَقَعُ فيك ويتناولك ؛ ويجب[3] لك : أن تَهدِمَه . فقال النضر : لا والله ؛ لا أتعرَّضُ لذلك ، ولا أهدِمَ مَن بَناه اللهُ :

قال محمدٌ : أخبرنى بعض الشيوخ ؛ قال : كان عندَنا بقُرطُبةَ رجل يُعرَفُ : بابنِ رَحْمُونٍ ؛ وكان : كثيرَ النادِرِ والتطنيب ؛ فندَرَ فى مجلسِ النَّضرِ — عَلَى خَصْمٍ كان يُخاصِم عنده — : بنادِرٍ : أضْحَكَ منه الحاضرِينَ ؛ فما زادَ النَّضرُ : عَلَى أن ضَحِكَ ؛ ولم تكنْ له عليه صَوْلَةٌ .

(١) عبارة الأصل : لاحسنت حسن الجواب وأعطى ؛ الخ . وفيها زيادة وتحريف .

(٢) اقتباس من سورة : التوبة « ٥٨ » .

(٣) بالأصل : « وقال يجب » ؛ ولعل الزيادة الموهمة : من الناسخ .

وذلك : أنَّ خَصمَ ٱبنِ رَحْمون قال للنَّضْرِ : إنَّ خَصمى هذا إذا خَرَج مِن بيْنِ يدَيْك : لا يُقْلِعُ عن شَتْمِى ، وذِكْرِ أمِّى .

فقال خَصمُه : ما أُحِبُّ أن أُعطِيك شيئاً ، ولا آخُذَ منك شيئاً .

فقال ٱبنُ رَحْمون للقاضى : يا قاضى ؛ أقبِلُوا منِّى على ما أفعَلُ به ، وكذا وكذا من أُمِّه فى المَنَادِى ؛ فلا يرضَى : أن يَفدِيَه بأربعينَ دِرهماً .

فضَحِك وضَحِك مَن حَضَر ؛ واحتَمَلَها له النَّضْرُ .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ بن سَلَمَةَ : مُتَصَرِّفاً فى عِلمِ الأدبِ ؛ وكان — فيما بَلَغنى — : رُبَّما قال من الشِّعرِ شيئاً : يخاطبُ به الأميرَ ، ومَن كاتَبَه : من طبقةِ الخاصَّةِ :

وسمِعتُ بعضَ رُواة الأخبار : يَحكى ، قال :

ماتَ وَزيرٌ — : من بنى شُهَيْدٍ . — وتَرَك ٱبناً ؛ فرَثَاه رجلٌ بشِعرٍ ، وأتَى به النَّضرَ : فعرضه عليه . فسمع شِعراً : سَخِيفاً بَعيدَ المعانى ؛ فقال له : إنَّ ٱبنَ المُتوفَّى نَبيلٌ كَيِّسٌ ؛ فاذهَبْ بهذا الشِّعرِ إليه : فلعلَّه أن يَفْطِنَ : أنك أردتَ أنْ تَرْثِىَ أباه ؛ فيَشكُرَ لك بذلك .

قال محمدٌ : وكان النَّضْرُ قاضياً : إلى أن أمَرَه الأميرُ (رحمه الله) : بالنَّظَرِ فى المالِ المُوقفِ بالجامعِ ؛ فنَظَر فى ذلك ، وجَمع أهلَ العلمِ : فاسْتَشارَهم ؛ فاخْتَلَفُوا عليه . فأبَى النَّضْرُ : أن يحكُمَ : بصَرْفِه إلى بيْتِ المالِ ؛ إلاَّ : باجْتِماعِ أهلِ العلمِ.

فكان فِعلُه ذلك : سَبباً لكثرة القولِ فيه عندَ الأميرِ ؛ فحُرِّفَ معناه وصُرِفَ القولُ فى ذلك : إلى أسْوإ الوُجوهِ . فعزَلَه الأميرُ (رحمه الله) حينئذٍ ، .

* * *

« ذِكْرُ القاضي : موسى بن محمدِ بن زيادٍ الجُذَامِيِّ . »

قال محمدٌ : ولمَّا عزَل الأميرُ (رحمه الله) نَضْراً ، عن القضاء — : أستقْضى
٤٢ بعده : موسى بنَ محمدِ بن زياد بن يزيد بن زِيادِ بن كثيرِ بن يزيدَ بنِ حبيبٍ الجُذَامِيَّ . وهو : من العربِ الشاميِّينَ ، من جندِ فِلسْطِينَ ؛ وكان أصلُه بالأندلسِ : من « كُورَةِ شَذُونَةَ » ؛ ولاَّه الأميرُ (رحمه الله) الشرْطة والرَّدَّ ؛ ونَقله إلى الشُّرْطة العليا ثم : وُلِّيَ القضاء ؛ فصلى بالناس جُمُعةً ، واستعفَى فى الثانيةِ [1] .

قال خالد بن سعدٍ : سمعتُ محمدَ بن عُمرَ بن لُبابَةَ : يذكُرُ موسى بنَ محمدٍ ؛ فكان : لا يستوفيه ، ولا يحسن الثناء عليه .

غيرَ أنه كان : يصفُه بالحِلم ؛ ذكر : أنه شهِدَه : وقد أرسلَ فى رجل ؛ فلما أتاه : وَكَّل به الأعوانَ ، وأمَرَ أن لا يفارقوه ؛ حتى يَحضُرَ بوثيقةٍ : كانت عنده . فتوكَّل به الأعوان ، ومَضَوْا معه ؛ ثم عادُوا بالرجلِ — : والوُثيقةُ معه . — فرَمَى بالوَثيقةِ : فضَرَب صدرَ القاضي : موسَى بن محمدٍ . — : وكانتْ الوثيقة كبيرةً — : فأوْجَعه بها . (قال ابنُ لُبابَة) : فلم أشكَّ : أنه سيُؤَدِّبه عَلَى ذلك ؛ فمازادَ : عَلَى أن قرأ الوثيقةَ ، وصَرَفها إلى الرجل ؛ وقال له : خُذْ وثيقتَك ياجافى لم يَزِدْه على ذلك . وهذه قِصَّةٌ محفوظةٌ لموسى . يحكيها الفقهاء عنه .

قال محمدٌ : ولمَّا صارَ موسى بنُ محمدٍ إلى القضاء : حَكَم فى المالِ المُوقفِ : بما بَلَغه إليه اخْتِيارُه مما اخْتَلَف فيه أهلُ العلم — من قبلِ ذلك — على النصرِ ابن سَلَمَةَ :

قال محمدٌ : وسمعتُ من يحكى — : من العلماء . — : أنَّ موسى بنَ زياد كان :

---

(١) انظر : تاريخ قضاه الأندلس ص ٢١ .

حسنَ السَّمْتِ ، أديباً ، ظاهرَ المُرُوءةِ ، بادِيَ الوَقارِ ؛ إلا أنَّه كان : جاهلاً عَيِيًّا .

حُكِي : أنه ذَكَر يوماً : محمدَ بن غالب بن الصَّفَّارِ ؛ فقال[1] : « صام رمضانَ كلَّه إلى يومِ العَرَفةِ[2] » . فأخطأ خطأَيْنِ بَشِعَيْنِ : تَوَهَّمَ : أنَّ فى رمضانَ يوم عَرَفةَ ؛ كما فى ذى الحِجة ؛ وأدخَلَ الألفَ واللامَ : فى عَرَفة :

وسمعت من يحكى [عنه] : أسمَ « مُرَّةَ » : بالألفِ ؛ واسمَ « أسماء » : بالهاء .

قال محمدٌ : وتصرف موسى بنُ زِيادٍ للأمير (رحمه الله) : فى خُطَطٍ جَمَّةٍ ؛ منها : الكتابةُ والوِزارةُ ، وغيرُ ذلك . واستأذن للحَجِّ ؛ ثم انصرَفَ .

وتُوُفِّيَ الأميرُ (رحمه الله) : وموسى بنُ زياد حاملٌ ؛ وذلك : أنَّه نظر فيما لايعنيه ، وتكلم فيما لم يُسْتَشَرْ فيه : من مُهِمَّاتِ الأمور ، وعظيماتِ الأشياء : ممَّا تَنبَنِى به الخِلافةُ ، وتقومُ به الإمارةُ . وأبْطَنَ : من ذلك ؛ شيئا : فأعْقَبَه الله فى ذلك : بشَرِّ عُقْبَى ، وولاَّه : من ذلك ؛ ما تولَّى .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُحمدِ بنِ سَلَمَةَ »

قال محمدٌ : ولمَّا عَزَلَ الأميرُ (رحمه الله) مُوسى بنَ زِيادٍ ، عن القضاء — :

٤١ أسْتَقْضَى بعدَه مُحمدَ بن سلَمَةَ الكِلابِيَّ ؛ وهو : أخو النَّضْرِ بنِ سَلَمَةَ ؛ وكان : رجلاً صالحاً : فى مَذْهَبِه ؛ فاضلاً : فى دِينِه ؛ شَديدَ السَّلامةِ : فى طَبْعِه ؛ مع الزَّهادةِ والتَّنَسُّكِ : لم تُحْدِثْ له ولايَةُ القضاء : تَغيُّرًا فى مَلْبَسٍ ؛ ولاَ اكْتَسَبَ المالَ ، ولا بَلَغَتْ به الفائدةُ : إلى اشْتراء دارٍ . وإنما كان : يَسكُنُ بِكِرَاءٍ ، فى داخِلِ المدينةِ : بقُرْبِ الجامع .

ولم تكنْ له — : من الحركةِ فى الفَهْمِ ؛ ولا : من اليَقظةِ فى الأمورِ — . ما كان لأخيه النَّضْرِ : فى ذلك .

---

(١) أى : موسى بن محمد . وفى الأصل : « فقام » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل بعد ذلك زيادة : « ثم يوم » ؛ والظاهر : أنها من الناسخ أو الطابع .

وكان — مع ذلك — : شديدَ السَّكينةِ ، ظاهرَ الصَّلابةِ ، راغباً فى إقامةِ السُّنَّةِ ؛ مُنْتَزِحًا عن الناسِ ، مُلْتَزِمًا للباديةِ . فكان : رُبما دارَ على الناس منه ، بعضُ الجفْوةِ والتَّحامُلِ : فى المُخاطَبةِ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : سمِعتُ محمدَ بن عُمَرَ بن لُبابةَ : يُثْنِي عليه ، ويَصِفُه : بالخيرِ والفضلِ .

وقال خالدُ بن سَعْدٍ : وأخبرنى محمدُ بن هاشمٍ الزَّاهدُ ؛ قال :

أخبرتْنِى امرأةٌ صالحةٌ — : من أهل الاسْتِتارِ . — : أنها أتَتْه إلى دارِه ، فى بعض الأيامِ — وذلك: قبلَ الظُّهرِ . — فقرَعتْ عليه البابَ : فخَرَج إليها — وكانت لا تَعْرِفهُ قبلَ ذلك — : وعلى يدِهِ أثَرُ العجينِ ، كما كان يَعْجِنُ ؛ فقالتْ له : أُريدُ أنْ تُكلِّمَ القاضىَ ؛ فإن لى إليه حاجةً .

فقال لها : تَقدَّمِى إلى المسجدِ الجامعِ ؛ فإنه يوافِيكِ فيه السَّاعةَ .

(قالتْ) فأتيتُ الجامعَ فرَكعتُ ؛ ثم جَلسْتُ : أنتظِرُ القاضىَ ؛ فلم أَلبثْ : أنْ أتى ذلك الرجلُ — الذى خَرَج إلىَّ : و بيديْه أثَرُ العجينِ . — فجَعَل يركعُ ؛ فسألتُ عنه : فقيل لى : هو القاضى. فلمَّا سَلمَ : تَعرَّضْتُ إليه ، فكلَّمْتُه فى حاجتى: فقَضَاها لى .

قال خالدُ بن سَعدٍ : أخبرنى عبدُ اللهِ بنُ قاسمٍ ؛ قال : أخبرنى أبى ؛ قال :

وقَفْتُ بمحمدِ بن سَلَمةَ القاضى ؛ فسألنى : أن أشترىَ له كِساءً بركانٍ[1] .

(قال عبدُ الله) : فأمَرنى أبى : أنْ أهبِطَ إلى البزَّازينَ : فى طلَبِهِ ؛ فهبَطْتُ : فاشتريْتُ له كِساءً : بأربعةٍ وعشرين ديناراً ونصفِ دينارٍ ؛ ثم : أتيتُ به أبى ؛ فسارَ به إليه : فاستحسَنَه ، وقال : بكم هذا الكساءُ ؟ فقال له : يَقعُ عليك :

(١) كذا بالأصل .

بعشْرةِ دنانيرَ . فسَبَقَ إلى القاضى : أنه ثمنُه ؛ فأخرجَ إليه عشرةَ دنانيرَ .

فلما كان بعدَ ذلك : لم يَنْشَبْ أنْ أتاه أبو يَحيَ صاحبُ الأحْباسِ [١] فقال له : إن القاضىَ يُقرِئُك السلامَ ، ويَسألُك : أن تقبضَ الكِساءَ ، وتَرُدَّ العشرة الدنانيرَ ؛ فإنه : قد أحْتاجَ إلى نفقتها ، والكِساءَ : قد أسْتَغْنَى عنه .

فقال له أبى : يَرُدُّ الكساءَ ، وأنَا أُعطيه الدراهمَ : ينتَفِعُ بها إلى وقتٍ يَتيسَّرُ له [دفْعُها] .

فأبَى صاحبُ الأحْباسِ : من ذلك .

(قال) فأنكَرْتُ ذلك ، وقلتُ : ما الذى أوْجَبَ هذا ؟ .

فقال [٢] : قد علِمَ ثمنَه : فلم يَقْبَله ، وقال : إنما ظننتُ أن ثمنَه عشرةُ دنانيرَ كما أعطيتُ ؛ فإذ [كان] ثمنه أكثر من ذلك : فلا حاجةَ لى أن أتحامَلَ على الرجلِ : فى مالِه .

قال عبدُ اللهِ : وكانتْ بين أبى وبينَ محمدِ بن سَلَمَةَ : محبَّةٌ ومُداخَلةٌ ؛ وكان: يَختلفُ النساءُ بعضُهن إلى بعضٍ .

فأتَتْنا أبنتُه فى بعض الأيام زائرة — : وهو على القضاءِ — فأمَرَ أبى النساءَ أن يكسُونها مِقْنعاً عِراقِيّاً ، فكَسَوْنها ذلك .

فلما أنصرَفَتْ من عندِنا : رأى القاضى المِقْنَعَ عليها ؛ فأنكَرَه ، وقال لها : مِن أيْنَ لك هذا ؟ . فوَصفَتْ له الخبرَ على وجْهِه ؛ فقال لها : يا بُنَيَّةُ ؛ ليس هذا المِقْنَعُ : من كِسْوَتِك مع أنه يَحتاجُ هذا المِقْنَعُ : إلى ثَوْبٍ من جِنسِه ، ورِداءٍ من جنسه . ثمَّ : أمَرَها بردِّ المِقْنَعِ ؛ ولم يَقبَله .

قال محمدُ بن عُمرَ بن لُبابَةَ : أتيْتُ القاضىَ محمد بن سَلَمَةَ ، فلم أرَ فى دَوَاتِهِ

---

(١) بالأصل : أحباس . وهو تحريف .

(٢) أى صاحب الأحباس . وعبارة الأصل : فقد علم الخ . وهى محرفة .

إلاَّ أقلاما مكسُورةً ؛ فأخذْتُ مع نفسى أقلاماً حِسَاناً — كانتْ عنـــدى — وبَرَيْتُها ، وأتيتُه بهـا ؛ فأبى قبُولِها ؛ وقال : لو كنتُ مُتقبِّلاً لهديَّةٍ : لقبِلْتُ هديَّتَك . وردَّها عليه .

قال : وأخبرنى سُليمانُ بن محمدِ بن أبى رَبيعٍ ؛ قال :

كنتُ أخاصِمُ عندَ القاضى : محمد بن سَلمةَ ؛ فسُعِىَ علىَّ عنده ، وأُغْرِىَ بى . فكنتُ : إذا أتيْتُ مَجلسَه : خَرَج علىَّ أمامَ الناسِ .

فشكَوْتُ ذلك إلى محمـدِ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، وأردْتُ أنْ أسْتَعينَ به عليـه — وكان : أكْبرَ الناسِ عنـده ، وأقْرَبَهُمْ منه. — فقال لى ابنُ لُبَابَةَ : لستُ أرى : أنْ تَسْتَعِينَ عليـه بى ولا بغيرى ؛ غيرَ أنِّى أدُلُّك على حالةٍ أرجو : أنْ تَنْتفعَ بها عنـده ، وأنْ يَرْجعَ إلى ما تُريدُ : من الحقِّ . تَحيَّلْ وقْتَ خُلُوِّه ؛ فإذا صاحَ عليك : فلا تَهَبْ منه صِيَاحَه ؛ وقُلْ له عند ذلك : يا قاضىَ المسلمين ؛ اللهُ أوْلَى بك .

(قال لى ابنُ الرَّبيعِ): ففَعَلْتُ ما دلَّنى عليه ابنُ لُبَابَةَ ، وقلتُ له ما قال لى ؛ فانْكَسَرَ عندَ ذلك ، ورَجَع عمَّا كَرِهْتُ .

قال خالدُ بن سَعدٍ : سمعتُ محمدَ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، يقولُ :

أتيتُ — أنا والحَبيبُ بنُ زِيادٍ — إلى محمد بن سلمةَ : لِتَعْدِيلِ ابنِ شَرَاحِيلَ (المعروفِ : بالعجيزة) ؛ فعَدَّلْناه عنده : فقام الحبيبُ بن زِيادٍ ، وبَقِيتُ أنا عنده . فقال لى القاضى : أبا عبدِ اللهِ ؛ ما تقولُ فى القاضى : يُعَدَّلُ عنده الرجلُ — : وهو يَعرِفُه بغيرِ العدالةِ . — بأىِّ شىءٍ يأخُذ ؟ : أ بِعِلْمِهِ ؟ أوْ بتعديلِ المُعَدِّلين له ؟.

(قال ابنُ لُبَابَةَ) : فقلت له : إذا عَلِمَه القاضى بالجُرْحةِ ، فذلك : أوْ لى أنْ يأخذَ به ، من قولِ المُعَدِّلينَ .

فقال لى محمد بن سلَمةَ : فإنَّ هذا الذى عدَّلْتُم ، هو عندى : غيرُ عدْلٍ .

(قال) : فقلتُ له : أنتَ أحقُّ بعِلْمك ؛ ونحنُ قد عدَّلْناه : بمَبْلَغِ علْمِنا ؛ ومن عَرَف الباطنَ ، فهو : أَحَقُّ ممَّن عَرَف الظاهرَ .

قال خالدُ بن سَعْدٍ : فذكَرْتُ الحكايةَ لمحمدِ بن عبدِ الملك بن أَيْمَنَ ؛ فذكَرَ : أنَّ محمدَ بن سَلَمَةَ ، لم يكنْ يَعرِفُ ابنَ شَرَاحيلَ : بجُرْحةٍ ؛ غيرَ أنَّ بعضَ جِيرانِنا كانتْ له خاصَّةٌ من القاضي ؛ فأَدَّاهُ عندَه : بشيءٍ كان بيْنَه و بيْنَه .

قال محمدٌ : قال لى أحمدُ بن عُبادةَ : كنتُ يوماً ماشياً معَ محمد بن سلمةَ — : وهو على القضاء . — فلَقِينا إنساناً : على رأسه غَرَارَةٌ : فيها شيءٌ مستورٌ ؛ و بيدِه كَبَرٌ[1] فأمَرَ القاضي : بكسرِ الكَبَرِ ؛ وعلِمَ ولم يَشُكَّ — : أنَّ الغَرَارَةَ مملوءةٌ أكْباراً . فقال : أَنزِلوا الغَرَارَةَ ، وانظروا ما فيها .

(فقال أحمدُ بن عُبَادةَ) فقلتُ له : ما عليك : أنْ تُفَتِّشَ أمتِعَةَ الناس وخَبَايَاهُم ؛ إنما عَلَيك : أن تُغَيِّرَ ما ظَهَرَ : من المُنكر .

(قال) : فأمسك عمَّا أمَرَ : من تفتيشِ الغَرَارةِ ؛ ثم سِرْنا : فلَقِينا محمدَ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ؛ فسأله عن ذلك . فقال ابنُ لُبَابَةَ مثلَ ما قلتُ له .

(قال) : فعَطَفَ عليَّ ، فقال لى ، لقد انْتَفَعْنا بصُحْبَتِك — اليومَ — يا رُعَيْنِيُّ .

قال أحمدُ بن عُبادةَ : حكى رجلٌ — كان : يحذُمُ محمدَ بن سَلَمَةَ ، ويَمْشِي معَه . قال :

قال : بيْنَما القاضي يوماً — فى بعضِ الأزِقَّةِ — : ونَظَرَ إلى سكْرانَ ؛ فقال لى : خُذْه ؛ حتَّى أُقِيمَ عليه الحَدَّ .

فقال له السَّكرانُ : تعالَ[2] أنتَ بنفسِك — يا قاضى — : فخُذْنى ؛ واللهِ :

---

(١) فى المختار : (الكبر) ـ بفتحتين ـ : الأصف ، فارسىمعرب.

(٢) بالأصل: « تعلى » ، وهو تصحيف .

لئن أخذتك[١] لأضربنّك ضرباً وَجِيعاً .

(قال) : فصَدَّ محمدُ بن سَلَمَةَ طريقَ السَّكران، وأخذ بغيره ؛ ثم قال لى القاضى: سمعتَ ما قال ؛ والله ما أظنه إلا كان يفعل ؛ ألحمد لله : ألذى نجّانا منه .

وكان محمد بن سلمة — فى أول ولايته القضاء — : متحرفاً عن محمدِ بن غالبٍ فتقابلا فى الطريق يوماً ؛ فسعى محمد بن غالب] :[٢] إلى الرجوع مع محمد بن سَلَمة ، والمشى معه . فلم يقبل ذلك منه محمد بن سلمة ، وأمره بالإنصراف : أستثقالاً له .

فانصرف عنه محمدُ بن غالبٍ ؛ ففى أنصرافه لَقِيَ فتًى : من أصحاب الرسائل ؛ طالِباً لأثرِ القاضى : يسأل عنه ؛ وبيدِه كتاب من عند الأمير رحمه اللهُ .

فعلم أبن الصَّفَّارِ : متى ورده الكتاب : لم يقم للجواب : فانصرف أبن الصَّفار فى إثْرِ الفَتَى : حتى دخل المسجد ألذى فيه القاضى ؛ فوَجَد الكتاب بيده : والفتى يحركه فى المجاوَبة ؛ وقد بقى القاضى حائراً .

فلما نظر أبن سلمة إلى أبن الصفار ، قال له : ما صرفك ؟ .

فقال له : أصلحَك ألله ؛ لقيت هذا ، فعلمتُ : أن قصده إليك ؛ فقفوت أثره لتكفيك المجاوبة ، وأصونك عن الشخوص فيها .

فأمكنه القاضى : من الجواب ؛ فأجاب عنه وأحسن . فشكر القاضى ما كان منه ، وعاد : بحسن الرأى عليه .

ولم يَزَلْ محمدُ بن غالبٍ — بعدَ ذلك — : مُتَبَحْبِحاً فى دولته ، مالكاً لأمْرِه ؛ حتى تُوُفِّىَ سنةَ إحدَى وتسعينَ ، ووُلِّىَ بإثْرِه الحبيبُ .

قال محمدٌ : وكان الأميرُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنهما) : من الأئمةَ المَهْدِيِّينَ ، والخلفاء الفاضلين فى العبادةِ ؛ والمتقدِّمين فى الزَّهادةِ وكان فى أيَّامه

---

(١) كذا بالأصل . يعنى : إن تعرضت لى وأمسكتك .

(٢) هذه الزيادة اضطررنا إلى إثباتها : لأن الكلام ناقص كما هو ظاهر .

رجلٌ من أهلِ الزُّهدِ والعبادة والفضلِ ؛ يُعْرَفُ : بالصَّيَّاد .

فسأل الأمـــيرُ (رحمه الله) يوماً ، النَّضرَ بن سَلَمَةَ ؛ فقال له : مَتَى عَهْدُك بالصَّيادِ ؟

فقال له : لاعَهْدَ لى به .

فقال : آهِ ؛ مِثلُك لا يكونُ له عهدٌ بالصياد ؟! فقمَعَه بذلك .

ثم : أَدْخَلَ عَلَى نفسه محمدَ بن سلَمَةَ ؛ فقال له : مَتَى عَهدُك بالصَّيَّاد ؟ .

فقال له : السَّاعة رأيْتُه فى الجامعِ ؛ فمِلتُ إليـه ، وسلَّمتُ عليـه ؛ وسألْتُه عن حالِه .

فقال له : الأَميرُ (رحمه الله) : مثلك قَرُبَ عَهده بِمثلِ الصَّيَّادِ ، وعرَفَ حَقَّه.

وكان الأمير (رحمه الله) بمحمد بن سلمة ، معجباً لدينه وفضله وصحَّته ، وسلامة صَدْرِه .

قال محمدٌ : فكان محمدُ بن سَلمةَ قاضياً ما شاء اللهُ : من الأَيامِ ؛ ثم عزَلَه الأميرُ رحمه الله .

وكان السَّبب فى عزله إيَّاه : أنَّ النَّضرَ بن سَلَمَةَ : أَحَبَّ الرُّجوعَ إلى القضاء ؛ وطَمِعَ فى ذلك : لو عُزِل أخوه محمدٌ . فزَيَّنَ لأخيه مُكاتبةَ الأميرِ (رحمه الله) : بالاسْتِعْفاء عن القضاء ؛ فقَبِلَ منه محمدٌ ، وكَتَب : يَسْتَعْفى . فأجابَه الأميرُ (رحمه الله) : إلى ما سألَ ؛ وعافَاهُ من القضاء كما رَغِبَ .

* * *

« ذِكْرُ ٱلقاضى : ٱلنَّضرِ بنِ سَلَمَةَ ؛ المرَّةَ الثَّانيةَ . »

قال محمدٌ : ولمَّا أَسْعَفَ الأميرُ (رحمه الله) : عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنهما) قاضِيَه : محمدَ بن سَلَمَةَ ؛ بما سَأل : من المُعَافاةِ ؛ وعزَلَه عن القضاء — : أعادَ النَّضْرَ بن سلمة إلى خُطَّةِ[1] القضاء ؛ وأقرَّ محمد بنَ سلمة : عَلَى الصلاةِ والخُطبةِ .

فكان النَّضْرُ : القاضىَ ؛ وكان محمدُ بن سَلَمَةَ : صاحبَ الصَّلاةِ .

قال محمدٌ : سمِعتُ غيرَ واحدٍ : من أهلِ العلمِ ؛ يقولُ :

كان النَّضْرُ فى المَرَّةِ الأولى : أَحْمدَ منه ؛ فى المرَّةِ الثانيةِ . ولم يَبلُغْ : فى القضاء الثانى ، مَبْلغَه : فى الأوَّلِ .

قال محمدٌ : وتصرَّفَتْ الحالُ بالنَّضرِ : إلى أنْ رأَى الأميرُ (رضى الله عنه) : أنْ يَسْتَوْزِرَه ؛ فعزَلَه عن القضاء ، ووَلاَّه الوزارة . وجَمَعَ الخُطَّتَيْنِ — : خُطةَ القضاء ، وخُطَّةَ الصَّلاَةِ — لمحمدِ بن سَلَمَةَ .

* * *

« ذِكْرُ ٱلقاضى : محمدِ بنِ سَلَمَةَ ؛ ٱلمَرَّةَ الثانيةَ »

قال محمدٌ : أخبرنى أحمدُ بن عُبَادة الرُّعَيْنِيُّ ؛ قال :

لَمَّا وُلِّى محمد بن سَلَمَةَ خُطَّةَ القضاء ، بَكَى كراهيةً لما قُلِّدَ منها . وكان : رجلاً صالحًا فاضلاً ، صحيحَ المَذهَبِ .

قال محمدٌ : وقد قدَّمتُ — : من أخبارِه وذِكْرِ فَضائلِه : فى دَوْلته الأُولى . — مالا يصلُحُ تَكريرُه : فى هذا الموضعِ .

---

(١) الخطة : الأمر . راجع المختار .

قال محمدٌ : أخبرنى فَرَجُ بنُ سَلَمَةَ الباوىُّ ، عن محمدِ بن عُمرَ بن لُبَابَةَ — وذَكَرَ أيضاً خالدُ بن سَعدٍ ، عن ابنِ لُبَابَةَ — قال :

أرسَل فىَّ القاضى : محمدُ بن سَلَمَةَ ؛ فسألنى : أنْ أعقِدَ له كتابَ وَصيَّته .

(قال ابن لبابة) : فعقَدْتُها : على أنه أوصَى بثُلثه . ثم ذَهَب يُوَزِّعُ الثُّلُثَ على مايُوصِى به ؛ فوَزَعَ منه مِثلَ عشرةِ دنانيرَ ؛ ثم انقطع توْزيعه .

قال ابنُ لُبَابَةَ : فقلتُ له : ثم ماذا ؟ .

قال : هذا ثُلُثِى : فيما أحسَبُ .

(قال) : فجَعَلْتُ : أُجيلُ بصرِ [ى] فى دارِه ؛ فشَعَر لى ، فقال : واللهِ : مالى فيها شىء (يعنى : فى رَقَبةِ الدَّارِ) ؛ وإنَّها لإبنتى : عافِيَةَ .

(قال محمد بن عمر بن لبابة) : فلمَّا تُوُفِّىَ : حضَرْتُ تحصيل تَرِكَتِه ؛ فبَلَغَ : نحو ثلاثين أو خمسٍ وثلاثينَ ديناراً .

قال محمدٌ : وتُوُفِّىَ محمدُ بن سَلَمَةَ : فى أيَّامِ الأمير عبدِ اللهِ بن محمدٍ (رضى الله عنهما) : قاضياً غيرَ مَعزُولٍ .

قال محمدٌ : أخبرنى بعضُ أهل العلم ؛ قال :

لمَّا اشتد بمحمد بن سَلَمَةَ مَرَضُه ، ولم يستطعْ الخُروجَ : إلى الخُطبةِ بالناسِ يومَ الجُمُعةِ — : سأله ولَدُه : أن يكتبَ إلى الأميرِ ، ويسئله : أن يَسْتَخْلِفَه على الصَّلاةِ .

فقال : واللهِ : ما أفعَلُ ؛ ولا أختارُ لِصلاةِ المسلمينَ ، وأشيرُ : بتقديمه ؛ على الأميرِ — إلاَّ من يَسْتَحِقُّها ، ومن هو أهلٌ لها .

وكتب إلى الأميرِ ، يشير عليه : بمحمد ابن عمر بن لُبَابة . فقَبِلَ الأميرُ (رحمه الله) رأيه ؛ وأمَرَ ابن لُبَابة : بالصلاة .

قال محمدٌ : ذَكَرَ لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ ؛ قال :

لمَّا مات محمدُ بن سَلَمَة : نَظَر الأميرُ عبدُ الله : فى قاضٍ ؛ وعَزَم : على أبى الغِمْرِ بن فهدٍ ؛ وأمَرَ : بالإرسالِ فيه . فكان غائباً : فى ضَيْعتِه بقَبْرَةَ ؛ وافتَرَقَ الوُزراء ؛ وعَرَف جذْمِيرُ العجمىُّ .

فلمَّا خرج من القصرِ جذْميرُ : أتى أحمدَ بن محمدٍ فأعلَمَه بما كان ، وقال : عَجَباً منهم : أن يكونَ مثلك — من بيت القضاةِ — : يُطْرَحُ عنك ! ثم قال له : سأُدخِلُ[1] عنك البيِّنةَ ؛ فإن كان لك فى البَيْتِ مَن يذكُرُ ويُشِيرُ بك — : فعَلَ .

فانصرَفَ الحبيبُ : فاجْتَمَعَ مع عبدالله بن الزَّجَّالِىِّ ، وتَكلم معه : فى ذلك . ثم تَكلَّمَ مع محمد بن أُمَيَّةَ ليلته تلك أيضا .

ثم أصبَحَ جذْميرُ : فدَخَل على عبد الله ، فقال له : « إنى هَمَمْتُ بالرُّجوعِ إليك : عَشِيَّةَ أمس ؛ غيرَ أنى كرهت تحريكك . خَرَجتُ : فوجدتُ جملةً — من المساكين — : يبكون أنفُسَهم ، ويقولون : عَزَمَ الأميرُ : أن يُوَلِّىَ ابنَ فهدٍ ؛ فإنْ ولاَّه : أكلَ أموالَنا : برَغْبتِه وحرْصِه ؛ وأنْهَكَ أحباسَنا . » .

فقال الأمير : والله : إن فيه لَرَغْبةً . ثم : أدخَلَ الوُزراءَ ، فأعلمهم : أنَّ رأْيَه حالٍ عن ابنِ فهدٍ . فاشارَ ابنُ الزَّجَّالِىِّ : بالحَبيبِ وذَكَرَ : أنَّ ابنَ أُمَيَّة أوْصى إليه ببناتِه . وأرْسَلَ : فى كتاب وَصيَّتِه ؛ فنظر إليها الأميرُ ، فأمَرَ بتَوْليتِه القضاء ؛ فوُلِىَ .

* * *

(١) عبارة الأصل هكذا : «ساخل» ؛ ولعلها مصحفة عما ذكرنا ، أو عن : «سأحمل» .

« ذِكْرُ القاضى : الحبيب أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادٍ اللخْمىِّ ؛ المَرَّةَ الأُولَى » .

قال محمدٌ : ولمَّا تُوُفِّىَ القاضى : محمد بن سَلَمَةَ ؛ أمَرَ الأميرُ (رحمه الله) محمد بن أُمَيَّةَ — صاحبَ المدينة يومئذٍ — : أن يقبض الدِّيوانَ ؛ وأن يَجعَله : بمكان الحِفظِ والصِّيانةِ ؛ حتى يولى القضاء مَن يرضى ؛ فيصيرُ إلى نَظَرِه .

ففَعَل ذلك ؛ وبقِىَ الناسُ : لا قاضىَ لهم بُرهةً من الزَّمان .

وكان الأميرُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ (رضى الله عنه) — فى ذلك الوقتِ — : يستشير ويَستَخيرُ ، ويتكرَّرُ بالنظرِ ، ويقلِّبُ الرَّأى : فيمَنْ يقلِّدُه القضاء ؛ بعد محمد ابن سَلَمَةَ .

فجَمَع الوُزراء يوماً من الأيام ، وجعلَ يُشَاوِرُهُم فى قاضٍ .

فقامَ إليه محمدُ بن أُمَيَّةَ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ؛ إنَّ الرجلَ لا يَعهَدُ بوَصِيَّتِه ، ولا يَأتمِنُ على ولَده ومالِه ، غيرَ أوثَقِ الناسِ ؛ وهـذه : وصيَّتى ؛ فانظُرْ : إلى مَن أسنَدْتُها .

فقال الأميرُ : صدقتَ . ثم نَظَر إلى كتابه ، فوجَدَه : قد أسنَدَها إلى الحبيبِ ابنِ أحمدَ بنِ محمدِ بن زيادٍ . فقَبِلَ منه الأميرَ (رحمه الله) : رأيَه ؛ ووَلّى القضاء

٤٤ الحبيبَ بن محمدِ بن زيادِ بن عبد الرحمن بنِ زُهَيْرٍ اللَّخْمِىَّ . وذلك : فى سنةِ إحدَى وتسعينَ ومائتَيْن .

قال محمدٌ : قال لى غيرُ ما رجلٍ — من عقلاء الناسِ وعلمائهم — :

كان القاضى أحمدُ بن محمدِ بن زيادٍ — المعروفُ : بالحبيبِ — : أكملَ الناسِ أدباً ، وأكثرَهم بالصَّديقِ برًّا ، وأكرمَهم عنايةً ، وأقْضاهم لحاجةٍ : فى مالِه وحُرْمَتِـه . وكان : حَسَنَ المُداراة ، لطيفاً : فى الأمورِ ؛ طَلُوباً : إذا طُلِبَ ؛ صَبُوراً على المُقَارَعةِ والمُوَاصَلةِ .

قال محمدٌ : وذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال :

لم يَزَلْ أحمدُ بن محمدِ بنِ زيادٍ — فى حَدَاثةِ سِنِّه — : أثيراً عندَ الخلفاء (رحمهم الله) ؛ شاوَرَه الأميرُ محمدٌ — معَ الفُقهاء — : (فى بعضِ الأقْضِيَةِ ؛ واسْتَسْقَى بالناسِ فى أيامِ الأميرِ المُنذِرِ (رحمه الله) ، بَدِيلاً[1] للقاضى أبى مُعاويةَ — من غيرِ ولايةٍ — : فسُقِىَ ونَزَلَ الغَيْثُ .

قال محمدٌ : وكان الحبيبُ : من أوفَرِ الناس وأمْلَئِهم[2] ؛ وكان بصيراً بالتَّجْرِ ، عارفاً بوُجوهِه .

قال لى بعضُ الشيوخِ : إنما كانت المِنَّةُ على الحبيبِ — فى مالِه — : للقاضى سُليمانَ بنِ أسْوَدَ ؛ فإنه كان : يُعْنَى بالحبيبِ عِنايةً شديدةً ؛ وكان الحبيب فى مُبْتَدَإِ أمرِه : لا مالَ له . فدَعاه سليمانُ : فوَعَظَه ووَصَّاه : بالنظَرِ لنفسه ، والاكتِسابِ لها ؛ وعَرَّفَه : بحُرْمةِ المالِ ، وجَسيمِ مَنفعتِه ؛ ودَلَّه : على بابِ التَّجْرِ ، وحَضَّه عليه .

فقال له الحبيبُ : إنَّ التَّجْرَ لا يكونُ إلا بالمالِ ؛ وأنا : لا مالَ لى .

فسكَتَ عنه سليمانُ أياماً ؛ ثم دَعَاه : فأوْدَعَه خمسةَ آلافِ دينارٍ ؛ وقال له : حَرِّكْها ، واتَّجِرْ بها لنفسِك . فكانت : نِصابَ مالِه ، ومِفتاحَ كَسْبِه .

قال محمدٌ : ولمَّا وُلِّىَ القضاءَ الحبيبُ بن أحمدَ بنِ محمدِ بن زيادٍ — وذلك : فى سنةِ إحدَى وتسعينَ ومائتَيْنِ — : لم يَقْبَلْ الرَّأْىَ ممَّن أشارَ به عليه ، حتَّى يُقَيِّدَه على نفسِه بخطِّ يَدِه . — فكان : أوَّلَ قاضٍ : ضمَّ أهلَ الفقهِ ، المُشيرينَ عليه فى أقْضِيَتِه ، إلى ضَبْطِ فُتْيَاهُم ، ورَمامِ رأيهم : بخطِّ أيْديهم . — ولم يَكِلْ ذلك : إلى خطِّ كاتبِه ، ولا : إلى خطِّ نفسِه . ثم تَكَلَّفَ — بعدَ ذلك — تأليفَ تلك الأقْضِيَةِ ، وجَمْعَ تلك الأحكام . فجَعَلَ منها أجزاء : فيها بَلاغٌ لمن نَظَرَ

---

(١) بالأصل مديلا . ولعلها مصحف عن نحو ماأثبتنا . (٢) جمع : مليء ؛ وهو : الثقة .

فيها ، ومنفعةٌ لمن اقتبسَ منها ؛ وهى : لا بأسَ بعلمها ، ولا تقصيرَ فى صُوَانِها[1] .

وكان : قد قعَدَ عنه ـ فى قضائه هذا الأوَّلِ الشيخانِ : محمدُ بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، وأيُّوبُ بن سليمانَ . وكانا فى وقتِهما : شَيْخَىْ البلدِ ، وعظِيمَيْه . علماً وفقهاً ؛ مَعَ السِّنِّ والإجلالِ : من صَنعةِ العلمِ ، ومعانى الفقهِ ؛ معَ كَثْرَةِ الدُّرْبةِ ، وطُولِ المِرَاسَةِ ، وقَديمِ المُعاناةِ ، والرُّسُوخِ الكاملِ . فى مَذهبِ الرَّأى وطُرُقِ الفُتْيا.

فلمَّا نَظرَ الحبيبُ إلى تَثَاقُلِهما وقُعودِهما عن إتْيانِه ـ : اسْتَغْنَى بمحمدِ بن وَليدٍ الفقيهِ ، وبمحمدِ بن عبد الملك بن أيْمَنَ ؛ عن الشيخين : بُرهةً من الزَّمانِ ، وحِيناً من الدَّهرِ .

ثم سَعَى فى إصلاحِ ذلك وتألُّفِه ، عمرُ بن يَحيى بنِ لُبَابَةَ ـ وكان قد فَسَدَ فى ذلك الحينِ ، مابيْنَ الشيخين أيضا : محمد بن عُمرَ بنِ لُبَابَةَ ، وأيُّوبَ بن سليمانَ . ـ فجَمَع عمرُ بينَهما : عند أسْلَمَ بنِ عبدِ العزيز ؛ وجُعِل شَرْطُهما فى الإصلاحِ : الاجتماعَ على إزالةِ محمدِ بن أيْمَنَ ، عن مَكانتِه عند الحبيبِ بن زيادٍ .

فدارتْ فى ذلك بينهم أحوالٌ طويلةُ الوَصفِ : على ما يكونُ بيْنَ الضِّدَّيْنِ ـ ولا ضِدَّ أكبرُ من المُزَاحَمةِ والمُنَافَسَةِ : فى الدَّرجة ؛ ولا سِيَّما إن جَرَيا إلى غايةٍ واحدةٍ : بأهواءٍ مختلفةٍ ـ واختَلَفَتْ حُظُوظُهما فى القِسْمِ ؛ فكان أحدُهما : يتطاولُ بحظِّه : من الحُرْمةِ والوجاهةِ ؛ وصاحِبُه يَتطاوَلُ : بالعلمِ والنَّباهة . وجحَدَ كلُّ واحدٍ منهما حقَّ صاحبه ، ولم يُقِرَّ له بما يَنْتَحِلُ ؛ ودافَعَه فيما يقولُ .

قال محمدٌ : أخبرَنى بعضُ الشُّيوخِ ؛ قال :

تَقدَّمَ رجلٌ كهلٌ إلى الحبيبِ بن زيادٍ : فشَهِدَ عنده بشهادةٍ ؛ فقال له القاضى : مُذْ كَمْ عرَفتَ هذا الأمرَ ؟ .

---

(١) كذا بالأصل . ولعل المراد: حفظها . ان لم يكن مصحفا عما يدل على التحرير والكتابة .

فأجابه الشاهدُ بجوابٍ - : أخرَجَ فيه الكلامَ على وجْهِ المُبالغةِ ، والرَّمْيِ إلى الغايةِ . - فقال له : مُذْ مِائةِ سنةٍ .

فقال له القاضى : أبنُ كَمْ أنتَ ؟

فقال له : أبنُ سِتِّين .

فقال له : فكيفَ عرَفتَ هذا الأمرَ مُذْ مِائةِ سنةٍ ؟ ! أتُراكَ : عرَفتَه قبْلَ أنْ تُولَدَ بأربعينَ عاماً ؟ ! .

فقال له الشاهدُ : إنَّما قلتُ ذلك على المَثَلِ .

فقال له الحبيبُ : إنَّ الشَّهاداتِ لا تُؤَدَّى بالمَثَلِ . ثم دَعَا للشاهدِ بالسَّوْطِ : فقَنَّعَه به مراتٍ ؛ ثم قال : لو أنَّ إبراهيمَ بن حسينِ بن عاصم تَحَفَّظَ مِن مِثْلِ هذا - : ما صَلَبَ إنساناً بغيرِ حَقٍّ .

قال محمدٌ : وكانت قِصَّةُ المَصلُوبِ - الذى صَلَبَه إبراهيمُ بن حسينٍ - : أنَّ الأميرَ محمدا (رحمه الله) حَدثَتْ فى أيَّامِه مَجاعةٌ شديدةٌ : فكَثُرَ فيها التَّطاوُل من الفَسَدةِ ؛ لفَضلِ ما كانوا فيه : من ضُرِّ السَّنَةِ . وكثرَ الشَّكوَى بذلك : إلى الأميرِ (رحمه الله) ؛ وكَثرَ عليه - من الحُكَّامِ - اسْتِطْلاعُ رأْيِه : فى الصَّلْبِ والقَطْعِ وما أشْبَهَ . فوَلَّى السُّوقَ - حِينئذٍ . - إبراهيمَ بن حسينِ بن عاصمٍ وأمَرَه بالاجتهادِ ؛ وعَهِدَ إليه : بالتَّحَفُّظِ ؛ وأذِنَ له : بالتَّنْفيذ فى القَطعِ والصَّلْبِ بلا مُؤامرةٍ منه ، ولا اسْتِئْذانٍ .

فكان إبراهيمُ : يجلسُ فى مجلسِ نَظَرِه فى السوق ؛ فإذا أُوتِىَ بالفاسدِ المُفدِحِ ، قال له : اُكتُبْ وصيَّتَه[1] ؛ ودعا له بشيوخٍ : فأشهَدَهم على مايُوصِى به ؛ ثم صَلَبه ونحَرَه . فكان بين يديه - : من المُصَلَّبينَ . - عددٌ عظيمٌ .

---

(١) أى : طلب منه ذلك ، ولعله مصحف عن « وصيتك » .

فأتاه قومٌ بفتًى : من جيرانِهم ؛ فشَكَوْا منه إليه تَطاوُلا ؛ على ما كون : من أشرارِ الأحداثِ . وهُمْ لا يَشُكُّون : أنه سيَزْجُرُه الزَّجرَ القويَّ ؛ وإن أفْرَطَ فى عقابِه : بالسجن .

فقال لشيخ منهم : ما يَستَحِقُّ عندَك ؟.

فقال — على وَجهِ المَثَلِ والمُبالغةِ فى الوَصفِ — : ما أستحقُّ هؤلاء . وأشارَ إلَى المُصَلَّبِينَ .

فقال له إبراهيمُ بن حسينٍ ولأصحابه : انصرفوا . ثم قال للفتى : اكتب وصِيَّتك .

فقال له : اتقِ اللهَ فىَّ ؛ فإنه لم يَبلُغ ذَنْبى ، أن أستَحِقَّ القتلَ والصَّلبَ .

فقال له : بذلك شَهِدَ عليك الشُّهودُ . فقتَله وصَلَبه .

فلمَّا بَلَغ الشُّهودَ ذلك ، أتَوْه فقالوا له : لم يُشْهَدْ عندَك على الفتَى بذَنْبٍ : يجبُ فيه القتلُ . فقال : أوَلَمْ يَقلْ قائلُكم : إنه يَستَحِقُّ ما استَحقَّ[1] هؤلاء . فقالوا له : [هذا] عَلَى المَثَلِ .

قال : فإثمُ ذلك فى رِقابِكم : إذْ لم تُحْسِنُوا الإبانةَ من أنفُسِكم .

قال محمدٌ : بَلَغَنى : أنَّ الحَبيبَ جَلَس إلى مائدتِه رجلٌ من السُّوقِ : كان له صنيعةٌ ؛ وكان السُّوقىُّ : قد أخرَج فى كُمِّه — من بيته — خُبزاً : يَتَغدَّاه فى حانُوتِه : فى داخلِ النَّهارِ . فَخَطر بالقاضى الحَبيبِ : فى صدْرِ النهارِ ؛ فأمَرَه : بالمُقامِ ؛ حتى حَضَرتْ المائدةُ ؛ فتَقرَّب الرجلُ ، وأظهرَ مُزاحاً سَمِجاً : فأخرَج خُبزَه من كُمِّه ؛ ثم قال : أمَّا أنا : فقد أتيتُ بخُبزى معَ نفسى ؛ فمنه آكُلُ . — وكان الحَبيبُ : شَريفَ الهِمَّةِ ، شَديدَ اليَقظة . — فقال له ويْلَك ؛ إنَّ

---

(١) بالأصل : « يستحق » . وهو مصحف عنه .

إنَّ هذا الكلام و إن كان مُزَاحاً ، — . فإن عارَه يَبْقَى . ثم قال لغلامه : خذْ يَده ، وأقِمْهُ[١] عن المائدة ، وأخرِجْه ؛ فليْس مثل هذا يُسْتَخَصُّ .

قال لى عثمانُ بن محمدٍ : كان بيْنَ الحَبيبِ بن زيادٍ — قبْلَ أنْ يَلِيَ القضاء — و بيْنَ جَعفرِ بن يَحيَى بنِ مُزَينٍ ، سَبَبٌ : من شَحْناء وضِغنٍ ؛ وكان جُعفرٌ : ممَّن يُصلِّى فى المَقْصورةِ .

فلما وُلِّىَ الحَبيبُ القضاء ، أمَرَ بعض القوَمةِ يوم الجُمُعةِ — إذا أتَى جَعفرُ بن يَحيى بن مزينٍ ، ليدخُـلَ من بابِ المَقْصورة — : فليَسْبِقْ البابَ ، ويُغْلِقْه فى وجْهه ولا يُدخِلْه[٢] .

ففَعَل ذلك به : فمَالَ جعفرٌ إلى جانبِ البابِ : من خارجٍ ؛ وصَلَّى ؛ ثم انصَرَف إلى بيته . فيُقال : إنه ظَهـر به يَرَقانٌ ؛ فماتَ إلى الثالثِ ، وهذا فيما ذكرناه[٣] : من مُطالَبةِ الحبيبِ لِمَن شَذَّ عنه .

قال محمدٌ : ذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال :

إنَّ محمـدَ بن إبراهيمَ — المعروفَ : بابنِ الجَبَّابِ . — امْتَدَّ إليه رجلٌ من جيرانه — : وهو حَدَثُ السِّنِّ يومئذٍ . — فنالَ منـه : بسَببِ النفسِ الذى كان يَتعادى به الجيرانُ .

فتَقَدَّم محمـــدُ بن إبراهيمَ إلى الحَبيبِ بنِ زيادٍ — فى دَولته الأُولى — : مُشْتَكياً بالرجل .

فأمَرَ الحبيبُ : بحَبسِه ؛ فشَفَع فى إطلاقه : محمدُ بن عُمر بنِ لُبابَةَ ، وأبو صالح أيُّوبُ بن سُليمانَ ؛ وقالا له تَحبسُ رجلاً ، بدَعْوى خَصمِه ؟ !

---

(١) بالأصل : « وأقم » ؛ وهو تحريف .

(٢) بالأصل : « يدخل » ؛ والظاهر أنه محرف عنه .

(٣) عبارة الأصل « ذكر نانه » وهى مضطربة .

فأبَى الحبيبُ : من إطلاقه ؛ وقال : كان أبي وعمِّي : لا يَلْتَمِسانِ ـ عَلَى مَن شَكَا به أهلُ العلمِ ، ومَن يُوسَمُ بخير ـ : ظَهِيراً . ولم يُطْلِقْ الرجلَ إلا لِمَنْ حبَسه له .

قال محمدٌ : إن كانتْ هذه الحكايةُ صحيحةً ، عن الحبيبِ ـ : فهي من فلَتَاتِ الرَّأْيِ ، وعَثَراتِ الجهلِ . وما حَكَى مِن ذلك ـ عن أبيه وعمِّه ـ : فقد لا يَصِحُّ ذلك ؛ ولو صَحَّ . لم تَقُمْ له به حُجةٌ عَلَى مَذهبِ الحـــقِّ الذى لا يَمْتَرِى فيه بَشرٌ .

وآيةُ الصِّدقِ فى ذلك : أنَّ أفْضَلَ الناسِ : دِيناً وعِلماً ، وأدَباً ومَرُوءةً — لو ادَّعَى عَلَى أحدٍ فَلْساً : لم يُعطَ بدَعْوَاه ، ذلك الفَلْسُ . فما هو أعظَمُ من ذلك — : من الحَبْسِ والعِقابِ . — أحَقُّ أن لا يُنَفَّذَ لأحدٍ بدعواه .

غـــيرَ أنَّ مَنْ اجْتهدَ فى الإصَابةِ : فثَوَابُه مَرْجُوٌّ ؛ ووِزْرُ الخطإِ — الذى لا يملكه — عنه مرفوع والله المُطَّلِعُ [على] خَفِيِّ الضَّمائِرِ ؛ والعالِمُ بسرائرِ النِّيَّات . وليس الخطأُ بعَيبٍ : عَلَى الرَّاسِخِ فى العِلمِ ؛ ولا الزلَلُ : منكوراً على أهلِ الفهم . قال الله تبارك وتعالى : (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ؛ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ؛ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ؛ وَكُلاًّ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ٢١ — ٧٨) ؛ فشهد الله (عز وجل) لنَبِيِّه سُليمانَ (عليه السلامُ) : بالإصابة ؛ ولم يَذْمُمْ داودَ : بالخطإِ ؛ ثم : أثْنَى عليهما معاً فقال تعالى : (وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وعِلْماً) .

قال محمدٌ : ولم يَزلْ أحمَدُ بن محمدِ بن زِيادٍ ، قاضياً فى دَولته الأُولى : من سَنةِ إحدَى وتسعينَ ومِائتَيْنِ ، إلى : أنْ تُوُفِّىَ الأميرُ ؛ عبدُ الله بن محمدٍ (رحمه الله) ؛ فلمَّا وُلِّىَ أميرُ المؤمنين (أطالَ اللهُ بقاءه) الخلافةَ — : أقَرَّ أحمدَ ابن محمدِ بن زِيادٍ ، على القضاء : مُدَّةً يَسِيرةً ؛ ثم عَزَلَه .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أَسْلَمَ بنِ عبدِ العزيزِ[1] . »

٤٥ قال محمدٌ : هوأبوالجَعْدِ أَسْلَمُ بنُ عبدِ العزيزِ بن هاشمِ بن خالدِ بنِ عبدِ اللهِ ابن حُسينِ بن جَعْدِ بن أَسْلَمَ بنِ أَبَانَ بنِ عَمْرٍو ؛ مَوْلى عثمانَ بن عفَّانَ ، رضى الله عنه . ووَلاَؤهم : لعثمانَ بنِ عفانَ ، رضى الله عنه .

كان : عظيمَ القدرِ ، شريفَ البيتِ ؛ كريمَ الأُبُوَّةِ ، مَعروفَ النَّصيحةِ ؛ ظاهرَ الإخلاصِ للخلفاءِ ؛ (رضى الله عنهم) : معَ الجلالةِ : فى العلمِ ؛ والإدراكِ : فى الرِّوايةِ ؛ والرِّحْلة : فى الطَّلَبِ والصِّحَّةِ : فى الديانةِ .

سمعَ بالأندلُسِ من عُلمائها ؛ ثم رَحَل ، فَلَقِيَ بمصرَ ؛ محمدَ بن عبدِ اللهِ ابن عبدِ الحَكَمِ ، وإسماعيلَ بنِ يَحيَى المُزَنِيَّ ، ويُونُسَ بن عبدِ الأعلى ؛ وسُليمان بنِ عِمرانَ : بالقَيْرَوانِ ؛ وذلك : فى سنةِ ستِّينَ ومائتَيْنِ .

قال خالدُ بن سعدٍ سمعتُ أَسْلَمَ بن عبدِ العزيزِ ، يقولُ :

دخلْتُ حمَّامَ الأُصْطيلِ يوماً ؛ فلمَّا خرجتُ : لقيتُ محمدَ بن عبدِ اللهِ ابن عبدِ الحَكَمِ : راكباً على حمارٍ ؛ فسلَّمَ عَلَيَّ — وكان : قد عَرَفنى بسماعى منه . — فقال لى : مِن أَيْنَ أَقبلْتَ ؟ فقلتُ : من الحمَّامِ .

فقال : وأىَّ الحمامِ ؟ . قلت : حمامَ الأُصطيلِ .

فقال : مِثلُكَ يدخُلُ حمامَ الأصطيلِ ؟ ! .

فقلت له : وما شأنه ؟ .

فقال لى : هو مغصوبٌ لا يَحِلُّ دخولُه . فقلت له : ومَن غَصَبه ؟ .

فقال : كان لبنى أُمَيَّةَ . فقلت له : مهما حَرُمَ عَلَى أحدٍ : فإنه لى حلالٌ .

فقال لى : وكيفَ ذلك ؟ .

(١) انظر جذوة المقتبس ص ١٦٣ ر ٣٢٢

فقلتُ له : الحمامُ لهم ؛ وأنا مَولَى القومِ . (قال) . فَضَحِكَ ابنُ عبدِ الحكَمِ .

(قال أسلَمُ) : فكنتُ إذا أتيتُ مجلسَه بعدَ ذلك — وقد كَثُرَ الناسَ فيه — قال : خَلِّفْ إلى ها هُنَا ؛ فيُدْنِيني ويُكرِمُني ؛ ويقولُ : مِن طَريقُ ذلك الطريق . يعني ابنُ عبدِ الحكَم : أنَّ وَلاءَه أيضاً : لبني أُمَيَّةَ ، رضى الله عنهم .

قال محمدٌ : ولما قَضى أسلمُ بالمشرق حَجَّه وسماعَه ، انْصَرَفَ : فنالَ الوَجاهةَ العظيمةَ ، والمنزلةَ الشَّريفةَ .

وكان أميرَ المؤمنين (أطال الله بقاءه) : عارفاً بمَذاهبه الحسَنةِ ، ومُرُوءَته الكاملةِ ، وأوْصافه المحمودَةِ . فلمَّا عزَلَ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادٍ ، عن القضاء — : وَلَّى أَسْلَمَ بن عبدِ العزيز ، قضاءَ الجماعةِ بقُرْطُبةَ ، سنةَ ثلاثِ مائةٍ ، يومَ الأربعاء لسبعٍ بَقينَ من جُمادَى الآخِرَةِ . فذَكَّرَ بالسَّالفينَ : من عُيُونِ القُضَاةِ ؛ إيثارَ الحقِّ و إمضاءَه .

وكان صارماً صَليباً : لا هَوادَةَ عندَه لِظالمٍ ، ولا مُدَاهَنَةَ معَ مُبطِلٍ .

قال محمدٌ : أخبرني مَنْ أثقُ به : من أهلِ العلم ؛ قال : كان بقُرْطُبةَ رجلٌ أعجميٌّ : ممَّنْ اسْتُنزِلَ من الحصُون المخالفةِ ؛ وكانتْ له امرأةٌ : حُرَّةٌ مُسْلمةٌ ؛ فاسْتجارتْ بالقاضي : أسلمَ بن عبد العزيز ؛ فأجارَها ، وبدأ : بالنَّظر في أمرِها . وكان في ذلك الوقت الحاجبُ بدرُ بن أحمدَ : يَحُلُّ من أمير المؤمنين (رحمه الله) محلاً لطيفاً ؛ فلم يَنْشَبْ القاضي أسلمُ : أن[1] أتاه يَعْلَى عن الحاجبِ بدرٍ ؛ فقال له : الحاجبُ يقرأُ عليك السلامَ ، ويقولُ لك : إن هؤلاء العجمَ إنما اسْتَنزَلْناهم بالعهدِ ؛ ولا يَحِلُّ الحَقْرُ بهم ؛ وأنتَ أعلمُ بما يَجبُ : من الوفاء

---

(١) عبارة الأصل : وأتاه .

بالعُهود ؛ فدَعْ بينَ فلانٍ العجميّ ، و بينَ الأمةِ التى فى يدَيْه

فقال أسلَمُ لِيَعْلَى : الحاجبُ أرسلك بهذا ؟ . قال : نعم .

قال : فأخبِرْه عنّى : الأيمانُ كلُّها لازمةٌ لى ؛ لا نَظَرتُ بينَ اثنَيْنِ حتى أُنفِّذَ على العَجميِّ ما يَجبُ عليه : من الحقِّ ؛ فى هـــذه الخُرَّةِ المُسلمةِ التى فى يدَيْه .

فذَهب عنه يَعْلَى ، ثم رجعَ إليه ، فقال : الحاجبُ يقرأ عليك السلامَ ، ويقولُ : إنّى لا أعترِضُك : فى الحقّ ؛ ولا أستَحِلُّ سُوآل ذلك منك ؛ وإنّمـــا أسألُك التَثَبُّت فيما يَجبُ : من حقِّ هؤلاء المعاهَـــدِينَ ؛ فقد علِمتَ مايَجبُ : من رِعايتِهم ؛ وأنتَ أعلَمُ بالواجب

قال محمدٌ : وكان القاضى أسلَمُ بن عبدِ العزيزِ : شديدَ المُبايَنةِ فى الحقِّ ، قليل المُداراةِ فيه ؛ وكان : رُبَّما أخرَج ذلك : بلفظٍ نادرٍ ، ومعنًى طيِّبٍ ؛ يُعْجَبُ بمعناه : من جهةِ الرَّأى ، ويُسْتَنْدَرُ لفظُه : من جهةِ النادرِ والفُكاهةِ .

أخبرنى مخبرٌ : من أهلِ العلمِ : قال :

دخَلَ أبو صالحٍ أيُّوبُ بن سُليمانَ ، وسعدُ بن مُعاذٍ — على القاضى : أسلَمَ : فلمَّا أخَذا مجلِسَهما : نظَر إليهما أسلَمُ ، ثم قال : (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ[1]) ؛ فأبْهَتَهُمَا : بنادرِ لفظه ، و بصِدْقِ معناه .

قال : ودَخَل عليه محمدُ بن وَليدٍ الفقيهُ يوماً : فكلمه فى شىء ؛ فقال له أسلَمُ : (سَمِعْنا وعَصَيْنَا ٢ — ٩٣) .

فقال له ابنُ وَليدٍ : ونحنُ قُلنا واحْتَسَبْنا .

قال : ودَخَل عليه رجلٌ — : ممَّن كانتْ له خُصومةٌ . — فقال له : قد أتيتُكَ برجلٍ يشهدُ لى — : من إشْبيلِيَّةَ . — يَدْخُلُ ؟

---

(١) اقتباس من سورة يونس (٨٠) والشعراء (٤٣) .

فأظهرَ التعجُّبَ من ذلك ؛ وكأنه اتَّهمَهُ .

فلمَّا صارَ الشَّاهدُ بينَ يدَيْه ، قال له القاضى : مُحتَسِبٌ أنتَ ؟ أو مُكتَسِبٌ ؟ .

فصادَفَ عندَ الرجل : أنفَةً ؛ فقال له : ما عليك يا قاضى : أنْ تسألنى عن مثلِ هذا ؛ إنما عَلَىَّ أن أقولَ ؛ وعليك : أن تسمعَ ؛ ثم أنتَ بالخيار : إنْ شئتَ : فاقبَلْ ؛ وإنْ شئتَ : فلا تقبَلْ .

(قال) : فأخْجَلَ أسلمَ : كلامُه وصحَّةُ معناه ؛ ثم قال : قل .

فقصَّ الرجلُ : شهادته ؛ ثم وَضعَ يدَيه فى الأرض ، وقامَ عنه .

ومن المُستَفيضِ عنه ، قولُه لرجلٍ — : من أهل لَبْلَةَ . — : وقد أتاه وسلَّمَ عليه ، ثم جلسَ ؛ ثم قال تعرفنى يا قاضى ؟ قال له : لا ؛ قال : أنا قاضى لَبلةٌ . فقال أسلمُ : ما تُنكَرُ للهِ قُدْرَةٌ .

وبَلَغَنى : أنه بَلغَه عن بعضِ الفُقهاء : أنه يُقبِلُ إليه : ليشهدَ عندَه شهادةً : قد أهدَى إليه صاحبُها بِسَاطاً . فلمَّا دَخلَ عليه ، ونَزَعَ أخْفافه ، وهمَّ أنْ يَمشِيَ عَلَى البِسَاطِ — قال : تَحفَّظْ من البِسَاطِ . فلم يَجْسُرْ : أن يَشْهدَ بما أتَى : ليشهدَ فيه .

قال محمدٌ : وسمعتُ مَن يَحكى : أنه جاء رجلٌ من النَّصارَى مُستَقْتِلاً لنفسه ؛ فوَبَّخَهُ أسلمُ ، وقال : وَيلكَ ؛ مَنْ أغْرَاكَ بنفسكَ : أنْ تقتُلَها بلا ذَنْبٍ ؟ .

فبَلَغَ من سُخفِ النَّصرانىِّ وجهلِه — إلى أنْ انْتَحَلَ له فضيلةً : لم يُقِرَّ[1] بمثلها ، [إلاَّ] لعيسى بنِ مريمَ ، صلى الله على محمدٍ وعليه . فقال للقاضى : وتَوَهَّمُ : أنكَ إذا قتلْتنى : أنِّى أنَا المقتولُ ؟ .

---

(١) بالأصل : لم يقرا بمثلها لعيسى ، وهو تحريف .

فقال له القاضى : ومن المقتولُ ؟ .

فقال له : شَبَهِى يُلقى على جسدٍ من الأجسادِ : فتقتُله ؛ وأما أنَا : فأُرْفَعُ من تلك الساعةِ إلى السماء .

فقال له أسلمُ : إن[1] الذى تدَّعيه — : من ذلك . — غائبٌ عنا ؛ والذى يُخبرُكَ به — : من تكذيبك . — غائبٌ عنك ؛ ولكن : ثمَّ وجهٌ يظهرُ صِدْقَهُ لنا ولك .

فقال له النَّصرانىُّ : وما هو ؟ .

فالْتفَتَ أسلمُ القاضى ، إلى الأعـــوانِ ؛ ثم قال : هاتُوا السَّوْطَ . ثم أمرَ : بتجْريدِ النَّصرانىِّ ؛ فجُرِّدَ . ثم أمرَ : بضربه ؛ فلمَّا أخذَتْهُ السِّياطُ : جعلَ يَقْلَقُ ويصيحُ .

فقال له أسلمُ : فى ظَهْرِ مَنْ : تقعُ هذه السِّياطُ ؟ .

فقال : فى ظَهْرِى .

قال له أسلمُ : وكذلك السَّيفُ — والله — : فى عُنُقِك يقعُ[2] : فلا تتَوَهَّمْ غيرَ ذلك .

قال محمدٌ : فكان أسلمُ قاضياً : محمودَ السيرَةِ ، مشكورَ الحالِ ؛ من سنةِ ثلاثِ مائةٍ ، إلى آخر سنةِ تسعٍ وثلاثِ مائةٍ .

وكان صاحبُ الصلاةِ — فى تلك المدَّة — : محمدَ بن عُمرَ بن لُبابَةَ .

وكان أميرُ المؤمنين كثيراً ما يَتَخَلَّفُ أسلمَ بن عبدالعزيز ، فى سَطح القَصر[3] — : إذا خرَجَ فى مغازيه . ثم ألحَّ أسلمُ على أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه) : فى الاسْتِعْفاء من القضاء ؛ فعافاه منه .

---

(١) بالأصل : « إنى » ؛ وهو خطأ وتصحيف .

(٢) بالأصل : « تقع » ؛ وهو تصحيف . (٣) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣

قال محمدٌ : قال لى محمدُ بن عبدِ البَرِّ :

كنتُ بيْنَ يَدَىْ أسلَمَ جالساً : حتى أتاه الفتى من عندِ أمير المؤمنين (أعزَّه الله) : بعزْلَتِه عن القضاء ؛ (قال) : فوَجَمَ ثم أطرق ساعة ؛ ثم قال : ألحمد لله : الذى عافانى منها ؛ فطالما سألْته ذلك .

قال محمدُ بن عبدِ الله : فأُكِّدتْ بَصيرته فى ذلك ؛ وذكَّرَتْه : بكثرةِ تَمَنِّيه للعافيةِ منها .

قال لى بعضُ رُواةِ الأخبار : وكان فى ذلك الوقتِ : مُرَشحاً للقضاء ؛ رجلٌ : كان فى أبَوَيْه عُجْمةٌ . فلمَّا عُزِل أسلَمُ ، ووُلِّىَ الحبيبُ — : جَعَل أسلَمُ يقولُ : « ألحمدُ لله الذى جَعلَنى ممَّن يقولُ : لا إله إلا اللهُ » ؛ يُعَرِّضُ بالرجلِ المُرَشَّحِ : ألذى كان آباؤه عُجْماً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ محمدِ بن زِيادٍ ؛ »

« المرَّةَ الثَّانيةَ . »

قال محمدٌ : قال لى بعضُ رُواةِ الأخبارِ :

وكان السَّببُ فى إعادةِ الحبيب إلى القضاء : أنه لمَّا وُلِّىَ أسلَمُ القضاء : أذَلَّ الحبيب : فى نفسِه وفى صَنائعه ؛ واسْتَقْصَى عليهم وركِبَ إلى الحبيبِ بنفْسِه ، وهَدَم عليه حائطَ مُنْيَتِه ، وأخْرَج منها إلى الطريق : صَفَّين من شجرٍ ؛ بما ثَبَت عندَه .

فجَعَل نفسُه الحبيبَ : [يَسعَى] فى الطلب : فأولُ ما بدأ : باسْتِصلاح أمِّ ولَدِ بدرٍ ؛ فلما أصلَحَ جانبَها : أصلَحَتْ له جانبَ بدرٍ ؛ فاختَلَف إليه الحبيب مرَّاتٍ ؛ ثم قال له يوماً : نَسِيَتَنى يا أبا الغُصْنِ ؟! فكرِّ : فى أوْليائك ، وفى أعدائك ؛ ثم : أيْنَ

تَجْعَلُنى ؟ وأَيْنَ تَجعلُ أسلَمَ ؟

فَلَهِيَ عنه بَدْرٌ ، وقال : لستُ ـ باللهِ ـ أُغْفِلُ أَمْرَكَ .

ثم : تأهَّبَ أميرُ المؤمنين لغَزْوَةٍ من الغَزَوَاتِ ؛ فخَرَجَ الحبيبُ : مُشَيِّعاً لِبدرٍ فقال له : إنَّ الأميرَ لا يَعرِفُك بالمُخالَطةِ : حَقَّ المعرفةِ ؛ ولكنْ : كاتِبْه فى هـذه الغَزَاةِ ، ووَالِ بالكُتُبِ ؛ ثم : إذا كان القَفْلُ : فاخرُجْ أَبْدَرَ[1] الناسِ إلى التَّلَقِّى بنا .

ففَعَل : فكاتَبَ وألَحَّ بالكُتُبِ ؛ وجُوُوبَ ؛ ثم خَرَج عندَ القفلِ : فتَلَقَّى الأميرَ : على مَسِيرةِ يومٍ ؛ فأمَرَه الأميرُ : فتَقَرَّبَ ووَاكَبَ ؛ وأخْلى له بَدْرٌ موضِعَ المُوَاكَبةِ . وكان الحبيبُ : كثيرَ الخَبَرِ ؛ فاسْتَوْلَى بالحديثِ على الأمير : نَسَقاً واحداً ؛ إلى « مُنْيَةِ نَصْرٍ » ؛ فاسْتَحْيى منه أميرُ المؤمنين ، وتَكَلَّمَ فى أمره معَ بَدْرٍ ؛ ثم ولاَّهُ ـ ذلك الوقتَ ـ : القضاءَ ؛ وأظْهَرَ إسعافَ أسلَمَ بما كان يسألُ : من الاسْتِعفاء .

قال محمدٌ : ولمَّا عافَى أميرُ المؤمنين (أعزَّه الله) أسلَمَ بن عبدِ العزيز ، وعَزَلَه عن القضاء — : أعادَ أحمدَ بنَ محمدِ بن زِيادٍ إلى قضاءِ الجماعةِ ؛ وإلى الصَّلاةِ .

فلمَّا وُلِّىَ : تَمَنَّتَ أُمناءُ أسلَمَ بنَ عبدِ العزيزِ ، وامْتَحَنَهم : فى الوَدَائعِ ؛ واضْطَرَّهم إلى إحْضارِ ما بأيديهم : من الأموالِ .

قال لى أحمدُ بن عُبَادَةَ : فلقد سِرْتُ إلى الحبيبِ — : وهو جالِسٌ فى المَسجدِ الجامعِ : يَمْتَحِنُ الناسَ ، ويَكْشِفُهم عن الأموالِ . — فجلَسْتُ ساعةً ، ثم قُمتُ عنه فى حينَ : لا يَقومُ عنه قائمٌ إلاَّ بإذْنِهِ ، وبعدَ فصلٍ من أمرِه . فنَظَرَ إلىَّ الحبيبُ نَظْرةً ؛ فأخبرَنى مَن كان إلى جنبه ؛ قال : ألتفتَ إلىَّ — إذ قمتُ — فقال : ما أرى على الرجلِ فى الدِّيوانِ شيئاً (يَعنِى : مالاً) ؛ قال : فقلتُ : ما أرى ذلك .

(١) عبارة الأصل : (وابدر) ؛ وهى محرفة .

قال أحمدُ بن عُبَادةَ : ولم أشعُرْ بعدَ أيامٍ : حتى أتى رسولُ القاضى الحبيبِ ، يأمرُنى : بالإقبالِ إليــه ؛ فأقبلْتُ ، فقال لى : وجَدتُ لك اسماً فى الدِّيوانِ : بقبضِ مالٍ لِيتيمٍ ؛ ولم أجِدْ لك منه بَراءةً .

(قال) : فقلتُ : اليتيمُ حىٌّ رشيدٌ ؛ وقد أطلقْتُه من الولايةِ ، وبَرِئْتُ له : بجميعِ ما كان له عندى ؛ فإن أتاكَ : يَدَّعِى شيئاً — : مما كان عندى . — فهو المُصَدَّق بلا بيِّنَةٍ ولا يمينٍ .

فقال : ولا كلَّ هــذا ؛ إنَّما كرِهْتُ : أن يكونَ ذِكرُك فى الدِّيوانِ بقبضِ مالٍ : بغيرِ ذِكْرِ البراءةِ منه . ثم خرجْتُ عنه .

قال محمدٌ : ولم يزَلِ الحبيبُ : قاضياً ـ فى المرَّةِ الثانيةِ ـ وصاحبَ صــلاةٍ ؛ حتى تُوُفِّىَ : غيرَ معزُولٍ ؛ فى سنةِ اثنتَىْ عشْرةَ وثلاثِ مائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أسلَمَ بنِ عبدِ العزيزِ . »

« المرَّة الثَّانيــةَ »

قال محمدٌ : ولما تُوفِىَ القاضى أحمدُ بن محمدِ بن زِيادٍ — : أعادَ أميرُ المؤمنين (أطال الله بقاءه) أســلَمَ بن عبدِ العزيز : إلى القضاء ؛ ووَلَّى أحمدَ بن بَقِىِّ بن مَخلَدٍ : الصَّلاةَ .

فكان أسلَمُ بن عبــدِ العزيز ، صَنيعَ الحبيبِ : فى الاستِقْصاءِ على الأُمَنَاءِ ؛ فوقَفَ أسلَمُ بن عبدِ العزيز ، أُمَناءَ الحبيبِ : مَوقِفَ الامتحانِ والاستِقْصاءِ .

قال محمدٌ : وكان أسلمُ فى قضائه الثانى : قد أدرَكَه الوهَنُ ، وأخذَتْ منــه السِّنُّ فانكَسَرَ بعضَ الانكِسارِ . غيرَ أنه : باقِى الفِطْنةِ ، مُجتَمِعُ الفَهــمِ ؛ يُقرَأُ عليه العِلْمُ ، وتُعْرَضُ عليه الكتبُ : من فُنونِ الحديثِ ، وأبوابِ الفقهِ فلا يَزولُ عنه — : من الصَّوابِ . — شىءٌ ؛ ولا يَشِذُ[1] عنه ـ : من المعانى . ـ

(١) بالأصل : يشد . بالمهملة . وهو تصحيف .

ما يَشِذُّ [١] على مِثلِه : من أهلِ الكَبْرَةِ والسِّنِّ .

كان كذلك : حتى كُفَّ بصرُه ، وضعُفَ بدَنُه ، وعجَز عن التَّصَرُّفِ .

فعَزَله أميرُ المؤمنين (أعزه الله) عن القضاء : سنةَ أربعَ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

ثم كانتْ وفاةُ أسلمَ بعدَ ذلك ، إلى سنين : سنةَ سبعَ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى: أحمدَ بنِ بَقِىِّ بنِ مَخْلَدِ بن يَزيدَ [٢] . »

٤٦ قال محمدٌ : ولمَّا عَزَل أميرُ المؤمنين (أعزه الله) أسلمَ بنَ عبدِ العزيز ، عن القضاء ـ : وَلَّى أحمدَ بن بَقِىٍّ بن مَخْلدٍ : قضاء الجماعةِ ؛ وأقرَّه على الصَّلاةِ : ٱلتى كان عليها . وذلك : فى سنةٍ أربعَ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

فكانتْ مذاهِبُه : محمودةً ؛ وسِيرتُه : حسَنةً ؛ وهَدْيُه : جميلاً . وكان له ـ : من الوَقَارِ والإخْباتِ . ـ ما بذ [٣] به أهلَ زمانِه ، ووفاتَ فيه أهلَ عصرِه .

قال محمدٌ . جالستُ أحمدَ بن بَقِىٍّ زماناً ؛ فرأيتُه . عاقلاً حَصِيفاً ، داهِياً أديباً ؛ وكانتْ له . أخلاقٌ كريمةٌ وآدابٌ لَطيفةٌ ؛ وكان يُحْسِنُ ما يُحاوِلُه : قولاً وفعلاً ؛ وكان مُجيداً : فى لَفظِه ؛ مُبيناً : فى كلامه ؛ بَليغَ اللِّسان : فى خُطبته ؛ طَويلَ ٱلقَلَمِ . فى كُتُبِه ؛ وكان : أنيسَ المجلسِ ، كثيرَ الحِكاياتِ .

قال محمدٌ : وسمِعتُ وَلِىَّ عهْدِ المسلمين (أبقاه الله) : وقد ذكَر أحمدَ بن بَقِىٍّ ؛ فوَصَف : من صدقِه وتواضُعِه ؛ فقال ـ فيما ذَكَر ـ : قال لى الحاجبُ موسى بنُ محمدِ بن حُدَيْرٍ : سألتُ أحمدَ بن بَقِىٍّ : عن نَسَبِه وولائه ؛ فقال : وَلاؤُنا لامرأةٍ من أهلِ جَيَّانْ .

---

(١) بالأصل : شد ، بالمهملة . وهو تصحيف .

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣ — ٦٤ وجذوة المقتبس ص ١١٠ ر ١٩٧

(٣) بالأصل : بد . بالمهملة . وهو تصحيف .

(قال محمدٌ) : ثم جَعَلَ وَلِيُّ العَهْدِ (أبقاه الله) : يَعْجَبُ من صدقِه و إنْصافه ؛ وقال : لو شاء : لادَّعَى أشرَفَ الأنسابِ ؛ ثم لا يَجِدُ فى ذلك مُكَذِّباً .

قال محمدٌ : ومِمَّا يحكيه الناسُ — عن موسى بن محمدٍ الحاجبِ — أنه قال : عافانا اللهُ من أحمدَ بنِ بَقِيٍّ ؛ إنه مالَ إلى الآخرةِ وطَريقِها ؛ ولو مالَ إلى الدُّنيا : لَشَغَلَنَا بأنفُسِنا .

قال محمدٌ : ولم يزَلْ أحمدُ بن بَقِيٍّ — مذ كان فى حَداثةِ سِنِّه — : مُعظَّماً مَوْسوماً : بالخيرِ ؛ مَعروفاً : بالفضل ؛ ظاهِرَ السؤدُدِ . شاوَرَه الأميرُ عبدُ اللهِ ابنُ محمدٍ : وهو ابنُ خمسٍ وعشرينَ سنةً .

قال محمدٌ : وسمِعتُ بعضَ أهل العلمِ يَحكِى ؛ قال :

أرسَلَ الأميرُ الوُزراءَ : فى أبى مَرْوَانَ : عُبَيْدِ الله بنِ يحيى بن يَحيَى ؛ وفى أبى عبدِ اللهِ : أحمدَ بنِ بَقِيٍّ بن مَخْلَدٍ . فشاوَرَهما : فى بعضِ الأمْرِ ؛ ثم انْصَرَفا .

فلمَّا خَرَجا : جَعَلَ بِشْرُ بن سَلَمَةَ — : يُحدِّثُ أصحابَه ، ويُعْجِبُهم من تَغَيُّرِ الأحوالِ ، وتقلُّبِ الأمورِ . — فقال لهم : أتانى عُبَيدُ اللهِ بنُ يحيى — : وأنا قاضٍ : فى حياةِ بَقِيٍّ بن مَخْلَدٍ . — فقال : لستُ (واللهِ) أرْضَى : أنْ تَسْتَشِيرَنى معَ بقيٍّ بن مَخلدٍ : فى مَجلسٍ واحدٍ ؛ فتَجعلَنى له نظيراً ؛ ولكنْ : إذا أردتَ شيئاً من ذلك ، فأرسِلْ فيه : فى وقتٍ ؛ وأرسِلْ فىَّ فى وقتٍ آخرَ ؛ ولا تجمَعْنَا[1] جميعاً .

(قال) : فلم يَمُتْ : حتى أرسلَ الأميرُ : فى ولَدِ بَقِيٍّ بن مَخلدٍ ، وفى عُبَيْدِ اللهِ ؛ فشاوَرَهما : فى مجلسٍ واحدٍ

قال محمدٌ : وكانتْ أخلاقُ أحمدَ بنِ بَقِيٍّ : من أخلاقِ أبيه(بقيِّ بن مَخْلَدٍ)

---

(١) بالأصل : « تجمعنى » ؛ وهو تحريف .

فى المُداراة والإغضاء ، وحُسْنِ الإقبالِ : على عدُوِّه ؛ وجميـــلِ الصَّفحِ : عن ظالِمِه .

قال لى عبـدُ الرحمن بن أحمدَ بنِ بَقِىّ : كنتُ بحضرةِ أبى : حتى أتى مَن يَحكِى عن رجلٍ : أنه رَفَع فيه بطاقةً ، إلى أميرِ المؤمنين (أعزه الله) ؛ فجَعَل : يَدعُو لذلك الرَّافعِ بالتوبة ويَتَحَنَّنُ[1] عليه : من المأثَم .

قال خالدُ بن سعدٍ : أتيْتُ أحمدَ بن بَقِىٍّ : نهارَ جنازةِ ولَدِ الحبيبِ بن زِيادٍ؛ فقـال لى : هل لك رأْىٌ : فى السَّيْرِ إلى دارِ المُتوَفَّى ؟ . قلتُ : نعمْ . فصحِبْتُه ؛ وخَرَج : وهو ماشٍ ـ من المَسجدِ ـ إلى دارِ الميِّتِ ؛ فلمَّا أتيْنا بعضَ الطَّريقِ ، قال : لقد آذانِى هـذا الميِّتُ ، وقد صَبَرْتُ عليه — إذ كان فى الدُّنيا — : فلم أُكافئْه ؛ وهو اليومَ : أحْوَجُ إلى أنْ أصبِرَ عليه ؛ أُشهِدُك : أنه فى حِلٍّ مِن كلِّ ما فَعَل بى .

قال محمدٌ : وكان أحمدُ بن بَقِىٍّ : رَءوف القلب ، رَفيقَ العقوبة . وله ـ فى مِثلِ هـذا المعنى خاصَّةً ـ أخبارٌ مُعْجِبَةٌ مُسْتَجْمَلةٌ ؛ بخُرُوجِها عمَّا عُرِفَ : من أخلاقِ الناسِ وأخبارِهم .

قال لى أحمدُ بن محمدِ بن عُمرَ بن لُبابَةَ ، وفرجُ بنُ سَلَمَةَ البَلَوِىُّ :

حضَرْنا أحمد بن بقِىٍّ ، فى مجلسِ نَظَرِه ـ : وقد أتَتْه امرأةٌ : تُخاصِمُ زوجَها . ـ فاسْتطالَتْ عليه : بلسانِها ؛ وآذَتْه : بصَلَفِها . فنَظَرَ إليها ، فقال لها : أَقْصِرى ؛ وإلاَّ : عاقبْتُكِ .

فانـكسرت المرأةُ شيئاً ، ثم عاوَدَت الصَّلَفَ ؛ فقال لها القاضى : أَقصِرى ؛ وإلاَّ عاقبْتُكِ .

فانـكسَرَتْ شيئاً ، ثم عاوَدَت الصَّلَفَ ؛ فعَطَف عليها أحمد بن بَقِىٍّ ، فجعل

---

(١) أى : يترحم . وفى الأصل : « ويتحين . المأثم » ؛ وهو تصحيف

يقول لها : أنتِ ظالمةٌ ، أنت ظالمةٌ (ثلاثا) ؛ ثم قال لها : ألم أُخوِّفْكِ من قَبْلِ هذا ؟ ! .

(قال) : فهذه كانتْ عقوبته للمرأة ـ : على صَلَفِها . ـ أنْ قال لها : أنتِ ظالمةٌ (ثلاثاً) .

قال لى فرجُ بن سَلَمَةَ : وكنت قد حضرتُ مجلس أسْلَمَ : وقد أتتْه امرأةٌ : تَسألُ الفَرْضَ على زوجِها ؛ فقال أسلَمُ لأبى عبدِ اللهِ محمدِ بن قاسمٍ : أفرِضْ لها . ففَرَضَ : فأبَتْ المرأةُ من القبول ، واسْتَقَلَّتْ الفَرْضَ ؛ وقالت : ما ثَمَّ أحدٌ : يَتكلَّمُ للهِ .

فدَعا أسلَمُ ـ لمَّا سمِعَ صَلَفَها ـ : بالصَّوْتِ ؛ ثم أمَرَ بها : فقُنِّعَ رأسُها أسْواطاً : فما زادَتْ المرأةُ : أن جعلتْ كُمَّها على رأسِها ؛ حتى فَرَغ الضرْبُ .

فلمَّا فَرَغ : قالت[1] للقاضى : أحسنتَ يا قاضى ؛ هكذا يَفعَلُ القُضاة ! : بالله الذى لا إلٰه إلا هو : لا قبِلْتُ هذا الفرض الذى فُرِضَ لى .

(قال) فرجُ بن سلَمَةَ : فلما شهدتُ فعلَ أحمدَ بن بَقىٍّ ، بالمرأةِ ـ : شكرْتُه على رِفقِه ورأفته ؛ وحكَيْتُ له ما ما فعلَ أسلَمُ بن عبدالعزيز فقال : اللهُ المُستعانُ ؛ وأسأل اللهَ التوفيقَ . وسمِعتُ الناسَ ـ على الاستِفاضةِ ـ يقولون : لم يُقَنِّعْ أحمد بن بَقىٍّ ـ فى طُولِ أيامِه ـ أحداً : بسَوْطٍ ؛ حاشى رجلٍ واحدٍ يُسمَّى : مُنخَّلاً[2] ؛ فإنه كان شرَّ مخلوقٍ ؛ فضَرَبه أسْواطاً : فلم يبقَ أحدٌ إلاَّ شكَرَ لأحمد ابنِ بَقىٍّ ، فِعْلَه فيه .

حدثنى أصْبَغُ بن عيسى الشَّقَّاقُ ؛ قال : كنتُ مُقبِلاً يوماً مع القاضى أحمدَ ابن بَقىٍّ : حتى عَنَّ لنا سكرانُ : يمشى بين أيدينا ؛ فجَعَل أحمد بن بقىٍّ : يُمسِكُ

---

(١) بالأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .

(٢) بالأصل : « منخل » ؛ وهو تحريف .

من عِنانِ دابَّتِه ، و يترفَّقُ فى سَيْرِه ؛ يرجو : أن يَغِيبَ عنه السَّكْرانُ أو يُحِسَّ به فيذهَبَ مسرعاً .

فكان كلّما ترفَّقَ القاضى : وقفَ السَّكران ؛ حتى لم يكن للقاضى بُدٌّ : من أن يقرُبَ منه ، و ينظرَ إليه .

(قال أصبغُ) : وكنتُ أعرِفُ : كراهيةَ القاضى : أن ينتشِبَ فى مِثل هذا ؛ ورِقَّةَ قلبه : أن يقرعَ أحدٌ بسوطٍ . فقلت فى نفسى : لَيْتَ شِعْرِى : كيف تصنعُ فى مثل هذا يا ابنَ بقيٍّ ؟ . فلما قرُبْنا من السكران[1] : عَطَفَ على القاضى ، فقال : مِسكينٌ هذا السَّائرُ ؛ أراه مخبولَ العقل (قال) : فقلت له بليةٌ عظيمةٌ . فجعل : يستغفرُ اللهَ ، و يسأله : أن يأجُرَ المُصابَ فى عقله .

(قال أصبَغُ) : وكنت عندَه يوماً ـ أنا وكاتِبُه ابن حِصْنٍ ـ : حتى أتاه رجل محتَسِبٌ ، برجلٍ : به رائحة الشراب ؛ ودعاه[2] المحتَسِبُ . فقال القاضى لكاتبه ابن حِصْنٍ : اُسْتَنْكِهْهُ . فاسْتنكَهَهُ ، فقال له : نعمْ ؛ عليه رائحةُ الشَّرَابِ

(قال) : فظهر بوجهه الكَرَاهِيَةُ لذلك ؛ ثم قال لى : اُسْتَنْكِهْهُ أنت ففَعَلْتُ ، فقلت له : أجِدُ رائحةً ؛ ولا أدرِى : إنْ كانت رائحةَ مُنكِرٍ ، أم لا ؟

(قال) : فتَهَلَّلَ وجْهُه ؛ ثم قال : يُطْلَقُ ؛ فلم يَثبُتْ عليه شىء .

قال محمدٌ : وقد قدَّمتُ عُذرَ مَن أغْضى عن سَدِّ السَّكران ـ : من القُضاةِ . ـ فى باب : ذِكرِ محمد بن زيادٍ القاضى[3] ؛ فأغْنَى عن ذِكْرِه : فى هذا الموضع .

قال محمد : أخبرنى بعض إخوانى ؛ قال : كنت حاضراً عندَ أحمدَ بن بَقى فأمَرَ : بحبْسِ رجلٍ ؛ ثم قال من بيْنَ يدَيْه (سِرًّا) : أطْلِبوا إلىَّ : فى إطْلاقه

---

(١) بالأصل : زيادة كلمة : « نعما » ؛ ولعلها مصحفة أو زائدة .

(٢) أى : تركه . وبالأصل : « ودعا » ؛ والنقص من الناسخ أو الطابع

(٣) صفحة : ٨٩

فجعل القومُ : يطلُبُون إليه ؛ فأسعَفهم ؛ وقال للمأمورِ بحبسِه : لولا طَلِبَةُ مَن حَضَر إليَّ : لحبَسْتُك .

قال لى عبدُ الرحمن بن أحمد بن بَقِيّ :

وكان : إذا طَرَقه ضيفٌ ليلاً ، لم يَذبحْ له شيئاً : من الطَّيْرِ ؛ وقال : اللَّيلُ أمانٌ لها . ويَقتَصِرُ : على العسل ، والسمن ، والبيضِ ، وما شاكل ذلك ؛ فيُقرِّبُه إلى الضَّيْفِ .

قال محمدٌ : وكان : حَسَنَ الانتقادِ والفِطنةِ : فى الوثائق ؛ كان : لا يُوَقِّعُ شهادتَه فى وثيقة : حتى يَقرأَ جميعَها من أوَّلها إلى آخِرِها ؛ وكان يصبِرُ على ذلك : وإن كان قائماً على قدمَيْه .

قال لى أحمدُ بن عُبادة الرعينى : كتَبْتُ لنفسى وَثيقةً على رجلٍ : بمالٍ ؛ وذكرتُ فى الوَثيقة سبباً : اضطُرِرْتُ فيها إلى ذِكرِه ؛ وكانتْ الوثيقة ـ : بذكرِ ذلك السَّبَبِ . ـ واهِنةً . وأرسلتُ شريكاً لى : ليُوَقِّعَ فيها الشهادات على الرجل .

(قال) : فأَتَى بالوثيقة إلى أحمد بن بَقِيّ : ليشهدَه فيها . فلمَّا قرأها ، ووَقَف على وهَنِها ـ : كرِهَ أن يُوَقِّعَ شهادتَه : على ذلك الوهَنِ ؛ وكرِهَ أن لا يُوَقِّعَ شهادته : فيَسخط الصديقُ بانقباضه عنه ؛ وكرِهَ أن ينبه المشهودَ عليه : بوَهنِها .

(قال) : فرَفَع رأسه إلى الرجلِ ، فقال له : أتُشهِدُنى : أنَّ لفلانٍ عندكَ كذا وكذا مثقالاً ؛ إلى أجل كذا وكذا ؟ ! . قال له : نعم ؛ فعقدَ شهادتَه : على هذا اللفظِ بعَيْنِه ، لا غيرِ .

قال محمدٌ : قال لى بعض رواةِ الأخبار :

كان محمد بن إبراهيم بنِ الجَبَّابِ : صاحبَ الوثائق ؛ فأمَرَ أحمد بن بقيّ : بالتعقُّبِ عليه ؛ فكان يُتعَقِّبُ .

فجعل ابن الجبَّاب يوماً ، يقول : مِن أينَ يتعاطى ابنُ بقيّ : أنه أعلَمُ بالوثائق منى ؟ .

فبلغ لفظُه ابنَ بقيٍّ ؛ فسكتَ عنه : حتى كتبَ وثائقَ ، ثم أتى بها أحمد بنَ بقيٍّ لِلعَرْض ؛ فاستَفْرَغَ ابنُ بقيٍّ فيها جهده : حتى أخَذَ عليه مَواضِعَ : أبانها له ؛ ثم قال له : أبْدِلْها . فأبدلها ؛ ثم أتى بها : فانتقد عليه أيضاً فيها .

فأرسل إليه ابن الجَبَّاب : أنا أُقِرُّ لك : أنك أعلم بها منِّي ؛ وأشهد بذلك لك ؛ فدَعْنى من كثرة هذا الكشف والبحث ؛ وإلا : حلفتُ أن لا أكتب وثيقةً .

فتركه ابن بقيٍّ ـ بعد ذلك ـ وسامحه .

قال لى أحمدُ بن عُبَادةَ : وكنتُ عندَ ابنِ بَقيٍّ يوماً : وعندَه رجلٌ : غيرُ نَبيهِ الاسمِ ، ولا مشهورِ العدالة — ولم يكُنْ عندَه غيرُنا — وجَعَل رجلٌ : (دَخَل عليه) ؛ يقولُ له : أشهدْ لى : أبا عُمَرُ وأبا فُلَانٍ — : الرجلَ الثانىَ الذى كان معى جالساً . — وجَعَل ابنُ بَقيٍّ : يَلُوذُ له عن الإجابةِ ؛ وألَحَّ عليه الرجلُ إلْحاحاً شديداً .

(قال أحمدُ بن عُبَادةَ) : فقلتُ فى نفسى : أتُراه يَجْعَلُنى نظيراً لهذا الجالِس : فيُشهِدَنا جميعاً على شىءٍ يَحكُمُ به ؟! .

(قال) : فرفع رأسه إلى الطالبِ ، فقال له : إنى أعرِفُ انقِباضَ أبى عُمَر عن هذه الشَّهاداتِ ؛ ولكنْ أدخِلْ إلىَّ فلانا : أُشهِدْه مع أبى فُلانٍ وأمَرَ : بإدخالِ رجلٍ : من شاكِلةِ الرجلِ الجالِس .

قال محمدٌ : وكان شأنُ أحمدَ بنِ بَقيٍّ — فيما يُتَخاصَمُ عندَه فيه — : أنْ يُنَفِّذَ الظاهرَ البَيِّنَ : من الأمورِ ؛ ويَسْتَعْمِلَ الأناةَ والتُّؤَدَةَ : فيما التَبَسَ عليه وكان عندَه فيما شَكَّ — [أن يَتَوَقَّفَ عن الحُكمِ ، ويَنتَظِرَ] : حتَّى تظهرَ الحقيقةُ ؛ أو : يصيرَ المتخاصِمانِ إلى التَّصالُحِ والتَّراضى .

قال لى عبد الرحمن بنُ أحمدَ بنِ بَقِىٍّ :

أتى رجلٌ إلى القاضى ، فقال له إنَّ بعضَ رجالِ أميرِ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) ذَكَرك فى مجلسِه : بِلينِ الجانبِ ، والتَّطْويلِ فى الأحكام فقال : أعوذُ بالله من

لين : يُؤَدِّى إلى ضُعف ؛ ومن شِدَّةٍ : تَبْلُغُ إلى عُنْفٍ : ثم جَعَل يذكُرُ فسادَ الزَّمانِ ، واحْتِيال[1] الفُجَّارِ ؛ وما يحدُثُ : من الأمورِ المُشتبهةِ : أى لاتتبَيَّنُ له حُقيقتُها ، ولا يُكشَفُ له وَجْهُها . ثم قال : قد أُشْتُبِه على عمرَ بن الخطَّاب (رضى الله عنه) خُصومةُ قَومٍ : طالَ نظرُه فيها ؛ فكَره : أن يَحكُمَ مع الاشتباه ؛ فأمرهم : بابتداء الخصومة من أوَّلِها :

قال محمدٌ : وذَكَر لى بعضُ أهلِ العلمِ ؛ قال :

اختَصَم إلى أحمد بن بَقىَّ رجلان ؛ فنظر إلى أحدِهما : يُحْسِنُ مايقولُ ؛ ونظر إلى الآخر لايدرى مايقول ؛ وأراه : تَوَسَّمَ فيه مُلازمةَ الحقِّ ؛ فقال له : ياهذا : لو قَدَّمتَ مَن يتكلمُ عنك ؛ وأرى صاحبَك يَدْرى مايتكلَّمُ .

فقال له : (أعزك اللهُ) ؛ إنَّما هو الحقُّ : أقولُه كائناً .

فقال : ما أكثرَ مَن قتَلَه قولُ الحقِّ .

قال : (وأتاهُ) رجلٌ يوماً ، فقال له : ياسيِّدى ؛ الحاجبُ موسى بنُ محمدٍ : يقرأُ عليك السلامَ ، ويقول لك : قد عرَفتَ مَحبَّتى لك ، وشملى[2] بجميع أسبابك ؛ وقد دارَ عندَك على يَحيَى بنِ إسحاقَ ، ماقد علمتَ : من المُخاصَمةِ ؛ وقد شهِدَتْ عندك البَيِّنةُ العدُولُ : وتأنَّيتَ عن الحُكمِ عليه ، وعن إنفاذِه : بما شهِدَتْ به البَيِّنةُ .

فقال للرجلِ : تُبلِغُ الحاجبَ عنى السلامَ ؛ وتقول له : إنَّ مَحبَّتَنا إنَّما كانتْ : للهِ ولِوَجْهِه ، ويَحيَى بنُ إسحاق وغيرُه : فى الحقِّ سواءٌ ؛ وقد دَخَل عَلَىَّ ارْتِيابٌ ؛ ولاواللهِ : ما أحكُمُ على يحيى بن إسحاقَ ، بشىء : حتَّى يتَّضِحَ عندى أمْرُه بنُورٍ : كاتِّضاحِ الشَّمسِ فى الدُّنيا ؛ فإنَّه لايُجيرُنى أحدٌ من يحيى

---

(١) بالأصل : « واختيال » . وما أثبتنا هو المناسب .

(٢) بالأصل : «وشحى »؛ ولعله مصحف عن نحو ما ذكرنا

ابن إسحاق : إنْ جافانى الخُصومةَ بيْنَ يدَىْ اللهِ .

(قال الرجُل المرسولُ) : فحَكَيْتُ كلامَ القاضى للحاجبِ : وهو ساكِتٌ لا يقولُ شيئاً ؛ وأبو عمرَ (أخوه الوَزيرُ) يُبدى ويُعيدُ فى ذلك. ثم تحوَّلَ إليه الحاجبُ ، فقال له : القاضى (واللهِ): رجـــلٌ صالحٌ ؛ لانَزالُ بخيرٍ : ما كان هو وشِبْهُه بيْن أظْهُرنا ؛ ولم نزَلْ بيَحْيى بن إسحاقَ : إن لم[1] نكنْ نأمَنُ هذا ، ونطمَئِنُّ إليه ؛ واللهِ . ما زادَه عندى إلا مَحبَّةً واعتقاداً .

قال محمدٌ : وكان أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) : واثقاً به ، ومُجِلاًّ له ، وعارِفاً بحقِّه . ولم يُعزَلْ عن القضاء : حتَّى تُوُفِّىَ سنـةَ أربعٍ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ ؛ وهو : ابنُ ربعٍ وستينَ سنةً .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبى طالبٍ الأصْبَحِىِّ[2] . »

قال محمدٌ : ولمَّا تُوُفِّىَ أحمدُ بنُ بَقِىٍّ اسْتَقْضَى بعدَه أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) :

٤٧ أحمدَ بنَ عبـدِ اللهِ بنِ أبى طالبٍ : غُصنِ بن طالب بن زِيادِ بن عبدِ الحميدِ بن الصَّباح بن يَزيدَ بنِ زيادٍ الأصْبَحىَّ ؛ وأدخَلَه عَلَى نفسِه ، وعَهِدَ إليه : بما يَعْهَدُ بمِثْلِه أئمةُ العدْلِ ، ووُلاةُ الحقِّ : من إعْظامِ الخُطبةِ وصِيانتِها ، وإيثارِ الحقِّ وإمْضائه ؛ وتَنْفيذِ الأمورِ إذا اسْتَبانَتْ ؛ والأناةِ فيها : إذا اشْتَبَهتْ ؛ ووَقْفِه ؛ عَلَى حُدُودِ القضاءِ وسِياسةِ الأحكامِ ؛ وما يَجبُ للقاضى وعليه — فى كلِّ حالٍ —: قولاً وفعلاً .

---

(١) بالأصل : « ألم » ؛ وهو محرف فتأمل .

(٢) فى تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٣ « الأصبح » .

ووَلَّى أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) — عندَ ذلك — الصَّلاَةَ : محمدَ بنَ أيْمَن .

وكان أحمدُ بن عبدِ اللهِ : قاضِيَ الجماعةِ ؛ ومحمدُ بن عبدِ الملِك بن أيْمَن . صاحِبَ الصَّلاةِ .

قال محمدٌ . وكان أحمدُ بن عبدِ اللهِ : شَرِيفَ البَيْتِ ، نَبِيهَ الاسمِ ؛ صَمُوتاً ، وَقُوراً ، مَهِيباً ؛ قد تَأَدَّبَ فى القضاء ، وجَرَّبَ الأمورَ ، ومِنْ قبْلِ ذلك — : فى مُبتدإ أمرِه . — كان : قد وَلاَّه أميرُ المؤمنين : السُّوقَ ، والنَّظَرَ فى أمْوالِ بعضِ كَرَائِمه ؛ وقَلَّدَه أسْبابَ الأماناتِ : فى بعضِ الكُورِ ؛ ووَلاَّه : قضاءَ كُورَةِ إلْبيرةَ . فكان بها : حتى نَقَلَه أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) : إلى قضاءِ الجماعةِ بقُرْطُبةَ ؛ فكان قاضياً : سَنَتَيْنِ وشُهوراً ؛ ثم تُوُفِّى : فى ذى الحِجَّةِ : سنة ستٍّ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : محمدِ بن عبدِ اللهِ بن أبى عيسَى[1] . »

قال محمدٌ : ولما تُوُفِّىَ أحمدُ بن عبد الله بن أبى طالب : أمَرَ أميرُ المؤمنين
٤٨ (أطال الله بقاءه) : باسْتِقْدامِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بن أبى عيسى : كَثِيرِ بن وسْلاسِ المَصْمُودِىِّ ؛ وكان قاضياً عَلَى كُورَةِ إلْبيرةَ قبلَها ؛ وأتى محمدُ بن عبدِ اللهِ بن أبى عيسى ؛ بابَ أميرِ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) وأدخَلَه : عَلَى نفْسِه ، وشافَهَه بالخِطَاب ، وأعلَمَه : باخْتِيارِه إيَّاهُ ؛ ووَلاَّه : قَضاءَ الجماعةِ ؛ وعَهِدَ إليه ، ووَعَظَه ووَصَّاه .

قال محمدٌ : قال لى أبو عُمَر أحمدُ بنُ عُبادَةَ الرُّعَيْنِىُّ :

«وَصَف لى القاضى : محمدُ بن عبدِ اللهِ بن أبى عيسى ؛ وما خاطَبَه به أميرُ المؤمنين

(١) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٩ — ٦٢

(أعزَّه اللهُ) ـ إذْ ولاَّهُ القضاءَ ـ : من عهْدِه إليه ، ووَعْظه له ، ووَصيَّته إيَّاه ؛ وما حَدَّ له فى ذلك : من الحُدُود ؛ ورَسَمَ له : من الرُّسُوم ؛ وما فقَّههُ فيه : من أسْباب القضاء ؛ ووَقَّفَهُ عليه : من وُجُوه الأحْكام . »

(قال أحمدُ) : فقلتُ : لو أنَّ أباكَ كان حيًّا ، واجْتَهدَ فى عِظَتِك ـ : ما بَلَغَ : من النُّصْحِ لك ؛ هذا المَبْلَغَ » .

قال محمدٌ : وأقرَّ أميرُ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) محمدَ بن عبدِ الملكِ بن أيْمَنَ : عَلَى الصَّلاةِ ؛ زماناً . فكان محمدُ بن أبى عيسى : القاضىَ ؛ وابنُ أيْمَنَ : صاحِبَ الصَّلاةِ ؛ حتَّى ضَعُفَ بَدَنُ ابنِ أيْمَنَ ، وذَهَبَ قُوَاه ؛ فاسْتَعْفَى من الصلاةِ : فعُوفِىَ ؛ وجَمَعَ أميرُ المؤمنين (أبقاه الله) الخُطَّتَيْنِ جميعاً ـ : القضاءَ ، والصَّلاةَ ـ لمحمدِ بن أبى عيسى .

قال محمدٌ : ومِن قَبْلِ ذلك، لم يَزَلْ محمدُ بن عبدِ الله بنِ أبى عيسى — فى حَدَاثَةِ السِّنِّ وباكُورَةِ العُمُرِ — : معروفَ الحقِّ ، ظاهِرَ السُّؤْدُدِ ، طالباً للعلْمِ . سمِعَ : أحمدَ بنَ خالدٍ الجبَّابَ ؛ وسمعَ منه ومن غيره ومن شيوخ قرطبة ؛ ثم رَحَلَ حاجًّا : سنَةَ اثْنَتَىْ عشْرَةَ وثلاثِ مائةٍ ؛ فلَقِىَ شيوخَ القَيْرُوَانِ : البَجَلِىَّ محمدَ بن علىٍّ ، وأحمدَ بنِ أحمدَ بن زِيادٍ ، ومحمدَ بنَ محمدٍ اللَّبَّادَ ، وإسحاقَ بنَ نُعمانَ . وسَمِعَ أيضاً : — بمصرَ — مِن غير ما رجلٍ : من شيوخنا ؛ ولَقِىَ بمكةَ : أبا بكْرٍ [بنَ] المُنْذِرِ ، والعَقِيلِىَّ وغيرَه . وانصَرَفَ إلى الأندلُسِ : سنة أربعَ عشْرَةَ وثلاثِ مائةٍ .

وكان أحمدُ بنُ بَقِىٍّ (قاضى الجماعةِ) يُشاوِرُ محمدَ بنَ عبد اللهِ بنِ أبى عيسى ، معَ سائرِ الفُقهاء . وقَلَّدَهُ أميرُ المؤمنين (أطال الله بقاءه) : غيرَ ما أمانةٍ ؛ فقام بما حُمِّلَ ، واكْتَفَى بما اسْتُكْفِىَ ؛ ثم ولاَّه : قضاءَ كُورَةِ جَيَّانَ ، وكُورَةِ إلْبِيرةَ ، وكُورَةِ طلَيْطُلَةَ ؛ وامْتَحَنَه : فى كلِّ وَجْهٍ ؛ وعَجَمَه : فى كلِّ معنًى ؛ وكَفِىَ بمِحْنةِ أميرِ المؤمنين (أعزَّه اللهُ) واخْتِبارِه : فألْفَاه خالصاً ، ووَجَدَه ناصحاً .

فلمَّا شهدَتْ له عندَه التَّجْرِبةُ ، بدَرَجةِ الاستحقاقِ — : قَلَّدَهُ قضاءَ الجماعةِ : (عَلَى حَسَبِ ما نَصَصْتُ مُتَقَدِّمًا) ؛ فتَوَلَّاها بسياسةٍ محمودةٍ : من تنفيذِ الحُقوقِ و إقامةِ الحدودِ ، والكَشْفِ عن البَيِّناتِ : فى السِّرِّ ؛ والصَّدْعِ بالحقِّ : فى الجهْرِ ؛ لم يَتَسَلَّمْهُ مُخادِعٌ ، ولم يَعْمَل فيه كيدُ مُحَاتِلٍ ؛ ولا خافَ أهلَ الحَرَم ، ولا داهَنَ أهلَ الذِّمَّةِ[1] ، ولا أغْضَى عن وُجُوه أهلِ الخدمةِ — : فى عِظَامِ الأمورِ ، وكبائرِ الأشياءِ ؛ فَضْلًا : عن أصاغِرِ الأسبابِ ، ومُحقَّرِ الحوادثِ .

قال لى أحمدُ بن عُبادةَ . كنتُ مع محمد بن عبدِ الله بن أبى عيسى ، يوماً . فى « مَقْبَرةِ الرَّبض » ؛ حتى نظَر إلى شىءٍ : من آلةِ اللَّهْوِ : مع بعض الوُصَفاء ؛ — فأمرَ . بكَسْره . فقيل له : إنه لفلانٍ وسُمِّىَ له رجلٌ عظيمٌ — : فلم يَلْتفتْ إلى ذلك ، ولا أنْباهُ[2] عما أراد . من كَسْره .

قال محمدٌ : وللقاضى : محمدِ بن عبدِ الله بن أبى عيسى — : فى باب الصَّلَابةِ ، و إيثارِ الحقِّ ؛ و إقامةِ الحُدود عَلَى وُجُوه النَّاسِ : من أهلِ الحَرَم . — أخبارٌ كثيرةٌ ، مَشْهورةٌ : فى العامَّة ؛ مَعْروفةٌ . فى الخاصَّةِ .

قال محمدٌ : جالَسْتُ محمدَ بن عبدِ الله بن أبى عيسى ، غيرَ ما مَرَّةٍ ؛ فرأيْتُه : محمود التَّصَرُّفِ ، جَميلَ المَذاهِبِ ، كَريمَ الأخلاق . ثم وُلِّىَ — بعدَ ذلك — قضاءَ الجماعة : فما رأيْتُ أحداً — : من عُقَلاءِ إخْوانه . — يَلُومُه : فى حَوَالةٍ ؛ ولا يَعذُلُه فى تَغَيُّرٍ ؛ بل يصِفُونَه — : مِن ضِدِّ ذلك . — بما[3] هو أوْلَى : بأهل المُرُوءةِ ؛ وأشْبَهُ : بصفة أهلِ الكمالِ .

قال محمدٌ : ولمحمدِ بنِ أبى عيسى — بعدَ هذا كلِّه — نَصيبٌ وافِرٌ : من

---

(١) أى : أهل العقد . وعبارة الأصل هكذا : « الا دمة والإغضاء عن » الخ . وهى مصحفة قطعا .

(٢) أى : دفعه عنه . وبالأصل : « نباه » ؛ وهو تحريف .

(٣) بالأصل : « ما » ؛ والظاهر أنه محرف .

الأدب ؛ وحَظٌّ كامِلٌ : من البلاغة . [فكان] : مُخاطِباً بلسانه ، ومُكاتِباً بقلمه . وحُقَّ لخِيرَةِ أمير المؤمنين ، وقاضى ، بَيْضَته ، وحاكِمِ مِصره ـ : أنْ يكونَ : مَوصُوفاً بأكْرَمِ الصِّفاتِ ، ومَوسُوماً بأفْضَلِ الآلاتِ .

قال محمدٌ : ثم خَرَجَ[1] محمدُ بن أبى عيسى : فى صَدْرِ سَنةِ ثمانٍ وثلاثينَ وثلاث مائةٍ ؛ فلمَّا جاوَزَ طُلَيْطُلَةَ ، ونزل بقرية تُسَمَّى « نحارس ـ من عَمَلِ طُلَيْطُلة : قريباً منها . ـ : أدركه أجله ؛ فتُوُفِّى فيها : يومَ السَّبتِ لانْسِلاخِ صفرٍ سنةَ تسعٍ وثلاثين وثلاثِ مائة ؛ وهو : ابْنُ أربعٍ وخمسين سنةً . وكانَ مَوْلِدُه — فيما كان يَذكُرُ — : فى ذى الحِجَّةِ لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلَتْ منه : من سنةِ أربعٍ وثمانين ومائتين . ودُفِنَ : بطليطلةَ ؛ رحمه اللهُ .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : مُنْذِرِ بن سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ البَلُّوطِىِّ . »

٤٩ قال محمدٌ : وُلِّىَ مُنذِرُ بنُ سعيدٍ ـ : يومَ الجمعة لخَمْسٍ خَلَوْنَ من شهرِ ربيعٍ الآخر سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثِ مائة قضاء الجماعة ، والصلاةَ . فكان : صَلِيباً صارماً ، غيرَ هَيُوبٍ ولا جَبانٍ ؛ فقَضَى باقى أيَّامِ أميرِ المؤمنين : عبد الرحمن رضى الله عنه .

فلمَّا ماتَ أميرُ المؤمنين الإمامُ الفاضلُ (رحمه الله) وولِّىَ الإمامُ الحكمُ بنَ عبدِ الرحمنِ . (أبقاه اللهُ) ـ : أقَرَّ مُنذِرَ بن سعيدٍ : على خُطَّتَيْه ، فلم يَزَلْ : قاضياً ، وصاحِبَ صلاةٍ .

---

(١) هذا هو الظاهر المناسب . وبالأصل : « أخرج » ؛ ولعله محرف .

(٢) انظر : تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٦ ـ ٧٥ . وجذوة المقتبس ص ٣٢٦ ر ٨١١

وكانتْ صَلاتُه : فى «جامعِ الزَّهراء» ؛ طُولَ ما قَضَى : من أوَّلِ ولايتِه القضاء ، إلى آخِرها .

ثم تُوُفِّىَ : ليلةَ الخميس لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا لذى القَعْدَة ، آخرَ سنةِ خمسٍ وخمسينَ وثلاثِ مِائةٍ . وهو : ابنُ أربعٍ وثمانينَ سنة .

* * *

« ذِكْرُ القاضى : محمدِ بن إسحاق بن السَّليم . »

٥٠ قال محمدٌ : ثم وُلِّىَ محمد بن إسحاقَ بنِ السَّليم : يومَ السبتِ لخمسَ عشْرَة ليلةً مَضَتْ من المحرَّم : سنة ستٍّ وخمسين وثلاثِ مائةٍ :

فكان عنده — : من الفَضْلِ : فى عِلْمِه وفَهْمِه ؛ وحُسْنِ النَّظَرِ : فى الأمورِ ؛ وجميلِ الخُلُقِ : فى المعاشَرة . — ما [هو مأثورٌ ومعروفٌ] عن القضاة المتقدمين .

وبَقِىَ محمد بنُ يحيى : على خُطَّةِ الصَّلاةِ ، [بقر] طبة : إلى أن مَرِضَ ؛ فاستَعْفَىَ : فعُوفِىَ ؛ ووُلِّىَ الصَّلاةَ بقرطبةَ القاضى محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ السَّليم ؛ وذلك : يومَ الفِطْرِ من سنة ثمانٍ وخمسينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

تَمَّ السِّفْرُ : بحمدِ اللهِ ، وحُسنِ عَوْنه ؛ وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ : نبيِّه وعبدِه ؛ وعلى آله وصحبِه وسلَّم . وكان الفراغُ منه : فى صَبيحةِ بلْ فى الثُّلُثِ الأخيرِ من ليلة الخميس السادسِ والعشرينَ ، لشهرِ ربيعٍ الأول : من سنةِ خمسٍ وتسعينَ وستِّمائةٍ .

* * *

كتبَه بيده العبدُ الفقيرُ إلى رحمةِ ربِّه ؛ المُسْتَغْفِرُ له من جميعِ ذَنْبِه : عبدُالله بن محمدِ ابن علىٍّ اللَّوَّاتىُّ . تَغمَّدهُ اللهُ بعَفوِه ، وغَفَر له ولآبائه ولجميعِ المسلمينَ أجمعينَ . فرحِمَ اللهُ مَن دعَا لكاتِبِه ، وكاسِبِه ، وقارئِه ، ومُستَمعِه — : بالتَّوْبةِ والمغفرةِ لهم ولجميعِ المسلمينَ أجمعينَ .

٢

علماء إفريقية

لمحمد بن الحارث بن أسد الخشني

* * *

الجزء الأول

[بتجزئة الأصل]

«ملكه وكسبه : أحمد بن محمد بن عبد الله»

«المقرئ الطلمنكى : أبو عمر المتوفى فى»

«ذى الحجة من عام ٤٢٨ أو ٤٢٩ هـ»

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى اللهُ على سيدِنا ومولانا محمدٍ وآلهِ وصحبِه ؛ وسلَّمَ تسليماً

محمدُ بن سَحْنُونُ

١ قال محمدُ بنُ حارثٍ : ومن رجال القَيْروانِ ؛ أبو عبدِ الله محمدُ بن سَحْنُونٍ .

سمِعَ : من أبيهِ سَحنونٍ ، ومن موسى بن معاويةَ الصَّمَادِحِيِّ ؛ وحجَّ فلقِيَ أبا المُصعَبِ : بالمدينةِ ؛ ولقِيَ سلَمةَ بنَ شَبِيبٍ ، وغيرَه : من العلماءِ .

وكان — فى مذهبِ مالكٍ — : من الحُفَّاظِ المُتقدِّمينَ ؛ — وفى غيرِ ذلك : من المذاهبِ — : من النَّاظِرين المُتصرِّفين .

وكان كثيرَ الوَضعِ للكُتُبِ ، غزيرَ التأليفِ . يُحكى : أنه لمَّا تصفَّحَ محمدُ ابنُ عبدِ الله بن عبد الحَكَمِ ، كتابَه ، وكتابَ ابنِ عَبْدُوسٍ — : قال فى كتابِ ابنِ عَبْدوسٍ : هذا كتابُ رجلٍ : أتَى بعلْمِ مالكٍ : عَلَى وجهِهِ ؛ أو كما قال . وقال فى كتابِ ابنِ سَحنونٍ : هذا كتابُ رجلٍ : سَبَحَ فى العلمِ سبْحاً . وكان : كريماً فى نفسِه ، سَمْحاً بما فى يدِه ، جوَاداً بمالِه وجاهِه . كان : يَصِلُ مَن قَصدَهُ بالعشَراتِ : من الدَّنانيرِ ؛ وكان : يكتبُ لمن يُعنَى به ، إلى الكُورِ : فيُعطَى الأموالَ الجسيمةَ . وهذا عنه مُستَفيضٌ عند أهلِ القَيْرَوَانِ .

وكان : وَجيهاً : فى العامَّةِ ؛ مُقدَّماً : عندَ الملوكِ ؛ حسنَ العنايةِ ، بهَّاضاً بالأثقالِ ، واسعَ الحيلةِ ، جيِّدَ النَّظَرِ : عند الحوادثِ والملِمَّاتِ .

وهو كان : السَّببَ المقيمَ ، المنتشلَ لسليمانَ بنِ عمرانَ القاضى ؛ ولعبدِ الله بن أحمدَ ابن طالبٍ القاضى .

وذلك : أنهُ كان : قد عُنِيَ بسليمانَ بنِ عمرانَ ، عندَ أبيهِ سَحنونٍ ؛ حتى

أستكتبه سحنون : إذ ولّى القضاء . ثم عُنِيَ به : حتى أخرجه قاضياً إلى باجة ؛ ثم مات سحنون : فولّى سُليمانُ بن عمرانَ القضاءَ بعدَهُ ؛ فساءتْ الحالُ : بينَ ابنِ سُحنون و بينَ سليمانَ ؛ حتى بلغتْ : إلى أن أرسلَ فيه سليمانُ ؛ فأتاهُ فى خاتٍ . ممَّن أتَّبعَهُ ؛ فدخلَ عليه : فأغلظَ له سليمانُ .

قال لى لقمانُ بنُ يوسفَ : فحُفِظَ من كلامِ سليمانَ ، قولُه : « ما أخرَجَك إلى مَن يُمْضِغُكَ قُطنَ قَلَنْسُوَتِك هذه » ؛ ثم لم يَجسُرْ عليه بمكروهٍ ، وانصرفَ .

وكان سليمانُ يقولُ للرجلِ — إذا علمَ أنه أتاهُ من عندِ [ابنِ] سحنون — : مِن أينَ أتيتَ ؟ : مِن عندِ كَبْكَوَيْهِ حمارةِ الرّعناء ؟! .

قال لى أبو القاسمِ — المعروفُ: بالطَّرْزِيِّ؛ صاحبُ المَظَالِمِ — مرَّةً، بالقَيْرَوَانِ: كنتُ عندَ ابنِ سحنونٍ يوماً :حتى دخلَ عليه رجلٌ — كان يُعْرَفُ: بأحمدَ بن الصَّغير . — فقال له يا أبا عبدِ اللهِ ؛ الرسولُ يُبلِّغ ، ولا يُلامُ ؛ ابنُ العيَّادِ يقرأُ عليكَ السلامَ ، ويقولُ لكَ : أنبتَّ أقواماً : لو أنَّ السماءَ مَطَرَتْ عليهم أربعينَ خريفاً ، ما نَبَتُوا .

فقال ابنُ سُحنونٍ : هكذا يَلقَى مَن فَعلَ شيئاً : لِغيرِ اللهِ .

فقال له قائلٌ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ ومِثْلُك : يَفعَلُ شيئاً لغيرِ اللهِ ؟! .

فقال : إنما عَصَمَ اللهُ — من الزَّلل ، والخطإ — : الملائكةَ .

ثم تفاقمَ الأمرُ بينَهُ و بين سليمانَ القاضى ، حتى توارَى ابنُ سحنونٍ : خوفاً على نفسِهِ .

قال لى لقمانُ بنُ يوسفَ : فكتبَ ابنُ سحنونٍ — فى تواريهِ — إلى الأميرِ محمد بن الأغلبِ ، بيتَ عُثمانَ رضى اللهُ عنه :

فإنْ كُنْتُ مَأكُولاً : فكُنْ أنتَ آكِلى ؛

وإلا : تَدَارَكْنِي : ولَمَّا أُمَزَّقِ

(قال) : فقال ابنُ الأغلبِ : ومَن يُمزِّقُه ؟! مَزَّقَ اللهُ جِلْدَهُ . ثم رَفَعَ يَدَ سُليمانَ بن عِمران عنه ، وأمَّنَه منه .

(قال) : فرَدَّ سُليمانُ غَضَبه : إلى أصحاب ابن سُحنونٍ ؛ فأخذ فُراتَ بنَ محمد : فضَرَبَه بالسِّياطِ .

وقال لى غيرُ لقمانَ : لمَّا طالَ تَوارِى ابنِ سحنونٍ ، رأى : أنْ يَلجأَ بنفسِه إلى الأميرِ ؛ فركِبَ مُتنكِّراً إلى القصرِ ، ولَقِيَهُ مُؤدبٌ — : كان يؤدِّبُ أولادَ ابنِ الأغلبِ — فسأله ابنُ سحنونٍ : أن يَدْخُلَ على الأميرِ : يَسْتَأذِنُه له : فى الخُروجِ عن القيْرَوان .

فدَخَل المؤدِّبُ ؛ فبلَّغَ ذلك إلى الأميرِ .

فقال الأميرُ للمؤدِّبِ : ماتَرَى فيما سألَ؟ .

فقال : أرَى : أن تُسعِفَهُ بذلِك ؛ وتأذَنَ له فى الخُروجِ .

فقال له : أنَّى لك العقلُ : وأنتَ باللَّيلِ : معَ النساء ؛ وبالنهارِ : معَ الأطفالِ؟! وإذا أذِنتُ لابنِ سحنونٍ فى الخُروجِ : معَ مَنْ أبقَى ؟ : معَكَ ومعَ صِنفِك ؟! اُخرُجْ ، فأخبِرْه : أنِّى قد أمَّنْتُه ، ورفَعْتُ يَدَ سُليمانَ عنه .

فانصَرَف ابنُ سَحنونٍ : فشَقَّ السِّماطَ الأعظمَ ، حتى نزلَ فى الجامع وصلَّى .

فبَلَغ إلى سُليمانَ : أنه شَقَّ السِّماطَ ؛ فعلِمَ : أنه أُمِّنَ : ورُفِعَتْ يدُه عنه .

فأعرَضَ عن خَبَرِه ؛ وظهر ابنُ سحنونٍ من بعدِ ذلك ، وقامتْ رِياستُه ، وتوفَّرَتْ حُرْمَتُه ؛ وشَجِىَ به سُليمانُ ، وجماعةُ العراقيِّينَ .

فأخبرنى بعضُ الشُّيوخِ ؛ قال : بَيْنا محمدُ بنُ سحنونٍ يوماً : يَمشى معَ جماعةٍ من أصحابِه ؛ لَقِيَه صاحبُ الصلاةِ فى ذلك الوقت — المعروفُ : بابن أبى الحواجبِ . — فأوْمَأَ إلى أُذُنِ ابنِ سحنونٍ : فأمْكَنَه ابنُ سحنونٍ من نفسِه ؛ فقال له سِرًّا : يازانى ، يا ابنَ الزَّانيةِ .

فأجابه ابن سحنون جهراً : تُقضى حاجتُك إن شاء الله . (أوّهم من حضر : أنه سأله حاجة) .

وسار ابنُ أبي الحواجبِ — : مُبْتَهجاً بما أتى : من ذلك . — إلى سُليمان بن عِمران ؛ فأخبرَه بما كان : من قوله ؛ وبما كان : من جواب ابن سحنون .

فقال له سُليمانُ بنُ عمرانَ : إنْ كان الأمرُ : عَلَى ما وَصَفْتَ ؛ فتَحَفَّظْ .

وركبَ ابنُ سحنون — من يومه — : إلى الحَضْرَمِيِّ ؛ فسأله : أنْ يُزَيِّن للأمير تَوْلِيةَ ابنِ طالبٍ : عَلَى الصلاةِ .

فدَخَل الحَضْرَمِيُّ إلى الأميرِ ابنِ الأغلبِ : فزَيَّن له ذلك ؛ فأجابَ إليه ، وأمَرَه : أنْ يَخرُجَ ، فيَصْرِفَ حُكمَ الصلاةِ والخُطبةِ : إلى ابنِ طالبٍ .

فخَرَجَ الحَضْرَمِيُّ بذلك : إلى ابنِ سحنونٍ ؛ فسأله ابنُ سحنونٍ : كَمْ ، ذلك إلى ساعةِ الخُطبةِ من يوم الجمعةِ .

وأرسلَ ابنُ سحنونٍ : في ابن طالبٍ ؛ وأعلَمَه بذلك ، وقال له : تَهَيَّأْ ؛ فإذا رأيتَ ابنَ أبي الحواجبِ ، قد خَرَج من المقصورةِ — : فقمْ أنتَ بينَ يدَيْه ، وارْقَ المِنْبَرَ ، واخطُبْ . فكان كذلك.

فلمَّا خرَجَ ابن أبي الحواجب : وثَبَ ابنُ طالبٍ : على المِنْبَرِ ؛ فبُهِتَ ابنُ أبي الحواجب ، وسليمانُ بنُ عِمرانَ : حيثُ كان [موجوداً] وجماعةُ العِرَاقِيِّين ؛ واندَفَعَ ابنُ طالبٍ ، فقال : « الحمدُ لله : الذي شُكِرَ على ما به أنْعَمَ : والحمدُ لله : الذي عَذَبَ على ما لَوْ شاء منه عَصَمَ ؛ والحمدُ لله : الذي عَلَى عَرْشِه اسْتَوَى وعَلَى مُلكِه احتَوَى ؛ وهو في الآخرةِ يُرَى » ؛ ثم اسْتَمَرَّ في خُطبته ، وتمّتْ الصلاةُ .

وانصرفَ سليمانُ إلى منزله ، وجَمَع شيوخَ القَيْروانِ ، وأمرَهم : أن يسيرُوا إلى الأمير ، فيزَكّوا[1] عندَه ابنَ أبي الحواجب ؛ ويسألوه : رَدَّه على الصلاةِ .

(١) في الأصل : « فيزكون ... ويسألونه » .

وبلغ ذلك ابنَ سحنونٍ : فأرسلَ إلى الحضْرَميِّ ، فأعلمه بالخبرِ .

فلمَّا أطلَّ القومُ إلى القصرِ ، أرسل إليهم الحضْرميُّ : أما تَسْتَحُونَ : أنْ تَسألُوا الأميرَ : أنْ يَحُطَّ ابنَ عمِّه ، ومَن أرادَ التَّنْوِيهَ به ؛ وأنْ يُشْرِفَ صاحبكم ؟ ! ! أنصرِفُوا : فإنَّا لم نَسألْكم عن تَزْكِيةٍ ، ولا عن جُرْحةٍ .

فانصرفَ القومُ ؛ فكانت تلك أولَ نَكْبَةٍ لِسُليمانَ .

ثم لم تَزَلْ أمورُ ابنِ طالبٍ : تَنْمِى وتزيدُ ، حتى عُزِلَ سُليمانُ ، ووُلِّىَ ابنُ طالبٍ القضاءَ .

وتُوُفِّىَ ابنُ سَحنونٍ : سنةَ خمسٍ وخمسينَ ومائتَيْنِ . وكان مَوْلِدُه : عَلَى رأسِ المائتَيْنِ .

* * *

مُحمدُ بن إبْرَاهِيمَ بنِ عَبْدُوسٍ

إسْحَاقُ بن إبرَاهِيمَ بنِ عَبْدُوسٍ

٢ كان محمدٌ منهما : حافظاً لمذاهبِ مالكِ بنِ أنسٍ ، والرُّواةِ : من أصحابه ؛ إماماً مُتقدِّماً ، غزيرَ الاسْتِنْباطِ ، جيِّدَ القَرِيحةِ . وله كتابٌ سمَّاهُ : المجموعةَ ؛ ألَّفه فى الفقهِ : عَلَى مذهبِ مالكٍ وأصحابه . وكان : ناسِكاً ، عابداً ، مُتواضعاً .

قال لى أحمدُ بنُ زيادٍ يوماً : ما أظنُّه كان فى التَّابعين مثلُ محمدِ بن عَبْدُوسٍ .

وقال لى أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ نصرٍ : كنتُ إذا رَحَلْتُ إلى محمدِ بنِ عبْدُوسٍ أجِدُهُ : قد جلَسَ : مُحْتبِياً ، مُتواضعاً ، زائلاً عن صدْرِ مجلسِه . فالجاهلُ ـ : يُعاينُه . ـ لا يَعْرِفُ أنه صاحبُ المجلسِ .

* * *

٣ وكان إسحاقُ أخوهُ : صاحبَ شارَةٍ ، ومَرْكَبٍ ، ومَلْبَسٍ . كان إسحاقُ إذا راحَ إلى الجامع يومَ الجمعةِ : يَرُوحُ راكباً ، ومحمدٌ تحتَ ركابِهِ راجِلاً .

ويُقالُ : [إنَّ] أبنَ عَبْدُوسٍ ـ بعدَ حَجِّه ـ لم يُسمَعْ مُتكلِّماً فى مسألةٍ ـ من مسائلِ الحجِّ ـ : لئلاَّ يَنْفَتِحَ عليه فى الرأْيِ ، بابٌ : يظهرُ له به نَقصٌ فى حجِّه .

وكان سِنُّ محمد بنِ عَبْدُوسٍ ، دُونَ سِنِّ أبنِ سحنونٍ : بسنةٍ واحدةٍ ؛ وتُوُفِّىَ بعدَ أبنِ سحنونٍ بثلاثةِ أعوامٍ .

ويقولُ بعضُ الناسِ : إنَّه كان مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ ؛ وإنهُ دَعا على أبى الغَرانِيق، فعُرِفَتْ فيه أسْتِجابةُ دَعْوَتِه .

* * *

عَبْدُ اللهِ بن سَهْل القِبْرَيانى

٤ وعبد الله بنُ سهلٍ القبرْيانى ؛ سمعَ من سَحنونٍ وغيرِهِ : من رجالِ القَيروان .

وكان : عالماً بمَذاهبِ مالكٍ ؛ حسَنَ الحِفظِ (فيما قيل لى) .

ووُلِّىَ قضاءَ صِقِلِّيَةَ ، وخرجَ إليها .

وكانَ : من ذَوِى الأموالِ العَريضةِ ، والجاهِ البسيطِ .

* * *

٥ وأبنهُ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سهلٍ القِبْرَيانى ؛ سمعَ من سحنونٍ ، وكان : معدوداً فى أصحابه .

وكان فيما كانَ فيه أبوه من قبلُ : من كثرةِ المالِ وأنبساطِ الجاهِ .

* * *

يَحْيَ بن عُمرَ الأنْدَلُسى

٦ ويَحيى بنُ عمرَ الأندلسيُّ : سمعَ من سَحنونٍ ؛ ثم رَحَلَ إلى المَشْرِقِ : فسمَعَ حديثاً كثيراً ؛ ثم انصرفَ : فسكَنَ القَيْروانَ حتى ماتَ .

وكان : مُتقدِّماً فى الحفظِ ؛ إلاَّ أنَّه كان : قليلَ الانْبِساطِ ، نَزْرَ المادَّةِ ؛ لا يَبْلغُ مَبْلَغَ محمدِ بنِ عبدوسٍ : فى الفقهِ .

قال لى أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ القُصَرِىُّ : كنتُ أسأله عن الشىءِ ـ: من المسائلِ . ـ فيجيبُنى ؛ ثم أسأله — بعدَ ذلك بزمانٍ — عن تلك الأشياءِ بأعيانِها : فلا يَخْتلِفُ قوله ؛ ولا يَتناقضُ جوابُه . (قالَ لى) : وكان غيرُه : يَختلِفُ على جوابِه ، ولا يَتّفِقُ قوله .

قال ابنُ حارثٍ : وهذا الوصفُ منه ، يدُلُّ : على رُكودِ النَّظرِ ، وقِلَّةِ الإجالةِ للفكْرِ ؛ وعلى الاقتصارِ : على المقالِ المحفُوظِ . وكان ـ فيما قالَ لى غيرُ واحدٍ ـ : لا يَتصرَّفُ فيما يَتصرَّفُ فيه الحُذاقُ (أهلُ النظرِ والعلومِ) : من معرفةِ معانى القولِ ؛ وإعرابِ ما يَنطِقُ به : من الألفاظ .

أخبرنى أحمدُ بن موسى التَّمَّارُ ؛ قال : قرأتُ عليه صحيفةً — ألَّفها سعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحدَّادِ —: فما فَهِمَ منها شيئاً . (قال): فجعلْتُ أُقرِّبُ له معانِيَها ،وأُبَيِّنُ له ما فيها ؛ فقال : ياأبا عُثمانَ (يقولُ ما قالتْ الملائكةُ) : (لا عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَاعَلَّمْتَنَا: ٢ — ٣٢).

وكانتْ له أوضاعٌ كثيرةٌ : فى أصولِ الشَّنَنِ عَلَى معانى الآثارِ ، وما أُتى فيها : من الأخبارِ . ككتابِ الصِّراطِ ، وكتابِ الميزانِ ، وكتابِ النظرِ إلى اللهِ تباركَ وتعالى يومَ القيامةِ ؛ وله كتابٌ : رَدَّ فيه على الشافعىِّ .

وكان جَليلاً فى قلوبِ أهلِ البلدِ ؛ عظيماً : فى أعْيُنِهِمْ ؛ وَجيهاً : عندَ مُلوكِهم . وكان شَجىً : فى نفوسِ العِراقِيِّين ؛ وقَذًى فى أعيُنِهم .

حكى لى بعضُ الشُّيوخ ؛ قال : كنتُ جالساً (أو قال : أخبرَنى مَن كان جالساً) معَ أبى العباسِ بن عَبدُون ، حتى خَطرَ يَحيى بنُ عُمرَ راكباً : وعلى رأسِه ٱلقَلَنْسُوةُ . (قال) : فرأيتُ وجْهَ ٱبنِ عَبْدُون ، يَتَلوَّنُ : شوقاً به . ولمَّا صار ٱبنُ عَبْدُونٍ إلى القضاء : أخافَه وأرادَه ؛ حتى تَوَارَى يَحيى بنُ عُمرَ : فرَقاً منه .

قال لى محمدُ بنُ ٱللَّيثِ : قال لى محمدُ بنُ عُمرَ (أخو يحيى بنِ عمرَ) : كنتُ جالساً بتونُسَ : إذ كان أخى مُتَوَارِياً عن ٱبنِ عَبدون ؛ وكان القاضى بتونسَ : عبدَ اللهِ بنَ هارونَ الكوفىَّ . (قال) : فما شَعَرْتُ : أنْ أتانى رسولُه ؛ فساءَ ظَنِّى ، وخَشِيتُ[1] نفْسى .

(قال) فأتيتُه : فدخلتُ عليه ؛ فتَبَيَّنَ فىَّ الذُّعْرَ ، فقرَّبَنى ، وبَسَطَنى ؛ فسَكَنْتُ . (قال) : ثم ناوَلنى كتابَ ٱبنِ عَبْدونٍ ؛ فإذا فيه : « قد صحَّ عندى : أنَّ يَحيىَ بنَ عُمرَ مُتَوارٍ بتُونسَ ؛ فاطلُبْه . فإذا ظَفِرْتَ به : فأوْثِقْهُ ، وابعَثْ به إلىَّ معَ مَنْ تَثِقُ به .

(قال لى محمدٌ) : فارْبَدَّ وجهى لذلكَ .

(قال) : فقال : لا يَسُوءْ بى ظنُّكَ ؛ فلم أبعَثْ فيك : لمكْرُوهٍ ؛ ولكنْ : لأُعجِبَك من ٱبنِ عَبدونٍ ، أن يُرِيد منِّى : أنْ آتِىَ إلى إمامِ — : من أئمةِ المسلمينَ . — فأرسِلَ به إليه : ليَمْتَهِنَه . ثم قالَ لى : إنْ كان أخوكَ بهذا البلدِ فهو منِّى : آمِنٌ .

(قال لى محمدُ بنُ ٱللَّيثِ) : فكانَتْ هذه المكرمَةُ لعبدِ اللهِ بنِ هارونَ الكوفىِّ — فى يَحيى بنِ عُمرَ — : معروفةً مشكُورةً .

---

(١) بالأصل : « وخبثت » هو ولعله تصحيف .

قال ابنُ حارثٍ : وأرانى قد أودَعْتُ كتابَ التعريفِ : من ذكرِ يحيى ؛ ما لم يحضُرْنى فى هذا الكتابِ .

* * *

أبو العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ

٧ وأبو العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ ؛ سمِعَ من سَحنونِ بن سعيدٍ ؛ وحَجَّ فلقِىَ : ابنَ عبدِ الحكَمِ ، ويونسَ بنَ عبدِ الأعلى .

وَوُلِّىَ القضاءَ لابنِ الأغلبِ مرَّتين : قضاءَ القَيْروانِ .

وكان : لَقِناً ، فَطِناً ، جيِّدَ النَّظرِ ، مُطَّلعاً إلى المُناظَرة ، ومَشغُوفاً بها . كان : يَجمَعُ فى مجلسه بيْنَ المُختلِفينَ ؛ ويُغرِى بيْنَهما : فى المناظَرةِ ؛ ويَصِلُ أهلَها : بالصِّلاتِ الجَزْلةِ .

وكانت فيه خاصَّةٌ غريبةٌ فى الرجالِ ؛ حكاها عنهُ محمدُ بنُ محبوبٍ ؛ قال : كان ابنُ طالبٍ : إذا تكلَّم : أبانَ وأجادَ ؛ فاستَحْلَى السامعُ لفْظَه ، واستَحسنَ كلامَه ، حتى يَتمنَّى : أن لا يسكُتَ . (قال) : فإذا سكَتَ وأخذَ القلمَ : لم يبلُغْ بقلمِه : حيثُ يبلُغُ بلسانِه . وكان : إذا وافقَ[1] على الحكمِ بين الخصمَين ؛ كتب للمطلوبِ القِصةَ ، وقال له : طُفْ بها على كلِّ من عندَه علمٌ ؛ وجِئْنى بالأجوبةِ : فى ذلك .

وكان : محبولاً على كرَمِ النفسِ ، وسماحةِ الكفِّ .

أخبرنى : عباسُ بنُ عيسى ، عن محمدِ بن محبوبٍ ؛ قال :

كُنَّا عندهُ يوماً ، فخاطَبَهُ بعضُ أهلِ مجلسه بخطابٍ خَشِنٍ جافٍّ : لا يُخاطَبُ بمثله أهلُ العلمِ ، ولا القُضاةُ .

---

(١) بالأصل : « وفق » ؛ ولعله تصحيف . فتأمل .

(قال) : فنظرَ بعضُنا إلى بعضٍ ، وتمادَى ابنُ طالبٍ فى مُكالَمتِه . كأنَّه لم يَسْمعْ مكرُوهاً : من لفظٍ .

(قال) : ثم قامَ ذلك الرجلُ المخاطِبُ له .

(قال) : فعَطَف علينا ابنُ طالبٍ ، فقال : رأيتُكم نَظَرَ بعضُكم إلى بعضٍ : عندَ جَفْوتِه علىَّ ؛ ولكنْ : نظَرْتُ فى ذلك ؛ فقلتُ فى نفسى : رجلٌ : قَصدَنى ، وَوَطِئَ بِسَاطى ؛ يُؤدِّى [1] الذى يَجبُ : من حقٍّ ؛ هَفَا علىٌّ فى منطِقه — : أصُولُ عليه بِسُلْطانى ؟ ! : هذا من اللُّؤم .

قال لى أبو محمدِ بنُ سعيدِ بنِ الحدَّادِ ؛ قال : قال لى جعفرٌ الأعمى :

وصَلَ إلىَّ من مالِ ابنِ طالبٍ — بآيةٍ من كتابِ اللهِ . — نحوُ السبعين : مِثقالاً ؛ كنتُ : إذا نظرْتُ إليه : قد جَلَس فى مجلِس قضائه — : قمتُ بحذوِه ، ثم قلت : (بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ؛ إنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ : لاَ نُريد مِنكُم جَزَاءً ولا شكوراً : ٧٦ — ٩) .

(قال) : فيأمرُ لِى : بالمِثقالِ ، والمِثقالين ، وما أمكَنَه .

قال لى حُسينُ بنُ أحمدَ بنِ مُعْتِبٍ : قالَ لى أبى أحمدُ بنُ متعبٍ :

أتَيْتُه يوماً : أسألُه لرجلٍ مَعروفاً ؛ (قال) : فناوَلنى طرَفَ كُمِّ قميصِه ؛ ثم أدخلَ يدَهُ : ليَنْزِعَها .

فقلتُ [2] : سبحانَ اللهِ ! معاذَ اللهِ : أنْ أُبلِغَكَ هذَا المبلَغَ .

فقالَ لى : لا يَسبِقْ إليكَ أنَّ هذا عن ضَجَرٍ ؛ غيرَ أنى : لستُ — واللهِ —

(١) بالأصل : « يوذى » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالاصل : « فقال » ؛ وهو تحريف .

أملكُ هذا الوقتَ : ديناراً ، ولا درهماً ؛ ولا بُدَّ : أنْ تأخُذَها للرجلِ . (قال) : فعزَمَ ، وبَرَى إليَّ بثوبِه .

(قال) : وكثيراً ما كانَ يَصِلُ بالفُضولِ الباقيةِ — : من شُقَقِ ثيابِه . — ويقولُ للَّذى يُعطيها لَهُ : لا تَحْتَقِرْها — : إذْ تراها[1] خرقاء . — وإيَّاكَ : أن تُغبَنَ فى بَيعِها ؛ وامضِ بها إلى فلانٍ البَزَّازِ ؛ فعلَى يدِه اُشتُرِيَتْ هذه الثِّيابُ .

وحكى لى بعضُ الشيوخ ؛ قال : أخبرنى مَن أثقُ به ؛ قال :

أتَيْتُ ابْنَ طالبٍ : فشكَوْتُ إليه الإقْلالَ ، وعَرَّضتُ بالسؤال.

(قال) : فاعتَذَرَ : اعتِذارَ مَن قدْ عَزَمَ على رَدِّى ؛ ثم قامَ : فدَخلَ ؛ ثم خَرَجَ فجَعَلَ فى يدِى شيئاً ؛ ثم [قال] : أعقِلْها[2] عليك .

(قال) : فأحسَسْتُ فى يدِى شيئاً : لم أشُكَّ أنها دراهمُ . (قال) : فلمَّا خرجتُ : فتحتُ يدِى ؛ فإذا : بعشرةِ مَثاقيلَ .

وله أخبارٌ كثيرةٌ : من هذا الضَّرْبِ .

* * *

مُعتبُ بنُ أبى الأزْهر

٨ ومُعْتِبُ بنُ أبى الأزهر ؛ كان : صاحباً لسَحنون ، ومعدوداً فى رجالِه .

ذكَرَ لى حسنُ بنُ أحمدَ بنِ معتبِ بن أبى الأزهَرِ ، عن أبيه ، عن جدِه معتبٍ ؛ قال :

قال لى سُحنونٌ يوماً : إنى أحِبُّ أن أسِرَّ اليك سِرًّا ؛ فإيَّاكَ : أن تُفشِيَه .

---

(١) بالاصل : « يراها » ؛ ولعله مصحف .

(٢) يعنى : تصدق بها على نفسك . انظر المختار : بتأمل .

(قال) : فقلتُ له : يا أبا سعيدٍ ؛ إنْ [كانتْ] منزلتى عندكَ منزلةَ مَن يُخافُ منه ـ : فلا تُفْشِ إلىَّ سِرَّكَ .

(قال) فقال لى : ليس الأمرُ : كما تَظُنُّ ؛ ولكنْ : لِكلِّ إنسانٍ صديقٌ : يكون موضعَ ثقتِه وراحتِه ؛ ولذلكَ الصَّديقِ وصديقٌ ؛ ومِنْ مثل هذا : تَخرُجُ[1] الأسرارُ .

* * *

أحمدُ بنُ مُعتبِ بنِ أبى الأزْهر

٩ وابنه أحمدُ بنُ مُعتبٍ ؛ كان : نبيلاً ، فاضلاً ، صحيحَ اليقينِ . وهو : الذى مات : من ذِكْرِ اللهِ .

أخبرَنى أبو بكرٍ محمدُ بن محمدِ بنِ اللَّبَّادِ ؛ قال : حضَرْتُه فى مجلسِ السَّبتَ ـ : وقد سمع شيئاً من أولئك القرَّاء . ـ فصاحَ صيحةً ، ثم خَرَّ ، وانبعثِ الزَّبَدُ مِن فِيه؛ واحتُمِل فى نَعْشٍ إلى داره ؛ فما سُمِعَتْ منه كلمةٌ : حتى ماتَ رحمه الله .

قال ابن حارثٍ : ولم أُوقِفْ أبا بكرٍ بن اللَّباد : عنِ الذى سَمِعَ ؛ وقد سمعت فى ذلك اختلافاً من الناسِ :

فقائلٌ يقول : إنه سمع : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ : ١٠٢ ـ ١) ؛ وقائلٌ يقول : إنه سمع بيتَ شعرٍ : فيه ذِكْرُ النارِ ؛ فكان من أمرِه ما كان .

وكان : لطيفَ المكانةِ من إبراهيمَ بنِ أحمد ؛ كان يكتبُ إليه إبراهيمُ : يا أخى : فى الإسلامِ ؛ وشقيقى : فى المحبَّةِ .

وكان : قد لاحَى ابنَ عبدونٍ ـ : وهو على القضاء . ـ ووَثِقَ بمكانِه من

---

(٢) فى الأصل : « ومن مثل هذا لا تخرج » ؛ والزيادة من الناسخ أو الطابع .

إبراهيمَ؛ فَخَذَلَهُ ومَكَّنَ منه ابنَ عبدونٍ ؛ فضَرَبَ رِجْلَيْه — فى الفلقةِ — بالدِّرَّةِ : حتى أدْمَاهُما .

فكان أحمدُ بنُ مُعتِبٍ — من بعدِ ذلك — يقولُ : إنى لأرجو أنْ تكونَ هذه النَّازِلَةُ ، خِيرَةً من اللهِ لى : إذ سَلَبَ بها مَحبَّةَ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ، من قَلْبى .

قال لى بعض الشيوخ : فلمّا خُتِمَ لأحمدَ بما خُتِمَ له به : تَطلَّعَ إبراهيمُ بن أحمدَ — فى بعض الليالى — فنَظَرَ إلى ما عَلَى قبره — : من بَيَاتِ النّاسِ ، وكَثْرةِ السُّرُجِ . — فهالَهُ ذلك ، حتى قال لابنِ عَبدونٍ : هذا الرجلُ : الذى كنت تُهوِّنُ أمرَه عندى ؛ انظرْ عاقبةَ أمْرِه .

* * *

أحمدُ بنُ أبى سُلَيْمانَ

١٠ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبى سليمان ؛ كان : فاضلاً ، وجيهاً ؛ وكان : من مقدَّمى رجال سُحنون .

وكان : يحسُنُ الشِّعر ويقوله ؛ وكانت عنايتُه به : فى ابتداء أمرِه ؛ ثم لمَّا صار إلى درجةِ العلمِ ، وصُحْبَةِ العلماء — : ترك الشعرَ وصنعتَه .

وهو : الذى كشف وجهه، فى الإشارة على إبراهيم بن أحمد: بتَوْلِيةِ ابن طالبٍ القضاء ؛ فى المرَّةِ الثانيةِ .

وذلك : أنَّ إبراهيم كان : على كراهِيةٍ لابن طالبٍ؛ وكان : غير نَقِىِّ الضميرله. لأنه كانت لابن طالبٍ فيه ، أيادٍ سميَّةٌ : عند أخيه أبى عبد الله، المعروفِ : بأبى الغرانيقِ .

فلمَّا ولىَ إبراهيم : تمكَّن منه الحَضْرميُّ ، وفتَّى من فتيانه يُسَمَّى : بلاغاً ؛ وكانا جميعاً يقومانِ بابنِ طالبٍ : القيامَ السَّديدَ ؛ فكانا يُحسِّنانِ من أمر ابن طالبٍ

عند إبراهيمَ ؛ ويوقفانه عن جميع ما يُتَّهَم[1] به فيـه . حتَّى صار إبراهيمُ : إلى مُداراةِ ٱبنِ طالبٍ .

فلمَّا شاخَ سُليمانُ بنُ عمرانَ ، واضطُرَّ إبراهيمُ إلى قاضٍ غيرِه ـ : جَمَعَ وُجُوهَ القَيْروانِ ، واجتهدَ ؛ وأدخَلَهم على نفسِه : مَثْنَى ، وفُرَادَى ، وجماعةً ، وأفذاذاً ؛ وكلُّهُم يقولُ له : ٱلأميرُ أعلم : ٱلأميرُ أعلمُ . وغَلَبَتْ شَهوَةُ إبراهيم : فى محمدِ ابنِ عبدون بن أبى ثورٍ ـ : وكان من العراقيِّين . ـ فأمَرَ : بمَوْكِبٍ سَنِيٍّ ؛ وأُخْرِج : ليُحمَلَ عليه ٱبنُ عبدونٍ ؛ فوقف ناحيةً .

فـلم يُنفَّذْ ذلك : حتى دخل أحمدُ بنُ أبى سُليمان ؛ فقال له إبراهيم : مَنْ ترَى للقضاء ؟ .

فقال : أصلَحَ ٱللهُ الأميرَ ؛ أرى : أن تُوَلِّىَ ٱلعدلَ ٱلرَّضِىَّ ، المستَحِقَّ للقضاء .

فقال له : مَنْ هُو ؟ .

فقال : ٱبن طالب . فاستوى إبراهيمُ جالساً ؛ فقال له : من أينَ : حتى بَلَغْت فيه هذا المبلغ ، وقَطَعْتَ هذا القطعَ . ؟ .

فقال له : إنَّ ٱلصَّلاَةَ عَمُودُ ٱلدِّينِ ؛ فلمَّا ٱستَحَقَّ عندَ الأميرِ أن يُقَدَّمَ عليها ـ : كان بما هو أقلُّ منها ، أحَقَّ .

فقال إبراهيمُ : يُرَدُّ الفرَسُ . (يعنى : الذى كان قد أُبرِزَ لابنِ عَبْدُونٍ) ؛ وأذِنَ لابن أبى سُليمانَ : فى الانصرافِ ؛ وأرسلَ : فى ٱبن طالبٍ ؛ فوَلاَّهُ القضاءَ .

قال ٱبنُ حارثٍ : ولم يكنْ ٱبنُ أبى سُليمانَ ، معـدُوداً : فى أهـلِ الحِفظِ ؛ ولا : فى أهلِ المعرفةِ بما دَقَّ : من العِلْمِ .

(١) بالأصل : « يهم » ؛ والظاهر : أنه مصحف عنه .

سمعتُ مَن يَحكي ـ : ممَّنْ يُحسِنُ القولَ . ـ قال :

قال له قائلٌ : أخبرني عن طَلْقَةِ[1] الخُلْعِ : لِمَ كانتْ بائنةً ، ولِمَ لمْ يَملِكِ الزوجُ فيها الرَّجْعةَ ؟ .

فقال له ابنُ [أبي] سُليمانَ : يا ابنَ أخي ؛ لأنها طَلْقةٌ : كبيرةٌ ، عظيمةٌ .

فما زادَ ـ : من الاعْتِلالِ . ـ على هذا شيئاً . إلاَّ : أنه كان مَعدُوداً في وُجوهِ رجالِ سَحنونٍ .

* * *

عبدُ الرحمنِ بنُ عمران الملقبُ بالورنةِ

١١ وعبدُ الرحمن بنُ عِمرانَ ، المُلَقَّبُ : بالورنةِ ؛ كان حَسَنَ الحِفظِ ، جَيِّدَ القَريحةِ ، واقِفاً على الأصولِ .

ولم يكنْ : صاحبَ دَوَاوِينَ ، ولا إكثارٍ . وإنَّما كان : مُقتصِرًا عَلَى أُمَّهاتِ ابنِ القاسمِ ؛ لا غيرِ .

سمعتُ مَن يَحكي : أنه حَضَرَ إبراهيمَ بنَ الخَشَّابِ : وهو يقولُ له : قال لي ابنُ طالبٍ : نَسيتُ العلمَ يا إبراهيمُ . فقال له عبدُ الرحمن بنُ عِمران : وكيفَ يَنسى الإنسانُ ما لمْ يَحفظْه مِن قبلُ ؟!.

* * *

حبيبٌ صاحبُ مظالمِ سَحنون

١٢ وحَبيبٌ صاحِبُ مَظالِمِ سَحنونٍ ؛ كان : مَعدوداً في أصحابِ سَحنونٍ ؛ وكان : نَبيلاً في نفسِهِ . قد أدخَلَ له ابنُ سَحنونٍ سؤالاتِه سُحنوناً ، ومطالَعتَه له في أحكامِه ـ : في الكتابِ الذي ألَّفه في أدبِ القضاءِ .

* * *

---

(١) بالأصل : « طفلة . . لما » ؛ وهو : تصحيف جاهل .

فرَاتُ بنُ محمدٍ العَبدىُّ

١٣ أبو سَهل فُرَاتُ بنُ محمدٍ العَبْدِىُّ ؛ كان : من رجالِ سُحنونٍ ؛ ثم : من رجالِ أبنهِ مِنْ بعدِه .

رَوَى : عن سُحنونٍ ، وعن غيرِه : من العلماء ؛ وكان : قِبْلةَ[1] حديثٍ كثيرٍ ؛ وكان : يَغلِبُ عليه الرِّوايةَ ، والجَمْعُ ، ومَعرِفةُ الأخبارِ .

وسمِعتُ مَن يَحكِى : أنَّهُ كان : أعلَمَ الناس بمعايبِ الناسِ ، وأوقعَ النَّاس : فى النَّاسِ .

* * *

عِيسى بن مِسْكِينٍ

١٤ أبو موسَى عيسَى بنُ مِسْكِينٍ ؛ سَمِع : من سُحنونِ بنِ سعيدٍ ، ومن غيرِه : من علماءِ القَيْرَوانِ : ورَحَل ، فلَقِىَ بمصرَ : يونسَ بنَ عبدِ الأعلى ؛ ورَحَل إلى الصَّعيدِ : إلى محمدِ بن سِنْجرٍ .

قال لى لُقمانُ بن يوسُفَ : قال لى عيسى بنُ مِسكينٍ :

قلتُ لابنِ سِنْجرٍ : لِمَ نَزلْتَ الصَّعيدَ ، وتركْتَ الفُسْطاطَ ؟ .

قال : لأنه يَكْفِينى بالصَّعيدِ — : فى جمعٍ[2] قوتى . — مالا يَكْفِينى بالفُسطاط إلا النِّيلُ ؛ لا غيرُه .

وقال لى لُقمانُ : وكان يَذكُرُ أبنُ مِسكينٍ : أنَّ أبنَ سنجرٍ لَقِىَ نحوَ ألفِ شيخٍ : من أهلِ الحديثِ .

---

(١) كذا بالأصل ؛ أى : مقصد . ولعله مصحف عن : « قبله » بكسر ففتح .

(٢) بالأصل : « جميع » ؛ ولعله محرف عنه . فتأمل .

وكان عيسى بنُ مِسكينٍ : من أهلِ الفضلِ البارِعِ ، والوَرَعِ الصَّحِيحِ ، والصَّمْتِ الطَّوِيلِ .

كان إبراهيمُ بن أحمدَ : قد أُمتُحِن يَحيَى بنَ عُمَر ، واضْطُرَّه إلى وِلايةِ القضاءِ ؛ فقال له : إنْ دَلَلْتُك عَلَى مَن هو أفضلُ منِّى — : فى الوَجهِ الذى تُحِبُّ . — تُعافِينى ؟ .

قال : نعمْ ؛ نَفْعَلُ . فقال له : عيسى بنُ مِسكينٍ .

فأرسَلَ فيه إبراهيمُ بن أحمدَ : إلى كُورَةِ السَّاحلِ ؛ وأَشْخَصَه : إلى نفسِه ؛ وعَرَضَ عليه[وِلايةَ] القضاءِ: فنَفَرمنها وأباهَا ؛وقال :إنى رجلٌ :طَوِيلُ الصَّمتِ، قليلُ الكلامِ ؛ غيرُ نَشيطٍ : فى أمُورى .

فقال له إبراهيمُ : [إنَّ] عندِى مَولًى من مَوَالىَّ — : نَبيهاً نَشِيطاً ، قد تَدَرَّبَ : فى الأحكامِ ، وشىء : من[1] الأقضيةِ . — فأنَا أضُمُّه إليك : يكونُ لك كاتباً ؛ فيَصْدُرُ عنك فى القول ، فى جميعِ مايَرِدُ عليك : من الأمورِ ؛ فما رَضِيتَ —: من قولِه . — أمضَيْتَ ؛ وما سَخِطتَ رَدَدتَ .

فقَبِل منه القضاءَ ؛ وضَمَّ إليه حسنَ بن البَنَّاءِ .

قال لى أبى : فكثيراً ما كنتُ أدخُلُ على عيسى ، فى مجلسِ قضائه : وهو صامتٌ لاينطقُ : وكاتِبُه ابنُ البَنَّاءِ : يَقضِى بيْنَ النَّاسِ .

وكان إبراهيمُ بن أحمدَ : يُبَاهِى ويَبْتَهِجُ : بابنِ مِسكينٍ . فقال له يوماً بعضُ الجُبَاةِ[2] : لقد نصحتُك نُصْحاً : ما نَصَحك بمثله القُضاةُ . فقال له إبراهيمُ : ولا عيسى بنُ مِسكينٍ ؟! .

ولم يَرْتَزِقْ عيسى لإبراهيمَ قطُّ : فَلْساً واحداً . وكان يَتَوَلَّى طَبْخَ خُبزِه بيدِه .

---

(١) بالأصل : « فى » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « الحياه » ؛ وهو تصحيف .

فسمعتُ مَن يَحكِى : أنه دَخَل عليه داخِلٌ — : وله رَغيفٌ عَلَى النَّارِ . — فدَخَل عيسى : لبعضِ حاجتِه ؛ وتَرَكَ الرَّغيفَ . وخَشِىَ الدَّاخِلُ : أنْ يَحْتَرِقَ ؛ فقام : فقَلَبه[1] .

فلمَّا خَرَجَ عيسى ، قال له : قَلَبْتَ الرغيف ؟ . قال : نعمْ . قال : لقد جَنَيْتَ علَيْنا جِنايةً . وأخَذَ الرَّغيفَ : فتَصدَّقَ به ؛ ثم عَجَن رغيفاً آخرَ ، وتولَّى طَبْخَه بيَدِه .

ولَمَّا قدِمَ القَيْروانَ قاضياً : أتاهم عَلَى حمارٍ : عليه إكافٌ : فقام الناسُ إليه : عَلَى أقدامِهم ؛ فقال : مكانَكم رحمكم اللهُ ؛ إنَّما يَقومُ الناسُ : لربِّ العالَمِينَ .

ويُقالُ : إنه كان مُستَجابَ الدَّعْوةِ . وله أخبارٌ كثيرةٌ .

* * *

جَبَلةُ بنُ حَمُّودٍ الصَّدْفِيُّ

١٥ قال محمدُ بن حارثٍ : ومن رجال القَيْرَوانِ : جَبَلةُ بنُ حَمُّودٍ الصَّدْفِيُّ ؛ كان : من رجالِ سُحنون ؛ وكان : من أهلِ الخَيْرِ البَيِّنِ ، والعِبادةِ الظَّاهرةِ ، والوَرَعِ الخالصِ .

وكان أبوه : من أهلِ الدُّنيا والأموالِ ؛ وممَّن يَصحَبُ السُّلطانَ . فنابَذَه : فى حياتِه ؛ وتَبرَّأَ من تركتِه : بعدَ وفاتِه . عَلَى أنَّ تَركتَه كانتْ : نحوَ ثمانيةِ آلافِ مِثقالٍ .

وشَهِدَ عليه فى حياتِه — : بأنَّه قتلَ رجلاً عَمداً . — عندَ بعضِ القُضاةِ ؛ فعَرَّضَ أبوه : بالطَّعْنِ عليه ؛ فقال له القاضى : واللهِ : لئنْ شَهِدَ عليكَ معه ثانٍ ، لأسْفِكَنَّ دَمَك .

---

(١) بالاصل : « فأقلبه » ؛ وهو تحريف .

كان الغالبُ عليه : النُّسُكَ ، والتَّقشفَ ، والصلاةَ ، والإعراضَ عن الدُّنيا وأخبارِها .

حَكى لى رجلٌ من أهل القَيْروانِ — : كان خادمَه ، وكان خبيراً . — قال : أتاه رجلٌ جزَّارٌ ، فسأله : أن يُعطيَه دنانيرَ : قِراضاً ؛ فدفعَ[1] إليه نحوَ الثَّمانيةِ مثاقيلَ .

(قال) : فأكلَها الجزَّارُ ، واستَهلكَها .

(قال الرجلُ) : فقُمتُ له عليه : فلم أجِدْ عنده ما آخُذُ منه ؛ فضَربْتُها عليه نُجوماً : فى كل نَجمٍ رُبعُ مِثقالٍ .

(قال) : ثم : أتَيْتُ جَبَلةَ ، فأخبرْتُه : بفَلَسِه وفَقْرِه .

(قال) : فجَعَل يَتَحَنَّنُ عليه ؛ فقلتُ له : إنى قاطَعْتُه : عَلَى أنْ يُؤدِّيَها نجوماً فى كلِّ نَجمٍ رُبعُ مِثقالٍ .

فقال : رُبعُ مِثقالٍ : كثيرٌ ؛ ولستُ آمَنُ : أن لا يَقدِرَ عليه .

(قال) : فقلتُ له : وكم ترى أنْ يُؤخَذَ منه ؟

قال : أربعةُ دراهمَ . وكان صَرْفُ المِثقالِ — ذلك الوقتَ — أثنَيْ عَشَرَ درهما كيلاً ؛ بمثقالٍ .

(قال) : قلتُ له : إنَّ رُبعَ المِثقالِ[2] هو : أقلُّ من أربعةِ دراهِمَ .

فقال : حَسَنٌ إذاً .

وله عن سُحنونٍ : مسائلُ يَرْويها ، وحكاياتٌ يَحْكيها .

* * *

---

(١) بالأصل : « يدفع » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « الربع مثقال » ؛ وهو تحريف .

حَمْدِيسُ القَطَّانُ

١٦ أبو جعفرٍ حَمْدِيسُ بن محمدٍ القَطَّانُ ؛ كان عَلَماً : فى الفَضلِ ؛ ومَثَلاً : فى الخَيرِ . مع صَلابةٍ شديدةٍ : فى مذاهبِ السُّنةِ ؛ وغُلُوٍّ عظيمٍ : فى[1] التَّجَنِّى عَلَى مَن يَنْحَرِفُ عن طريقةِ أهلِها .

وكان : قد لَهِجَ الناسُ : بفَضْلِه ؛ وأقرّوا : بخيرِه .

وكان : من أصحابِ سحنونٍ ، ومن المُعدُودِينَ : فى رجالِه .

وقد ذكرتُ فى كتاب : التَّعريفِ — : من أخبارِه . — مالم أذكُرْه : فى هذا الكتابِ .

* * *

عبدُ الجبَّارِ بنُ خالدٍ الشُّرتىُّ

١٧ عبدُ الجبَّارِ بنُ خالدٍ الشُّرْتىُّ ؛ كان : من أصحابِ سحنونٍ ؛ ومن المعروفين : بالعبادة .

وكان : صاحباً لحمديس القطَّان : وبهما يَضْرِبُ أهلُ القَيْروانِ المَثَلَ : فى الفضلِ والدِّينِ . إلاَّ أنَّ عبدَ الجبَّارِ — فيما أخبرنى لُقمانُ بنُ يوسُفَ — كان : أنبَهَ وأفْهَمَ .

وكان عبدُ الجبَّارِ : مُنابِذًا لابن طالبٍ القاضى ، ومُعادِياً : بعد مُصادَقةٍ مُتقدِّمَةٍ .

قال لى عباسُ بنُ عيسى المسى : قال لى ابنُ محبوبٍ :

ذكَرَ ابنُ طالبٍ يوماً ، عبدَ الجبَّارِ ، فأوْقَعَ به : فى سُوءِ الثَّناءِ عليه . (قال ابنُ محبوبٍ) : فلمَّا خلَوْتُ بابنِ طالبٍ : عذَلْتُه فى ذلك ، وحَضَضْتُه : على

(١) بالأصل : « من » ؛ وهو تصحيف .

الإغضاء والإعْراضِ عن ذِكْرِه ؛ وذكَرْتُ له ما كان بينَه و بينَ عبدِ الجبَّارِ : من قَديمِ الصُّحْبَةِ .

(قال ابنُ محبوبٍ) : فقال لى ابنُ طالبٍ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ لو أنَّ عبدَ الجبَّارِ : أخَذَ سِكِّيناً ، وجَعَل يَنْكُتُ به أعْضائى : عُضْوًا ، عُضوًا — : لَصبَرْتُ عَلَى ذلك ، واحتَمَلْتُه : مالم يَعرِضْ لِمَقاتِلى ؛ فإنْ عَرَض[1] لها : اضْطُرِرْتُ إلى أنْ أذُبَّ عن نفْسى ؛ وقد — واللهِ — تَعَرَّضَ مَقاتِلى ، ولا سَبيلَ للصَّبرِ عليه .

فلمَّا نُكِبَ ابنُ طالبٍ ، وجَلَس إبراهيمُ بن أحمدَ فى مقصورةِ جامعِ (رفادة) وأحْضَرَ وُجُوهَ النَّاسِ : من أهلِ كلِّ مَذهبٍ ؛ واسْتَمْطَرَهُم الشَّهادةَ عَلَى ابنِ طالبٍ ، بمَساوِيه — : أحجَمَ النَّاسُ كلهم ، غيرَ عبدِ الجبَّارِ : فأوَّلُ مَن صَبَّها عليه ؛ فشَهِد عليه : أنه لم يَزَلْ يَعرِفُه : يَخطُبُ سَريرَ الأميرِ .

فقال إبراهيمُ بن أحمدَ : هو أخْزَى وأذَلُّ من ذلك .

***

أبو الأحْوَصِ المُتَعَبِّدُ

١٨ أبو الأحْوَصِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ ؛ كان : رجلاً من أهلِ الفضلِ ؛ وكانتْ له : صُحبةٌ من سَحْنُونِ بن سَعيدٍ . وكان الخيرُ والعبادةُ : أغلَبَ عليه من الفقهِ .

أخبرنى أبو محمدٍ القَنعىُّ ؛ قال : شهِدْتُه يومَ الجُمعةِ فى الجامعِ ، فرأيتُ : الإمامَ يَخطُبُ ، وأبو الأحْوصِ يَبْكى .

وحَكَى لى عنه أبو محمدٍ القَنعىُّ ؛ قال : قال أبو الأحوصِ : « غابَ إمامُ الجامعِ يوماً ، عن صلاةِ العصرِ : فعُزِمَ علىَّ فتَقدَّمْتُ ؛ فلقد صحَّ عندى : أنى ما سلَّمْتُ من الصلاةِ : نَعِماً ؛ حتى بدَأ قومٌ : يُفتِّشون عن عيوبى » ؛ وما سمعتُ

(١) بالأصل : « اعرض » ، وهو تحريف .

مَن يذكُرُ ذلك من قبلُ ؛ كأنَّه يقولُ : إن الحمولَ : من أسبابِ السَّتْرِ .

وصدَقَ أبو الأحوصِ : مقدارُ كشْفِ الناسِ عن عُيوبِ الرجلِ : على مِقدارِ ظُهورِه فيهم .

ويُشْبِهُ هذا المعنَى : أنِّى حضرتُ بعضَ المجالسِ بالقَيْروانِ ، فذكَرُوا شيخًا من أهلِ العلمِ ؛ قد كان : ظَهَرَ سُؤْدُدُه ، وقامَ جاهُه ؛ ثم انقلَبتْ به الحالُ ، وانفرَجتْ طريقتُه إلى طريقةِ التَّفَتُّكِ : لِوُلُوعِه بغلامٍ كان يَصْحَبُه .

فقال حُسينُ بنُ أحمدَ بنِ مُعْتِبٍ : عجبًا للناس ! قد أُولِعُوا بفُلانٍ : بِذَا قْتَرَفَ : من فعلِ كذا ؛ وفى الناسِ مَن قد تَقَلَّدَ أمثالَ ذلك : وما أحدٌ يذكُرُه بشيء من ذلك .

فقال أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبى خالدٍ الدَّبَّاغُ — وهو اليومَ : أحدُ عقلاءِ رجالِ القَيْروانِ . — أنا أضرِبُ لكم فى ذلك مثلاً : لو أنَّ رجلاً : ممَّن شأنُه لُبسُ الثِّيابِ الوَسِخَةِ ، والأطْمارِ الخَلِقةِ ؛ وقَعَ فى صدرِ ثوبِه وسَخٌ شنيعٌ[1] المنظرِ ثم شقَّ السِّماطَ كلَّه — : لمَا أنكرَ أحدٌ عليه شيئًا . ولو وَقَع مثلُ ذلك ، فى صدرِ ثوبِ رجلٍ : لَبَّاسٍ نَقِيِّ الثوب ؛ فشقَّ به السِّماطَ — : لمالَتْ الأبصارُ إليه من كل جانبٍ ؛ ولاسْتُفْظِعَ[2] رِضاهُ : بلُبْسِ ذلك الثوبِ .

فقلنا له — من كلِّ موضعٍ — : صدَقْتَ .

فكان أبو الأحوصِ هذا المُتَعَبِّدُ : ربَّما حَكى حكاياتٍ : أخبرنى أبو بكرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ اللَّبَّادِ ، عن أبى الأحوصِ ؛ قال :

سُئِلَ سُحنونٌ : عمَّا يأتى به أهلُ الشَّامِ : من الرُّخَصِ فى الفُتْيا .

---

(١) بالأصل : « شنع » ، وهو محرف عنه . انظر : المختار .

(٢) بالأصل : « ولاستقطع » : وهو تصحيف .

فقال سَحنونٌ : يُؤخَذُ هذا العلْمُ من الموثوقِ بهم : فى دِينهم؛ أَلْحَسُوسِ[1] : بخبرِهم . فإن أخَذُوا بالشَّديدِ : فعَنْ عـــلْمٍ ؛ وإن أخَذُوا بالرُّخْصةِ : فعَنْ عـلْمٍ .

وقال أحمدُ بن محمدِ بن عبـدِ الرحمن ٱلقصريُّ : أخبرنى بهذه الحـكايةِ عن سحنونِ بن سعيدٍ — : حَمْديسٌ القَطَّانُ ، وعبدُ الله بن أحمدَ بنِ طالبٍ ، وغيرُهما .

* * *

أبو عَيَّاشٍ

١٩ وأبو عَيَّاشٍ ؛ كان : من أصحابِ محمدِ بن سَحنونٍ ؛ وكان : كثيرَ الحكايةِ والرِّوايةِ ؛ سمِع منه غيرُ ما رجلٍ : من جِلَّةِ رجالِ ٱلقيْروانِ .

* * *

سُليمانُ بن سالمٍ ، المعروفُ : بابن الكَحَّالةِ

٢٠ وسُليمانُ بن سالمٍ ؛ المعروفُ : بابن الكحَّالةِ : سمِع من سحنونٍ ، ومن غيرِه : من مشايخِ إفْريقيَّةَ ؛ وسمِعَ من زيدِ بن بشرٍ .

حَكى لى أبو محمدٍ الغنمىُّ ؛ قال : حدَّثنى سُليمانُ بن سالمٍ ، عن زيدِ بن بشرٍ ؛ قال : دخَلتُ ٱلمدينةَ : فلقِيتُ محمدَ بنَ مالكِ بن أنَسٍ ؛ فقلتُ له : حدِّثنى عن أبيك بشىءٍ . فقال : ما أحفَظُ شيئًا .

قال : فقلت له : تذكَّرْ : فقال : سمِعتُ أبى ، يقولُ : أدرَكتُ مسجدَ ٱلنبىِّ

---

(١) أى : الذين أحس وشعر بخبرهم . وفى الأصل : « الحسن » : وهو تصحيف .

(صلى الله عليه وسلم) : يقومُ فيه طائفةٌ من الناسِ : إلى ثُلثِ اللَّيلِ ؛ ثم تَذهبُ ؛ ثم تَأتي طائفةٌ أخرى : فتقومُ فيه الثُّلثَ الأوسطَ ؛ ثم تذهبُ ؛ ثم تَأتي طائفةٌ ثالثةٌ : فتَقومُ فيه إلى صلاةِ الصُّبح .

وكان سُليمانُ بن سالِمٍ هذا : قد وُلِّيَ قضاءَ صِقِلِّيَّةَ ، في أيامِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ . وكان الغالبُ عَلَى سُليمانَ بنِ سالمٍ : الرِّوَايَةَ والتَّقييدَ .

* * *

سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحَدَّادِ

٢١ ومن أصحابِ سَحنونِ بن سعيدٍ : سَعيدُ بن محمدِ بن الحدَّادِ؛ صحِبَ سَحنونَ ابن سعيدٍ ، وكان : يُطْرِيه جِداً ، وَيذهَبُ في حسنِ الثَّناءِ عليه كلَّ مذهبٍ .

ولم يَرحَلْ ، ولا حَجَّ : لأنه كان رجلاً فقيراً ؛ وإنما أثْرَى وتَمَوَّلَ : بعدَ الشَّيخِ والزَّمانةِ . ماتَ له وارثٌ بصِقِلِّيَةَ : بلَغَتْ وِراثتُه منه : نحوَ الخمسِ مائةِ مِثقالٍ .

وكان أبو عُثمانَ هذا : قليلَ الاشْتِغالِ[1] بجمْعِ الكتُبِ وبالرِّواية ؛ وكان يقولُ : إنَّما هو : النَّظَرُ والخَبَرُ ؛ فلو دخَلْتُ المَشرِقَ : ما كانتْ لي فيه حاجةٌ غيرُ الخبرِ .

ورَحَلَ إلى أبي الحسنِ الكُوفيِّ - : إذ نَزَلَ اطرَابُلسَ . - فسمِعَ بعضَ الحديثِ .

(١) بالأصل: «الأشغال» ؛ وهو تحريف.

وكان : عالماً باللُّغةِ ، نافذاً [١] فى النحوِ : عَرِبىَّ اللِّسانِ ، جَهيرَ الصَّوتِ : إذا لَحَن فى لفظِه : اُسْتَغفرَ اللهَ ، وأعادَ الكلامَ : مُعْرَباً .

وكان : إذا تَكلَّف الشِّعرَ أجادَه ؛ ولم يُحفَظْ من شِعرِه غيرُ مَرَاثِيه : فى ولدٍ مات له ، وفى ابنِ أخٍ أُسِرَ له ؛ وشىءٌ [٢] يعرِضُ له : على معنى التَّمثُّلِ .

أتاه رجلٌ ، فقال له : أنشِدْنى شَعرَك : فى ابنِك .

فقال : لستُ بشاعرٍ ياهذا : إنَّما حضَرَتْنى رِقَّةٌ [٣] على ولَدِى ؛ فقلتُ فيه ما حَضَرَنى .

وكان مذهَبُه : النَّظرَ والقياسَ والاجتِهادَ ؛ لا يَتحلَّى بتَقليدِ أحدٍ : من العلماءِ ؛ ويقولُ : إنَّما أدخَل كثيراً ـ : من الناسِ . ـ إلى التَّقليدِ : نَقْصُ العُقولِ ، ودَنَاءةُ [٤] الهِمَمِ . وكان يقولُ : القولُ بلا عِلَّةٍ : تَعَبُّدٌ ؛ والتَّعبُّدُ : لايكونُ إلاَّ من المَعبودِ . وكان يقولُ : كيفَ يَسَعُ مِثلى ـ : ممَّن آتاهُ اللهُ فَهْماً . ـ أنْ يُقلِّدَ أحداً : من العلماءِ ؛ بلا حُجَّةٍ ظاهرةٍ . ؟!

قال لى محمدُ بنُ مَسرُورٍ النجَّارُ : جلَستُ إلى سعيدِ بنِ محمدٍ يوماً ، فألقَيتُ عليه مسألةً ؛ مُعضِلةً [٥] مُعقَّدةً ؛ من كتابِ أشْهَبَ بنِ عبدِ العزيزِ . (قال) : فبدَأ : يتَنزَّلُها ، وبالنَّظرِ فيها . فلم يَزلْ : يُلخِّصُها شيئاً شيئاً ، حتى بلَغَ فيها إلى ما بَلَغَ أشهبُ بنُ عبدِ العزيزِ .

فقلت له : أصَبْتَ أبا عثمانَ ؛ هكذا قال أشهبُ فى كتابِه .

---

(١) كذا بالأصل : وقد يكون مصحفا عن : « ناقدا » .

(٢) بالأصل : « وفى شىء » ؛ ولعل الزيادة : من الناسخ أو الطابع . فتأمل .

(٣) بالأصل : « رفة » بالفاء . وهو تصحيف .

(٤) أى : قصر الهمم وخساستها . وفى الأصل : « ودنا » ؛ وهو تحريف .

(٥) بالأصل « مقفلة » ؛ والظاهر ؛ أنه مصحف عما أثبتنا .

(قال) : فقال لى (أى[1] : سعيدُ بن محمدٍ) : لعلَّ أشهبَ ما وضَعَها : حتى تَدَبَّرَها أيّاماً ، ونَظَرَ فيها حِيناً ؛ وقد أتَيْنا نحنُ بجوابها : بنَظَرِ ساعةٍ واحدةٍ .

وحَكَى عنه رجلٌ من جُلَسائه ـ يُعرَفُ : بابن المكِّىِّ . ـ قال : قلتُ[2] له يوماً : يا أبا عُثمانَ ؛ ما أُشَبِّهُ نفْسِى ـ إذا كنتُ بيْنَ يديكَ ـ إلاَّ : بالحِمارِ .

(قال) : فقال لى : لا تَفعَلْ ـ يا أبا محمدٍ ـ : فإنَّك تحِسُّ حِسًّا لطيفاً ؛ وأنت كما قال الشاعرُ :

* وفَوْقَكَ أقْوامٌ : وأنْتَ شَرِيفُ *

وقال له ابنُ الأشَجِّ يوماً ـ بين يدىْ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ـ : هذا بابٌ لا يحْسِنُه[3] .

فقال له سعيدُ بن محمدٍ : أنَا أعلمُ بهذا من الرَّابعِ : من مُعَلِّميكَ .

وحَضَر يوماً مجلِساً ـ : من المجالسِ . ـ فأُتِىَ بوَثيقةٍ : لِيكتُبَ شهادتَه ؛ فقال : فيها خطأ .

فقال له صاحبُ الوَثيقةِ : إنَّ ابنَ عَبدونٍ كتَبَها ! .

قال له سعيدٌ : هو الذى أخْطَأ فيها . قال سعيدٌ : حَضَر معى ابنُ عبدونٍ يوماً ، مجلسَ المهْرِىِّ ، فأنشَدَنا المهرِىُّ بيْتَيْنِ . (قال سعيدٌ) : فلَقِنْتهما أنا وابنُ عبدونٍ ؛ فلما خَرجْنا ، قال لى ابن عبدونٍ : أنشِدْنِيهما ـ يا أبا عثمانَ ـ : فقد أنسيتهما .

فقلتُ له : إن أقْرَرت على نفسك : أنك حمارٌ ؛ أنشدتكهما .

(قال) : فقال لى : أنا حمارٌ ؛ وأنشدْنيهما .

(قال) : فأنشدْتُه ؛ ثم افترَقْنا . فأرسَلَ إلىَّ ـ من بعد ـ يسألنى : أنْ أكتُبَهما له ، وأبعثَ بهما إليه . (قال) : فقلتُ لرسولِه : باللهِ : لا يسمعُها منى ، ولا كَتَبْتُهما له أبداً .

---

(١) بالأصل : « أيا » ؛ وهو تصحيف (٢) بالأصل : « فقات » ؛ وهو تحريف
(٣) بالأصل : « يحسه » ؛ وهو تحريف .

وأبو عثمانَ (سعيدُ بن محمدٍ) : غَزِيرُ التأليفِ ، كَثيرُ الوَضْعِ ؛ له كتبٌ مُؤلفةٌ : فى فنِّ الكلامِ ، والجَدَلِ . وله كُتُبٌ : فى فن الفقهِ والمسائلِ . وله كُتُبٌ : فى النَّظَرِ .

وله رَدٌّ على الشافعى : فى كتابٍ لم يَظهَرْ على أيدى الناسِ ؛ وأُراهُ : لم يأخُذْ نُسْخَتَه ، وكان مِقدارُ تأليفِه على الشافعى : شُقَّتَيْنِ ؛ كلُّ شُقَّةٍ منهما تُسَمَّى : ثُلثَ قِرْطاسٍ ؛ فملأها : ظَهْراً وبَطْناً .

وسمعتُ أحمدَ بن موسى التَّمَّارَ ، يَذكُرُ الصَّدرَ من كتابِه هذا — : الذى كتَبه إلى أبى إبراهيمَ إسماعيلَ بن يَحيى المُزَنى . — وهو :

« أمَّا بعدُ : فإنَّه لَمَّا بَعُدَتْ دارِى عن أنْدِيَةِ العُلماءِ ، ولم أجِدْ بالمحَلِّ الذى أنَا به ، مُفيداً : أستَمِدُّ منه مَعُونةً ؛ ولا إنْسِيًّا : يُشارِكُنى فى فِكْرَةٍ[1] ، وأعرِضُ عليه ما يَفْرُقُ[2] لى : من تَدْبيرِ مسألةٍ ؛ وكَثُرَ أشْياعُ الباطلِ ، وقامَتْ دَولَةُ الجَهلِ — : حاولْتُ النُّهوضَ لأداءِ ما أفْتَرضَ اللهُ علىَّ : من حجِّ بيْتِه الحَرامِ ؛ وأنْ أضرِبَ[3] إلى كل أُفُقٍ : فيه عليمٌ بالحقِّ ؛ أُناصِحُه وأسْتَرْشِدُه . فحالَتْ العَوائقُ : دونَ مَرامى ؛ وحَبَسْتنى : دُونَ سُؤْلى . »

« وإنى تَعَقَّبْتُ ديوانَ محمدِ بن إدريسَ الشافعىِّ : فاطَّلَعْتُ على ما ذكرْتُه . » .

قال أحمد بن موسى : فذُكِرَ لى : أنَّه لَمَّا وَرَدَ الكتابُ على المُزَنىِّ : قرأه وسكتَ ؛ وجعلَ فتًى — : من البغداذِيِّينَ . — يحرِّكه : فى جوابِه ؛ والمزنىُّ يُعرِضُ عنه .

فلمَّا أكثرَ عليه : رَمَى إليه الكتاب ، وقال : أمَّا أنَا : فقد قرأتُ وسكتُّ ؛ فمَن كان عندَه عِلمٌ : فلْيَتكلَّمْ .

---

(١) بالأصل : « فكره » ؛ وهو تصحيف . (٢) أى : يبين ويظهر .
(٣) أى : أسافر وأرحل .

وكان أبو عثمانَ : آنَسَ الفُقهاءِ : مَجلِساً ؛ وأغزرَهم : خَبَراً . وهذه صفةُ ولدِه: عبدِ اللهِ ؛ إلى اليوم : ما رأيتُ آنَسَ منه : مَجلساً ؛ إذا قَعَدَ مقعَداً : لم يَطمَعْ أحدٌ : فى القولِ ، ولا فى الحديثِ .

* * *

أبو داودَ العطَّارُ أحمدُ بنُ موسى بنِ جَريرٍ

٢٢ وأبو داودَ العطَّارُ أحمدُ بنُ موسى بنِ جَريرٍ ، قد ذكرَ أبو العَربِ بنُ تميمٍ : أباه ؛ فى هذا الكتابِ : من قَبلُ . وذَكَر : أنَّ بسببِه سَمع أبو داودَ من جِلَّةِ شُيوخِ القَيْروانِ .

وهو : معدُودٌ فى أصحاب سَحنونٍ ؛ وكان : من ذَوِى الوَجاهةِ والتَّقدُّم .

* * *

إبراهيمُ بن عَتَّابٍ الخَوْلانىُّ

٢٣ و إبراهيمُ بن عَتَّابٍ الخَوْلانىُّ ؛ كان : من أصحابِ سَحنونٍ ، ومَذكوراً فى جُملَتِهم .

كان : قليلَ الفَهمِ ؛ غالياً فى مذهبِ ابنِ سَحنونٍ : فى مسألةِ الإيمان ؛ شديدَ الانتِقاصِ لمحمدِ بن عَبْدوسٍ : عَصَبيَّةً لابن سَحنونٍ .

بلغ ذلك به : إلى أنْ حَضَر جِنازةً ، فتَقَدَّمَ عليها محمدُ بنُ عَبْدوسٍ : فانصرفَ ابنُ عَتَّابٍ ولم يُصلِّ خلفَه .

فبَلَغ ذلك إلى ابن طالبٍ — وذلك : فى أوَّلِ انبعاثِه ؛ وأُراهُ : كان حاكماً عَلَى المظالم . — فقال له: لِمَ انصَرَفْتَ عن الصلاةِ من[1] وراءِ الإمامِ الفاضلِ ابنِ عبدوسٍ ؟ .

---

(١) بالأصل : « ومن » ؛ ولعل الزيادة من الناسخ أو الطابع .

فقال : لأنه شُكوكيٌّ[1].

فقال له : وما تقول فى شُكوكيَّته ؟

فقال له : يقولُ : إنه ليس بمؤمنٍ عندَ اللهِ .

وكان حَماسُ بن مَرْوانَ حاضراً ؛ فقال : أنا أشهد على ابنِ عبدوس ، أنه يقول : من قال : ليس هو مُؤمناً عند اللهِ ؛ فهو كافرٌ عند اللهِ .

فأمرَ ابن طالبٍ — حينئذٍ — بابن عتَّابٍ : إلى السجنِ .

إبراهيمُ بن لِبْدَةَ

٢٤ وإبراهيم بن لِبْدَةَ : كان : ابنَ أخى سَحنونِ بن سعيدٍ ؛ ولم يكنْ — : فى الفقهِ . — بُهنَاكَ . إلاَّ : أنَّه قامَ له جاهٌ بالبلَدِ — بعدَ موتِ سحنونٍ — : بتقديمِهِ فى شُيوخهِ المُتقدِّمين .

قال لى أحمدُ بن نَصْرٍ : كانتْ المسائلُ تَرِدُه من كلِّ جانبٍ : فمرَّةً كان يُلْقِيها : إلىَّ ؛ ومرَّةً : إلى موسى القَطَّانِ ؛ فنَتولَّى الجوابَ عنه .

(قال لى) : وكان يقولُ الناسُ : « ابنُ لِبْدةَ : عالِمُ الأميرِ » . لأنهم كانوا يَفْطِنُون : أنه لا علْمَ عندَه ؛ وإنَّما الأميرُ جَعَله عالِماً .

* * *

أحمدُ المَعْرُوفُ بالصَّوَّافِ

٢٥ وأحمدُ المَعروفُ : بالصَّوافِ . قال لى أبو محمدٍ الغنمىُّ : كان أحمدُ الصَّوافُ : من الفُضَلاءِ المتقدِّمين ، والعُبَّادِ المجتهدين ؛ سمِع من سَحنونِ بن سعيدٍ ؛ وكان : يَغلِبُ عليه الخَيْرُ والعبادةُ .

* * *

(١) أى كثير الشك . يعنى المسألة المشهورة بينه وبين ابن سحنون . ذكرها ابن عرفه فى عمله الكلامى . كذا بالهامش .

سَعيدُ بن إسْحاقَ

٢٦ وسَعيدُ بن إسحاقَ ؛ كان : من رجالِ سَحنونٍ ؛ سَمِعَ منه ومن غيرِه .
حدّثنا عنه كلُّ شيخٍ لَقِيتُه ؛ وكان : كثيرَ الرِّباطِ ؛ تَغلِبُ عليه الرِّوايةُ والجَمْعُ للحديثِ .

* * *

أبنُ عَلاقَةَ

٢٧ وأبنُ عَلاقَةَ ؛ وهو : خالُ حَماسِ بن مَرْوانَ . وهو : الذى كان يأتى بحَماسٍ إلى سَحنون — وهو صَبِيٌّ — : يَسمَعُ منه .

* * *

حَماسُ بنُ مَرْوانَ

٢٨ وحَماسُ بنُ مَرْوانَ ؛ يُعدُّ : من مَشايخِ سَحنونٍ ؛ وتَقعُدُ به — فى ذلك — : صُحبتُه له : فى الصِّغَرِ ؛ واخْتلافُه إليه : فى الصِّبَا .
ولمَّا شَبَّ ، ومات سَحنونُ بن سعيدٍ — واظَبَ : على محمدِ بن عَبدوسٍ ؛ فانْتفَع به ؛ وكان من بَعدُ : عالماً أستاذاً ، حاذِقاً بأسبابِ مالكٍ وأصحابه ؛ يَحكِى فى مَعانِيه أبنَ عَبدوسٍ .
لمَّا دخَلَ مصرَ : قَصَد إلى حَلْقةِ أبنِ عبدِ الحكَمِ ، فجلسَ — : وأبنُ عبدِ الحكَمِ لا يَعرِفُه . — فتكلَّمَ حَماسٌ : فصَرَف إليه أبنُ عبدِ الحكَمِ وَجْهَه . ثم زادَ فى الكلامِ : فسأله أبنُ عبدِ الحكَمِ : عن مسألتَينِ فى الجِرَاحِ ؛ فأجابَه ؛ ثم سأله : عن الفَرْقِ ؛ فأجابَ وجَوَّدَ .
فقال له أبنُ عبدِ الحكَمِ : يَنبَغِى أنْ تكونَ : حَماسَ بن مَرْوانَ .
فقال له : نعمْ . فعَذَله فى الجَفْوةِ — : إذ لم يَقصِدْ إليه ، ويُعرِّفْه بنفْسِه . — وأنزَله : بمَنزِلةِ المُكرَّمِ المُعظَّمِ .

* * *

محمدُ بنُ بَسيلٍ

وممَّنْ أَشْبَهَ حَماساً[1] — في صحبته سَحنوناً : في سِنِّ الصِّبا في حين الصِّغَرِ . — :

٢٩ محمدُ بنُ بَسيلٍ . كان : يَختلفُ إلى سَحنونٍ : طفلا ؛ ومعَه غِلمانٌ له مَماليكُ : يَحملون له مُصَلًّى ، ويُمسِكون دابَّتَه .

لَقِيتُه أنا ، وأدركتُه : وأنا طِفلٌ ؛ وسمِعتُه يقولُ : رأيتُ سَحنوناً : يَفعلُ كذا ، وسمِعتُه : يقولُ كذا .

وكانتْ لابنِ بَسيلٍ هـذا — بعدَ ذلك — رِحْلةٌ : لَقِيَ فيها ابْنَ رُمْحٍ ، وغيرَه : من شُيوخ أهلِ المَشرِقِ .

* * *

سَعيدٌ المعروفُ : بمزْغَلةَ

٣٠ وسَعيدٌ المعروفُ : بمزْغَلةَ ؛ وكان : من أصحابِ سحنونٍ ؛ وكان : تَغلِبُ عليه العِبادةُ والتَّنَسُّكُ : وكان : رجلاً صالحاً ، حَسنَ النِّيةِ .

* * *

أبو خالدٍ الحامِي

٣١ وأبو خالدٍ الحامِي ؛ كان من رجالِ سحنونٍ . وكان : يذكُرُه سعيدُ بن الحدَّادِ ، ويُطْرِيهِ .

وكان يَحكِي عنه سَعيدٌ : أنَّه قال : سألتُ سَحنوناً : أنْ أقرأَ عليه كتابَ [ابنِ القاسمِ] من المُختلِطةِ . فقال لي : عَلَى أني لا أقولُ منه إلا بخَمس مسائلَ . (شكَّ سعيدٌ في ذلك) .

---

(١) بالأصل : « شبه » ؛ وهو محرف عنه أوعن : شابه .

الزَّوَاوِىّ

٣٢ وسمعتُ مَن يَذكُرُ — من شُيوخ سَحنون — : الزَّوَاوِىّ . ولم أقِفْ[1] — من مَعرفته — عَلَى مثالِ ذلك[2] . ثم قدَّمتُ اسمَه .

* * *

ابن أبى قَيزُون ؛ وسدورُ . وابنُ أختِ جامِعٍ

٣٣و٣٤و٣٥ وذَكَرَ لى لُقمانُ بن يوسُفَ : ابنَ قَيزُون، وسدورا، وابنَ أختِ جامعٍ : وأطْرَاهم. وذَكَرهم: بالعِلمِ الفائق ؛ فى حكايةٍ : قد نَصَصْتُها فى كتابِ (التَّعْرِيفِ) .

* * *

محمدُ بنُ زرْقُون بنِ أبى مَرْيَمَ

٣٦ ومِن مُقَدَّمِى رجالِ سَحْنونٍ : محمدُ بنُ زرْقُونِ بن أبى مَرْيَمَ .

كان : كاتباً لابنِ طالبٍ : إذ كان قاضياً .

وسمِعتُ أبا بكرِ بنَ اللَّبَّادِ : يُطْرِيهِ كثيراً ، ويَذكُرُ : أنه لم يكنْ فى شُيوخ سَحنونٍ ، آنَسُ : مجلساً منه .

* * *

٣٧ وكذلك ، رأيْتُ ولَدَه : أبا الحسنِ علىَّ بنَ محمدِ بنِ زرْقُونٍ : أنيسَ المَجلِس ، كثيرَ الحكاياتِ . وهو — فى ذلك — نَظيرٌ لعبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بنِ الحدَّادِ .

* * *

انتهَى الجزء بحمدِ اللهِ وعَوْنِه

يَتلُوه الطَّبَقَةُ الثَّانيةُ التى تَلِى هذه :

فى السِّنِّ والإدْراكِ

---

(١) بالأصل : « افق » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : زيادة كلمة بعد ذلك ، هى : « معرفتى » .

الجزء الثانى

من

علماء إفريقية

تأليف

محمد بن حارث بن أسد الخشنى

[بتجزئة الأصل]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللهُ على سيدنا ومولانا محمدٍ وآلهِ وصحبه . وسلم

الطَّبَقَةُ الثَّانِيةُ الَّتِي تَلِي هذه فِي :

السِّنِّ والإِرَادْكِ

* * *

أبو الأَسْوَدِ مُوسى بن عبدِ الرحمنِ القَطَّانْ

٣٨ مُوسى بنُ عبدِ الرحمن ، المَكِّيُّ : بأبي الأَسْوَدِ ؛ المعروفُ : بالقَطَّانِ . صَحِبَ محمدَ بن سَحنونٍ ، وسَمِعَ منه . وكان : يُحسِنُ المسائلَ والتَّكلُّمَ فى الرَّأْيِ : على مَذهبِ مالكٍ وأصحابِه .

ولاَّه إبراهيمُ بن أحمدَ ، قضاءَ اطرابلس : فبَغَى وآذَى ؛ وعَزَلَه وحَبَسَه . فكان مَحبوساً عندَه — فى الكَنيسةِ — دَهْراً ؛ ثم أطلَقَه .

* * *

أبو جَعْفَرٍ أحمدُ بن نصرٍ

٣٩ وأبو جَعْفَرٍ أحمدُ بنُ نَصْرٍ ؛ سَمِعَ من محمدِ بن سَحنونٍ ، ومن محمدِ بنِ عبدُوسٍ ، ومن يوسُفَ بنِ يَحيَى المَغامِيِّ . وكان : عالماً مُتقدِّماً : بأصولِ العلمِ ؛ حاذِقاً : بالمُناظَرةِ فيه ؛ مَليًّا : بالشَّاهدِ والنَّظائرِ فيه .

وكان : صحيحَ المَذهَبِ ، سَليمَ القَلبِ ؛ بَعيداً من أخلاقِ الناس ، فلا يَلتزِمُون : من أسبابِ التَّصَنُّعِ ، ووُجُوهِ التَّكلُّفِ : على مَعنى : التَّأَدُّبِ والتَّزَيُّنِ .

حضَرْتُه يوماً : ونحنُ عندَه وجماعةٌ — : من النَّاظِرِين فى المسائلِ ، والمُعْنِيِّين بالمناظرةِ . — حتى دخَلَ عليه محمدُ بن عبدِ اللهِ بنِ مَسَرَّةَ القُرطبيُّ ؛ فسَلَّ

وجَلَس جانباً ـ : وأنا لا أعرِفُه ، ولا أحدٌ من المَجلسِ . ـ فرأيْتُه : يُقَلِّبُ بَصَرَه فى وُجوهِ المُتكلِّمين ، ويُدِيلُ النَّظرَ فيما بيْنَهم : فِعْلَ مَن قد رسَخَ : فى الصَّنعةِ ؛ وعَرَف مانحنُ فيه . فلم أُشكَّ : أنَّه من أهلِ العِلمِ ؛ وما فَطِنَ بذلك منه ، غيرى وغيرُ فتًى ـ : من أصحابى . ـ يُعرَفُ : بربيعٍ القَطَّانِ .

وطالَ المَجلِسُ بنا : على تلك الحالِ ؛ حتَّى أظهرَ الشيخُ : التَّحرك ؛ وأَوْمَأ[1] : إلى القيام ؛ وتَدَاعَى أهلُ المجلسِ : إلى النُّهوضِ ، فكرِهتُ أنا : أنْ أقومَ ؛ حتى أعرِفَ آخراً : مَنِ الرجلُ الدَّاخِلُ علينا ؟ . فثَبَتُّ .

فلمَّا خَفَّ المجلسُ : تَحوَّلَ إليه أحمدُ بن نصرٍ ؛ فقال له ياشابُّ : جلَستَ منذُ اليومِ ؛ فهلْ مِن حاجةٍ تَذكُرُها ؟ .

فاندَفَع محمدُ بن مَسَرَّةَ ـ بكلامٍ : مَصنوعٍ ؛ إلاَّ أنه حَسَنٌ من الكلامِ جَيِّدٌ ـ يقال : أتيتُك : مُقتَبِساً من نُورِك ، ومُستَمِدًّا بعلمك إلى مايُشبِهُ هذا : من القولِ . وأتَى به : شَبيهاً بخُطبةٍ مُوجَزةٍ . ولا عَهدَ لأحمد بن نصرٍ ؛ بمَن يخاطبُه بهذا الضَّربِ : من الخِطابِ .

فجعَل الشيخُ : يَنظرُ إليه ، ويَفهَمُ عنه ؛ حتى أتَى ابنُ مَسَرَّةَ : عَلَى ما أَحَبَّ أنْ يَتكلَّمَ به ؛ ثم سكَتَ .

فكان جوابُ أحمدَ بنِ نَصرٍ له ـ فى ذلك كلِّه ـ : أنْ قال له : ياشابُّ ؛ هذه الصِّفةُ هى : فى القُبورِ ؛ رحِم اللهُ مَن كانتْ هذه صفتَه .

فوَضَع ابن مَسَرَّةَ يدَيْه : فى الأرض ؛ ثم قامَ وقُمنا بإثْرِه .

* * *

وكان : لا ينظرُ ، ولا يَتصَرَّفُ فى شىء : من العِلمِ ؛ غيرِ مذهبِ مالكٍ

---

(١) بالأصل : « وأومى » ؛ والأولى ماأثبتنا : إن لم يكن الصحيح . انظر : المختار .

ومسائله . فكان : إذا سكتَ عنها : لم يَبْلُغْ مَبْلَغَ الصَّوابِ فى شىء من أمرِه . وإذا تكلَّمَ فيها : كان عالماً فائقاً .

وكان قد تولّى الكتابةَ للقاضى : حَماس بنِ مَرْوانَ ؛ هو وسالمُ بنُ حَماس .

* * *

حَسنُ بن البَنَّاء

٤٠ ومن هذه الطبقةِ : حَسنُ بنُ البَنَّاء ؛ إلاَّ : أنَّه كان أفْخَمَ سُؤْدُدًا ، وأعظَمَ جاهاً .

وكان موتُه : فى صدْرِ دَولةِ عُبَيْدِ اللهِ .

كان : نبيلاً فاضلاً ؛ ولاَّهُ إبراهيمُ بنُ أحمدَ قضاءَ (قصطلية) ؛ فعَرَضَ له فيها مِثلُ الذى عَرَض لموسى القطَّانِ ، من أهلِ إطرابلس : سَعَوْا به ، وحَطَبوا فى حَبْلِه ؛ ورَفَعُوا عليه البَغْيَ عندَ إبراهيمَ : حتى عَثَرَ به ، وعَزَلَه : بعدَ أنْ كان له معَ جماعةٍ — : من وُجُوهِ البلدِ . — قِصَّةٌ عجيبةٌ .

وذلك : أنه قَدِمَ البريدُ إلى عاملِ (قصطلية) — : بعزْلِه وتَخْشيبِه ، ورفْعِه إلى حبْسِ رقادةَ . — فألْفَى العاملَ : غائباً ؛ وكاتبَه فى مكانِه : جالساً .

فقال الكاتبُ للبريدِ : ما الذى جئتَ به فى هذا الكتابِ ؟.

قال : بعزْلِ ابنِ البَنَّاء ، وتَخْشيبِه .

فأرسَلَ : بالبُشْرَى ؛ إلى القومِ : الذين كانوا لاحَوْهُ ، وبسببهم نزلتْ به النَّازلةُ . فأتَوْا سِراعاً إلى دارِ العاملِ : فاخْتَبَرُوا ذلك ؛ فصَحَّ عندَهم ما أتى به البريدُ : من عزْلِه ، وتخْشيبِه .

فاسْتَخَفَّهُم السُّرورُ بذلك ، إلى أن قالوا : نَسيرُ إلى مجلسِ قضائه : فنشتِمَه ونَتوَقَّعُه[1] ، ونَشْفى صُدورَنا منه .

---

(١) كذا بالأصل ؛ أى : نغتابه ونوجعه . انظر : المختار .

فأتَوْه فى مجلسِ حُكْمِه ـ : ولا عِلْمَ له بما أتى فيه من عندِ أميرِه . ـ فصَبُّوا عليه : من قَوارِعِ السَّبِّ ؛ ما أَحَبُّوا .

فلم يَشُكَّ الرجلُ : أنهم لم يَجْسُروا بذلك عليه ، إلاَّ : وقد أيقنوا بعَزْلِه . ونَظَر إلى نفسه ، فى مجلسِ قضائه : لم يُبَلَّغْ إليه العَزْلُ ؛ فقال : مَن ههنا من الأعوان ؟.

فابْتَدَرُوهُ ؛ فأمَرَ : بإمْساكِهم ؛ ثم أمَرَ بهم إلى العَمودِ : رَجُلاً رَجُلاً ؛ فضُرِب كلُّ واحدٍ منهما : ضرباً وجيعاً ؛ ونَكَّلَ بهم جميعاً . وأمرَ : بتَقْييدِهم فى الحديد ؛ وأوْدَعهم السِّجنَ . وساعَدَه القَدَرُ فيهم : فلم يَقدَمْ العاملُ حتى نَفَّذَ فيهم كلَّ ما أحَبَّ .

ثم أتى العاملُ بأثرِ ذلك : فأرسلَ فيه ، وأوْثَقَهُ ، وأرسلَه إلى رفادةَ .

فلمَّا قدِم رفادةَ : تولَّى مُناظَرَتَه ـ بينَ يدَىْ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ـ [أ] بنُ عَبدونٍ فأبانَ ابنُ البنَّاء عن نفسِه ، وكَشفَ عن السُّبَّةِ المَوْقوعةِ إليه عليه .

فرَفَع إبراهيمُ رأسَه ـ إلى بَلاغِ الفتَى ـ فقال له بالصَّقْلَبيَّةِ : إنى أرى هذا الرجلَ ، اسْتَحَقَّ : أنْ تُنزَعَ[1] قَلَنْسُوَةُ القاضى ، وتُجْعَلَ فى رأسه .

ثم بعدَ ذلك : ضَمَّه إبراهيمُ بنُ أحمدَ ، إلى كِتابةِ قاضيه : عيسى بنِ مِسكينٍ ؛ على الوَجهِ الذى ذكرْتُه ـ قبلَ هذا — : عندَ ذِكرِ عيسى بنِ مِسكينٍ[2] .

* * *

حَمْدُونٌ المعروفُ : بابنِ الطِّينةِ

ومن هذه الطَّبقةِ ، ثم رجالِ سَحنونٍ ـ :

٤١ حَمْدُونٌ ، المعروف : بابن الطينة ؛ ولَّوْه قضاء (طينةَ) ؛ وكان بها زماناً .

---

(١) بالأصل : « ينزع » بالياء . والظاهر أنه تصحيف .

(٢) انظر : ص ١٩٤

أبو العبّاس بن بطريقة

٤٢ وأبو العبّاس بنُ بَطْريقةَ ؛ كان أيضاً : من رجالِ سَحنونٍ ، ومَعدُوداً فى أصحابِه . ولّوه قضاءَ إطرابلس .

* * *

دُحمان بنُ مُعافَى

٤٣ ودُحمانُ بنُ مُعَافَى ؛ كان : شيخاً نبيلاً . عندَه علمٌ وحركةٌ ؛ من أصحاب سَحنونٍ . ماتَ : فى صدْرِ دولةِ عُبيدِ اللهِ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ ؛ المَعْرُوفُ : بابنِ العبّادِىِّ

٤٤ وممَّن صحِبَ ابنَ سحنونٍ : عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ ؛ المعروفُ : بابنِ العبّادِىِّ . كان : يَميلُ إلى النظَرِ ؛ وخَرَج عن إفْرِيقِيَّةَ ، ورَحَل إلى بَغدادَ : فظَهَر بها سُؤْدُدُه ، وعُرِف حقُّه .

وكان : قد أدْناه الوزيرُ من نفسِه ؛ فقلَّتْ دَخْلَةٌ كانتْ له ، إلاَّ به . وتوصَّل إليه إضمارُه[1] كُتُباً : من كُتُبِ أهلِ الحوائجِ .

قال لى أحمدُ بن زيادٍ : ودعاه الوزيرُ إلى إدخالِه على الخليفةِ : فاسْتَعْفَى من ذلك ؛ ونَدَبَه إلى الأرْتزاقِ : فلم يَقبَلْ ؛ وقال : أنا مُوَسَّعٌ علىَّ ؛ فما أصنَعُ بالرِّزق ؟ .

وحَكَى لى مِن خبرِه ، أحمدُ بن زيادٍ — وذلك : أنه كان بخَبرِه خبيراً ؛ لِصداقةٍ كانتْ بينَه وبينَه . — قال :

كان ببغدادَ رجلٌ يُعرَفُ : بالشّعيرىِّ ؛ وكان كثيراً ما يَتحكَّكُ بابنِ العبّادىِّ

---

(١) أى إخفاؤه . وفى الأصل : « إضماره كتب » إلخ . وهو تحريف .

فى المُناظَرةِ ؛ فيُعرِضُ عنه أبنُ العبادىِّ : مُستقِلاً له . فلم يَزلْ بذلك : حتى أجتَمع معَه فى مجلسِ مَحفْلِ جِنازةِ رجلٍ — : من وُجوهِ الناسِ . — فتعرَّضه الشعيرىُّ وتحكَّكَ به ؛ فانبَرَى له أبنُ العبَّادى ، وحَقَّق عليه المناظرةَ : ففَضَحه .

واتَّصَلَ بذلك قِصةٌ أخرى ؛ وذلك : أنه دَخَل أبنُ العبَّادىِّ عَلَى رجلٍ : من وُجوهِ التُّجارِ ؛ يَعودُه فى مرضِه . فقال الرجلُ المريضُ : وُصِفَ لى : أن آخُذَ التَّرَنْجُبِينَ .

فقال أبنُ العبَّادىِّ : أُعيذُك باللهِ ؛ إنه [أو] إنما هو الطَّلَنْجُبِينُ .

فحَقِد عليه ذلك الرجلُ ؛ ونَفَذ حِقْدُه إلى [أن] رَفَع عَلَى أبنِ العبَّادىِّ إلى الخليفةِ — وأعانَه عَلَى ذلك الشعيرىُّ — : أنْ قد وَجَد بيِّنةً — : من أهلِ القَيْرَوان . — تَشهَدُ[1] عَلَى عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ : بالتَّعطيلِ ، وأنه إنما خَرَج هارباً : إذْ نَزَل بالفَزَارى ما نَزَل .

فأخْرَج الخليفةُ البِطاقةَ إلى الوزيرِ ؛ فرَفَع[2] وقال : الرجلُ مَحسودٌ عَلَى ما أوتِىَ : من العلمِ والنَّباهةِ ؛ والذى يَدُلُّ على ذلك : أنَّ الشعيرىَّ ناظَرَه فى مَحْفِلٍ : فلم تَقُمْ له قائمةٌ معَه ؛ وهذا الرجلُ (فلانٌ التاجرُ) حَقَد عليه لوجهِ كذا .

قال له الخليفةُ : فما الرأىُ ؟ .

قال : إنَّ الذين أَلَبُّوا عليه الأذى ، ببابِك : يَنتَظِرون ما تأمُرُ به فيارُفِعإليك ؛ فلو أخرجْتَ إليهم مَن يَزجُرهم عنه ، ويُواعِدُهم فى ذلك — : كان وَجْهَ الرَّأى .

فخَرَج مِن لَدُن الخليفةِ هاتِفٌ ، فهتَف عَلَى بابِ القَصرِ : مَن تَكلَّمَ فى عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ القروىِّ — . بلَفظةٍ قبيحةٍ — : فجزاؤه خلْعُ اللِّسانِ .

---

(١) وردت هذه الكلمة بالأصل ، بعد كلمة : « بينة » .

(٢) أى أخبر الوزير الخليفة بحقيقة القصة ، وفى الأصل : «ورفع» ؛ وهو تصحيف .

أبنُ الرّخمةِ

٤٥ وممَّن صحِبَ أبنَ سَحنونٍ ، رجلٌ يعرفُ : بابن الرخمة . كان له قبله طلَبٌ ؛ وكان : يَميلُ إلى النظرِ . فكان أبنُ سَحنونٍ يَستثقِله : لذلك ؛ ولأنه كان يَختلِفُ إلى غيرِه : من أهلِ المناظرةِ .

ودارتْ عليه مِحْنةٌ في مجلسِ أبنِ سَحنونٍ : فانقبَض عنه .

* * *

أبو القاسمِ الطّوريُّ

٤٦ ومن أصحابِ أبن سَحنونٍ : أبو القاسمِ الطّوريُّ ؛ وُلِّيَ مَظالمَ القَيْرَوانِ : في آخرِ دَولةِ الأغالِبةِ . فكان : صارماً مُنَفِّذاً ، محموداً في أمورِه . أدركْتُه : وقد أزْمَنَ ؛ وقرأْنا عليه كثيراً : من كتُبِ أبنِ سَحنونٍ .

وكان ـ في حينِ نظرِه في المظالِمِ ـ : ظَريفاً مَليحاً ؛ كان : إذا وَجَب عَلَى الرجل السِّجنُ ـ وهو في الحينِ الذي يَجبُ عليه ذلك ـ : أستَصْحَبه ، وسأله : أليُبلوغَ معه في حاجةٍ ؛ وضاحَكَه ؛ ويأخُذُ به إلى طريقِ السجنِ . فإذا وَقَف به عَلَى السجنِ ، قال له : أصعَدْ ؛ وسننظُرُ في أمرِك . فكان : إذا نُظِرَ إليه يَقصِدُ السجنَ : فَزِع كلُّ مَن كان يَمشي معَه .

وأتَى يوماً : من الأيامِ ؛ برجلٍ : فيه حَرَكَةٌ وغَلَيانٌ ؛ لانقطاعٍ كان له إلى بعضِ الملوكِ . فقال له : أصعَدْ إلى السجنِ . فقال له : لا تَفعَلْ . فقال : قد فعلتُ .

فلمّا صار المسجونُ في رأسِ السُّلَّمِ ، قال لِصاحبِ المظالِمِ : ستَعرِفُ .

فأنزَله : فضَرَبه ؛ وقال له : تَظَلَّمْ الآنَ ، وهَدَّدَني تَهديداً كاملاً .

* * *

أبو محمد بن حكمون

٤٧ ومن أصحاب ابن سحنون : أبو محمد بن حكمون . كان : شيخاً فاضلاً ، دَيِّناً عاقلا ؛ وكانت له رِحْلة : سمع فيها من رجال المَشرِق ، وكان الغالبُ عليه : العبادةَ ، وسُكْنَى الرِّباط .

دخلتُ عليه سنةَ سبعٍ وثلاثِ مائةٍ ، فسألتُه : أنْ يُجيزَ لى كتبَه ؛ فأسْعَفنى بذلك ، وكَتَب لى الإجازةَ : بخَطِّ يدِه . ثم ماتَ (رحمه الله) من بعدُ . فلمَّا صرتُ إلى حالِ الضَّبطِ ، سألتُ ولَدَهُ : فاباحَ لى كتُبَه ؛ فانْتَخَبْتُ منها ما كان لى فيه — ذلك الوقتَ — حاجةٌ .

* * *

ابنُ أبى الوَليدِ الخَطيبُ

ومن أصحاب ابن سحنون : ابن أبى الوليدِ الخطيبُ .

٤٨ كان يخطُبُ على منبرِ القيْرَوانِ ، فيقولُ الناسُ : إنه لم يَرْقَ عَلَى أعْوادِه أخْطَبُ منه .

كان علمُه : علماً مُقدَّراً ؛ لم يكنْ بالذى لا يُعدِّلُه .

كان ابنُ طالبٍ يُحكى عنه : أنه قال : أهَمَّتْنى عِلَّةُ مسألةٍ ؛ فجعلتُ أسألُ عنها كلَّ مَن يَدْخُلُ إلىَّ — : ممَّن نَظَر فى العلمِ . — فلا أجِد فيها عند أحدٍ ما يُعجِبُنى .

(قال) : فدَخَلَ إلىَّ ابنُ أبى الوليدِ ، فسألتُه[1] عنها : فقال ؛ فأتانى فى ذلك بكلامٍ : كأنه النارُ . (قال) : فعَظُم فى عينى .

(قال) : ثم سألتُه بعدَ برهةٍ عن ذلك الشىء بعينِه — وقد حفِظْتُ كلامَه الأوَّلَ — (قال) : فما أتَى بطائلٍ . (قال) : فقلتُ : رَمْيةٌ من غيرِ رامٍ .

---

(١) بالأصل : « فسأله » ؛ وهو تحريف . وقوله : فقال ؛ معناه : فأجاب .

قال محمدٌ : ولَعَمْرِى ما أنصَفَ أبو العباسِ (رحمه الله) : لأنه ليس مِن صفة ابن آدمَ : أن يحفظَ كلَّ صوابٍ ينطِقُ به ، فلا يَنساهُ مِن بعدُ .

* * *

أبو سعيدٍ محمدُ بن محمدِ بن سَحنونٍ

٤٩ وأبو سعيدٍ محمدُ بن محمدِ بنِ سحنونٍ ؛ سَمِع من أبيه : فيما أظنُّ . وكان : منسوباً إلى العلمِ ؛ ولكنْ : غلَبتْ عليه العبادةُ . وكان : جَليلَ القدرِ بحديثه وقديمه .

* * *

أبو عُثمانَ الخَوْلانيُّ

٥٠ وأبو عثمانَ الخَوْلانيُّ ؛ ساكنُ المنستير للرِّباطِ . سَمِع : من ابنِ سَحنونٍ ، ومن أبي عِمرانَ المِقْدادِ ، ومن غيره : من شُيوخِ القَيْرَوانِ .

لَقِيتُه : سنةَ عشرٍ وثلاثِ مِائةٍ ؛ وكتَبْتُ عنه حديثاً كثيراً : في غيرِ ما فَنٍّ .

وقال لى : رأيتُ سَحنوناً جالساً فى مجلسِ قضائه : فى مسجدِ القَيْرَوانِ . ولكنْ : لم يَسْمع منه شيئاً .

وكان أبو عثمانَ هذا : قد عَمَّرَ ؛ قال لى — سنةَ عشرٍ وثلاثِ مائةٍ — : أنا ابن خمسٍ أو سبعٍ وتسعينَ . وخَرجتُ أنا من إفريقيَّةَ : وهى حىٌّ ؛ ولا أدرى : أىَّ سنةٍ ماتَ رحمه الله ؟ .

وكان : من أهلِ العبادةِ الدَّائمةِ والفَضلِ ؛ وكانتْ فيه غَفلةٌ[1] الشيوخِ . أشْخَصَه عُبيدُ اللهِ إلى نفسه وخاطَبَه ، ثم صَرَفه سالماً .

---

(١) بالأصل : « غلفة » ؛ ولعله مصحف عن ذلك ، أو عن : « عقلية » . إلا : إن ثبت أنه يستعمل بمعنى : عدم الوعى . فراجع المختار والمصباح : (غلف) .

* * *

أبو الغُصْنِ الغَرابيليُّ

٥١ قال محمدٌ : ومن أصحابِ ابنِ عبدُوسٍ : أبو الغصنِ الغَرابيليُّ .

كان : فقيه البَدَنِ ، عالماً مُحرِّراً .

قال لى عنه لُقمانُ بن يوسُفَ : إنه قال : أول ماابتدأْتُ بطلَبِ العلم : اختلفْتُ إلى محمد بن سحنونٍ ، وكتَبتُ مِن كتُبِه ، وأخذْتُ فى الدَّرسِ .

(قال) : فكنتُ آتيه : فأسألُه المسائلَ — : ممَّا ألَّف فى كتُبِه . — فكان : رُبما أجابنى من نظَرِه : بغيرِ الذى نَصَبَ فى كتُبِه ؛ فأقولُ له : فى كتابِك غيرُ هذا ؛ وكلامُك أحسنُ ممَّا فى كتابِك .

فلمَّا شَعَر بمثْلِ هذا : كان لا يُجيبُنى ، ويقولُ لى — إذا سألْتُه — : أرجِعْ إلى كتُبِك ، وانظُرْ ما فيها .

(قال) : فلمَّا رأيْتُ ذلك : انحرَفْتُ إلى عبدِ اللهِ بن سهلٍ ؛ فكنتُ معَه أياماً : حتَّى أُخرِجَ قاضياً إلى صِقِلِّيَةَ ؛ فمِلْتُ إلى محمدِ بن عبدوسٍ : فما مرَّت لى معه إلاَّ أشهرٌ يسيرةٌ : حتى بنْتُ عن جميع أصحابى : فى الفقهِ .

وكان أبو الغُصْنِ : فاضِلاً عابداً ، حَليماً مُتواضعاً ؛ حسنَ الأخلاقِ .

حَكى لى عنه غيرُ ما واحدٍ : قال : دخل أبو الغُصْنِ الغَرابيليُّ ، عَلَى محمدِ بن بِسْطامٍ — : يَعُودُه معجملةِ عُوّادٍ ؛ فلم يَرَهُ ابنُ بسطامٍ : لمَّا دَخَل . وكانتْ فى ابنِ بِسطامٍ : زَعارَةٌ[1] أخلاقٍ ؛ فجعَل يقول : أرأيتُم هذا العبدَ (يعنى : أبا الغصن) :

---

(١) أى : شراسة ؛ كما فى المختار .

كيف لم يَعُدْنى فى مرضى ؟ فقال له أبو الغصن : ها أنا ذا حاضِرٌ فى جِوارِك : يا سيدى يا أبا عبدِ اللهِ . فاستحيى ابنُ بِسطامٍ .

وكان أبو الغُصْنِ : لَقِىَ محمدَ بن عبدِ اللهِ بن عبدِ الحَكَمِ ، ومحمد بن إبراهيمَ المَوَّازَ ، وغيرَهما : من حُذَّاقِ الفُقهاء .

* * *

محمدُ بنُ بِسْطامٍ

٥٢ ومحمدُ بنُ بِسطام ؛ كانت له رحلةٌ ؛ وأدخَلَ القيْرَوانَ — : من فِقه رجالِ مالكٍ . — كُتُباً غريبةً ؛ مثل : كُتُبِ المُغيرةِ ، وكُتُبِ ابن كِنانةَ ، وكُتُبِ ابن دينارٍ . وكان : يُغرِبُ بمسائلِها عَلَى أصحابِه ؛ ولم يكنْ فقيهاً .

وكان : يَميلُ إلى مذهبِ ابنِ عَبدُوسٍ : فى الوَقفِ فى مسألةِ الإيمانِ[1] .

* * *

أبو جَعفرٍ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ زِيادٍ

٥٣ وأبو جَعفرٍ : أحمدُ بن أحمدَ بنِ زيادٍ ؛ كان مذهبُه : النظرَ ؛ وصَحِبَ محمدَ بن عَبدوسٍ ، وسمِعَ من محمد بن يحيى بن سلام : تفسيرَ القرآنِ ؛ فكان فيه غالياً . وسمِعَ من ابن تميمٍ القفصىِّ ، كُتُبَ أنسِ بن عَياضٍ وكان فيها (أيضاً) غالياً .

وكان : يَكتُبُ لعيسى بنِ مِسكينٍ ، السِّجِلاَّتِ والأحكامَ . وله فى الوِثاقِ والشُّروطِ عشْرةُ أجزاءٍ ؛ وله كتب : فى أحكام القرآنِ ؛ وله كتابٌ حسنٌ : فى مَواقيتِ الصلاةِ .

وكان : بَصيراً باللُّغةِ ؛ وكان : بليغَ القلمِ .

---

(١) انظر ص ٢٩٦ .

وكان : من ذَوِى الجاهِ ، ومن ذَوِى المُروءاتِ الكاملةِ ، ومن أهلِ النِّعمِ فى مَنْشإه .

ثم : امْتُحِن فى آخرِ عُمرِه : بمَغارِمِ السُّلطانِ الحادثةِ عَلَى أهلِ الضِّياعِ ؛ فانْكَشَفَ ، وأكَبَّ عليه الغُرمُ والإقْلالُ ؛ وتَكامَلَتْ عليه — مع ذلك — المَغارِمُ .

فلَجأ بنفْسِه إلى محمدِ بن أحمدَ البغدادىِّ : مُتَوسِّلا به إلى عُبيدِ اللهِ ، يسأَلُه : التَّخْفيفَ بأىِّ وَجْهٍ رآه .

فأعظَمَ البغدادىُّ قصْدَه ، وهَشَّ إلى حاجتِه ؛ وقال : إنَّ هذه المَغارِمَ لم يَفتح السلطانُ قطُّ فيها باباً — : من التَّخفيفِ . — لولدٍ : من أولادِه ؛ ولا لقائدٍ : من قُوَّادِه . ولكنْ نَسأَلُه لك صِلةً : تَستعينُ بها عَلَى دهرِك . ولكنْ : كَمْ تُحِبُّ أنْ نَسأَلَه لك : من المالِ ؟ .

فقال له أحمدُ بن زِيادٍ : تسأَلُه عِدَّةَ ما علىَّ : من المَغْرَمِ ؛ فحَسْبى : أن آخُذَها منه ، ثم أخرُجَ من فَوْرِى بها : فأُرِيَها لصاحبِ الدِّيوانِ ، وأتفرجَ من المَغْرَمِ وتَخلُصَ لى غَلَّةُ عامِى : من الزَّيْتونِ .

(قال لى أحمدُ بن زِيادٍ) : فقال لى البغدادىُّ : وكَمْ عِدَّةُ ذلك ؟ .

فقلت[1] : ستون مثقالاً .

(قال) : فقال لى : دَعْنى أسأَلُه لك فى ثلاثِ مائةِ مثقالٍ : فتَغْرَمَ منها ما عليك ، وتَستعينَ بها على دهرِك .

(قال) : فأبيْتُ عليه الزِّيادةَ على المَغْرَمِ .

(قال) : فقال : اُكتُبْ كتابَك ، وسَلْ جَعفراً الحاجبَ : رَفْعَه إلى السُّلطانِ بحَضْرَتى .

---

(١) هذا هو الظاهر . وفى الأصل : « فقال » . ولعله مصحف .

(قال) : ففعلتُ .

(قال) : فسأل عُبيدُ اللهِ : عن اسمِه وحالِه وقَدْرِه : فتولَّى البغداذىُّ الكلامَ : فأثْنَى ووَصَفَ : ثم ختَمَ له القولَ بأنْ قال : ومِثْلُه لا يقصدُ مِثْلَك : ويَنصرِفُ خائباً .

فقال : وما مِقدارُ ما يحتاجُ إليه ؟ .

فقال له البغداذىُّ : ستُّونَ مِثْقالاً .

فأمَرَ بها : فوُزِنَتْ له ؛ وخَرَج بها جعفرٌ الحاجبُ إليه : فقَبَضها : وخَرج : فوَزَنها فى الدِّيوانِ ؛ وانْصَرفَ فارِغَ اليَدَيْنِ من مالِه، واقْتَصَر على غَلّةِ عامِه .

تُوُفِّىَ : سنةَ ثمانَ عشْرَةَ وثلاثِ مائةٍ

* * *

أبو عبدِ اللهِ الأبْزارِىُّ ، المعروفُ : بالضَّرِيرِ

٥٤ وأبو عبدِ اللهِ الأبْزارِىُّ ، المعروفُ : بالضَّرِيرِ . كان به طَرَفٌ : من جُذَام .

سمِعتُ الشُّيوخَ يَصِفُونه : بالحِفظِ ، وحُسنِ القَريحةِ ، وكَمالِ العنايةِ .

وكان قديمَ الموتِ ، لم : أُدرِكْه . كان مَعدوداً : فى طَبَقةِ الحُفّاظِ بالمسائلِ .

* * *

أبو بكرٍ محمدُ بن محمدٍ الطَّمارُ

٥٥ ومن أصحابِ يَحيى بنِ عُمَرَ : أبو بكرٍ محمدُ بنُ محمدٍ الطَّمارُ . سمع من يحيى ، ومن جميعِ الشيوخِ : الذين كانوا فى عَصرِه .

لم تكنْ عندَه : رِحلةٌ ولا حجٌّ : عندَه حِفظٌ وجَمعٌ كثيرٌ للكتبِ . ويَغلِبُ عَلَى أخلاقِه : الغِلْظةُ ، والقَطَاظةُ ، وشدّةُ الحرجِ .

وهو ـ اليومَ ـ مُنتَصِبٌ للسَّمَاعِ : يقرأ عليه أهلُ الطَّلَبِ . وكان مُتَوَانِياً لِكتابة ابنِ الخَشَّاب : إذ كان على مظالمِ القَيْرَوانِ .

* * *

أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ القَصْرِيُّ

٥٦ وأبو جَعفرٍ : أحمدُ بنُ محمد بنِ عبدِ الرحمنِ القَصْرِيُّ ؛ نُسِبَ إلى : « القَصْرِ القَديمِ » وهو : قصرُ ابنِ الأغْلبِ الذى كان دارَ مُلكِهم : بيْنَ يدَىْ حاضِرةِ القَيْرَوانِ ، من جِهةِ قِبْلتِها ، عَلَى مَسيرةِ مِيلَيْنِ . سَكنه الناس والعَوامُّ : بعدَ انتقالِ بنى الأغلبِ عنه .

سمع : من يحيى بنِ عُمَرَ ، ومن المغامِى ، ومن سُليمانَ بن سالمٍ ، ومن عبدِ الله ابنِ أحمد بن طالبٍ ، ومن أحمدَ بن يزيد ، ومن كل مَن عندَه عِلْمٌ .

وكان جَمَّاعاً ، كثيرَ الكُتُبِ ؛ يَميلُ إلى علمِ الحديثِ . ولم يكنْ عندَه حفظٌ ، ولا قَريحةٌ . وسمِعْنا منه غيرَ ماشىء : من صنوف العِلْمِ .

* * *

لُقمانُ بنُ يوسفَ

٥٧ ولُقمانُ بنُ يوسفَ ؛ لَقِيتُه بتُونُسَ . كان : حافِظاً لمذهبِ[1] مالكٍ ، حَسَنَ القَريحةِ فيه .

سمع : من يَحيى بن عمر، ومن عيسى بن مِسكين ، ومن غيرهما : من أهلِ القَيْرَوانِ . ورَحَل حاجًّا : فسمِع بمصرَ حديثاً كثيراً ؛ وسكَنَ جزيرة صِقِلِّيَةَ أعواماً .

وكان : عالماً باللُّغةِ وبَصيراً بالحديث ، وعارفاً بالرِّجالِ . وكان : يميلُ إلى معنى ابنِ عبدوسٍ : فى فِقهِه فى مسألةِ الإيمانِ ؛ وفى جميعِ مَعانِيه[2] .

تُوُفِّىَ : سنةَ تسعَ عشرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

---

(١) بالأصل : « بمذهب » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه . (٢) انظر ص ٢٠٦ .

وكان : من آنَس ٱلناسِ : مَجلِساً ؛ وأغْزَرِهم : حديثاً وخَبراً ؛ وأعرَفِهم : بأخبارِ ٱلقَيْرَوانِ ، وأخبارِ شُيوخِها .

* * *

أحمدُ بنُ موسَى ٱلتَّمَّارُ

٥٨ وأحمدُ بن موسَى ٱلتَّمَّارُ ؛ سمِع من يَحيى بنِ عُمَر : علْماً كثيراً ؛ وواظَبَ عَلَى سَعيد بن الحدَّادِ : فغَلَبَتْ عليه مَعانِيه .

يَتكلَّمُ : فى ٱلفقهِ والمسائِل ، وفى ٱلنظَرِ واخْتلافِ ٱلناسِ ، ويُعْنَى : بالمُناظَرةِ والجَدَلِ ؛ ويَتكلَّمُ : فى اللُّغةِ .

وهو ـ فى الجُمْلةِ ـ : كثيرُ ٱلتَّصَرُّفِ ، جَميلُ الأدبِ ، كَريمُ ٱلمُروءةِ ، كامِلُ الأخلاقِ ، كثيرُ الأخبارِ والحِكاياتِ .

* * *

ٱبنُ أبى حَفْصٍ

٥٩ وابن أبى حَفْصٍ ؛ أراهُ المكَنَّى : بأبى إسحاقَ . سمِعَ : من يَحيى بنِ عُمَر ، ومن غيرِه . وكان : جَيِّدَ العقل ، حَسَنَ ٱلحِكاياتِ ؛ يَميلُ : إلى النظَرِ .

حَكَى لى عنه بعضُ إخْوانى ـ ولم أسمَعْه منه ـ : أنه أتاه ٱبنُ الأشَجِّ : فى كتابٍ يَستَعيرُه منه ؛ فقال له ٱبنُ أبى حَفصٍ : علىَّ فيه يَمينٌ : أن لا أُعيرَه .

فقال له : تُكَفِّرُ عن يَمينِك .

فقال له : هى من ٱلأيمانِ : التى لا تُكفَّرُ .

قال له : وما ٱليَمينُ ؟ .

قال : المشىُ إلى مكةَ[1] .

(١) راجع فى هذا البحث : آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى (ص ٣٠٠) .

قال له ابنُ الأشجِّ : فإن عائشةَ تذهبُ في المشي : إلى كفَّارةِ اليمينِ ؛ وقد قال النبيُّ [صلى الله عليه وآله وسلم] : خذوا ثلثَ دينكم عن عائشةَ .

قال له ابنُ أبي حفصٍ : فقولها في المشي ، من الثلثينِ الذينِ لم تؤمرْ : بأخذهما عنها .

وختم له ـ في آخرِ عمره ـ : بالشَّهادةِ ؛ وذلك : أنه كان مَليًّا كثيرَ الناضِّ ؛ وكان مُفرداً وَحيداً ؛ ولم تكن معه ـ في داره ـ غيرَ جاريةٍ له ؛ فنزلَ عليه في الليلِ : من ذبحه ، وذبح جاريته ؛ وأخذَ جميعَ المالِ .

* * *

أحمدُ بن يزيدَ

٦٠ وأحمدُ بن يزيدَ سمع : من موسى بن معاويةَ الصمادحيِّ ، ومن غيره : من رجالِ القيروانِ .

حدثنا عنه أحمدُ بن عبدِ اللهِ القصريُّ ، وغيرُه : من الشيوخ . وكان : تغلبُ عليه الروايةُ والتقييدُ ؛ لم أعلمْ : أنه نُسبَ إليه علمُ فقهٍ .

* * *

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن أبي زاهرٍ

٦١ وأبو عبدِ اللهِ محمدبن أبي زاهرٍ : أدركْتُه : شيخاً كبيراً . سمع : من شيوخ القيروانِ ؛ وحجَّ : فلقي محمدَ بن عبدِ اللهِ بن عبدِ الحكمِ : وسمع منه .

* * *

أبو العربِ محمدُ بنُ أحمد بنِ تميمٍ

٦٢ وأبو العربِ : محمدُ بن أحمدَ بن تميمٍ : مؤلفُ كتابِ طبقاتِ رجالِ إفريقيَّة .

سَمِعَ من جماعةٍ : من شُيوخ سَحنونٍ ؛ تَغلِبُ عليه الرِّوايةُ والجَمعُ ؛ ولم أحِسَّ[1] عنده : علْماً ، ولا فقهاً .

* * *

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بن أبي المَنظورِ الأندلسيُّ

٦٣ وأبو عبدِ اللهِ : محمدُ بن أبي المَنظورِ الأندلسيُّ ؛ هو : ساكِنُ موطنِ بالقَيْرَوانِ .

عندَه : روايةٌ وإدْراكٌ ؛ لَقِيَ الدبَرِيَّ بصَنْعاءَ ، وسَمِعَ منه : كتابَ عبدِ الرزَّاقِ : فى اخْتِلافِ الناسِ فى الفقهِ ؛ وكَتَبَ علماً كثيراً .

تَحلَّى : بالتَّجْرِ ؛ وأغْلق عن نفسِه بابَ : العلمِ والسَّماعِ ؛ واعْتَذَرَ : بأنه[2] لَزِمَتْه يَمينٌ غَايظةٌ : أن لا يُسمِع أحداً : من أهلِ القَيْرَوانِ . فرُبَّما أتاهُ الرجلُ الغريبُ : فيُسمِعه .

* * *

أبو عليٍّ المَنصوريُّ ، المعروفُ بالسِّيرافيِّ

٦٤ ومن الغُرَباءِ الطُّرَّاءِ : أبو عليٍّ المَنصوريُّ المعروف : بالسِّيرافيِّ .

كانت عندَه : روايةٌ وكتبٌ سَمِعَها .

وكان : يَغلِبُ عليه التَّجْرُ ؛ ومات بالقَيْرَوان : فدارتْ على كلِّ مَن كان يُعامِلُه فى حياتِه ، دائرةٌ : بعدَ موته . وذلك : أنه كَتَبَ بخطِّ يده ـ على قومٍ ـ : ما بايَعَهم به ؛ ولم يَكْتُبْ الاقْتِضاء . فغَرِمَ الشِّيعيُّ الناس : تلك الأموالَ : ثانيةً .

* * *

---

(١) بالأصل : « احسن » ؛ وهو تصحيف .

(٢) بالأصل : « لأنه » ؛ ولعله تصحيف .

مالِكُ بنُ عيسَى ٱلقَفصِيُّ

٦٥ ومالِكُ بن عيسى ٱلقَفصِيُّ ؛ كانتْ له رِحْلةٌ : فى طَلَبِ ٱلحديثِ ؛ وكان : به بَصيراً ، وفى علمِه نافذاً . وأخَذَ منه جَماعةٌ : من الناس .

وامتحنَه عُبيدُ ٱللهِ الشِّيعىُّ : بصُحْبَتِه . وبتَعديلِ ٱلأرضِ له ؛ لِتَوظيفِ ٱلخَراجِ ، ٱلذى يُسمِّيه : ٱلمُقَسِّطَ .

وسمِعتُ مَن يقولُ : إنَّه لو عاشَ قليلاً ، وامتدَّ به العُمرُ — : لَغَلَبَ على أهلِ ٱلقَيْروان ، علمُ ٱلحديث .

قال لى لُقمانُ : أتاه أبو ٱلعبَّاسِ بنُ ٱلبَيَّانىِّ — وكان أبو العباسِ هذا : من أصحابِ لُقمانَ . — فقال له : حدِّثْنى ؛ ولا تُحدِّثْنى إلاَّ : بما يُوافقُ مَذهبى .

فعَطَفَ مالكُ بن عيسى ، عَلَى الناسِ — فقال لهم : هذا رجلٌ : لا يُحبُّ أنْ يكونَ عالمًا .

وقال سعيدُ بن ٱلخَرَّاطِ : أخْرجْتُ مالكاً يوماً من الحديثِ ، إلى غيرِه ؛ فكأنِّى أجُرُّ ثَوْراً .

وكان سَعيدٌ يقولُ : لوعلمتُ أنَّ يَقظَةَ مالكِ بن عيسى ، أنْبَهُ من نَوْمى — : لأزْرَيْتُ عَلَى نفسى .

* * *

أبو سَعيدٍ المعروفُ بالوَكيلِ

٦٦ وأبو سَعيدٍ ٱلمعروفُ : بالوَكيلِ ؛ ٱبنُ أختِ يزيد بن سِنانٍ . كان : من أهل العِنايةِ بالحديثِ ؛ كان : يَحفظُ أربعةَ آلافِ حديثٍ ظاهراً .

وكان : من ذَوِى الأموالِ الوافِرةِ ؛ ماتَ : فى صَدْرِ دَولةِ عُبيدِ الله ؛ فلمَّا ماتَ : نَزَلَ أبو معلمٍ الكتامىُّ ، وابنُ أبى خنزيرٍ ، وأبو زيدٍ ٱلباهِرىُّ — :

على داره ؛ فأخذوا من داره : أربعينَ ألفَ مثقالٍ سوى البَزِّ والجوهرِ ؛ وضَرَبوا ابنَه بالسِّياطِ .

وهو : عبدُ الرحمن بنُ عُبيدِ بن أحمد بنِ الحَكَمِ بن عيسى بنِ عبَّادٍ البَصْرِيُّ، وابنُه أبو محمدٍ الحسنُ : كان من أهلِ الأدبِ .

* * *

أبو بكرٍ ، المعروفُ بالوَكيلِ

٦٧ وأبو بكرٍ المعروفُ : بالوَكيلِ ؛ كان سكْناه ؛ في سِماطِ العطّارينَ بالقَيْرَوان، جِوارَ دارِ أبي سعيدٍ الوَكيلِ .

سمِعتُ مَن نَسَبَ إليه : طلَبًا للعلمِ ، وعِنايةً بالحديثِ . ولستُ أعرفُ منه غيرَ ذلك .

* * *

أبو حبيبٍ نَصْرٌ التُّسوريُّ

٦٨ وأبو حبيبٍ نَصْرٌ التُّسوريُّ ؛ سمِع من غيرِ واحدٍ : من أهلِ العلْمِ بالقيروانِ؛ وهو — اليومَ — : يَقرأُ عليه بعضُ الناسِ .

أبو جَعفرِ بنُ خَيْرونٍ

٦٩ وأبو جَعفرِ بنُ خَيْرونٍ ؛ كان له طلبٌ وعِنايةٌ ورِحلةٌ ؛ وأدخَلَ بعضَ كتُبِ داودَ القَيْرَوانَ .

بلغَنِي : أنَّه كان ألَّفَ لعُبيدِ اللهِ كتابَ نَسَبِ الشِّيعةِ وأخبارِهم .

وكان : مرَشَّحًا للقضاءِ ؛ وكان محمدُ بن عُمَرَ المَرْوَذِيُّ — فيما قيلَ لي — : بَغَّضَ به ؛ وهو الذي سعَى به : حتى قُتِلَ ابنُ خَيْرونٍ .

* * *

الكَبْش

٧٠ وكان بالقَيْرَوان رجلٌ يُعرَفُ : بالكَبْشِ وكان له طلَبٌ : وهو كان القارئَ عَلَى يَحيَى بنِ عُمَر : كان يَجلسُ فى الجامعِ على كُرْسيٍّ ، ويَقرأُ للناسِ : عَلَى يَحيَى بن عُمَر .

دخَلَ على إبراهيمَ بنِ أحمدَ ، فقال له : ممَّن أنتَ ؟ قال : من قَيْسٍ .

قال : ممَّن مِن قيسٍ ؟ قال : لا أدرى .

قال : أنتَ أوْلَى أنْ يقالَ فيك : التَّيْسُ ؛ من أن يُقال فيك : الكَبْشُ .

* * *

إبرْهيمُ بنُ الخَشَّاب

٧١ و إبراهيمُ بن الخَشَّاب ؛ وَلِىَ المظالمَ لابنِ طالبٍ ، ثم وَلِيَها لابنِ مِسْكينٍ : ثم ولاَّه زِيادةُ اللهِ القضاءَ ، ولم يعزِلْه حتى هَرَب .

لم يكنْ عندَه علمٌ ولاحِفظٌ ؛ ولكن كان : ممَّن أظهرَه الجدُّ ، وأقامَتْه العِنايةُ.

حَكى لى عنه بعضُ إخوانى ؛ قال : سمِعتُه يقولُ :

« يَخطُبُ ناسٌ القضاءَ : بتَحْسينِ أبْوابِهم ، وتَهْيِئَةِ سقائفِهم ؛ وأنا بابِى صغيرٌ ، وجِدارِى طوبٌ : وقد عَفَفْتُ فى القضاءِ . ! » .

وقال لى بعضُ الفقهاء : عُذِنَ أبنُ طالبٍ فى تَقديمِ ابن الخَشَّاب : على أنه لاعلْمَ عندَه ؛ وتَرْكِ أهلِ الفَهْمِ : على كَثْرَتِهم بالقَيْرَوان .

فقال : إنَّ أهـــل الفهم قائمون بأنفسِهم ؛ وأردتُ : أنْ أُنْهِضَ من لا فَهْمَ عندَه ، ولا علْمَ :

* * *

ابنُ أبي سَمْحانَ

٧٢ وابنُ أبي سَمْحَانَ ؛ كان : قد وَلِيَ قضاءَ بعض الكُورِ ؛ وكان : نَظيرَ ابنِ الخَشّابِ في جميعِ مَعانيه .

حَكَى لي حاكٍ : أنه قال رجلٌ لِسعيدِ بن الحدّادِ : يا أباعُثمانَ ؛ مَنْ أعلمُ : ابن الخشّابِ ؟ أو ابنُ سَمْحانَ ؟ .

فقال : إنْ سألتَني : أيُّهما أغْرَقُ في الجَهلِ ؟ أنبأْتُك ؛ وأمّا أعلمُ[1] : فما علِمْتُه .

* * *

عبدُ اللهِ بن مَسْرورٍ ، المعروفُ بابن الحَجّامِ

٧٣ وعبدُ اللهِ بنُ مَسْرورٍ ، المعروفُ : بابنِ الحجّامِ ؛ سَمِع : من عيسَى بنِ مِسكينٍ ، ومن يَحيَى بنِ عُمَرَ — فيما أُرَى — ومن غيرِهما : من شيوخِ القَيْرَوانِ . يَغلِبُ عليه الجَمعُ والتَّقْييدُ ، وإسماعُ ما رَوَى : من الكُتُبِ . وما علِمتُ له حظًّا : في فِقهٍ ؛ ولا يَقطَعُ في كلامٍ : وهو اليومَ : يُقْرَأُ[2] عليه كُتُبُه .

* * *

أبو محمدٍ الغَنَميُّ

٧٤ وأبو محمدٍ الغَنَميُّ ؛ شيخٌ فاضلٌ : من أهلِ الصيامِ والقِيامِ والعبادةِ .

كان : يَتكلَّمُ في المُدَوَّنةِ ، وفي كتابِ أشْهبَ ، وفي كتابِ عبدِ المَلِكِ .

وكان : جَيِّدَ العقلِ ، كثيرَ الإنْصافِ ، طَويلَ الصَّمتِ . شَهِدتُه يوماً — من الأيامِ — عندَ أحمدَ بنِ نَصْرٍ : وقد كَثُرَ كلامُنا ، وطالَ مَجلسُنا : فرَمَى ابنُ نَصْرٍ بأصلٍ : من أصولِ العلمِ ؛ فنَظَرَ إليَّ أبو محمدٍ الغَنميُّ ، فقال لي : لم أسمَعْ في هذا المجلسِ — اليومَ — غيرَ هذا الأصلِ الذي رَمَى به .

---

(١) بالأصل : « علم » ؛ ولعل النقص من الناسخ أو الطابع .

(٢) بالأصل : « يقرى » ؛ وهو تصحيف . انظر بتأمل : المختار والمصباح .

وكان يَلْزَمُ حانوتاً يَبيعُ فيه الفُخارَ — بالقَيْروانِ — : فى سُوقِ الأحدِ .
ومات فَجْأةً : فى سنةِ ستَّ عشْرةَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

محمدُ بنُ مَسْرُورٍ النَّجَّارُ

٧٥ ومحمدُ بنُ مَسْرُورٍ النَّجارُ ؛ لم يكنْ مذهبُه جَمعَ كتُبٍ ، ولا سماعاً[1] من شيخٍ ؛ وإنَّما كان مذهبُه : الدَّرسَ ، والحِفظَ ، والمُناظَرةَ .
وكان : حَسَنَ القَريحةِ ، فَقيهَ البَدنِ . وكان : شـــيخاً مُسِنًّا ؛ إلاَّ أنه كان صاحِبَنا وجَليسَنا : فى كلِّ مَجلسٍ ، وفى كلِّ مُجتَمَعٍ .
ماتَ بتُونُسَ : سنةَ ثمانٍ وعشرينَ [وثلاثِ مِائةٍ] .

* * *

قال محمدٌ : قد أتَيْتُ — : من ذِكْرِ المتقدِّمين الذين لم أُدْرِكْهم . — ما حَضَرنى حِفظُه ؛ ووَصفْتُ الذين صَحِبتُ منهم : بمقدارِ الطَّاقةِ ، ومُنتَهَى العِلْمِ .
ولم يَبْقَ — بعدَ ذلك — إلاَّ : الذين أسْنانُهم كسِنِّى ، أو فَوْيْقَ ذلك بيسيرٍ .

* * *

ســـالمُ بنُ حَماسٍ

٧٦ (منهم) : سالِمُ بنُ حَماسِ بنِ مَرْوانَ ؛ عُنِىَ : بالمسائل وسمِعَ من أبيه ؛ وكان يكتُبُ له : إذ كان قاضياً ؛ معَ أحمدَ بنِ نَصرٍ .

---

(١) بالأصل : «سماع» ؛ ولعله مصحف ، أو تكون «من» زائدة . فتأمل .

وهو : مَغْمُورٌ مَجْهُولٌ ؛ بما يَدُورُ عليه : من مغارم السلطان : فى وظائف البادية .

* * *

حَمُّودُ بنُ حماس

٧٧ وأخوه : حَمُّودُ بن حماسٍ ؛ شأنه : النسكُ والتقشُّفُ ، لم يُعْنَ بعلم ولا فقه : فيما علمتُ .

* * *

عبدُ اللهِ البرْقىّ

٧٨ وعبدُ اللهِ البَرْقىّ ؛ كان فتًى متحرِّكاً : فى الفقه والأدبِ ؛ مُواظِبًا : على صُحبةِ أحمدَ بنِ نَصرٍ ، ومَن ذكرْتُه : ممَّنْ تقدَّمتْ صُحبتى له .

وغَلَبَ عليه ـ فى آخرةِ عمرِه ـ : الوَرَعُ والفضلُ ؛ وخَرَجَ : مُرابطًا : فمات بسُوسةَ : من رَعْدةٍ سمعها ؛ وكان قد أُغْمِىَ فى حينِ الرَّعْدةِ : بعدَ دُعاءٍ شَديدٍ ، وتَضَرُّعٍ عَظيمٍ ؛ فكان قَلبُه : قد أُشْرِبَ الخوفَ : فلمَّا فَجَأَه الرَّعدُ القاصفُ : ذَهبتْ نفْسُه .

كان فى حينِ موتِه : من أبناء الأربعينَ ؛ تُوُفِّىَ : سنةَ عشْرٍ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

محمدُ بنُ عبَّاسٍ النَّحَّاسُ

٧٩ ومحمدُ بن عبَّاسٍ النَّحاسُ ؛ كان مَذهبُه : المسائلَ والفقهَ خاصَّةً . وكان كثيرَ الحكايةِ عن سعيدِ بن محمد بن الحدَّادِ : لأنه كان له جارًا . وكان يُجالسُنا : عند جميعِ الشُّيوخِ .

تُوُفِّىَ : سنةَ خمسٍ وعشرينَ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

عَبَّاس بن عيسَى ، المَعروف : بالمِسْمِسى

٨٠ وعبّاس بن عيسَى ، المعروف : بالمسمسى : سَمِع : من موسى القَطّان ، ومن غيره .

يَتكلّم فى المسائل : كلاما حسَناً ؛ ويَفهَم علْمَ الوثائق : علْماً جَيّداً ؛ ويُناظِر مُناظَرَة : لا بأسَ بها فى الجدَلِ ، وفى مذاهبِ أهلِ النظَرِ .

وحَجّ : سنةَ ثمانَ عشْرةَ وثلاثِ مِائة .

وأظْهَرَ — بعدَ ذلك — : الانقِباضَ والتَّنَسُّكَ ؛ ويَغْلِبُ عليه : البُكاء والانتِحاب[1] .

والناسُ فيه فِرْقتان : (فِرْقة) : تَبْرَأُ منه وتَشْنَعُه[2] ، وتَمْقُتُ أخلاقَه . و (فِرْقة) : تُحِبُّه وتُوالِيه ، وتَذُبُّ عنه .

* * *

رَبيع بن سُليمان القطّان

٨١ ورَبيع بن سُليمان القطّان : كان صاحِبى : فى كلّ مَجلسٍ [حَضَرْتُ] : ومُساعِدى : فى كلّ عِلْمٍ طَلَبْتُ . وديوانٍ دَرَسْتُ .

حَجّ : سنةَ أربعٍ وعشرينَ ؛ وانْحَرَفَ عن كلّ ما كان عليه ، وذَهَب إلى العِلمِ الباطِنِ ؛ ووَالَى أهلَ ذلك الفَنّ ، وصار داعِيَةً إليه .

فقيل لى ، وكُتِبَ إلىّ : إنه نَفَعَ اللهُ به خَلْقاً كثيراً .

ويكاتِبُنى إلى الأندلُسِ كثيراً ، يَدعُونى : إلى البَوَاء[3] من الدنيا ، والتَّخَلّى منها ؛ والإجابةِ لله فى كلّ ما دعا إليه : من الزُّهدةِ فى الدنيا .

* * *

---

(١) بالأصل : « والانتحاء » : وهو تصحيف . (٢) أى : تشنع عليه .

(٣) يعنى : الرجوع عنها . والبعد عن ملذاتها وشهواتها .

أبو بكرٍ الكتّانيّ

٨٢ وفتًى كان يُعرَفُ بكُنْيتِه : بأبي بكرٍ الكتّانيّ : صَحِبَ موسى القطّان ، وسَمِعَ : منه ومن غيرِه . وكان يتكلّمُ في المسائلِ : كلاماً صالحاً .

حَجَّ : سنةَ سبعٍ وعشرينَ : ثم ماتَ في رجوعِه : بالحَوْراء : وسِنُّه نحوُ الخمسِ وأربعينَ .

***

قال محمدٌ : قد أتيتُ على ذِكْرِ كلِّ مَن عَرَفْتُه حيّاً وميتاً — ممّنْ أدرَكْتُ ، وممّن لم أُدرِكْ — : مِن طَبَقةِ المَدَنيّينَ خاصّةً .

ولم يَبْقَ إلاّ : مَن سَقَطَ عن حِفْظي : أو : مَن لم يَبْلُغْ مَبْلَغَ الظُّهورِ : من الأمْواتِ ؛ ولا مَبْلَغَ الرَّجاءِ : من الأحياءِ : أوْ : مَن قَعَدَ به السِّنُّ والخمولُ : من الأحداثِ .

وأنا أذكُرُ — بعدَ هذا — رجالَ العِراقيّينَ ، وأهلَ النظَرِ : من الشّافِعيّينَ وغيرِهم .

بابُ ذِكرِ الرِّجالِ العراقيِّين

سُليمانُ بنُ عِمرانَ ، المُلَقَّبُ : خروفة

٨٣ قال محمد : كان سُليمانُ بنُ عِمرانَ ، المُلَقَّبُ : « خَرُوفةَ » ، (وإنما لُقِّبَ خَرُوفةَ : لأنه كان لا يَلقى أسدَ بنَ الفُرَاتِ فى موضعٍ ، إلاَّ : ويُلْقَى أسَدٌ ماشِياً وراءه . فشُبِّهَ اتِّباعُه له : باتِّباعِ الخَرُوفِ لأمِّه ؛ فشُبِّه بذلك) : تَوَلَّى الكِتابةَ لسَحنونٍ : إذ وُلِىَ القضاء ؛ ثم أخرَجَه قاضياً إلى مدينةِ : « باجةَ » .

قال محمدٌ : قال أبو بكرِ بن اللَّبَّادِ : قال لى أحمدُ بن أبى سُليمانَ :

لم يَوَلِّ سَحنونٌ سُليمانَ بن عِمرانَ ، قضاءَ باجةَ : حتى امتَحَنه فى مذهبه ، فأظهرَ له سُليمانُ : أنَّ مذهبَه مذهبُ المَدَنِيِّينَ ، وأنه تاركٌ لمذهبِ العِراقيِّينَ . وأقام سُليمانُ حِيناً من الدَّهْرِ قاضياً بباجةَ : ما يَقْضِى بقَضِيَّةٍ حتَّى يُشاوِرَ سَحنوناً وبَيانُ ذلك : فى كتابِ محمدِ بن سَحنونٍ : فى أدبِ القاضى .

قال أبو بكرٍ : قال لى أحمدُ : وأخبرَنى رجلٌ — : من أهلِ الثِّقةِ عندى. — أنه خاصَمَ إلى سُليمانَ بنِ عِمرانَ بباجةَ — : وهو حاضرٌ . — فى ثَورٍ ؛ فشَهِد عليه شاهدٌ : فاستَحْلَفه معَ شاهدِه ، وقَضَى له : بالثَّورِ (١) .

قال محمدٌ : ثم مات سَحنونٌ : فوَلَّى ابنُ الأغلَبِ سُليمانَ بنَ عِمرانَ ، قضاءَ القَيْرَوانِ . وكان : عَلَى مذاهبِ السُّنةِ ؛ وكان له يومٌ فى الجُمُعةِ أو يومان ، يُقرَأُ عليه فيه العلمُ : تفسيرُ القرآنِ وغيرُه .

وكان مُستَيقِظاً : فى أمورِه ؛ وكانت له فِراسةٌ ، وكانتْ له — فى الأحكام — إدارةٌ .

(١) مكتفياً بالقسم والشاهد : كما هو مذهب الشافعى والمدنيين ؛ خلافا للعراقين ، راجع فى هذه المسألة : آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى (ص ١٦٦-١٦٩) .

أخبرنى بعضُ الشيوخ عن سُليمانَ ، أنه قال :

« يَنبَغى للحَكَمِ — : إذا شَهِد عندَه الشَّاهدُ الغَرِيبُ : الذى لا يَجِدُ أحدا يَعرِفُه بعدالةٍ ، ولا جُرْحَةٍ . — أن يَتعَرَّفَ حالَه : بحالِ جُلاَسِه ، ومن يَسكُنُ إليه ـ من طَبَقاتِ الناسِ ـ : فإنه لا يألَفُ الشَّكْلُ إلا شكلَه . » .

وأخبرنى بعضُ الشُّيوخ ؛ قال :

تخاصَمَ رجُلانِ إلى سُليمانَ : فأقامَ المُدَّعِى عَلَى خَصمِه ، شُهداءَ أربعةً : فشَهِدوا عندَ سُليمانَ ؛ فقَبِلَهم ، ثم أعْذَرَ إلى المطْلُوبِ .

فلمَّا نَظَرَ المطلوبُ : إلى أنه أزِفَ الْحُكمُ ، ولم يَبقَ إلاَّ التَّنفيذُ : وعَلِمَ أنه بَرِئٌ : فى الباطِنِ ؛ ممَّا شَهِدوا عليه فى الظَّاهِرِ ـ : قَصدَ القاضىَ سُليمانَ ، بعد صلاةِ المغربِ ، (فاسْتَأذَن عليه : فلم يَأْذَنْ له : ثم ألحَّ فى الاستئذانِ ، وقال : إن لم يَأذَنْ لى ، بتُّ عَلَى بابِ دارِه : حتَّى أكونَ أولَ من يَلقاه[1] صَباحاً .

فأذِنَ له سُليمانُ : فدَخَل عليه ، فقال له : عَزَم القاضى عَلَى أنْ يُسجِّلَ عَلَىَّ : وبَقِىَ فى قلبى شىءٌ : أخبِرُه به ، وأقولُه له.

فقال له : قلْ . فأخْرَج الرجلُ مُصحفاً من كُمِّه : فحَلَف له به — ثم أتْبعَ ذلك بيَمينِ الطَّلاقِ ، والعتَاقِ ، والمَشْى ، والصَّدقةِ — : أنه بَرِئٌ من ذلك المَطلَبِ ، وأنَّ الشُّهودَ الذين شَهِدوا عليه : قَصَدُوا بشهادتهم الزُّورَ صُراحاً .

ثم : خَرَج عنه ، ووَقَع بقلبِ سُليمانَ : أنَّه صادقٌ .

فلمَّا جَلَس سُليمانُ فى الغَدِ ـ فى مَجلِسِ القضاءِ ، فى الجامعِ ـ : أتاهُ الطالِبُ : يَستَنْجِزُه التَّنفيذ .

---

(١) بالأصل : «ألقاه» . وهو مصحف عنه . أو يكون قوله : أكون ؛ مصحف من «يكون» . فتأمل .

فقال له[١] : اذهَبْ ، ائتِنى بالشُّهداء ـ الذين شَهِدُوا لك عندى ، فى أصْلِ الحقّ ـ : حتى يَحضُرُوا تَنفيذَ الحُكم لك .

فذَهَب الرجلُ : فأتاهُم[٢] . فلمَّا نَظَر القاضى إليهم : أعرَضَ عنهم ، وتَشاغَلَ بغيرِهم طويلا ؛ ثم قال لغلامِه : يابِشْرُ ؛ اذهَبْ إلى صاحبِ سُوقِ ـ : من[٣] سوقِ الجِمالِ . ـ وقالَ له : كُنْ يَبْعَثَ إلىّ بأربعةِ أجمالٍ ؛ حتى أُطَوِّفَ عليها رجالاً : شَهِدوا عندى بالزُّورِ .

ثم اشتَغَل ؛ فلم يَشُكَّ الشُّهودُ الأربعةُ : أنهم أصحابُ المِحْنةِ ؛ فتَسَلَّلُوا من مَجلسِه .

ثم : تَقدَّم الطالبُ ، فقال له[٤] : نَفِّذْ لى الحُكْمَ . فقال : بحَضْرةِ شُهودِك . قال : قدأحضَرْتُهم . قال : قَرِّبْهم . فقال : ها هُنا كانوا . قال : اذهَبْ فيهم .

فلمَّا سار إليهم : امتَنَعوا عليه من المَسيرِ إلى القاضى .

فبَقِىَ الطالبُ مُتَرَدداً : بيْنَ تَوقُّفِ القاضى عن الحُكمِ إلاَّ أنْ يحضُرَ الشُّهودُ ؛ وبيْنَ امتِناعِ الشهودِ من الحُضورِ . حتَّى مَلَّ الطالبُ ، وتَرَكَ طلَبَه .

وهذا ـ وإن لم يكنْ وَجْهَ القضاءِ عَلَى ممَرِّ الحقِّ[٥] ـ فهو : من بابِ اللُّطفِ والسِّياسةِ .

* * *

---

(١) بالأصل : «قال ... ائتنى» ؛ والظاهر أن كلا منهما مصحف .

(٢) أى : أتى بهم ، وأحضرهم أمام القاضى . وعبارة الأصل هكذا : « فاتاهم » ، وأصلحها ما أثبتناه . أو ما فسرنا به . وانظر المختار .

(٣) عبارة الأصل : «فى سوق الجمال وقلن كى» إلخ . وهى مصحفة مضطربة .

(٤) بالأصل : «لى» ؛ وهو تصحيف .

(٥) أى : موضع مرور الحق وصدوره . انظر المختار . وفى الأصل : «مر» وهو تحريف

وكان من شِيَمِه : أنه يَجلِسُ ـ قبل خروجه إلى الناس ـ فى مكان يَسمعُ منه كلامَهم ، وما يَجرِى ـ : من القول . ـ بينهم .

فهو يوماً جالسٌ : حتى سَمِعَ جَلَبةَ وضَوضاء : فأصاخَ إليها : ليتعرّف : ماهى؟

فإذا برجلٍ : قد أتَى مُتَشَبِّثاً برجلٍ : وهو يقولُ لجماعةِ الناس : أتيتُ ببغْلِى إلى هذا الرجلِ ، وسألتُه : أن يبيعَه لى؛ فباعهُ : بستةَ عشرَ مِثقالاً : فلمّا انتقدَها : أتانى بها ، وقال : إن البغلَ لم يكنْ يُساوِى إلاّ : عشرةَ مَثاقيلَ : فأعطِنى مِثقالاً : فى جُعْلى .

(قال) : فأبَيْتُ عليه : أنْ أعطيه مِثقالاً ؛ فضَمَّ يَدَه بالمال ، وقال : مالَكَ عندى مالٌ ، ولا بِعتُ لكَ(١) دابّةً . فتعلّقْتُ به ، ولجْأتُ إلى القاضى .

فلم يشكَّ سُليمانُ : أنَّ الأمرَ على ما قال ؛ فخرَج من ساعتِه : فكان صاحب الدّابّةِ أوّلَ داخلٍ عليه ؛ فقصَّ عليه قِصّتَه :

فخافَ سُليمانُ ـ إنْ سألَ المُدّعَى عليه ـ : أنْ يُنكِرَ : فيَجبُ على المُدّعِى : البيِّنةُ ؛ وليس يَشهدُ الناسُ العُدولُ فى مِثلِ هذا الأمرِ .

فتَرَكَ سُؤالَ المدّعَى عليه ؛ وعَطَفَ بالصَّولةِ والتّوبيخِ : على المدّعِى ؛ وقال : يأتى أحدُكم إلى الرجلِ الخيّرِ . فيَستخدِمُه فيما لعلّه : أنْ يذهبَ فيه دِينُه وأمانتُه ؛ من فرْطِ الاجتهادِ ؛ ثم لا يُعطِيه فى مثلِ ذلك ، إلاّ أربعَ دينارٍ . اذهَبْ : فقد حكَمتُ عليك بجُعلِ : مِثقالٍ .

ثم قال لِصاحبه : أبرِئْ إليه بمالِه . فمدّ يدَه إلى كُمّه . وحَلّ الصُّرةَ وأخرَج المالَ . وبرِئَ به إليه .

فقال له سليمان : هذا مالُه ؟ . قال : نعمْ .

---

(١) هذا هو الظاهر المناسب . وفى الأصل : «له» ؛ ولعله مصحفا .

قال : أشهدوا : أنى قد فسخت حكمى على الطالبِ بجعلِ مثقالٍ ؛ وحكمتُ عليه : بأجرِ المثلِ .

* * *

وكان : كثيرَ النادرِ ، كثيرَ التحكّكِ بالناسِ : فى التعريضِ بعُيوبِهم وألقابِهم .

دخل عليه رجلٌ يُلقَّبُ : بالفقّوسةِ ؛ فقال له سليمانُ : كنتُ أعرفُ لكم مَقْثأة ، فما صنعَ اللهُ بها ؟ .

فقال له الرجلُ : كانتْ حسنةً ، لولا خَرْوفةٌ دخلتْها : فأفسدتْها . ! .

ودخل عليه رجلٌ — : من خاصّته . — فقال له : لقد أنذرَ فيك اليومَ ، علىُّ بن حميدٍ بنادرٍ . فقال : ما هو ؟ .

قال : أمرَ طبّاخَه ، فأتاهُ فى سُفْرتِه ، بصُورةِ رأسك — : بقَنْسُوتك ، وجميعِ هَيْئتك . — فجعل : يأكلُه هو وأصحابُه ! .

فأرسلَ سليمانُ إلى علىِّ بن حُميدٍ : « الناسُ يَنْتقلون من حالٍ : إلى أشرفَ منها ؛ وأنتَ تَرْتكسُ : كنتَ عند الناسِ طبّاخاً ؛ فرَضِيتَ : أنْ تُصبحَ روّاساً » .

وذلك : أنه — : بإحكامِ دارِ علىِّ بن حُميدٍ للطَّبخِ . — يُضرَبُ المَثَلُ بالقيروانِ .

* * *

انتهى الجزء بحمدِ اللهِ وعونِه

يتلوهُ وأبو العبّاسِ بنُ عبدونٍ القاضى : كان حافظاً لمذهبِ أبى حنيفةَ .

الجزء الثالث

من

علماء إفريقية

تأليف

محمد بن حارث بن أسد الخشني

[بتجزئة الأصل]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ وآلِه وصحبه ، وسلم

* * *

أبو العباسِ بن عبدونِ القاضى

٨٤ وأبو العباسِ بنُ عبدونٍ القاضى ؛ كان : حافظاً لمذهبِ أبى حنيفةَ ؛ وكان مُوَثَّقاً كاتباً للشُّروطِ والوثاقِ . ولاَّه إبراهيمُ بن أحمدَ القضاءَ ، ثم عزَلَه .

سمِعت طبقةَ المدَنيِّين : يَنسُبون إليه الغفلةَ ، وقِلَّةَ الحَصافَةِ ؛ وأهلَ العراقِ : يَصِفُونه بضدِّ ذلك ؛ و به يُثْنون ، و بمكانِه يَفخَرُون .

وكان فى قضائه : قد اُستطالَ على طبقةِ المدنيِّينَ وامْتَهَنَهم ، وضربَ جماعةً منهم ؛ ضَرَب : أحمد بن مُعتِبٍ ، و إبراهيم المعروفَ : بالدِّمْنِىِّ ؛ وابن عبدونِ العطارَ ، وابنَ المداثنِىِّ وأبا القاسمِ مولى مهريةَ . وطَلَبَ يَحيى بن عُمرَ : حتى تَوارَى عنه :

وكان إبراهيمُ بن أحمد يقول بعد عزلِه له : لو ساعدتُه لجعلتُ له مقبَرةً على حِدةٍ .

وكان إبراهيمُ بن أحمدَ ، بابنِ عبدونٍ ـ قبلَ أن يولِّيَه القضاء ، وبعد أن ولاَّه ـ : ـ : شَديدَ الإعجاب ؛ قال يوماً من الأيامِ : حسدَنى أهلُ القَيْروان فى ابن عبدونٍ . فقال له ابن مُثيبٍ : لو علمت منه ما يعلمُ أهلُ القَيْروانِ منه ـ : كان عندك بالحالةِ التى هو [بها][1] عندهم .

---

(١) زيادة : مما سيأتى فى ترجمة أحمد هذا .

وكان ابن عبدون : قد امتحنَ برجلٍ من خدمةِ إبراهيمَ ـ : ممّن كان يخدمه بيْن يديْه : داخِلاً وخارِجاً ؛ يُعرَفُ : بابن أبي رُزَيْنٍ الرائض . ـ :

كان : إذا نظَر إلى ابنِ عبدون قد أقبلَ للدّخولِ على الأمير ، فإن كان الأميرُ نَشيطاً مُستبْشِراً ، قال ابن أبي رُزَينٍ لابن عبدون : إيّاكَ أنْ تسألَه حاجة : فإنّه مَغمومُ القلبِ : وإن رأيتَه مُتجمّلاً لك . وإن كان مَكْروباً ، قال له : سلْ كلَّ حاجةٍ لك ؛ فإنّه مُنشَرِحُ النفْسِ ، مُنبَسِطٌ .

وقال له يوماً من الأيامِ : يَنبَغِي لك : أنْ تتأدَّبَ [معَ] الأمير وأهلِ بيْتِه .

فقال له : فبماذا ؟ .

فقال له : أنْ تدخلَ عليه في الصَّيفِ وفي اليوم الحارِّ ، بمِحشيَّةٍ : لئلاّ يظهر صدرُك ، وما شحَم : من جسدِك . ويَنبَغِي لك : أنْ تترُكَ على جبْهتك طرّةً من شَعرِك ؛ فيبْدُو منها بعضُها تحتَ العمامةِ أو القلنْسُوَةِ ، ويَنبغِي لك إذا تحدَّثتَ — : أنْ تجعلَ يدَك على فِيكَ ؛ فإن هذه الأخـــــلاق : ممّا يَستَحِبُّها الملوكُ .

فقَبِل منه ـ فيما حُكِيَ لي ـ وفعَل جميعَ ما أمرَه به .

فلمّا دخَل على إبراهيمَ بتلك الحالةِ ، ونظَر إلى الطُّرّةِ ـ : رفع عينيْه إلى ابنِ أبي رُزَينٍ (كالقائلِ له : ما هذا ؟) : فأشار إليه ابن أبي رُزَين بيده ، ورفعه إلى فمِه : مُغلقةً (أيْ : هو زامِرٌ) .

وحكى لي أحمدُ بن موسى التّمارُ عنه ، خبراً عجيباً ـ : فيه حِكَمٌ وعِبْرةٌ . ومِثالٌ للمُحتذِي ، ومنهةٌ للمُتحفّظِ . ـ قال :

كانتْ بالقيْروانِ طبقةٌ تسمَّى : الرُّكْنِيَّةَ ؛ كانوا : لا شُغلَ لهم : فكان

جُلوسُهم ومُجتمَعُهم : فى رُكنِ الجامعِ ؛ فلَزِمَهم هذا الاسمُ . وكان الناسُ : يُدارُونهم ، ويَتَّقُون ألسِنَتَهم .

وكان فيهم رجلٌ منهم ، يُعرَفُ : بأبى القاسمِ المَساجِدىِّ ؛ وكان : خاصًّا بأبى العبَّاسِ بنِ عَبدونٍ . وكان مُقِلاً : فكان ابنُ عَبدونٍ يرفقُه ويَصِلُه ، ويُجْدِى عليه ، ويُحسِنُ إليه .

فحَسَدَه سائرُ أصحابِه - : من الرُّكنيَّةِ . واجتَمَع منهم أربعةٌ فى الإدارة ، عليه : لِيَنْقَطِعَ ما بينَه وبيْن ابنِ عَبدونٍ ، قَطيعةً : لا يكونُ بعدَها وَصْلٌ أبداً .

فأتَى أحدُ الأربعةِ إلى ابنِ عَبدونٍ : فجلَسَ إليه وحادَثَه ، ثم أخْطَرَ : من ذِكْرِ الصُّحبةِ والصَّداقةِ ، وقلَّةِ الوفاء ؛ ثم قال له : ما الذى حَدَث بيْنك وبيْنَ المساجِدىِّ ؟.

فقال له ابنُ عَبدونٍ : ما أعلَمُ أنه كان حَدَث فيما بيْنى وبينَه ؛ فما الخَبَرُ ؟

فجعلَ : يَحيدُ له عن أن يُخبِرَه بشىء ؛ ثم خرَج عنه .

فلمَّا كان بعدَ ذلك بيومٍ ، أتى الثانى : فجلَسَ إلى ابنِ عبدونٍ ، وأدارَ الحديثَ : حتى خرَج إلى ذِكْرِ المساجِدىِّ ؛ فقال له : قد كان المساجِدىُّ لك : صَديقاً ؛ وكنتَ إليه : مُحسِناً ؛ ثم كان مِن أمرِكما ما كان .

فتحَرَّكَ ابنُ عَبدونٍ ، وجعلَ : يَستقْصِيه عن حقيقةِ هذا الخَبرِ ؛ وذَكَرَ : أنه لا عِلمَ له بشىء[1] من ذلك .

فانْزَوَى عنه وانقبَض ، وحلَف له : أن لا يُخبِرَه ؛ إجلالاً له وإعظاماً .

فلمَّا كان اليومُ الثالثُ ، أتاه الثالثُ منهم ، والرَّابعُ : فجلَسا وتحدَّثا ؛ ثم قال له أحدُهما : ما ينبَغِى لأحدٍ أنْ يَثِقَ بأحدٍ ؛ قد كان المساجِدىُّ لك ، وكنتَ له : عَلَى

---

(١) بالأصل : «لشىء» ؛ وهو تصحيف .

أفضل حال ؛ ثم : قد خرج فيك إلى ما خرج ! .

فقال له ابنُ عبدون : قد تكرَّر علىَّ هذا الخبرُ : من غير إنسان ، وعلى غير ما لسان : وما أجدُ أحداً : يُخبرُنى بالحقيقة فى ذلك ؛ فأخبرْنى بذلك : فقد ضجرْتُ من اكتتام الحقيقة عنّى فى ذلك .

فقال الرجلُ : لا والله : لا أفعلُ ، ولا أستهينُ بك هذه الاستهانةَ .

فاستجابَ الرَّابعُ ، فقال : لأنك — والله — لا تُحبُّه ، ولا تنصحُه ؛ إن كنتَ أنتَ لا تُخبرُه : فأنا أخبرُه.

قال له ابنُ عبدون : هاتِ .

فقال : يقولُ : إنك خُنثى ، و إنَّ لك قُرْعةً كقُرْعة النِّساء ! .

فتلوَّنَ وجهُ ابنِ عبدون ، وجعلَ يحلفُ : ما له قُرعةٌ .

ثم : بلغَ الخبرُ إلى المساجِدىِّ ؛ فأتى : مُتنصِّلاً .

فوجَد فى قلبِ ابنِ عبدون — : من التَّصديق بما قيلَ له عنه . — ما لا يعمل فيه الاعتذارُ ، ولا يمحُوهُ التَّنصُّلُ . فأبعدَه ، وأقصاهُ عن نفسِه .

ولعَمْرى : إنَّ هذه الإدارةَ لَلطيفةٌ : من الفِكْر ؛ وعجيبةٌ : من الحِيَل : ولو قرِعَ بمثلِها أدهَى الناسِ : ما خلَص منها . نستعيذُ بالله : من حِيَل الماكرين ، ومن إفْكِ الكاذبين .

* * *

أبو العبّاس بنُ زرْزر

٨٥ وأبو العبَّاسِ بنُ زرْزر ؛ كان : حافظاً بمذهبِ أبى حنيفة : وهو مذكورٌ فيهم . ومعروفٌ عندهم .

أخبرنى بعضُ إخوانى : قال : أخبرنى أبو جَعفرِ بنُ شَهرين — : الذى هو اليومَ قاضى بَرْقةَ . — قال :

قلتُ لأبى العبَّاسِ بن زرْزرٍ : أخبرْنى بدَواء الحِفظِ ؟.

(قال) : فقال لى : أوَما تعرِفه ؟! .

(قال) : قلتُ : ما أعرِفُه .

قال : الدَّرْسُ باللَّيل ، والمناظَرَةُ بالنَّهارِ .

وكان ابن زرْزرٍ : مُعْرِباً فَصيحاً . أخبرنى أحمدُ بن نصرٍ ؛ قال :

سمِعتُه يوماً — : وقد ذَكَر : أنَّ أهلَ كلِّ صَنعةٍ أعلَمُ بصنعتِهم من غيرِهم — فقال : إنَّ مالكاً وأبا حنيفةَ ، لو سُئلاَ : أنْ يَحوكا ثَوباً أو يَخِيطاهُ ؛ ما عَرَفاهُ .

وحَكى لى عنه حاكٍ ؛ قال : سمِعتُه يقولُ :

خطَرْتُ بأعْرابىٍّ : وهو عَلَى بئرٍ ؛ وهو يقولُ :

مَنْ يَهُنِ المـــالَ ، ولاَ يَرْبَهِ : يَهُنْ عَلَى النَّاسِ : هَوَانَ كَلْبِهِ

(قال) : فقلتُ له : أخطأْتَ :

مَنْ يَصُنِ المالَ ، ولاَ يَعِشْ بِهِ : يَصِرْ لِشَانِيهِ جَمِيعُ كَسْبِهِ

* * *

هِشامُ بنُ العِرَاقِىِّ

٨٦ وهِشامُ بنُ العِراقِىِّ ؛ كان : رأْيُه رأىَ الكوفِيِّينَ ؛ وكان : يَتكلمُ فى مسائِلهم .

وبَلغنى : أنَّه كان ممَّن يَحْضِرُه ابنُ طالبٍ ، مَجلِسَه : للمناظرةِ .

وبَلَغنى : أنَّه قال له[1] سَعيدُ بن الحدَّادِ يوماً : بتَرْكِ الذى أتَى ؛ [إذْ قالَ : أن تُوجَدَ[2]] لكم مسألةٌ ، إلاَّ : ولكم نَقيضها من قولكم .

* * *

أبو المِنْهالِ

٨٧ وأبو المِنْهالِ : كان : من شيوخ العِراقيِّين ، ومن مُقدِّميهم .

كان علْمُه علماً مُقارِباً[3] لم يكن يَحْسِنُ عن مذهبِه الذَّبَّ ، ولا كان يَقومُ دونَه بالمُناظَرةِ .

حُكِىَ لى عن سَعيدِ بنِ الحدَّادِ ، أنَّه قال : قلتُ له يوماً : يا أبا المِنهالِ ؛ ماتقول فى كَبْشٍ بالَ فى بئرٍ ؟ . قال : يَنْجَسُ الماء .

(قال) : قلتُ : فلو بالَ فى ثَوبٍ ؟ فقال : لا يَنْجسُ .

(قال) : قلتُ له : ما الفرقُ بينهما ؟ لو أن مُعترِضاً اعترَضَك : فحكمَ بالطَّهُورِ فيما حكَمْتَ فيه بالنجاسة ؛ وحَكَم بالنجاسةِ : فيما حكمتَ [فيه] بالطُّهورِ — : ما كان الفرقُ بينَك وبينَه ؟ .

(قال) : فقال لى : يا أبا عثمان ؛ العِلْمُ له سواء : فى وقْتِىَ .

(قال سعيدٌ) : فسكتُّ عندَ هذا الجوابِ البَديعِ !.

* * *

---

(١) أى : تكلم معه . وأشار عليه بترك مذهبه . ولعل قوله : بترك : مصحف عن : « يترك » . فتأمل .

(٢) عبارة الأصل : « أن يجعل لكم » إلخ . وقد اضطررنا إلى تعديلها وإضافة الزيادة إليها . وذلك أولى من إتقائها : قلقة مضطربة .

(٣) أى : متوسطا .

قاسمُ بنُ أبي المِنْهال

٨٨ وقاسمُ بنُ أبي المِنْهالِ : كان مُتحرِّكاً : في العِراقيِّين ؛ وكان له إخوانٌ :

٨٩ لا أحفظُ أسماءهم ، وكان أصغرَ الأربعةِ إسحاقُ بن أبي المِنْهالِ : الذى استَقْضاه عُبَيدِ اللهِ .

* * *

أبنُ عُمَيْرٍ

٩٠ ومِن رجالهم ، رجُلٌ يُعرَفُ : بابنِ عُمَيْر ؛ [غيرُ] مَعروفِ الاسمِ . لم أقِفْ مِن علْمِه ، عَلَى وصْفٍ أذكُرُه به .

غيرَ أنه كان : مَليًّا بَخيلاً ؛ فقال له ابنُ أخيه يوماً : يا عمِّ ؛ إنك من الأمْلياء الكِبارِ ؛ وأنتَ لا تَنتفِعُ بمالِك ؛ فما فَضْلُك عَلَى الفقيرِ ؟ .

فقال له : إذا خافَ الفقيرُ : أمِنْتُ أنا .

* * *

أبو عِقالِ بنُ الزَّعْناء

٩١ ومِن رجالِهم ، رجلٌ يُعرَف : بأبي عِقالِ بنِ الزَّعْناء ؛ كان مُتحرِّكاً فيهم : بالفَهْمِ والمُناظَرةِ .

كان يقولُ في إبراهيمَ بنِ أحمدَ : مَن صَحِبَ إبراهيمَ : فأفعالُه في تِلْكَ مالِه . فأدْرَكَه في هذا القولِ ، المَثَلُ السَّائرُ : « البَلاءُ مُوَكَّلٌ بالقولِ » — :

حَفَر له إبراهيمُ بن أحمدَ حُفَيْراً ؛ ثم أدخَلَه فيه ، وجَعَل البائِنِينَ جُمَعاً[1] يَدخُلون إليه ، مُسْتَأْمَنِين : يُحْدِثُون عليه ؛ حتَّى عَمَرْتُه أوْساخُهم : فمات .

* * *

هَيْثَم

٩٢ ومن رجالهم[2] هَيْثَمٌ ؛ رجلٌ من العَرَبِ : من قَيْسٍ . وَلِيَ قضاءَ تُونُسَ .

قال لى بعضُ التُّونسِيِّينَ : حضَرْتُه يوماً : وهو يُمْلِي وَثِيقةً ؛ فأحْسنَ فيها ؛ ثم قال : إنَّما الوَثائقُ : غرَضٌ ؛ فمَن كانتْ فيه مُسْكَةٌ[3] : رَشَقَها .

٩٣ وكان لهَيْثَمٍ ابنٌ فَقِيهٌ ، اسمُه : محمدٌ ؛ ماتَ : فى وَباءِ سنةِ سبعٍ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

أبو عِقالِ بنُ جرْجرٍ

٩٤ وأبو عِقال بنُ جرْجرٍ ؛ كان : من رجالِ العِراقيِّين .

وكان كاتباً لابنِ عَبدونٍ : إذ كان قاضياً .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ هارُونَ الكُوفىُّ السَّوذَانىُّ

٩٥ وعبدُ اللهِ بنُ هارُونَ الكُوفىُّ السَّوذَانىُّ ؛ كان مَذهبُه : جَميلاً ؛ وكان : عَلَى سُنَّةٍ .

كتَبَ لِسُليمانَ بنِ عِمرانَ : إذ كان قاضياً ؛ ثم اسْتَقْضاه ابنُ طالبٍ : على مَدينة تُونُسَ ؛ ووُلِّىَ ابنُ عبدونٍ : فأثْبتَه عليها .

(١) بالأصل : « عجبا » ؛ ولعله مصحف عن نحو ما أثبتنا .
(٢) بالأصل : « رجالها » أو « رجالها » ؛ وكلاهما تصحيف .
(٣) أى : بقية من عقل وخير .

ثم عُزِلَ ابن عبدون : فوَلى إبراهيمُ بن أحمدَ عبدَ اللهِ بنُ هارُونَ ، قضاءَ القَيْرَوانِ . ثم كَبِرَ الرجلُ : فعزَلَه إبراهيمُ ، ووَلّى عيسَى بنَ مِسْكِينٍ .

* * *

أحمدُ بنُ مُثيبٍ

٩٦ ومن رجالِهم : أحمدُ بنُ مُثيبٍ ؛ كان فيهم: ظاهرَ الاسمِ مَعروفاً ؛ لا أعرفُ من أمْرِه خَبراً ، سِوَى : اسمِه ، وقولِه لإبراهيمَ : لو علمتَ مِن ابنِ عبدونٍ ما يَعلَمُ منه أهلُ القَيْرَوانِ — : لكان عندَك بالحالِ التى هو بها عندَهم .

وسمِعتُ مَن يَحكِى : أنَّه كان من الكرامِ الأجْوادِ ؛ أتاهُ ابنُ أبى الشَّوارِبِ — : يَسْتَغِيثُه فى دِيةٍ . — فتَحَمَّلها له بجميعها .

* * *

مَعْمَرٌ

٩٧ ومن رجالِهم : مَعْمَرٌ ؛ قد ذكَرَه أبو العَرَبِ فى كتابِه ، وأثْنَى عليه . وذكرتُ[1] أنا فى ذلك الموضعِ ما أعرِف عن هذا الاسمِ ؛ وقلتُ : إنى لا أدرِى : إنْ كان اسماً واحداً اختَلَفت[2] فيه الأخبار ، أ [و] هما رجُلانِ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ الأشَجِّ

٩٨ وعبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ الأشَجِّ ؛ كان مذهبُه : مذهبَ الكُوفِيِّينَ ؛ ورَحَل ؛ وكان من أهلِ الجَدَلِ والكلامِ : على مذهبِه .

* * *

(١) بالأصل : « وذكرته . . . . فى » ؛ ولعل كلا منهما مصحف عما ذكرنا .

(٢) بالأصل : « اختلف » ؛ وهو تصحيف . والزيادة الآتية متعينة

أحمدُ بنُ وَهْبٍ

٩٩ ومن رجالِهم : أحمدُ بنُ وَهْبٍ ؛ ولاَّهُ إبراهيمُ قضاءَ اطْرابُلُس : فى حين قضاءُ ابنِ عَبدون عَلَى القَيْرَوانِ .

وكان — فيما أرى — : قليلَ العِلْمِ ؛ وذلك : أنَّه كتبَ إلى إبراهيمَ بن أحمد : « حفظك الله » — فلم يَرفَعْ ألظاءَ — فقال إبراهيمُ : خَفَضَنى : خفضه اللهُ . ثم عزَلَه .

وقيل لى : إنه كان يُكَنَّى : بأبى الزِّير ؛ والزِّيرُ — بالقَيْروان — هو : الذى يُسمَّى بالأندَلُسِ : الخابيةَ . والخابيةُ بالقَيْرَوانِ لها صَنعةٌ أخرى : لم أرها بالأندلس

وكُنِّىَ هذا الرجلُ بأبى الزِّيرِ — فيما قيلَ لى — : لأنه عمل نبيذا فى زير ، وأرادَ : أنْ يَذُوقَه ؛ ولم يَجِدْ آنيةً يُدْخِلُها فى الزِّيرِ : فأدْخَلَ رأسَه فى الزِّيرِ : ثم لم يَسْتَطِعْ أنْ يُخْرِجَه : حتى كُسِرَ الزِّيرُ . فلُقِّبَ : بأبى الزِّيرِ .

* * *

١٠٠ وابنُه : جعفرٌ شرَّقَ . وولاَّه إسحاقُ بنُ أبى المِنْهال . مظالمَ القيروان : إذ أخْرَجَ ابنَ بَحْرٍ قاضيًا إلى اطْرابُلُس .

* * *

محمدُ بنُ أسْوَدَ

١٠١ ومن رجالِهم : محمدُ بن أسْوَدَ ، المَعروفُ : بالصَّدَفىِّ . ولاَّه إبراهيمُ بن أحمد القضاءَ : عندَ خروجِه إلى صِقِلِّيَةَ .

وكان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ ؛ وكان صلبًا ، صارمًا .

قيل لى : إنه أتاهُ قومٌ ، فقالوا : إن فلاناً (وسمَّوا رجلاً خَسيساً) يُسَهِّلُ شَتْمَه[1] مَن يقولُ بخَلْقِ القرآنِ .

فقال : إن تعرَّضتُه : أثبتُّ اسمَه ، وجعلتُ له فى الناسِ قَدْراً ؛ ولكنْ : دعُوه على ما هو عليه . فلم يَعرِضْ له .

* * *

ابن الكُبْرِ

١٠٢ ومن رجالهم رجلٌ يُعرَفُ : بابنِ الكُبْرِ[2] . كان : من كِبارِهم ، مَعروفاً فيهم ، ومَشهُوراً منهم . وكان : يُقرَأُ عليه المغازى وغيرُها : من أُمَّهاتِ [كُتُبِ] العِرَاقِيِّين .

* * *

أبو عَمرٍو مَيْمُونٌ

١٠٣ ومن رجالهم : أبو عمرٍو ميمونٌ ، المَعروفُ : بابن المَعْلُوفِ . وُلِّىَ مَظالِمَ القَيْروانِ : فى أيامِ بنى الأغْلَبِ.

وأدركْتُه : مُقعَداً شيخاً كبيراً ؛ وكان له دِينٌ ومكانٌ على سِنِّه . عَهِدِى به : سنة ثلاثٍ وثلاثمائةٍ ؛ وأنا أقرأُ عليه مُوطَّأَ مالكٍ ؛ فقرأتُ عليه فيه كلاماً لعُمر ابن الخطَّابِ ، فجَعَل يَبكى : خَشْيةً وتَواضُعاً ؛ فإنى لَفى ذلك المجلسِ — بَيْنَ يَدَيْهِ — حتَّى دَخَل عليه داخِلٌ ، فقال له : فُتِحَتْ صِقلِيَّةُ . فجَعَل : يَتأسَّفُ . وتُوُفِّىَ : سنةَ أربعٍ وثلاثِ مِائةٍ .

---

(١) بالأصل : « يشتم »؛ ، والظاهر أنه محرف عما ذكرنا .

(٢) يحسن أن تراجع المختار : (كبر) .

١٠٤ وابنُه : أبو يَحيَى ؛ كان : حافظاً نبيلاً ، ظاهراً فى مذهبِ العراقيين .
وكان : يَلزمُ سُوقَ الصَّوَّافِيِّينَ ؛ حَجَّ : سنةَ عشرٍ ؛ ومات فى حَجَّه

* * *

أبو حَبيب

١٠٥ وأبو حَبيبٍ المَعروفُ : بابنِ حَبيبٍ السَّدْرِيُّ . كان : شيخاً نظيفاً مُتَدَيناً ، كثيرَ الكُتُبِ . كانتْ له صَلاةٌ : يَخرجُ فيها عن صلاةِ الجماعةِ ؛ لإفراطِ تَطْويلِه فى الرُّكوعِ والسُّجودِ .
دخَلْتُ عليه يوماً : فدارَتْ بينى وبينَه مُناظَرَةٌ ؛ فرأيْتُ رجلاً : مُقتَصِراً[1] لاحْتِجاجِه على ما وَجَد خاصَّةً فى كُتُبِهم ؛ لا مادَّةَ عندَه ، ولا قَريحةَ له .
وكان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ ؛ ورُبَّما انْتَحَل الوقْفَ على القولين جميعاً .

* * *

أبو علىٍّ بنُ ابنِ أبى المِنْهالِ

١٠٦ [و] أبو علىٍّ بنُ ابنِ أبى المنهالِ ؛ ابن أخى القاضى إسْحاقَ . كان سِنُّه : قريباً من سنِّ إسْحَاقَ .
كان عندَه : علمٌ بمذهبِه ، وحَرَكةٌ فيه ؛ ويُناظِرُ مُناظَرةً : لا بأْسَ بها .

* * *

---

(١) عبارة بالأصل : « مقتصرا على ما وجد لاحتجابه خاصة فى كتبهم » ؛ وفيها اضطراب وتصحيف . ولعل أصلها ما أثبتنا .

ابنُ جمال

١٠٧ وابنُ جمالٍ ؛ كان مذهبه : مذهبَ السكوفيِّين .

ولاَّه زيادةُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ ، قضاءَ القَيْروانِ : بعنايةِ ابنِ الصَّائغِ ؛ وكان: قليلَ العلْمِ ، كثيرَ الغفْلةِ ؛ ثم عزَله ، ووَلَّى ابنُ الخَشَّابِ .

وسمِعتُ مَن يَحكى : أنه تخاصَمَ إليه رجُلانِ ، فثبَتَ الحقُّ على المطْلوبِ منهما : فأعذرَ إليه ، فقال له : إن كانتْ عندَك مَنفعةٌ ؛ وإلاَّ حكَمْتُ عليك .

فقال له : إنْ شئتَ فاحكمْ ؛ وإن شئتَ ، فلا تحكمْ ؛ مِن عندِ ابنِ عَبدونٍ أتَيْتُ ، وقد عرَفتَ ما قال لى .

فيَسكتُ ، ويَخافُ : أن يكون فى الحُكمِ عليه خطأ ، فكان كلَّما قال له : يُحكمَ عليك ؛ أعادَ عليه هذا اللَّفظ . فوَقَفه عن نفْسِه : بهذا الإيهامِ .

ولم تكنْ معه نَهضةٌ فى فهمٍ . ذُكِرَ : أنه تَقدَّم معَ خَصمٍ له ، إلى إسحاقَ ابن أبى المنهال ؛ فقال له : احكم بينى و بيْنَ خَصْمِى : بالحقِّ ؛ ولا تُحابنى ولا تحابه. فقال له اسحاقُ : واذ كنتَ أنت قاضياً : كنتَ تُحابِى معَ الخصُوم ؟ ! .

* * *

أبنُ القطونة

١٠٨ وكان لهم رجلٌ يُعرَفُ : بابن القطونةِ ؛ ولِّىَ مَظالمَ القَيْروانِ : فى أيامِ بنى الأغْلبِ . لا أعرِفُ مِن صِفتِه ، أكثرَ : من اشْتِهارِ اسمِه .

* * *

أبو العبَّاسِ ابنُ القيَّارِ

١٠٩ ومِن رجالهم ، رجلٌ يُعرَفُ : بأبى العبَّاسِ بنِ القيَّارِ . كان : قِبَله علْمٌ وجَدَلٌ

وكان : يَصْحَبُ أبا العبَّاسِ عبدَ اللهِ بنَ إبراهيمَ بنِ أحمدَ .

* * *

محمدُ بن أحمد الفارِسِيُّ

١١٠ ومحمدُ بن أحمدَ الفارِسِيُّ . المَعروفُ : بابنِ السُّفَيْفِيِّ .

كان : صاحبَ وَثائقَ ؛ وكان كاتباً لإسحاقَ بنِ المِنْهال : فى وِلايَتِه الأُولى عَلَى القضاء .

وكان : خَفيفَ العلْمِ ، لا بأْس به . ناظَرْته يوماً فى شىء — : من الفقهِ . — فما وَجَدتُ فيه : نَهْضةً محمودةً .

* * *

يَحيى بنُ محمدٍ

١١١ ويحيى بنُ محمدِ بنِ قادِمٍ ؛ كان : فى نِصاب علْمٍ ؛ ولم يكن عنده فِقهٌ .

أدركْته : شيخاً زَمِناً ، تقرأُ عليه المغازِى : فى مَسجِده المَعروفِ : بمسجِد ابْن قادِم .

وكان لى : جاراً مُلاصِقاً .

* * *

بابُ تَسْمِيَةِ مَن انْتَحَلَ النَّظَرَ وتَحَلَّى بالجدَل : من أهلِ السُّنَّةِ ،
وغيرِهم : من طَبَقةِ العلماءِ بالقَيْروَان

* * *

محمدُ بنُ نَصْرٍ

١١٢ قال محمدٌ : كان محمدُ بن نَصْرِ بنِ حَضْرمٍ : ذا جَدَلٍ وحُجَّةٍ .

ويقالُ : إنَّه كان مُعَلِّمَ محمدِ بنِ سَحْنُونٍ : في النَّظرِ .

لمَّا ماتَ بصِقِلِّيَةَ ، قال محمدُ بن سُحنونٍ : رحم اللهُ أبا الحَسنِ ؛ لقد كان : مُعلِّمَنا .

قيل له : فلِمَ لَمْ تَقُلْ هذا في حياته ؟ .

قال : فنظْلِمه : حيًّا ومَيِّتًا ؟ ! .

* * *

محمدُ بنُ سَحْنُونٍ

١١٣ ومحمدُ بن سَحنونٍ ؛ كانت له أوْضاعٌ في المناظرَةِ : في فِقهِ الفقهاءِ ، [و] في كلامِ المتكلمينَ .

قال له سُليمانُ الفَرَّاء — المعروف : بابن أبي عُصْفورٍ : يا أبا عبد الله ؛ اللهُ سَمَّى نفْسَه ؟ . (أراد بذلك : أن يقول له : نعم ؛ فيَثبتُ عليه الإقرارُ : بحدُوثِ الأسماءِ والصِّفاتِ) .

فقال له ابنُ سَحنونٍ : اللهُ سَمَّى نفْسَه لنا ، ولم يَزَلْ ؛ وله الأسماءُ الحُسْنَى .

* * *

أبو العبّاسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ

١١٤ وأبو العباسِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ طالبٍ ؛ كان له : نَظَرٌ ومُناظَرةٌ ؛ وله كتُبٌ : يَرُدُّ فيها عَلَى الشّافعيِّ ؛ لا بأْسَ بها .

وكان يَجمَعُ بيْنَ أهلِ المُناظَرةِ : فى مَجلِسِه ؛ ورُبَّما أباتَهُمْ عندَ نفْسِه.

* * *

أبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحدّادِ

١١٥ وأبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ محمدِ بنِ الحدّادِ ؛ كانَ الكلامُ والجدَلُ والمُناظَرَةُ : بابَه[1] .

قال له سُليمانُ الفرّاءُ : يا أبا عُثمانَ ؛ أيْنَ كان رَبُّنا : إذْ لا مكانَ . ؟ .

فقال له : السُّؤالُ محالٌ : لأن قولَك : « أيْنَ كان؟ » يَقتَضِى المكانَ ؛ وقولَك : « إذْ لا مَكانَ » يَنفِى المكانَ ؛ فهذا : نَعَمْ ، لا.

قال : فكيفَ كان رَبُّنا : إذ لا مَكانَ ؟ .

قال له : السُّؤالُ صحيحٌ . ثم أجابَه بجوابٍ : لم أحفَظْه عن حاكِيه .

(قال سَعيدٌ) : فلمَّا أبْنتُ[2] عليه ، جَعَل يقولُ لى : يا أبا عُثمانَ ؛ إن المسألةَ : عَظيمةٌ كبيرةٌ ؛ فتدبَّرْها . فعَلِمتُ : أنَّه رجلٌ يريدُ السَّتْرَ عَلَى نفْسِه .

* * *

---

(١) أى : سبيله الذى سلكه ، وطريقه الذى التزمه . وفى الأصل : « بأنه » ؛ وهو تصحيف

(٢) أى : قطعت عليه سبيل السؤال والمناظرة ، وحلت بينه وبين المجادلة والمهاترة .

قال محمد : وكانت لأبي عُثمانَ مَقامات كريمة ، ومَواقفُ محمودة — : في الدَّفْعِ عن الإسلامِ ، والذَّبِ عن السُّنَّة . — ناظَرَ فيها أبا العبَّاسِ المَخْدُومَ (أخا أبي عبدِ اللهِ الشِّيعيِّ الصَّنْعانيِّ) — بملْءِ فمِه ، ومُنى نفْسِه — : مُناظَرةَ القَرْنِ المُساوي ، بلْ : مُناظَرةَ المُتعزِّزِ المُتعالي ؛ لم يَتلَعْثَمْ : لِفَظاعةِ المَقامِ ؛ ولا أَحْجَم لِهَيْبةِ السُّلْطانِ ؛ ولا خافَ ما خِيفَ عليه : من سَطْوةِ الحَدَثانِ .

ولقد قال له ابنُه محمدٌ يوماً : اتَّقِ اللهَ : في نفسِـــــك ؛ ولا تُبالغْ : في مُناظَرةِ الرجُلِ .

فقال : حَسْبي : مَن له غَضِبْتُ ، وعن دِينِه ذَبَبْتُ .

* * *

« المجلس الاول »

قال أبو عُثمانَ سَعيدُ بن محمدٍ : أتاني رسولُه (يعني : أبا العبَّاسِ) ؛ فدَخَلْتُ عليه ، في قَصرِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ الأغلَبِ — : وحوْلَه وُجوهُ أصحابِه ، ومعي موسى القَطَّانُ . — فسلَّمتُ وجلَستُ ؛ وقد كان أتاه قبلَ ذلك جميعُ أهلِ بَلدِنا (أعني : من أهلِ العلمِ) ؛ بغيرِ إرسالٍ .

فقلتُ له : قد كان مَن كان قبْلَك في هـذا القصر ؛ وقد علِمَ اللهُ وعلِمَ مَن حَضَر — : من أصحابِنا . — : أني لم أكُنْ بجَيَّاءٍ للملوكِ ، ولا آتي أحداً منهم : بغيرِ رسولٍ .

فتَكلَّمَ ؛ ثم قال لي : مِن أينَ قلتَ بالقياسِ ؟ .

(قال) [قلتُ] : قلتُه بكتابِ اللهِ .

قال : وأينَ هو في كتابِ اللهِ ؟ .

قلتُ : قال اللهُ : (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ : وأَنْتُمْ حُرُمٌ ؛ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً : فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ : ٥ـ٩٥ .)

فالصَّيدُ : مَنْصُوصٌ ؛ والذى أُمِرْنا : أن نُمَثِّلَه بالمَنْصـــــوص ؛ ليس : بمَنْصوصٍ .

فعلِمْنا بذلك : أنَّ مِن دِينِ اللهِ ، تَمْثيلَ ما لم يُنَصّ : بما نُصَّ .

(قال أبو عُثمانَ) : [ثم قال] : ومَن ذَوا عَدلٍ ؟ . (وأوْمَأ : إلى أنهم قومٌ دونَ قومٍ) .

فقلتُ : هم الذين قال اللهُ فيهم ـ فى المُراجَعةِ من الطَّلاقِ ـ : (وأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ : ٦٥ـ ٢) .

(قال أبو عُثمانَ) : وأجابَه موسى القَطَّانُ ـ من فَوْرِى ـ بحديثِ علىٍّ فى الخمرِ : إذ قال فى السَّكرانِ : « إذا سَكِرَ : هَذَى ؛ وإذا هَذَى : افترى » ؛ [فـ] وَجب عليه ضرْبُ ثمانينَ ، أدْنى أنْ يُضرَبَ ثمانينَ .

فقال له : ألم يَقلْ النبىُّ صلى الله عليه [وسلم] : علىٌّ أفضلكم » ؟ !.

(قال أبو عُثمانَ) : فقلتُ لِموسى ـ وهو إلى جَنْبى ـ : وفى الحديثِ : « ومُعاذ أعلمكم : بالحلالِ والحرامِ ؛ وعُمرُ أقْواكم : فى دينِ اللهِ » .

فكلّمه بذلك : فغَضِبَ ، وقال : يكون أقْواهم فى دينِ اللهِ ، مَن فَرَّ بالرَّايةِ يوم خَيْبَرَ ؟ ! .

فقال له موسى : ما سمِعْنا بهذا.

(قال أبو عثمان) : فقلتُ : قال اللهُ : (إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ : ٨ـ١٦). فعُمَرُ : ممَّن تحرَّف لقتالٍ أو تحيَّز إلى فِئةٍ .

فقـــال : وأىُّ فِئةٍ أكثرُ من النبىِّ ؟! : وقد كان حاضراً ، ولم يَتحيَّزْ إليه .

فقلتُ : جاء عنه صلى الله عليه [وسلم] ، أنَّه قال : « عُمرُ : فِئةٌ » ؛ فمَن تحيَّزَ إلى عُمرَ : فقد تحيَّزَ إلى فِئةٍ .

فسكَتَ ؛ فجرَّكه بعضُ أصحابه ، وقال : ألا تَسمَعُ ما يقولُ هذا الشيخُ ؟ !. فقال . صدَق . أو نحوَ هذا : من القولِ ، سمِعتُها أنا منه ، ومَن كان يَليهِ .

(قال أبو عُثمانَ) : ثم عَطَفَ ، فقال : أنتم تُبْغِضون عليًّا ؛ يا أهـــلَ المدينةِ .

(قال أبو عُثمانَ) : [فقلتُ] : عَلَى مُبْغِض علىٍّ : لعنـةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ؛ وكيْفُ أُبْغضُ عليًّا : وقد سمِعت سَحنونَ بن سَعيدٍ ـ : وهو إمامُ أهلِ المدينةِ بالمَغربِ . ـــ يقولُ : « علىُّ بن أبى طالبٍ إمامى فى دِينى : أهْتدِى بهَدْيه ، وأسْتَنُّ بسُنَّتِه ؛ رحمةُ اللهِ عليه » ؛ ؟ ! .

فقال لى : بَلْ صلواتُ اللهِ عليه .

(قال) : فرفَعتُ صوتى ، وقلتُ : إنَّ الصلاةَ ـــ فى كلامِ العَربِ ـ : الدُّعاء . وقلتُ : قال الأعْشَى :

تقول بِنْتِى ـ وقَدْ قرَّبْتُ مُرْتَحِلاً ـ : يارَبِّ ؛ جَنِّبْ أبى الأوْصَابَ والوَجَعَا

عَلَيْكِ مِثلُ الذى صَلَّيْتِ ؛ فاغْتَمِضِى نَوْماً : فإنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا

(قال أبو عثمانَ) : ثم قلتُ : نعمْ ؛ فصَلَّى اللهُ عَلَى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، والحسَنِ والحُسيْنِ ، وأهلِ طاعةِ اللهِ أجمعينَ مِن أهلِ السَّمواتِ والأرَضِينَ

(قال أبو عُثمان) : ثُم قال لى : أَلَيْس علىٌّ مَولاكَ ؟ ! يقولُ ٱلنبىُّ : « ٱللَّهمَّ : والِ مَن والاهُ ، وعادِ مَن عاداهُ .

(قال) : قلتُ : هو مَولاىَ : بالمعنى ٱلذى أنَا به مَولاهُ ؛ ولا وَلايةَ ، لا ولا عَتاقةَ ؛ لأنَّ المَوْلَى ـ فى كلام العرب ـ مُتَصَرِّفٌ : يَكونُ المَوْلَى[1] ؛ ويكونُ : ٱبنَ العمِّ : ويكونُ : ٱلمُعتَقَ ؛ ويكونُ : المُنعَمَ عليه .

ثم قلتَ : قال ٱللهُ ـ حكايةً عن زكريَّاءَ ـ : (وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَالِىَ مِنْ وَرَآئِى : ١٩ ـ ٥) ؛ يُريدُ : ٱلعَصَبةَ .

وقال : (ذَلِكَ : بِأَنَّ ٱللهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا ؛ وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ : ٤٧ ـ ١١) ؛ يُريدُ : أنَّ ٱللهَ وَلِىُّ ٱلمؤمنينَ ؛ وأنَّ ٱلكافرينَ لا وَلِىَّ لهم .

وقال فى المؤمنينَ : (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ : ٩ ـ ٧١) ؛ فعلىٌّ مَولَى المؤمنين : لأنه وليُّهم ؛ وهم مَواليه : بأنهم أولياؤه . فعلىٌّ مَولاىَ : بالمَعنى ٱلذى أنَا به مَولاهُ .

(قال أبو عُثمان) : ثم قال لى : فالحديثُ ٱلآخَرُ : « أنتَ مِنِّى : بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِن مُوسى » ، ؟ .

(قال) : قلتُ : هارُونُ كان حُجَّةً[2] : فى حياةِ مُوسى ؛ وعلىٌّ لم يكنْ حُجةً : فى زمانِ محمدٍ صلى الله عليه [وسلم] ؛ ولم يكنْ بأخيه . وإنما كان له : وَزيراً ؛ والمؤمنون : وُزَراء رسولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلَّم .

(قال) : ثُم قال لى : أَلَيْس علىٌّ بأفْضلِهم ؟ ! .

(قال) : فقلتُ له : ٱلحقُّ مُتَّفَقٌ عليه ، غيرُ مُختَلَفٍ فيه .

قال لى : نعمْ .

---

(١) أى : السيد المعتق ؛ وراجع : المصباح لمزيد الفائدة .

(٢) أى : نبيا معصوما يُنزل الوحى عليه ، ويجب اتباعه .

(قال) : فقلتُ له : قد مَلَكْتَ مَدائنَ كثيرةً ، قبلَ مَدينتِنا هذهِ ـ : وهى أعظَمُ مَدينةٍ . ـ واسْتَفاض الخَبَرُ عنك : أنَّك لم تُكْرِهْ أحداً ـ : خالَفَكَ فى مذهبِك . ـ : عَلَى الدُّخولِ فيه . فاسْلُكْ بنا ، مَسْلَكَ غيرِنا .

(قال) : فألَحَّ عليه بعضُ أصحابِه ـ : فى قَصْدِنا[1] . ـ فقال بقولٍ ـ كما قال سَعيدٌ[2] ـ : « وَإنْ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ آمَنُوا بالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ـ : فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ [بَيْنَنَا] ؛ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » . ثُم : خرَجْنا .

* * *

« المجلس الثانى »

قال أبو عُثمان : ثُم دَخلْتُ عليه فى مَجلسٍ ثانٍ ، فأقْبَلَ : يَسألُ مَن حَضَر ـ : من المَدَنِيِّينَ ، والعِراقِيِّينَ . ـ : السُّنَّةُ ما هىَ ؟ .

فقال بعضُهم : السُّنةُ ، السُّنةُ !! . وما دَرَى أحدٌ منهم : ما يُجِيبُ .

(قال) : ثُم حَوَّل وجْهَه إلىَّ ، وقال : بَلغَنى : أنَّك تقولُ بالكِتابِ والسُّنةِ ؛ ولكنَّ السُّنةَ : ما هىَ ؟ .

فقلتُ له : السُّنةُ مَحصُورَةٌ فى ثلاثةِ أوْجُهٍ .

فقال : وَجِّهْها .

---

(١) أى : مماثل لما حكاه سعيد . وفى الأصل : «سعيت» وهو تصحيف .

(٢) أى : فى العدل معنا . وقوله : فقال ؛ أى : ذلك البعض ؛ مقتبسا آية الأعراف (٨٧/٧) : ببعض تصرف ، والزيادة الآتية : من الطابع الأول .

فقلتُ : ٱلائتمارُ بما أمَر به رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ، والانتهاء بنَهْيِه ، والإيتِّساء به : فى فِعلِه صلى الله عليه [وسلم] .

(قال) : فقال لى : فإذا ٱختُلِفَ عليك ، فيما نُقِل إليك عنه : من ٱلحديثِ .؟

(قال) : قلتُ : أطلُبُ ٱلدَّليلَ عَلَى مَوضِعِ ٱلحقِّ فى أحدِ الأحاديثِ ؛ ويكونُ سَبيلِى فى ذلك : سَبيلَ مَن شَهِد عندَه شهودٌ ، فاختلَفُوا فى شهادتهم : فقال بعضهم : أعلَمُ ؛ وقال بعضُهم : لا أعلَمُ . فلابُدَّ مِن طلَبِ ٱلدَّليلِ عَلَى موضع ٱلحقِّ : فى إحدَى الشَّهادات .

فقال أبو العبَّاسِ : أناظِرُكم عَلَى أنِّى إنْ وجَدتُ الحقَّ فى مَذهبِكم : رَجَعتُ إليه ؛ وإنْ وَجَدتُم الحقَّ فى مَذهَبِى : رَجَعتُم إليه . أليْس هذا الإنصافَ : كما قال اللهُ : (قُلْ : فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ ـ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا ـ : أَتَّبِعْهُ ؛ إنْ كُنتُمْ صادِقين : ٢٨ ـ ٤٩) ؛؟! .

(قال أبو عُثمان) : فقلتُ له : أَبَى اللهُ ما ذكرْتَ ؛ ولَمْ تَدْرِ ما أرادَ اللهُ . إنَّما أرادَ : ٱلنَّفْىَ لِأنْ يَأْتُوا بكتابٍ هو : أهْدَى مِنهما ؛ لا : عَلَى أنَّه يُمكنُ أنْ يَأْتُوا بكتابٍ أو بسُورةٍ : مِن مِثْلِه ؛ وهو القائلُ : (قُلْ : لَئِنْ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلقُرْآنِ ـ : لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ؛ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً : ١٧ ـ ٨٨) . فنَفَى عنهم : الإتيانَ بكتابٍ هو : أهْدَى منهما كما قال عز وجل : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه ، وادْعُوا[1] شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ؛ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا : ٢ ـ ٢٣ و ٢٤) . فعُلِمَ بذلك : أنَّه إنما دعاهم عَجْزُهم عن الإتيانِ بسُورةٍ : مِن مِثْلِه .

---

(١) بالأصل : « وادعوا من استطعتم » وهو تصرف من ناسخ أو طابع : ناشىء من الاشتباه بآية يونس : (١٠/٣٨) .

(قال) : فبَدَرَ إلىَّ ابنُ عَبـدونٍ ، وقال لى : يا أبا عُثمان ؛ الحَقْ بِنـا[1] . فنَهَضْنا ؛ فقال لى : ـ بعدَ الخروجِ ـ خِفْنـا[2] : أنْ يَطَّرِدَ الـكلامُ ؛ فبادَرْناكَ بالقيامِ .

* * *

« المجلس الثالث »

قال أبو عُثمان : دَخَلْتُ عليه ، فأجْلَسَنى معَه فى مكانه : وهو يقولُ لرجلٍ ـــ من أهلِ العِراقِ ـــ : المُعَلِّمُ يكونُ أعلَمَ مِن المُتعلِّمِ أبداً ؛ والعِراقِىُّ يقولُ : نعمْ ؛ وأهلُ المجلسِ لا ينطِقُون .

(قال) : فقلتُ : بقِىَ شىءٌ ؟ أو أتـكلَّمُ ؟ .

فتَمادَى ، وقال : أليْس المُتعلِّمُ يكونُ أبداً : مُحتاجاً إلى المُعلِّمِ ؟ ! والعِراقِىُّ يقولُ : نعمْ .

(قال أبو عُثمان) : وفَهِمتُ مُرادَه وقَصْدَه ، و [أنَّه] إنّما أرادَ : تَوْكيدَ الطَّعنِ عَلَى أبى بَكرٍ الصِّدِّيقِ : إذْ سألَ عليًّا عن فَرْضِ الجَدَّةِ ؛ وذكَرَ لى مَعْنى ذلك ؛ فبَدَرْتُ وقلتُ : أسمَعُ كلاماً يَجبُ للهِ علىَّ فيه : أن لا أسكُتَ . فقال لى : وما ذلك ؟ .

---

(٢) هذا هو الظاهر الصحيح . وفى الأصل : «ينالنا» ؛ وهو تحريف .

(٣) بالأصل : «حقنا» ؛ وهو عبث وتصحيف .

فقلتُ المتعلِّمُ يكونُ : أعلمَ من المعلمِ وأفقهَ ؛ ويكونُ أفضلَ منه أيضاً .
فقال لى : وما دليلُك عَلَى ذلك ؟ .

(قال) : قلتُ : رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ حيثُ يقول : « رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَن هو أفقهُ منه ؛ ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غيرِ فَقيهٍ » .

(قال) : قلتُ : وأخْرَى[1] : ما هو مَعروفٌ بيْنَ الخَليقةِ : أنَّ المُعلِّمَ يُعلِّمُ الصِّبْيانَ ، فلا يَزال يُعلمُ : حتَّى يَكْبَرَ الصَّبِيُّ ؛ فيُعطِى اللهُ الصبيَّ ـ : من الفهم بخاصِّ القرآنِ وعامِّه ؛ وغيرِ ذلك : من أسْبابِ العِلمِ ووُجُوهِه. ـ ما لا يَقدِرُ عليه مُعلمُه .

قال لى : أذكُرْ : من خاصِّ القرآنِ وعامِّه شيئاً .
فقلتُ : نعمْ ؛ قال اللهُ : ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ : ٢ — ٢٢١ ﴾ ؛ فكان ظاهِرُها : لعُمومَ .

فلمَّا قال فى موضعٍ آخَرَ : ﴿يَسْأَلونَكَ : مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ؟ قل: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ؛ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: حِلٌّ لَكُمْ ؛ وَطَعَامُكُمْ: حِلٌّ لَهُمْ ؛ والمحْصَنَاتُ: مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ؛ وَالْمُحْصَنَاتُ : مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ :٥ـ٤و٥﴾؛ دلَّ على الآيةِ الأولى : أنَّه إنَّما أرادَ بها : الخصوصَ والمشْرِكاتِ غيرَ الكتابيَّاتِ .

(قال أبوعثمانَ): ثم قال لى : فمن المُحْصَناتُ ؟ .

(قال) : قلتُ : العَفائفُ .

فقال : المُحصَناتُ المتزوِّجاتُ .

---

(١) أى : وحجة أخرى على ذلك .

(قال) : فقلت له : الإحْصانُ[1] فى كلامِ العَرَبِ ـ التى نَزل بلسانِها القرآنُ : الإحْرازُ ؛ فمن أحرزَ شيئاً : فقد أحْصَنَه . فالإيمانُ : إحْرازٌ لِدمِ صاحبِه ومالِه.

والعِتْقُ يُحْصِنُ المَمْلُوكَ : لأنه يُحرِزُه مِن أنْ يَجرِىَ عليه ما يَجرِى عَلى المَملوكِ.

والتَّزْويج يُحصِنُ الفَرْجَ : مِن أنْ يكونَ له مُباحاً ما كان له قبلَ التَّزويج .

والعَفافُ إحْصانٌ : لأنها أحْرزَتْ فرجَها: بالعَفافِ.

(قال أبو عثمانَ) : فقال لى : ما الإحْصانُ عندى إلاَّ النكاحُ .

(قال) : فقلت له : مُنزِل الفُرقانِ يَأْبَى ما ذكرْتَ ـ :

قال اللهُ جلَّ وعزَّ : (وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ التِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا : ٦٦ـ١٢) ؛ يُريدُ : أعَفَّتْه ؟

قال : أعفَّتْه .

(قال) [قلتُ] : نعمْ أعَفَّتْه

وقال: (مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ٤ ـ ٢٥) ؛ يقولُ : عَفائفَ غيرَ زَوانٍ .

قال : فقد قال فى الإماء : (فَإِذَا أُحْصِنَّ فإن أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ : فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلى ٱلْمُحْصَنَاتِ : مِنَ ٱلْعَذَابِ : ٤ — ٢٥) ؛ فكيْفَ يقول : ٱلعَذابُ على ٱلمحصَناتِ ؛ وهُنَّ عندك : قد يَكُنَّ عَفائفَ . ؟ !

(قال) : قلتُ سَمَّاهُنَّ : بمتَقَدِّمِ أسمائِهنَّ ، قبلَ زِنائِهنَّ . قال اللهُ تبارك وتعالى : (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُم : ٤ — ١٢) ـ : وقد ٱنفصَمَتْ

---

(١) للشافعى (رضى الله عنه) : كلام جامع عن معانى الإحصان ، ومفيد فى هذا المقام فراجعه : فى الرسالة ١٣٣ — ١٣٧ ، وأحكام القرآن ١/٣٠٧ — ٣١٢ و ٢/١٨٤ — ١٨٥ وانظر : آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى ٢٩٦ .

العِصْمةُ : بالمَوتِ . — يريدُ : اللاَّتِى كُنَّ أزْواجَكم . وهذا كثيرٌ .

(قال أبو عثمانَ) : وذَكَرْتُ أشياءَ : من ذلك فعارَضَنى بعضُ أحداثِ العِراقيِّين ؛ فقلت له : أمْسِكْ يا حَدَثُ . (قال) : فلم يَنْطِقْ .

فقال : لى أبو العبَّاسِ : فعَذابُ المُحْصَناتِ : الرَّجْمُ ؛ فكيفَ يُعقَلُ نِصْفُ الرَّجم : وقد يُقْتَلُ[1] بواحدةٍ ، ورُبَّما لم يُقتَلْ بأكثرَ من ذلك ؟ ! .

(قال) : فقلتُ : هذا ممَّا كُنَّا فيه ؛ أرادَ : خاصًّا دونَ عامٍّ ؛ أرادَ : نصفَ ما عليهن : من عَذابِ الجَلْدِ ؛ دونَ الرَّجْمِ .

فقال لى : ومَن يقولُ بالجَلْدِ معَ الرَّجْمِ ؟ .

(قال) : قلتُ : علىُّ بن أبى طالبٍ[2](رضى الله عنه) : جَلَد شُرَاحَةَ مائةً ورَجَمَه ؛ وقال : « جَلَدتُك : بكتابِ اللهِ ؛ ورَجَمتُك بسُنَّةِ رَسولِ اللهِ . » .

(قال) : فقال لى : ياشيخُ ؛ أنت تَلُوذُ .

(قال) : فقلتُ : ليسَ أنا الذى ألوذُ — : لأنِّى أنا المُجيبُ . — وأنتَ الذى تَلوذُ : لأنِّى إذا وَقَفْتُك ـ من المسألةِ ـ على حدّ : لُذْتَ أنتَ إلى مسألةٍ أخْرَى : غيرِ ما سألْتَنى عنه .

(قال) : ثم صِحْتُ : ألا أحدٌ يكتُبُ ما أقولُ ويقولُ ؟ . فوَقَى اللهُ شرَّه[3] .

قال : فكأنَّك تقولُ : إنَّك أعلَمُ الخَلقِ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : أمَّا بِدِينِى : فنَعَمْ ؛ لأن دِينِى هو الحقُّ : الذى ليْس الحقُّ فى سِواهُ .

---

(١) أى ؛ من يراد رجمه . وانظر فى هذا البحث : أحكام القرآن وهامشه ١/٣٠٨ .

(٢) خلافا لبعض الصحابة : كابن عباس ؛ وبعض الأئمة : كالشافعى ؛ فى أن الجلد قد نسخ : بحديث عمر ، وحديث أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى . انظر : أحكام القرآن وهامشه ٢/٣٠٥ — ٣٠٧ .

(٣) يعنى : فلم يغضب أبو العباس ، ولم يأمر بالتنكيل به .

قال : أفَمَا تحتاجُ فيه إلى زِيادةٍ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : لا .

قال لى : فأنتَ ـ إذاً ـ أعلمُ من موسَى : حين قال للخَضِرِ : (هلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً : ١٨ ـ ٦٦) ؟ ! .

(قال) قلتُ : قائلُ هذا القولِ ، غامِطٌ[1] على موسى فى نُبُوَّتِه : إذْ يَزْعُمُ : أنَّ اللهَ اصْطفَاهُ برسالتِه ، وبكلامه ونُبوَّتِه ؛ وهو يحتاجُ إلى أن يَعلمَ ـ بعدَ ذلك ـ شيئاً : مِن دينه . مَعاذَ اللهِ .

إنَّما كان العلمُ ـ الذى كان عندَ الخَضِرِ ـ : علْمَ سَفينةٍ كان غَرَّقَها : لِعلْمِه بالمَلِكِ الذى يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْباً ؛ وغلاماً[2] قتَله : لِعلْمِه بكُفرِه وإيمانِ أبَوَيْهِ ؛ وجِداراً أقَامَه : عِلْماً بالكَنْزِ الذى كان تحتَه . وذلك: لا يَزِيدُ فى دينِ موسى شيئاً .

(قال أبو عثمانَ) : ثم قال لى : فأنا أسألُكَ .

(قال) : قلتُ أوْرِدْ أبداً ؛ وعَلَىَّ الإصْدارُ بالحقِّ : بلا ثَنْوَى[3] .

(قال) : قال لى : ما تفسير « اللهِ » ؟ .

(قال) : قلتُ ذُو الإلاهَةِ .

قال : وما الإلاهَةُ ؟ . قلتُ : الرُّبُوبِيَّةُ .

---

(١) أى : من زعم أن موسى (عليه السلام) كان محتاجا إلى معرفة شىء من دينه ؛ عن طريق الخضر ـ : فقد غمط حقه ، وازدراه واحتقره . وفى الأصل : « غامض » ؛ وهو تصحيف .

(٢) يعنى : وعلم غلام ... وعلم جدار . ولعل أصلهما : « وغلام ... وجدار » .

(٣) أى : بلا استثناء ؛ انظر المختار : (ثنى) . وعبارة الأصل : « مثنوية » ؛ ولعلها مصحفة عما ذكرنا :

قال : وما الرُّبوبيَّةُ ؟ . (قال) : قلتُ : المِلْكُ للأشياء .

(قال) : فقال لى : قُرَيْشٌ كانت فى جاهِلِيَّتِها تَعرِفُ اللهَ ؟ .

قلتُ : لا . قال : لا ؟ .

قلتُ : لا ؛ لأنَّها كانتْ تقولُ : اللهُ ذُو الشُّرَكاء ، والآلِهَة ؛ فلم تَعرِفْه : إذ قالتْ : ذو الشُّرَكاء ؛ وإنما يَعرِفُ اللهَ مَن قال : إنَّ اللهَ وحْدَه ، لاشريكَ له .

قال : فمَنْ « الذين آمنوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : نحنُ ومَن تَرَى ؛ وأَوْمَأْتُ[1] إلى أصحابِنا : وهمْ بيْنَ يدَيْه .

فقال[2] : مَن « الذين هادُوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : هذا : مِن ذلكَ الذى تَقدَّم ذِكْرُه[3] ؛ سمَّاهم بمتقدِّم كلمةِ — : كانتْ منهم يَأْتُونَها ، وكانوا بها مُسلِمين . — يقولون : هُدْنَا إليْكَ .

قال : فمَن « النَّصارَى » ؟ .

(قال) : قلتُ : المُتكلِّمون فى المَسيحِ صلَّى اللهُ عَلَى نبِّينا محمدٍ وعليه .

قال : فمَن « الصَّابِئُونَ » ؟ .

(قال) : قلتُ : هم : الذين عَبَدُوا الملائكةَ ، وزَعَموا : أنَّهم بناتُ اللهِ . —

(قال أبو عثمان) : وهذا قولُ أهل العلْمِ ؛ فبدَأْتُ بجوابِهم : قبْلَ أنْ أُجيبَه بكلامِ المُتكلمينَ . —

(قال أبو عثمانَ) : فقال لى : هم الذين عَبَدوا الملائكةَ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : نعمْ ؛ وزَعم هشامٌ[4] : أنَّهم أصْلُ المَانَوِيَّةِ[5] .

---

(١) بالأصل : «واوميت » ؛ وهو خطأ كما نص عليه فى المختار : (و م أ) .

(٢) بالأصل : « وقال » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٣) عند الكلام على آية النساء (٣/٢٥) : ص ٢٦٦

(٤) المراد به : هشام بن الحكم ؛ أحد كبار الرافضة ، وزعيم الفرقة الحكمية .

(٥) كذا بالأصل . ويقال لهم : المانوية ؛ أتباع مانى الفارسى . راجع : اعتقادات الفرق للفخر الرازى (ص ٨٨) .

قال : فمَن « الذين أشرَكُوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : هم : الذين عَبدُوا الأصْنامَ ؛ الذين أرْسَلَ إليهم رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) ، علىّ بن أبى طالب — بآيةٍ من سُورةِ [بَرَاءَةَ] (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرسولِهِ ، إلَى الذينَ عَاهَدتُمْ : مِنَ الْمُشْرِكينَ ؛ فَسِيحُوا فى الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ : ٩ — ١ و ٢) .

(قال) : فقال لى : وما كانتْ تَعبُدُ قُرَيْشٌ ؟ . قلتُ : الأصْنامَ .

قال لى : وما الأصْنامُ ؟ . قلتُ : الحِجارةُ .

قال لى : والحِجارةُ كانتْ [تُعْبَدُ] ؟ ! . (عَلَى النَّكِيرِ : لِأنْ تكونَ الحجارةُ هى الأصْنامَ) .

(قال) : قلتُ : نعمْ ؛ والعُزَّى كانتْ تُعْبدُ : وهى شَجرةٌ ؛ والشِّعْرَى كانتْ تُعْبَدُ : وهى نَجْمٌ ؛ .

[قال] : اللهُ يقولُ : (أمَّن لاَّ يَهِدِّى إلاَّ أنْ يُهْدَى : ١٠ — ٣٥) ؛ فكيف تقولُ : إنها الحِجارةُ ؛ والحجارةُ لا تَهدِى إذا هُدِيَتْ : لأنها ليستْ مِن ذَواتِ العَقلِ . ؟ ! .

فعارَضَنى بعضُ أهلِ المجلسِ — : كالمُعِينِ له . — فقال : كيفَ تعقل[1] الحِجارةُ : وليستْ من ذَواتِ النُّطقِ . ؟ .

(قال) . فقلتُ للمُعارِضِ : أمْسِكْ ؛ مالكَ ولذا ؟ ! .

ثم قلتُ : قد أخبرَنا الله : أنَّ الجُلودَ تَنطِقُ فى الآخِرةِ ؛ وليْستْ من ذَواتِ النُّطقِ .

(قال) فقال : نُسِبَ إليها النُّطقُ عَلَى المجَازِ ؛ والنُّطقُ للأفواه .

---

(١) بالأصل : « تفعل » ؛ وهو تصحيف .

(قال) : فقلتُ : مُنزِل الفُرقانِ يَأْبَى ما ذكرْتَ ؛ قال الله : (اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون[1] ٣٦ — ٦٥) — (قال : أبو عثمانَ) : وأشَرْتُ بإصْبَعِي السَّبَّابةِ إلى فَمِي ، فقلتُ : خَتَمَ اللهُ على أفْواهِهم . — ثم نَفَى بقولِه : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ : لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ : ٤١ ـ ٢٤) .

وما الفَرقُ بَيْنَ جِسمِك وأجْسامِنا والحجارةِ ، إلاَّ : أنَّه عَقَّلَنا اللهُ : فعَقَلْنا ؛ ولو لم يُعَقِّلْنا : ما عَقَلْنا . ؟ ! .

وكذلك الحِجارةُ : إذا شاء [اللهُ] أنْ يُعَقِّلَها : عَقَلَتْ .

هذا الجَبلُ لمَّا عَقَّلَه اللهُ عقْلَ جَلالٍ تجَلَّى : أنْدَكَّ ؛ قال اللهُ تبارك وتعالى : (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ : جَعَلَهُ دَكًّا : ٧ ـ ١٤٣) .

* * *

« المجلس الرابع »

قال أبو عثمانَ : هذا مَجلِسٌ دارَ بَيْني وبَيْنَه : ما رأيْتُه أقْرَبَ إلى الإنْصاف منه فيه ؛ وكأنَّه ـ : في مُناظَرتِه لي . ـ إنما يُناظِرُني عن مَذهبِ غيرِه .

وذلك : أنَّ المسألةَ جَرَتْ بَيْنَنا وبينه ، في بابِ : « الفاضِلِ والمَفضُولِ » ؛ لأنَّ مِن أصْلِ مَذهبِه ، القول : بأنَّه لا يَجوزُ تَقديمُ المفضُولِ على الفاضلِ ، بعد الاتِّفاقِ ـ من الخَصْمَيْنِ ـ : على الفاضِلِ .

---

(١) بالأصل : « يعملون » ؛ وهو تصحيف بالمعنى

فقال لى : أليس قولكَ : إجازةَ تقديمِ المَفْضُولِ على الفاضِلِ . ؟ ! .

فقلتُ : أعزَّكَ [اللهُ] بتوفيقِه ؛ أنا مُتَّبِعٌ — فى ذلك — لِكتابِ اللهِ ، وسُنةِ نبيِّه عليه السلامُ . وذلك لا يَخفَى عن ذِى لُبٍّ : نَظَر فى كتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ ولا يَعْدُوها إلى غيرِها .

قال لى : وأيْنَ تَجِدُ ذلك : فى كتابِ اللهِ . ؟ .

(قال) : قلتُ له : قال اللهُ :) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ؛ قَالُوا : أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا : وَنَحْنُ أَحَقُّ منه [بالْمُلْكِ] ؛ [وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ] ؟ ! قَالَ : إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عليكم ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ : ٢ — ٢٤٧) .

فقال عندَ [ذ] لك — كالمُغْضَبِ — : ليس القِصَّةُ كما تَوَهَّمتَ .

فقلتُ له : والأمر الذى لم أتوهَّمْه — : وفيه الحقُّ عندَك . — هل إلى ذِكْرِه من سبيلٍ ؟ .

فقال : نعمْ ؛ ذكرْتَ خبرَ طَالُوتَ ، واحْتَجَجْتَ فيه : بقولِ نَبِيِّهم وقولِ أهلِ الجَيشِ .

فقلتُ له : قال اللهُ : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إِنَّ اللهَ قد بعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً) ؛ فاقْصِدْ إلى موضوعِ حُجَّتِك ها هنا .

ثم قلت : أعزَّ اللهُ الأميرَ ؛ لَمَّا كان خُروجُ طالوتَ من فوقِ إذْنِ نَبِيِّهم ، ثَبَتَ : أن اللهَ قدَّم المَفْضُولَ على الفاضلِ ؛ إذْ كنَّا لا نشُكُّ ـ نحن ومن خالفَنا ـ : أنَّ نَبِيَّهم أفضلُ من طالوتَ وطالوت هو المفضولُ .

فقال لى : وهكذا اعتقادُك ؟ .

فقلتُ : نعمْ ؛ أيُّها الأميرُ .

فقال لجميعِ من حَضَره ـ ممَّن حولَهُ : من أهلِ المجلسِ ـ : افهَمُوا عنَّا ؛

(ثُمَّ أومأَ إلىَّ ، وقال لى) : إنَّما كان خروجُ طالُوتَ : مِن تحتِ يدِ نبيِّهم ؛ لا كما تَوَهَّمْتَ : أنَّه مِن فَوقِ إذْنِه . لأنَّ نبيَّهم هو الذى أخبرَهم : أنَّ طالُوتَ مُقدَّمٌ عَلَى الجيشِ ؛ فلمَّا كان هذا هكذا : كان الفاضِلُ بعدُ هو المَفْضُولَ . فقد تَبيَّنَ فسادُ قولِك وتَناقُضُه .

فقلتُ له : إنِّى — بإذْنِك . — أسْتَوْفِى حُجَّتِى ؛ فإنْ أذِنتَ لى فى الكلامِ: أتيْتُ عَلَى ما أُريدُ .

فقال لى : قلْ ، ولا تُبْقِ : من حُجَّتِك ؛ شيئاً .

فقلتُ له : نفْسُ الآيةِ لى شاهدٌ ؛ ولا تكونُ الحُجةُ من غيرِها .

وذلك : أنَّ اللهَ أخبَرَ عن نبيِّهم : أنَّه قال لهم : (إنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً) ؛ ولم يقُلْ : إنِّى بَعثْتُه لكم . فلمَّا جاء الخَبَرُ من نبيِّهم ، وأضافَه إلى اللهِ ، لا إلى نفْسِه — : وَجَب بهذا : أنَّ أمْرَ طالُوتَ مِن فَوقِ إذْنِ نبيِّهم ، وكذلك قالتْ الآيةُ .

ثم قلتُ له : وهذه سُنةُ رسولِ اللهِ (صلى اللهعليهوسلم) ؛ فانظرْ منها : إلى تَقديمِ المَفضُولِ على الفاضلِ ؛ وهو مالا يُنكِرُه أحدٌ .

مِن ذلك : أنَّ رسولَ اللهِ (صلى اللهعليهوسلم) أمَّر على جيشٍ : عَمْرَو بنَ العاصِ ؛ فكان : يَقْسِمُ الفَيْءَ ، ويأمُرُ وينهَى : فيُطاعُ ؛ ويُصلِّى لهم الصَّلَواتِ ؛ ويُشاوِرونَه ويَستأْذِنُونَه : فى جميعِ شأْنِهم . وتحتَ يدَيْه فى الجيشِ : أبو بكرٍ وعُمرُ ؛ وهما جميعاً أفضلُ منه : لا يَشُكُّ فى ذلك أحدٌ .

وأيضاً : أنَّ النبىَّ (صلى الله عليه وسلم) أمَّر على جَيشٍ : زَيدَ بنَ حارِثةَ ؛ فكان : يَفعَلُ فى ذلك ، وفيمَن تحتَ يدِه : من المسلمينَ — : كفِعْلِ عَمرِو ابنِ العاص ، فيمَن تحتَ يدِه من المسلمينَ — : وتَحتَ يدَيْهِ فى الجيشِ : ذو الجناحَيْنِ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ ؛ وهو أفضلُ من زيدِ بن حارِثةَ .

فلمَّا ثَبَتَ ذلك عندَنا ، وقام مَقامَ ٱلعِيانِ ـ : جاز للأمَّةِ : تقديمُ المَفضُولِ عَلَى ٱلفاضِلِ .

فقال لى : نحنُ لا نقولُ كقولِك : إنَّ للأمَّةِ : أنْ تَجتَمِعَ ، فتُقدِّمَ عَلَى نفسِها إماماً . وإنَّما يكونُ ٱلإمامُ : مَن اصطَفاهُ اللهُ ورسولُه . وأمَّا مَن لم يُقدِّمْه اللهُ عَلَى خلقِه ، ولم يُقدِّمْه رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ـ : فكيفَ له ٱلتَّقديمُ ؟! :

فقلتُ : أعزَّ اللهُ السَّيدَ ؛ إنَّ الذى ٱصْطَفاهُ اللهُ ورسولُه ، لا يَعدُو إحدَى مَنزِلَتَيْن : إمَّا أنْ يَنطِقَ به كِتابٌ ناطِقٌ ، أو سُنةٌ ثابتةٌ عن رسولِ اللهِ .

ولمَّا لم نَجِدْ فى كتابِ اللهِ : أنَّ اللهَ نَصَبَ إماماً ، أو فَرَضَ طاعتَه ـ : ورسولُه[1] لم يُقِمْ إنساناً بعَيْنِه ، فيقولَ : « أيُّها الناسُ : هذا وَصِيِّى وخَليفَتِى مِن بَعدِى » ؛ وكان يقولُ صباحاً ومَساء : « خَلَّفْتُ فيكم ما إنْ تَمَسَّكْتُمْ به : لم تَضِلُّوا ؛ كتابَ ربِّى ، وحَوَارِىَّ أصْحابى » ؛ وعَلَّمنا[2] : الحَلالَ والحَرامَ ، وما نَأْتِى وما نَذَرُ . ـ : كان مَن اجْتَمعَ عليه المسلمونَ : ثابتَ الأمرِ صَحيحَ الأحْكامِ ؛ يَعمَلُ : بكتابِ اللهِ ، وسُنةِ رسوله . وما لم نَجِدْه[3] فى كتاب اللهِ ، ولا فى سُنةِ رسولِ اللهِ ـ فهو مأخوذٌ : مِن الاجْتِهادِ . ومن أتْباعِ السَّلَفِ المُتقدِّمينَ .

هذا : قولُنا ؛ والأمرُ : على ذلك ؛ إلى هذا الوَقتِ .

فقال لى : قد ثَبَتَ فسادُ هذا عليك ، فى صَدْرِ مُناظَرتِنا : ممَّا أوْرَدْتَه عليك فى تَقديمِ المَفضُولِ عَلَى الفاضِلِ[4] .

---

(١) بالأصل : « ولا رسوله » ؛ والظاهر : ما أثبتنا ؛ وأن الزيادة من الناسخ أو الطابع . وإلا : كان الكلام غير مستقيم المعنى ، ومحتاجا إلى تعديل آخر . فتأمل .

(٢) بالأصل : «علمنا» ؛ وزيادة الواو متعينة ، » وجواب(لما) قوله : « كان » الآتى .

(٣) بالأصل : « نجده » بالتاء ، ولعله مصحف عما أثبتنا .

(٤) انظر صفحة : ٢٧٢

فلمَّا سمعتُ كلامَ رجلٍ يُباهِتُ العِيانَ ، ويَزُولُ عن الحقِّ — : رأيتُ الصَّوابَ : فى الإعْراضِ عن مُعارضته .

وذلك: أنِّى لم أحْتَجَّ عليه بحُجَّةِ : عَقلٍ ، ولا وَزْنٍ : من قِياسٍ . وإنَّما قابلتُه : بكتابِ اللهِ ، وأفعالِ نبيه (صلى الله عليه وسلم) وإجْماعِ المسلمينَ . وجَعَل : يُدْخِلُ عَلَىَّ كثْرةَ الاسْتِفهامِ ، وكثْرةَ التَّكْرارِ — : بلا حُجَّةٍ حاسِمَةٍ ، ولا بُرْهانٍ مُبينٍ . نَعُوذُ باللهِ : من الحَيْرةِ فى الدِّينِ ؛ وإيَّاهُ أسألُ المَعُونةَ والتَّوْفيقَ .

***

قال أبو بَكرٍ محمدُ بن محمدٍ اللَّبَّادُ : حدَّثنى أبو عُثمانَ ؛ قال :

بَلغَنى عن رَباحِ بنِ يَزيدَ : أنَّه كان قَسَمَ خِدْمَةَ دارِه — عليه ، وعلى زَوجتِه ، وعَلَى خادِمٍ له سَوداء — : يَخدُمُ يوماً ، وتَخدُمُ زَوجتُه يوماً ، وتَخدُم خادِمُه يوماً .

فأقبلَتْ خادِمُه فى يومِها — الذى كانتْ تخدُم فيه — : بُحزْمةِ حَطبٍ ؛ فقلَبَتْها عنها فى بعضِ الطَّريقِ : فوضَعَتْ الحُزْمةَ بالأرضِ ، ووَضَعتْ رأسَها عَلَى الحُزْمةِ ثُم رَقَدتْ .

فأقبلَ رباحٌ : فرأى ما فعلَتْ الخادِمُ ؛ فرَفَع رأسَها برِفْقٍ — : وقد اسْتَثْقلَتْ نوماً . — حتَّى نَحَّى الحُزْمةَ من تحتِ رأسِها ، ووَضع كِساءَه تحتَ رأسِها ؛ وانْطَلَقَ بحُزْمةِ الحطَبِ : حتَّى أدخلها داره .

ثُم عاد : فكان قريباً من السَّوداء ، يَنتَظِرُ : أنْ تَهُبَّ من منامِها ، ويَأْخُذ كِساءَه ، وكَرِهَ : أنْ يُوقظَها ؛ فيَنغَّص عليها نَومَها .

فانْتَبَهَتْ السَّوداء — : ولم تر الحُزْمةَ ، ورأتْ رَباحاً . — فارْتاعَتْ : خوفاً عَلَى نفْسِها منه .

فجعَل يقولُ لها : أنتِ حُرةٌ ، أنتِ حُرةٌ ؛ لِتأمَنَ عَلَى نفسِها : حينَ أعتَقها.

* * *

قال أبو بَكرٍ : وحدثَنى أبوعُثمانَ ؛ قال : حدثَنى داودُ بن يَحيى ؛ قال : حدثَنى أبو خالدٍ القبابُ ؛ قال :

بينَا أنَا ذاتَ يومٍ فى دارِى : إذْ سمِعتُ قَرْعَ البابِ ؛ فقلتُ : مَن هذا ؟ . قال : أبو يَزيدَ .

فقلتُ : مَن أبو يَزيدَ ؟ . قال لى : رَباحُ بن يزيدَ .

فنَهَضتُ إليه ، وجَعلْتُ أقولُ : لا حَولَ ولا قُوةَ إلاَّ باللهِ ؛ لا تَدخُلُ : حتَّى تَستأذِنَ ؟! هل عندى أحدٌ : يَحتَجِبُ منك ؟! .

فدَخَل ـ : وفى كُمِّه دَراهِمُ ، وعَلَى مَنكِبِه الأيْمَنِ كِساءٌ ، وعَلى مَنكبه الأيْسَرِ كِساءٌ . ـ فقال لى : لى إليك حاجةٌ .

فقلتُ له : وهذا مِثْلُ الأولِ ؛ لا تَأخُذُ[1] حاجتَك : حتى تَسألَنى فيها ؟! (أو نحوَ هذا : من القولِ) .

قال لى : خُذْ أحدَ هٰذَيْنِ الكِساءَيْنِ .

فمَدَدتُ يدِى إلى أدْناهما، فقال: ليس هذا يَصلُحُ لك؛ أنا : بَدَوِىٌّ ؛ وأنتَ: حَضَرِىٌّ ؛ والحضَرِىُّ أوْلَى بالجَيِّدِ . فعُدْتُ إلى الجَيِّدِ : فأخذْتُه .

ثم صَبَّ الدَّراهِمَ من كُمِّه ، فجَعَل : يَعزِلُ دِرهماً هاهُنا ، ودِرهماً هاهُنا ؛ حتى لمَّا فَرَغ منها ، قال لى : خُذْ إحداهما .

فمَددتُ يدِى إلى إحدَى الصُّرَّتَيْنِ : فأخذْتُها .

ثم قال لى : هلْ لك فى أنْ تَدعُوَ ونُؤَمِّنَ ؛ أو ندعُوَ ونُؤَمِّنَ ؟

فقلتُ له : بلْ تَدْعُو وأُؤَمِّنُ .

---

(١) بالأصل : « نأخذ » بالنون . وهو تصحيف .

فأخذَ : يدعُو وأنا أُؤَمِّنُ ؛ حتى رَقَّ : فبكَى ؛ ورَقَقْتُ لبُكائه : فبكَيْتُ ، ورَقَّتْ أهلى لِبُكائنا : فبكَتْ ؛ وسمِعتْ بُكاءَنا جارةٌ ـ من جيرانِنا ـ : فبكَت لبُكائنا ؛ ثم سمِعت البُكاءَ امْرأةٌ أخرى : فبكَتْ : واتَّصل البكاء فى نِساء جيرانِنا : حتى صِرْنا فى مأْتمٍ .

وجعلَ يقولُ فى دعائه : اللَّهم ؛ افتَحْ لنا فى الحجِّ مِن عامِنا .

ثم خَرَج عنِّى : فأقامَ ما شاء اللهُ أنْ يُقيمَ ؛ ثم أقبَلَ قادِماً من منزِلِه ـ : ومعَه خمسونَ دِيناراً . ـ فقال لى : أوْصَى رجلٌ صالحٌ ـ من جيرانِنا ـ : أن يُحَجَّ عنه بهذه الخمسين ؛ وأنا خارجٌ إلى الحجِّ .

فاغْتَمَمْتُ ، وقلتُ فى نفْسى : رجلٌ صالحٌ دعا لنفسِه ولى ؛ فاسْتُجِيبَ له : فى نفْسِه ؛ وبَقِيتُ أنا .

فأَقمتُ : حتَّى لم يبقَ ـ : من رِفاقِ الحجِّ . ـ إلاَّ رُفْقةٌ : تخرُجُ فى غدِ اليوم الذى كنتُ فيه ؛ فلم أشعُرْ إلاَّ برسولِ ابن غانمٍ القاضى : قد وَقَف بى ، برسالةٍ : فى مجيئى إليه .

فنَهَضتُ إليه ؛ فلمَّا رآنى قال : أنتَ ـ أبا خالدٍ[1] ـ : من إخوانِ اللَّيلِ ؛ ما تُرَى إلاَّ فى الغِبِّ .

ثم قال لى : هذه أربعونَ دِيناراً أوصَى بها رجلٌ صالحٌ : أنْ تُدفَعَ إلى من يَحُجُّ بها عنه ؛ ونحن نَرَى : أن لا تُدفَعَ إلاَّ إلى مَن ترجو بَرَكته ؛ فخذْها .

فقلتُ له : ما بَقِيَتْ إلاَّ الرُّفقةُ التى تخرُجُ غداً . . ؟ .

فأقْبَلَ على صاحبٍ له ، فقال له : اذهَبْ معه ؛ فلا يُنادَى بالعَصرِ : وبقِيَتْ له حاجةٌ .

---

(١) بالأصل : « أبو خالد » : والظاهر أنه تصحيف .

(قال) : فما نودِىَ بالعَصرِ : حتى قضِيَتْ جميعُ حوائجى ؛ ثم غَدَوْتُ معَ مَن غَدَا إلى الحجِّ : فما أبْصَرْتُ رَبَاحاً إلاَّ بعَرَفاتٍ .

* * *

محمدُ بنُ مَحْبُوبٍ

١١٦ ومحمدُ بن مَحْبُوبٍ ؛ كان : جَلِيساً لابنِ طالبٍ ؛ وكان ، حَسنَ المُناظَرةِ ، جَيِّدَ القَرِيحةِ .

قال لى عباسُ بن عيسى : قال لى الرَّقّادىُّ : لم يكن ابنُ مَحْبُوبٍ يُتعَادَقُ فى علمِ الكلامِ ؛ وإنَّما كان كلامُه : فى المُناظَرةِ الدَّائرةِ بيْنَ الفُقَهاءِ فى الفِقْهِ .

(قال) : فَشَهِدْتُهُ يوماً : وقد جالَسَهُ بعضُ القَدَرِيَّةِ ؛ فتَخَاوَضَا الكلامَ : فى القَدَرِ .

(قال) : فأخذ ابن محبوب كِتفاً بَيْنَ يدَيْه . وجَعَل يُوَقِّعُ فيها نَقائضَ مَقالَةِ القَدَرِيَّةِ : حتَّى مَلأها ؛ ثُم قرأتُها : فما رأيتُ كلاماً أوعَبَ لِعُيونِ المعانى ؛ مِن كلامِهِ

قال محمدٌ : وقد ذكرْتُ بعضَ كلامِ ابنِ مَحبوبٍ معَ ابنِ طالبٍ فى كتابِ : (الاقْتِباسِ)[1] فاسْتَغْنَيْتُ عن ذكرِه فى هذا المكانِ .

* * *

أبو عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ : محمدُ بنُ علىٍّ

١١٧ وأبو عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ : محمدُ بن علىٍّ ؛ كان يَغلِبُ عليه : مَذهبُ الشَّافعىِّ : ومُعارضاتُ المُزَنِىِّ ، ومعانى النُّظَّارِ فى الفِقهِ .

---

(١) بالأصل : « الا ق . . » ؛ ولعل أصله ما أثبتنا .

وكان يَذهَبُ مَذهبَ المُزَنيِّ : في أنَّ الاسمَ غيرُ المُسَمَّى ؛ ويقول : لو كان الاسمُ هو المُسَمَّى . ، لكنتَ إذا قلت : نارٌ ؛ وجدتَها تَلْفَحُ ؛ وإذا قلت كلبٌ ؛ وَجَدْتَهُ يَنْبَحُ .

وكانتْ له أوضاعٌ في الفقهِ ـ حَسنة : على معاني النَّظرِ ـ : كَكتاب الحُجَّة في الشَّاهدِ واليَمين[1] ؛ أربعةِ أجزاء ؛ وكتابه : في الرَّدِّ على الشَّكُوكيَّة .

وكان : جليلَ المِقْدارِ ، رئيساً ومن رُؤساء العلماء ؛ صَحِبَ المُزَنيَّ ، ومحمدَ ابن عبد اللهِ بنِ عبد الحَكَمِ ؛ وعَرَض عليه أبو العبَّاسِ بنُ إبراهيمَ [ولايةَ][2] القضاء ؛ فأبى : أنْ يَقْبَلَها .

* * *

أبو إبراهيمَ إسحاقُ بنُ نُعمانَ

١١٨ ومِن رجالِهم ، رجلٌ اسمُه : إسحاقُ ؛ يُكنَّى : بأبي إبراهيمَ بن نُعمان .

كان مَذهبُه : مذهَبَ الشافعيِّ ، والنَّظرَ ، والحديثَ .

ولم يكنْ من أهلِ المُناظَرَةِ ؛ إلاَّ أنَّه لَقِيَ الرجالَ الكِبارَ : بالمَشْرق ؛ وسَمِعَ منهم ؛ وسمع بالقَيْروَانِ : من يَحيى بن عُمر ، وغيرِه .

كان يُحكَى : أنَّهُ جَمَعَه الطريقُ بالحِجازِ : برجلٍ بَغداذيٍّ ـ : وكان إذْ ذاكَ : يَرَى رأْيَ مالك . — فقال[3] البغدادي : رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له ابنُ نُعمانَ ـ فيما ذُكِرَ ـ : مالكٌ لا يَرَى ذلك .

---

(١) بالأصل : «ويمين» ؛ ولعله محرف عنه . (٢) زيادة حسنة .

(٣) يعني : فتناظرا في مسئلة فيها خلاف بين مالك والعراقيين ؛ فشرع البغدادي : يحتج عليه ـ من السنة ـ بما يثبت مذهبه ؛ فلم يكد ينطق بها : حتى قاطعه ابن نعمان : بأن مالكا لا يرى ذلك . فلا تتوهم : أن الحديث المحتج به قد سقط من الأصل .

فقال البغدادى : شاهَتْ وُجوهُكم يا أهلَ المغربِ ؛ تُعارِضُون قولَ النبىِّ بقولِ مالكٍ ؟ ! .

* * *

أبو بكرِ بن ٱلقمودىّ

١١٩ وأبو بكرِ بنُ ٱلقمودِىّ ؛ كان : حادَّ القَنا؛ بَصيراً : بوُجوهِ الكلامِ ؛ عارفاً : بأبْوابِ ٱلمُناقضةِ ؛ مُتدَرِّباً : فى صنعةِ ٱلمُعارَضةِ .

صَحِبَ : سَعيدَ بن ٱلحدَّادِ ، وغيرَه : من وُجوهِ ٱلعُلَماء .

وناظرَ أبا العبَّاسِ الشّيعىَّ مناظرة : أفْحَمه فيها ؛ فجَعَل أبوعبدٱلله ٱلشّيعىُّ : يحرِّكُ له إصْبَعَه ، ويقولُ له : وإنك لَتُظْهِرُ لأهلِ البيتِ ، ما أرَى منك : البَغْضاءَ ؛ وتَنْصِبُ فى تَوْهينِ أمْرِك[1] ، ما أسْمَعُ : من حِجاجِك : فاضْطُرَّ الرجلُ إلى الاعْتِذارِ ؛ وخافَ سَفْكَ ٱلدَّمِ . ولم يَدْخُلْ فى قلوبِ ٱلقومِ له — من الإجْلالِ والمَهابَةِ . — ما دَخَلَ لِسعيدِ بن ٱلحدَّادِ .

* * *

ٱبنُ الصَّبَّاغِ

١٢٠ ورجلٌ يُعرَفُ بابنِ ٱلصَّبَّاغِ ؛ كان : كَلَامِيًّا[2] حادًّا جَسوراً .

وكان : لا يقرُّ بحُجَّةِ الإجْماعِ — : التى نَصَبَها النُّظّارُ[3] فى كُتُبِهم . — ويقولُ : لم يكونوا فى بيتٍ واحدٍ ، ولا مِصرٍ واحدٍ — : فيُسْأَلُوا ، فيُعْرَفَ

(١) أى : تقيم فى إضعاف شأنك عندنا . ولا يبعد أن يكون مصحفا عن : «أمرهم» ؛ أى : أهل البيت . فتأمل . (٢) أى : منطيقا ؛ كما فى المختار .

(٣) بالأصل : « ابن النظار » ؛ وهو تصحيف .

اجْتِماعُهم ؛ مَن ادَّعى الإجماعَ : فقد ادَّعَى المُحالَ الذى لا يَصحُّ أبداً[١] .

وكان يقولُ : ما أُبالِي إذا قامتْ لقولٍ حُجَّةٌ — من كتابِ اللهِ أو من سُنةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . — لو أُوتِيَ بها على قَرْنِ جبلٍ .

قيل لِبعضِ المُتكلِّمينَ ببَلدِنا : مَنْ أحَدٌ : ابن الصَّبَّاغ ؟ أوْ ابنُ التَّمَّارِ ؟ . فقال : ابن الصَّبَّاغ أحدٌ وأجرَأُ[٢] على اللهِ .

* * *

إبراهيمُ بنُ محمدٍ الضَّبِّيُّ

١٢٠ وإبراهيمُ بن محمدٍ الضَّبِّيُّ، المعروف : بابن البِرْذَوْنِ : كان : تَرْبِيةَ نِسعيدِ بن محمد بن الحدَّاد ، وتلميذاً له . وكان : ذا بأْسٍ[٣] شديد : وأُبَّهةٍ نَبيلةٍ : وكان لى جاراً .

فأخبرَنى علىُّ بن مَنصورٍ الصَّفَّارُ — : وهو ابن خالته . — قال : سمعتُه يقولُ: إنِّى أتكلمُ فى سبعةَ عَشَرَ فنًّا : من العِلْمِ .

وكان : شديدَ التحكُّكِ بالعِراقيِّينَ : دارَتْ عليه دائرةٌ — : من أسْبابِ مُلاحَاةِ الرجال . — فضُرِبَ فيها : بالسِّياط ، ثم خُلِّصَ من تِلْكَ .

ثم دارَتْ عليه — من [بعدِ] ذلك . — دائرةٌ أخرَى : فَضُمَّ إلى السِّجنِ هو ورجلٌ كان يُعْرَفُ : بابنِ هُذَيْلٍ ؛ وعُيِّنَ[٤] عليهما المَرْوَذِيُّ القاضى ، وابنُ ظَفَرٍ ، والكِلاعِيُّ .

---

(١) لا تتأثر بهذا الكلام الواهى ؛ وارجع إلى الكتب الأصولية ، وانظر : آداب الشافعى وهامشه (ص ٢٣٢ و ٣٣٤) .

(٢) بالأصل : « وأجرى » ؛ ولعله من باب التسهيل .

(٣) بالأصل : « بأو » ، ولعله مصحف عما ذكرنا .

(٤) أى : ألزم بحفظهما وحراستهما . أو بالنظر فى قضيتهما . وفى الأصل : «وعنى» ؛ أى : اهتم بأمرهما . والظاهر أنه مصحف عما أثبتنا .

فخرج فيهما التوقيعُ إلى حسنِ ابن أبي خِنزيرٍ العاملِ ، من عندِ أبي عبد الله الشِّيعي ـ أو من عندِ أخيه أبي العبّاسِ ، بعدَ خروجِ أبي عبدِ الله ـ : أنْ يَضرِبَ ابن هُذَيلٍ خمسمائةِ سَوطٍ ، وأن يَخْبِطَ رَقبةَ إبراهيمَ بنِ البِرْذَوْنِ .

فغلطَ ابنُ أبي خِنزيرٍ : فأخْرَجَ إبراهيمَ ابن البِرْذَونِ ـ ليْلاً ـ : فضَرَبَه العِدَّةَ المذكورةَ ؛ ثم أعادَه إلى السجنِ . ثم أخْرَجَ ابن هُذَيلٍ : فضرَبَ رَقَبتَه . ثم انتَبَه للغَلَط : فأخْرَجَ إبراهيمَ فضَرَبَ أيضاً رَقبتَه .

فقيل لي : لمّا جُرِّد إبراهيم للسَّيفِ ، قال له : حسنُ ابن أبي خِنزيرٍ : تَرجِعُ عن مذهبك ؟ . فقال له : عن الإسلام تَنْهَنِّي ؟ ! : فخَبَطَ رَقبتَه رحمه الله .

ثم لمّا أصْبَحا مَقتُولَيْنِ : رُبِطَت أرجلُهما بالحبالِ ؛ ثم جَرَّها النَّقّالُ ـ مَكشُوفَتَيْنِ ، غيرَ مستورين . ـ من دارِ الإمارة ـ : وهي بقُرْبِ الجامع : والجامع : أولُ السماط . ـ إلى باب أبي الربيعِ ؛ ثم صلبا نحو الثلاثةِ أيامٍ ؛ ثم أُنزِلا ودفنا

* * *

أبو جعفر أحمد بن زيادٍ

١٢٢ وأبو[1] جعفر : أحمدُ بن زياد ؛ كان مذهبه : النظر ؛ وكان لا يرى التقليد .

وكان : يتكلم في ذلك كلاماً حسناً .

وكان — في تأليفه ، وما يَنْظِمُه بعلمه[2] — : من المتقدمينَ المجيدينَ .

وكان — في المناظرةِ باللسانِ ، والمناهَضَةِ في الحجاجَ — غيرَ بالغٍ ، ولا مُنْتَهٍ حيثُ يَنتهي غيرُه في ذلك .

---

(١) عبارة الأصل : «وكان أبو جعفر .. مذهبه» ؛ والظاهر أن (كان) قدمت عن موضعها .

(٢) أي : وما يجمعه بفهمه ، ويرتبه بعقله . وفي الأصل : «فعلمه» ؛ وهو تصحيف .

أبو جعفر أحمد بن موسى التمّار

١٢٣ وأبو جعفر : أحمد بن موسى التمّار ؛ يتكلّمُ فى الجدَلِ على معانى المتكلّمين ؛ وفى النَّظَرِ عَلَى مَذاهبِ الفقهاء — : كلاماً جيّداً .
وهو : ممّن صَحِبَ ابنَ الحدّادِ . واحْتَذَى عَلَى مَعانيهِ .

* * *

أبو العبّاس بنُ السِّنْدِىّ

١٢٤ ومن رجالهم ، رجلٌ يُعرَفُ : بأبى العبّاسِ بنِ السِّنْدِىّ ؛ كان مَذهبُه : مذهبَ الشّافعىّ ، والنَّظرَ . إلاّ أنّه لم يكنْ — فيما علِمتُ — : من أهل المُناظَرَة .
وكان : ممّن ضَرَبه الشِّيعىُّ وعذّبه ، وأخَذ نِعمتَه . مات : قبلَ سنةِ عشرين .

* * *

علىُّ بنُ منصورٍ الصَّفّارُ

١٢٥ ومِن أصْحابِ سَعيدِ بنِ الحدّادِ : علىُّ بن منصُور الصَّفّارُ ؛ يتكلّمُ فى الجدَلِ وفى معانى الفقهِ ؛ كلاماً : لا بأسَ به . وله قَريحةٌ صالحةٌ .
غيرَ أنّه اضْطَرّه الفقرُ والإقْلالُ ، ومَحبّةُ الثّؤدُدِ — : إلى أنْ تَشَرَّقَ . ورامَ : أنْ يُستَرَ له ذلك عن العامّةِ والجَماعةِ ؛ فأبَى اللهُ أنْ يُستَرَ ذلك عليه .
ولم يَزَلْ لائذاً بأبى جعفرٍ البغدادىّ : حتّى ولاّهُ قضاءَ « ميلةَ » ؛ فهو بها إلى اليومِ : نكَح بها ، وولِدَ له .

* * *

محمدُ ٱلرّقادِيُّ

وكان قد نَشأ بالقَيْرَوَانِ — : فى آخرِ أيّامِ سَعيدِ بنِ الحدّادِ . — فتًى يُعرَفُ :
١٢٦ بمحمدٍ ٱلرّقادِيِّ . فتقلّدَ مذهبَ السُّنةِ ، وأخَذ فى الذَّبِّ عنها عَلَى مَعانِى سَعيدِ ابنُ الحدّادِ .

وكان : حادًّا حاذِقًا ، بَصيراً بحدودِ المُناظَرةِ ؛ حاضِرَ الجوابِ ، مَليحَ المُناظَرةِ ؛ وألّف كتُبًا كثيرةً فى ذلك .

وكان ظُهورُه واشْتِهارُه : بعدَ سَعيدِ بن الحدّادِ ؛ ولم يكنْ له منه صُحبةٌ .

رَكِبَ بحرَ ٱلقَيْرَوانِ إلى مصرَ [فى مَرْكَبِ لمُؤْمنٍ البلوقىِّ : مُوَكَّلاً[1] له عَلَى مالِه]] فغَرِق سنةَ ستَّ عشْرةَ وثلاثِ مائةٍ .

* * *

عبدُ ٱلمَلِكِ بنُ محمدٍ ٱلضَّبِّيُّ

١٢٧ وعبدُ ٱلملِكِ بنُ محمدٍ الضبىُّ المعروفُ : بابنِ البِرْذَوْنِ . كان مَذهبُه : مذهبَ الشافعىِّ ؛ وكان به مَعْنِيًّا . وكان : مُواظِباً عَلَى صُحبةِ البَجَلِىِّ محمدِ بن علىٍّ . وكان يُناظِرُ فى الفقهِ والجدَلِ مُناظَرةً : لا بأسَ بها .

غلَبَ عليه حُبُّ الدَّراهِمِ ، أنْدادُهُ : من كُتّابِ الوَثائقِ . فتَشَرَّقَ ، وافْتَخَر بذلك ؛ ولم يَسْتَتِرْ[2] به : كاسْتِتارِ ابنِ خالتِه : علىِّ بنَ مَنصورٍ . فهو — اليومَ — ممَّن أَثْرَى وأفادَ واكتَسَب ، بما ٱلتزَمَه : من أخْذِ ٱلدَّراهِمِ فى كُتُبِ الوَثائقِ .

* * *

---

(١) بالأصل ؛ « متوكلا » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٢) يعنى : ولم يرم الاستتار ، كما رامه ابن منصور المتقدم : (ص ٢٨٣) .

عبّاسُ بنُ عيسَى المُمْسِي

١٢٨ وعبّاسُ بنُ عيسَى المسي : يتكلمُ فى الجدَلِ على معانى كلام المتكلمينَ ؛ وفى النَّظَرِ علَى رَسم كلام المتفقهين[١] : كلاماً : لا بأسَ به .

وهو — : فى المُناظرةِ : فى الفقهِ . — أبزُّ[٢] منه : فى الجدَلِ : علَى مذهبِ المتكلمينَ .

وهو : من أهلِ الفقهِ ، والوَثائقِ ، والحُجَجِ[٣] .

* * *

أبو إبراهيمَ بنُ أبى مُسْلِمٍ

١٢٩ ورجلٌ يُعرَفُ : بأبى إبراهيمَ بن أبى مُسْلِمٍ ؛ يتكلمُ : فى الأسْمَاء والصِّفاتِ ، ومَذاهبِ الجدَلِ ؛ ويُشِيرُ إلى الكلام فى الفقهِ : علَى مَعانى النَّظَرِ .

ويقولُ فى اللهِ عز وجل : « إنَّه جِسْمٌ لا كالأجْسامِ » ؛ ويقولُ فى ذلك — مُعارضاً لِمَن خالفَه — : كما تقولُ أنتَ : « [إنَّه][٤] شىءٌ لا كالأشياء » .

* * *

محمدٌ المَعروفُ : بابنِ أحدِ الشُّرَكاء

١٣٠ ورجلٌ يُسَمَّى : محمداً ؛ يُعرَفُ : بابنِ أحدِ الشُّرَكاء . يَتكلَّمُ فى الجدَلِ : عَلَى مَعانِى سَعيدِ بنِ الحدَّادِ .

---

(١) بالأصل : «الفقه» ؛ والظاهر أنه محرف عنه أو عن : « الفقهاء » ؛ فالحشى ليس ضيق العبارة إلى هذا الحد

(٢) بالأصل : « أبزل » : ولعل أصله ما ذكرنا ، أو « ابرز » .

(٣) بالأصل : « والحج » ؛ وهو تحريف ، (٤) زيادة حسنة .

يَلزَمُ سُوقَ الصَّرفِ ؛ وله خاصَّة : مِن أبى محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ سَعيدِ بنِ الحدَّاد ؛ فأفادَهُ — : مِن كلامِ أبيه . — ما لم يُفِدْ غيره .

* * *

هذه تَسْمِيَةُ مَنْ عِلْمْتُه : يَنْهَضُ فى المُناظَرةِ والنَّظَرِ ؛ من أهلِ السُّنةِ بالقَيْرَوانِ : ممَّن عِلْمْتُه بالخَبَرِ ، أو امْتَحَنْتُه بالمُشَاهَدةِ : ممَّن قد ماتَ ، أو كان حيًّا .

* * *

وهذه تَسمِيةُ أهلِ المُناظَرةِ والجدَلِ : من طَبَقةِ العِراقِيِّينَ .

* * *

سُليمانُ بنُ أبى عُصْفُورٍ

١٣١ سُليمانُ بنُ أبى عُصفور ، المَعروفُ : بالفرَّاء . كان يقولُ : بخَلْقِ القرآنِ[1] ؛ وكان من أهلِ الجدَلِ والمُناظَرةِ : فى ذلك

رَحَل ، ودَخَل بغدادَ . وله كلامٌ : فى مُشْكِلِ القرآنِ ؛ وكتابٌ ألَّفه فيه .

وسمِعتُ مَن يَذكُرُ : أنه سَلَخَه من كتاب (مُشكِلِ القرآنِ) ؛ لقُطْرُبِ النَّحوىِّ .

وله كتابٌ : فى أعْلامِ النُّبُوَّةِ ؛ وله كُتُبٌ فى مذهبِه : فى خَلقِ القرآنِ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ الأشَجِّ

١٣٢ وعبدُ اللهِ بنُ الأشَجِّ ؛ كانتْ له (أيضًا) رِحْلةٌ ، ودَخَل العراق ؛ وكان : من أهلِ المناظَرةِ والجدَلِ .

---

(١) انظر فى ذلك : آداب الشافعى وهامشه (ص ٨ — ٩ و ١٩٣ — ١٩٥) .

سمعتُ مَن يذكرُ عنه : أنَّه مَنْ قدِمَ من العراقِ : دَخَل عليه أحْداثُ القَيْرَوانِ ، فقال لهم : ما الذى يتكلَّمُ فيه أهلُ القيروانِ اليوم ؟ .

فقيل له : فى الأسماءِ والصفاتِ .

فقال : إنما تركتُ الناسَ بالعراقِ ، يتوافقُون فى مسألتين : مسألةِ القدَرِ ؛ ومسألةِ الوَعْدِ والوَعيدِ .

* * *

الفَزَارِىُّ

١٤٤ والفَزَارِىّ ؛ المقتولُ على ما شُهِد به عليه . من التَّعْطِيلِ .

كان : من أهلِ المناظَرةِ والجدَلِ ؛ سمعتُ مَن يحكى :

أنَّه دَخَل على أبى يَحيى بنِ قادِمٍ ؛ فقال له أبى يحيى : ما الذى تَنظُرُ فيه اليومَ بافَزَارِىُّ ؟ .

فقال له : كِتابُ ابنِ عُلَيَّةَ .

فقال له : ذاكَ الذى يُفْتِى باجازةِ صَلاةِ اليهودِ .

فقال له الفَزارِىُّ : وكيْفَ ذلك ؟ ! .

قال ابنُ قادِمٍ : لأنَّه يقولُ : إن الصَّلاةَ بغيرِ قراءةٍ جائزةٌ ؛ وصلاةُ اليهودِ هى صلاةٌ بغيرِ قراءةٍ .

فقال له الفَزارِىُّ : فماتقولُ أنت : إن قرأَ فى ركعتَيْن ، وتَرَكَ القِراءة فى ركعتين؟ .

قال له ابن قادِمٍ : الصلاة جائزة .

قال له الفزارى : فما أراك إلا وقد تقلدت بعض ما أنكرت : أجَزْتَ نصف صلاة اليهود ، وأبطلت النصف .

فقال له ابن قادم : ما أراك : تموتُ موتك [1] يا فَزارِىُّ .

* * *

(١) كذا ، بالأصل . أى : موتا طبيعيا .

أبو إسحاقَ ، ٱلمَعروفُ : بالعَمْشَاء

١٣٤ ومِن أعلامِ رجالِهم : فى ٱلكلام ؛ رجلٌ يُعرَفُ : بالعَمْشَاء ؛ ويُكَنَّى : بأبى إسحاقَ . وإنَّما عُرِفَ بالعَمشاء : لأنَّهُ أعمَشُ ٱلعينَيْن .

يَذهبُ : إلى خلْقِ ٱلقرآنِ ، ويُناظِرُ فيه : المُناظَرةَ الشَّديدةَ . وله فى ذلك داعِيَةٌ ، وله لُمَةٌ[1] وأصْحابٌ وأحْزابٌ فى ذلك : يُجادِلُونَه ، ويَختَلِفُون إليه .

وقيل لى : إنَّه يُحسِنُ الفَرائضَ ؛ وإنَّه حَسَنُ الأدبِ ؛ صَحِبَ ابنَ عَبدُونٍ ، وغيرَه : من رجالِ العِراقيِّين . وهو — اليومَ — : على هذه ٱلحالِ .

* * *

أبو ٱلفَضْلِ ، ٱلمَعروفُ : بابنِ ظَفَرٍ

١٣٥ ومِن رجالِهم ، رجلٌ يُعرَفُ : بابن ظَفَرٍ ؛ يُكَنَّى : بأبى ٱلفَضلِ . كان يَقولُ : بخلْقِ القرآنِ ؛ ويُناظِرُ فيه . كان : كثيرَ التَّصَرُّفِ ؛ كان مُجادِلاً فيما ذكرتُ : من ذلك .

وكان : من أهلِ الرُّسُوخِ فى علْمِ الطِّبِّ ؛ معَ أنَفتِه من أنْ يُنسَب إليه[2] .

وكان : شاعرًا مُرسَلًا ؛ وكان : أديباً .

أُبتُلِيَ — فى آخرِ أيَّامِه — : بمرضِ ٱلجُذامِ ؛ فاحْتَجَبَ أعواماً : فى بيْتِه ؛ ثم ماتَ .

* * *

(١) اى : اشكال ونظراء ؛ انظر المختار : (ل م ى) .

(٢) انظر . آداب الشافعى (ص ٣٢١ — ٣٢٢) ؛ فستعجب من هذه الأنفة المضحكة .

محمدُ بن ٱلكلاَعِيِّ

١٣٦ ومِن رجالِهم، رجلٌ يُعرَفُ : بمحمدِ بن ٱلكلاَعِيِّ ؛ من أهلِ ٱلمُناظَرة والجدَلِ ، والمُباينَةِ : بخلْقِ ٱلقرآنِ .

وكان : قد ألَّفَ عَلَى سَعيدِ بن ٱلحدَّادِ كتاباً : يُناقِضُه فيه ما ألَّفَ عَلَى مَن يقولُ : بخلْق القرآن .

فتَولَّى إبراهيمُ بن محمدٍ ٱلضَّبِّيُّ ٱلمقتُولُ ، مُناقَضة ٱلكلاَعيِّ فى كتابه ؛ فشَفَى غيْظَه عليه فى صدْرِه ، وفى بسْطِ أوَّلِه ـ قبْلَ أنْ يَصيرَ إلى فُصولِ ٱلحجَاج ـ : بما نَبَّه عليه : من ٱلتَّقصيرِ الشَّديدِ ، والخطإِ الشَّنيعِ .

فكان ذلك : سَبباً لِعنايتِه عليه ـ مع ٱبن ظَفَرٍ ـ : فى سَفْكِ دَمِه[1] .

* * *

محمدٌ ٱلمَعروفُ : بالمسحىِّ

١٣٧ ورجلٌ كان يُسمَّى : محمداً ؛ ويُعرَفُ : بالمسحى ؛ وكان : فرَّاءً .

كان من مقدَّميهم فى ٱلمُناظَرةِ : فى خلْقِ القرآنِ ؛ كانوا : يَقصِدونه ، ويَلُوذُون به . خرَجَ إلى الحجِّ : فماتَ فى الطَّريقِ .

* * *

ٱلقمـــودىُّ

١٣٨ ورجلٌ من سِماطِ ٱلعطَّارينَ ، يُعرَفُ : بالقمودىِّ . مَذهبُه : الاعْتزالُ ، والمُناظَرةُ فيه وعليه .

* * *

---

(١) انظر : ص ٢٨١

ٱبنُ أبي رَوْحٍ ، ٱلمُلَقَّبُ : بالبَغْلةِ

١٣٩ ورجلٌ يُعرَفُ : بابنِ أبي رَوْحٍ يُلقَّبُ : بالبَغلةِ . يُعنَى بالجدَلِ : فى خلْقِ ٱلقرآنِ ، وفى الأسماءِ والصِّفاتِ . هوَ ـ ٱليومَ ـ حَيٌّ : فيما بَلَغَنى .

* * *

أحمدُ بن محمدٍ

١٤٠ وأحمدُ بن محمدٍ المَعروفُ : بابنِ شهرين ؛ قاضِى « بَرْقةَ » يُعنَى بالجدَلِ : فى خلْقِ القرآنِ ، وفى غيرِ ذلك : من مَذاهبِ العِراقيِّينَ . ولكنْ : على غيرِ المُبالَغةِ ؛ كالذين تَقدَّمَ ذِكْرُهم .

بابُ ذِكْرِ مَن تَشَرَّقَ : ممَّن كان يُنْسَبُ إلى علْمٍ ؛ من أهلِ القَيْرَوَانِ

* * *

محمدُ بن حَيَّان

١٤١ كان بُـوسَةَ شيخٌ مُسِنٌّ ، يُسمَّى : محمدَ بنَ حَيَّان . فكان: صاحِبَ صَلاتِها. وكان : مَدِنيًّا ؛ صَحِبَ ابْنَ سَحنونٍ ؛ فتَشَرَّقَ . فكان بذلك : مُسْتَتِراً .

* * *

أبو بَكرٍ القمودىُّ

١٤٢ وأبو بَكرٍ القمودى [تَشرَّقَ] : للسَّببِ الذى قدَّمنا ذِكْرَه مِن قبلُ[1] .

* * *

علىُّ بنَ منصُورٍ الصَّفَّارُ

١٤٣ وعلىُّ بن منصورٍ الصَّفَّارُ ؛ [تَشرَّقَ] : للوَجْهِ الذى وصفتُه قبلَ هذا[2] .

* * *

عبدُ المَلِكِ بنُ محمدٍ الضَّبِّىُّ

١٤٤ وعبدُ المَلِكِ بنُ محمدٍ الضبىُّ ، المعروفُ : بابنِ البِرْذَوْنِ ؛ أخو إبراهيمَ المقتولِ. [تَشرَّقَ] : للوَجْهِ الذى قدَّمْتُ ذِكْرَه[3] .

* * *

(١) فى ترجمته رقم (١٣٧) : من أنه كان معتزلياً كثير الجدل فى مذهبه .
(٢) انظر : ص ٢٨٠ (٣) انظر : ص ٢٨٤

أبن الصبَّاغ

١٤٥ وَبلَغنى : أنَّ أبنَ الصبَّاغِ — : المذكورَ فى طَبقةِ نظارِ أهلِ السُّنةِ[١] . — كان : قد تَشَرَّقَ لِوجْهٍ لا أعلَمُه ؛ والذى لا أشُكُّ فيه : أنَّه كان له عُذرٌ .

* * *

رَبيعُ بن سُليمانَ بنِ سالِمٍ المَعروفُ : بابنِ الكَحَّالةِ

١٤٦ ورجلٌ كان : عليه سترٌ ؛ وكان : يَتحَلَّى بانقِباضٍ وعدالةٍ وخيرٍ ؛ كان أبوه : من رجالِ سَحنونٍ ؛ وهو : رَبيعُ بن سُليمانَ بنِ سالِمٍ ؛ المَعروفُ : بابنِ الكَحَّالةِ قد تَقدَّم ذِكْرُ أبيه : فى طَبقةِ رجالِ سَحنونٍ[٢] .

وكان سببُه[٣] الكَلِفَ بغلامٍ أُلِفَه ، وابتُلِىَ به ؛ معَ أُخِلَّانِ السَّابقِ .

* * *

قاسمُ بنُ خَلَّادٍ الواسِطِىُّ

١٤٧ ومِن رجالِ العِراقيِّينَ : قاسمُ بنُ خَلَّادٍ الواسِطِىُّ ؛ دعَوهُ إلى التَّشْريقِ ، ووَعَدُوه : بقضاءِ « باجَةَ » فلمَّا تَشرَّقَ ، قيلَ له : قد أُستَغْنَينا عن قاضٍ لباجةَ .

* * *

أبو رَبْدَةَ بنُ خَلَّادٍ

١٤٨ وأبو رَبْدَةَ بنُ خَلَّادٍ (أبنُ عمِّ قاسمِ بنِ خَلَّادٍ) ؛ تَشَرَّقَ — فى أوَّلِ دُخولِ القومِ — : طائعاً[٤] فيما يأتى . فلمَّا أُحْتُضِرَ : أوْصَى بجميعِ مالِه للسُّلطانِ ؛ وأخْرَجَ ولَدَه .

* * *

(١) انظر : ص ٢٨٠ (٢) انظر ص ٢٠٠ (٣) أى : سبب تشرقه ؛ انظر : ص ٢٠٠
(٤) كذا بالأصل . أى : مختاراً ؛ بدون ترغيب ولا ترهيب .

جَعفَرُ بنُ أحمدَ بنِ وَهْبٍ

١٤٩ وجَعفَرُ بن أحمدَ بنَ وَهْبٍ ؛ تَشرَّقَ ، ووَلاَّه إسْحاقُ بنُ أبى المِنْهالِ : مَظَالِمَ القَيْرَوَانِ .

* * *

أحمـــــدُ بنُ بَحْرٍ

١٥٠ وأحمدُ بنُ بَحْرٍ ؛ كان : جَنَح إلى مذهبِ العِراقيِّين ؛ فتَشرَّقَ[1] ؛ ثم ولاَّه إسْحاقُ : مَظالِمَ القَيْرَوَانِ . ثُم وُلِّىَ : قضاءَ اطْرابُلُس . ثم ماتَ إسْحاقُ : فنُقِلَ إلى قضاءِ القَيْرَوانِ .

* * *

إسْحاقُ بنُ أبى المِنْهالِ

١٥١ وإسْحاقُ بن أبى المِنْهالِ ؛ تَشرَّقَ ، ووُلِّىَ : قضاءَ « صِقِلِّيَةَ »؛ ثُم [نُقِلَ من بعدُ : إلى قضاءِ القَيْرَوَانِ .

* * *

أبو علىٍّ بنُ المِنْهالِ

١٥٢ وأبو علىٍّ بنُ المِنْهالِ ؛ تَشرَّقَ : فى أوَّلِ الأمْرِ .

* * *

---

(٢) بالأصل : « تشرق » ، ولعله محرف عنه .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ شهرين

١٥٣ وأحمدُ بن محمدِ بنِ شهرين ؛ قاضِي « بَرْقَةَ » تَشرَّقَ ؛ إلاَّ : أنَّه ـ فى قضائه ببَرْقةَ ـ يحكمُ : بإجازةِ الطَّلاق ثلاثاً ، ويُجيزُه : عَلَى مَن طَلَّق به . وليس هو : مَذهبَ الشِّيعةِ .

* * *

أبو عبدِ اللهِ الكِنْدِىُّ

١٥٤ وأبو عبدِ اللهِ الكِنْدِىُّ المَعروفُ : بابنِ اللَّقَّاطَةِ . تَشرَّقَ : شيخاً كبيراً ؛ وكان : عراقيًّا من قبلُ ، قليل العلْمِ .

* * *

أبو بَكرِ بنُ سلَيْمانَ

١٥٥ وابنُ سليمانَ المكَنَّى : بأبى بكرٍ ؛ كان رأيُه : رأْىَ أبى حنيفةَ .
وكان : قد اختَلَفَ إلى ابْن عَبدُونٍ ؛ فتَشرَّق . للتَّمكُّن بالوَثائق .
وذلك : أنَّه كان فى إمْلاَقٍ شَديدٍ ؛ ولا يَنتَصِبُ لكِتابِ الوَثائقِ بالقَيْرَوانِ ، إلاَّ : مَن تَشَرَّقَ ؛ سِيَّما : إنْ كان ممَّن يَأخُذُ عليها جُعْلاً .
فلمَّا تَشَرَّقَ : أَستَحْكَمَ له كِتابُها ؛ فقد كَسَبَ منها مالاً جَسيماً .

* * *

أبو محمدِ بنُ شِهرام

١٥٦ ورجلٌ : من أهلِ « سُوسَةَ » ؛ يُكَنَّى : بأبى محمدٍ ؛ يُعرَفُ : بابنِ شهرام .
تَشرَّقَ : فى أوَّلِ دُخولِ القَوم ؛ وتولَّى كِتابةَ محمد بن عمر المَرْوذىِّ .

* * *

زُرَارَةُ بنُ أحمدَ

١٥٧ وزرارة بن أحمد ؛ كان يَصحَبُ المَدنِيِّينَ والعراقيينَ ، ويَتحلَّى بالعلمِ والنظر : فى اُختِلافِ الناسِ .

تشرَّقَ ، ووَلاَّه عُبيدُ اللهِ : قضاءَ مَدينتِه التى سمَّاها : « المَهْدِيَّةَ » . وهو — فى مذهبِ الشيعةِ — : من الغالِينَ .

* * *

بابُ ذِكْرِ مَنْ دَارَتْ عليه مِحْنَةٌ من السُّلطانِ : من عُلماءِ القَيْرَوَانِ

* * *

البَهْلُولُ بنُ راشِدٍ

١٥٨ قال محمدٌ : دارَتْ عَلَى البَهْلُولِ بنِ راشدٍ [مِحْنَةٌ] من العَكِّىِّ[1] عاملِ القَيْرَوانِ : فضَرَبه بالسِّيَاطِ

* * *

ابنُ أبى الجَوَادِ

١٥٩ ودارَتْ عَلَى القاضى : ابنِ أبى الجَوَادِ ؛ مِحْنَةٌ — بعدَ عزْلِه — من سَحنونٍ : ضَرَبه بالسِّياطِ ؛ لأموالٍ : كان احْتَجَنَها[2] ، وتَلَدَّدَ فى قضائها .

---

(١) بالأصل : « العكاى . . فرضبه » وكلاهما مصحف . والزيادة متعينة .

(٢) كذا بالأصل . يعنى : اجتذبها لنفسه . ولعله مصحف عن : « احتجزها » .

سَحْنُونُ بنُ سَعيدٍ

١٦٠ ودارَتْ عَلَى سُحْنُونِ بنِ سَعيد ، مِحْنَةٌ لم يكنْ منها : غيرُ أنْ تَوَارى من أبى جَعفرِ بنِ ٱلأَغْلَبِ ؛ على ٱلقَولِ بخلْقِ ٱلقرآنِ ؛ ثم : ظَهَرَ وقَصَده بنفسِه ، وقال له لمَّا دَخَل عليه : كنتُ خائفاً حتَّى دخلتُ عليك ؛ فقد أمِنْتُ . فأمَّنَه .

* * *

محمدُ بنُ سُحْنُونٍ

١٦١ ودارَتْ على محمدِ بن سُحْنُونٍ (أيضاً) مِحْنَةٌ من سُلَيمانَ بنِ عِمْرانَ : فتَوارَى عنه ؛ فى قِصَّةٍ : قد ذكرْتُها فيما تقدَّمَ[1] .

وكان (أيضاً) : قد تَوارَى مع أبيه سَحنُون : فى محنةِ أبى جعفرٍ ؛ فلمَّا أتَى بابَ ٱلقَصرِ : بَدَرَ ٱلشُّرَطُ إلى ٱنتهارِه ، فأُخِذَ لِجامُ دابَّتِه .

فلمَّا دَخَلَ على أبى جَعفرٍ : سكَتَ ؛ فقال له تكلَّمْ .

فقال : إنَّما يَتكلَّمُ من معه عقْلُه ؛ وأمَّا أنا : فقد ذَهَبَ عقْلى .

قال له : وما ٱلذى أذْهَبَه ؟

فأعلمَه أنَّه أُخِذَ لِجامُ دابَّتِه على بابِ قَصرِه ، قبْلَ ٱلوُصولِ إليه .

فأمَرَ : بصَرْفِ ٱللِّجامِ ؛ وأمَّنَه .

* * *

فُرَاتُ بنُ محمدٍ ٱلعَبْدِيُّ

١٦٢ ودارَتْ على فُراتِ بنِ محمدٍ ٱلعَبْدِيِّ ، محنةٌ من سُلَيمانَ بنِ عِمْرانَ : فضَرَبه بالسِّياطِ ؛ بفَضْلِ غَضبِه على محمدِ بن سَحنُونٍ .

---

(١) انظر : ص ١٧٩ :

عَبدُ اللهُ أحمدَ بنِ طالبٍ

١٦٣ ودَارَتْ عَلَى عبد اللهِ بن أحمدَ بن طالبٍ ، دائرةٌ من إبراهيمَ بنِ أحمدَ : فعزَلَه عن القضاءِ ، وحَبَسَه ؛ وأحالَ عليه السُّودان : فرَكَضُوا بطْنَه حتَّى ماتَ .

وكان السَّببُ فى ذلك : أنَّ إبراهيمَ بن أحمدَ طَلَبَ من أهـــالِ « لسانة » — : قريةٍ تُجاوِرُ تُونُسَ : — أن يَبِيعُوها منه ؛ فأبَوْا عليه : فقَهَرَهم عليها ، وأدْخَلَ فيها السُّودانَ ؛ فتَطَاوَلَ بعضُ السُّودانِ ، على بعضِ بَناتِ أهلِها : فافْتَضَّها ؛ فأتَتْ أمُّها بثَوبٍ بها بما[1] فيه : من أثَرِ دمِها . — فرَمَتْه : فى حِجْرِ القاضى ابْنِ طالبٍ ؛ وأخبَرتْه الخَبَر : فتَفَجَّع ؛ ثم قال لمَن حَضَره : ما أظُنُّ هذا الرجلَ : يُؤمِنُ باللهِ ، ولا بيَوم الحسابِ .

فبَلغ ذلك إبراهيمَ : فكان مِن أمرِه ، ما كان .

* * *

يَحيَى بنُ عُمَـرَ

١٦٤ ودارَتْ على يَحيَى بنِ عُمَرَ ، دائرةٌ يَسيرةٌ من ابن عَبْدُونٍ : تَوَارى منه واسْتَتَرَ ، فسلَّمه اللهُ منه .

ودارَتْ من ابْنِ عَبدونٍ ، دائرةٌ على رجالٍ : من المَدَنِيِّينَ ، فضَرَبَهم ونَكَّلَ بهم ، وطَوَّفَ بعضَهم . منهم : أحمدُ بن مُعْتِبٍ ، وإبراهيمُ الدَّمنىُّ ، وأحمدُ بن عَبدونِ الاسَدِىُّ العطَّارُ ، وابنُ المَدَائنىِّ . وأبو القاسمِ مَولَى مهريَّةَ .

* * *

---

(١) بالأصل : « محا » والظاهر تصحيفه .

حَسنُ بن البَنَّاءِ

١٦٥ ودارَتْ على حَسنِ بنِ البَنَّاءِ ، دائرةٌ من إبراهيمَ بنِ أحمدَ عَزَلَه عن قضاء « قَصْطَلِيَة » ثم حبَسَه .

* * *

مُوسَى بنُ ٱلقَطَّانِ

١٦٦ ودارَتْ على مُوسى بنِ ٱلقَطَّانِ ، دائرةٌ من إبراهيمَ : عَزَلَه عن قضاء « اطرابُلُس » ثم حَبَسَه .

* * *

إبراهيمُ بن عَتَّابٍ

١٦٧ ودارَتْ على إبراهيمَ بنِ عَتَّابٍ ، دائرةٌ من ٱبنِ طالبٍ : حَبَسه لانْصِرَافِه عن عن ٱلصَّلاةِ : خلْف ٱبنِ عَبْدُوسٍ[1] .

* * *

أبو القاسِمِ ٱلطُّورىُّ

١٦٨ ودارَتْ على أبى القاسِمِ ٱلطُّورىِّ : (صاحبِ المَظالِمِ مرةً بالْقَيروَانِ) ؛ دائرةٌ من ٱلقاضى المَرْوَذِىِّ : ضَرَبَه فى الجامعِ : على رُؤوسِ الناسِ ؛ وحَبَسَه .

وفَعَلَ ذلك المَرْوَذِىُّ بجماعةٍ من رجالِ المَدنِيِّين : ممَّن لم يكنْ لهم ٱسمٌ فى ٱلعلماءِ ؛ ولكنْ : دَخَلوا فى جُملتِهم : بالمحبَّةِ والصُّحْبةِ . مثلُ ٱبنِ سَلمونٍ القطَّانِ ، والخلامىِّ المُحْتَسِبِ ؛ وقَومٍ مُرابِطِينَ : من أهلِ تُونُسَ .

فكان قتلُ المَرْوَذِىِّ بعدَ ذلك : بِسَبَبِهم ؛ بوَجْهٍ : سأصِفُه عندَ ذِكْرِه : فى بابِ ٱلقُضاةِ إن شاء اللهُ[2] .

---

(١) انظر : ص ٢٠٥ (٢) انظر أواخر باب قضاة القيروان.

* * *

إبراهيمُ بن ٱلبِرْذَوْنِ ، وٱبنُ هُذَيْلٍ

١٦٩ ودارتْ على إبراهيمَ بن ٱلبِرْذَوْنِ ، وعلى ابنِ هُـذَيْلٍ ـ دائرةٌ : فَتَلَا فَتْهُما رحمةُ ٱللهِ . وقد فَسَّرتُ خَبَرَهما فى ذلك : من قبلُ[1] .

أبو القاسِمِ مَوْلَى مهريَّةَ ، والسَّدْرِىُّ

١٧٠ ودارت على أبى ٱلقاسم مَولَى مهريَّةَ ، والسَّدْرِىِّ (رجلٌ يُعرَفُ : بالخير والعِبَادةِ) ؛ دائرةٌ ـ : سنة ثمانٍ وثلاثِ مِائةٍ . ـ بالمَهْدِيَّة : ضُرِبا ، ثم قُتِلَا ، ثم صُلِبا ؛ لكلامٍ ـ ـ حُفِظَ عليهما ـ : فى السُّلطانِ .

أحمدُ بنُ زيادٍ

١٧١ ودارَتْ على أحمـد بن زياد ، دائرة من السلطان : عُبَيْدِ الله ؛ على يدَىْ أبى زيدٍ الشّاهِدِىّ : فضربه بالعِصِىّ بَطْحاً .

ثم دارَتْ عليه دائرة أخرى ـ بعد ذلك ـ من إسحاق بن أبى المِنْهالِ .

وذلك : أنه كتب فى كتاب صَدَاقٍ شروطاً : وقد تقدم[1] إلى الناس كافَّةً : أن لا يكتب فى نكاح شرطٌ بيمين طلاق .

فأرسل فيه إسحاقُ : فحبسه ثلاثة أيّام ؛ ثم أطْلَقَه .

* * *

أحمدُ بنُ نَصْرٍ

١٧٢ ودارَتْ عَلَى أحمدَ بنِ نَصْرٍ ، دائرةٌ من إسْحاقَ بنِ أبى ٱلمِنْهالِ : سنةَ ثمانٍ وثلاثِ مِائةٍ .

وذلك : أنَّه كان أحمدُ بن نَصرٍ : يَجلِسُ فى مَسجدِ رَحَبةِ ٱلقُرَشِيِّينَ ، ويَجلِسُ إليه مَن أتاهُ .

---

(١) انظر : ص ٢٨١

فخَطَر به صاحبُ[1] ٱلحَرَسِ يوماً : ومعَه بعضُ ٱلغالِينَ — : من ٱلمَشارِقةِ . — فاسْتفْظَعُوا[2] : جُلوسَه ، وٱجْتِماعَ ٱلناسِ حَولَه ؛ فوَكَّل صاحبُ ٱلحرسِ عليه ٱلشُّرَطَ وعَلَى كلِّ مَن كان معه .

ثم سار إلى عليِّ بن إسحاقَ ٱلطَّبيبِ ، فأعلَمَه بخَبَرِه — : وكان متخلِّفَ أبى سَعيدِ ٱلضيفِ حِينئذٍ عَلَى ٱلقيْرَوانِ ؛ وكان أبو سَعيدٍ غائباً . — فأبَى ٱبنُ ٱلطَّيبِ أنْ يَنظُرَ فى شىء : من أمْرِه .

فسار إلى إسحاقَ بنِ أبى ٱلمِنْهالِ ، فأرسَلَ إليه جماعةً : من ٱلعُدولِ ؛ فعايَنُوا ٱلحالةَ ٱلتى هو عليها . ثُم أمَرَ به إلى ٱلسِّجنِ — : من غيرِ أنْ يُدْخِلَه إلى نفْسِه . — وأمَرَ : بتَقْييدِه . ووَاصَلَ مَن كان معَه إلى نفْسِه ، واسْتَكَنَّهم : رجُلاً رجُلاً ؛ ثم كَتَب : بخَبَرِ أحمدَ بنِ نَصرٍ ، وبأسماءِ مَن كان معَه إلى عُبيدِ ٱللهِ .

فأعرَضَ عُبيدُ ٱللهِ عن خَبَرِه ، وأظهرَ ٱلتَّهاوُنَ بأمْرِه .

وأقامَ فى ٱلسِّجنِ تسعةَ أشهُرٍ ؛ ثُم عُنِىَ أبو سَعيدٍ ٱلضَّيفُ ، بأمْرِه : عندَ عُبيدِ ٱللهِ ؛ فأمَرَ : بإطْلاقِه .

فلَزِم بيْتَه : حتَّى ماتَ ؛ وفى داخِلِ بيْتِه ، كان : يَجتَمِعُ إليه إخوانُه ، ومَن أرادَ ٱلوُصولَ إليه .

* * *

ٱبنُ ٱللَّبَّادِ

١٧٣ ودارَتْ عَلَى ٱبنِ ٱللَّبَّادِ ، دائرةٌ : فى حِينِ تَغريمِ ٱلناسِ ؛ فحُبِسَ وضُرِبَ : عَلَى يَدَىْ أبى زيدٍ ٱلشَّاهِدِىِّ .

---

(١) بالأصل : « تقوم » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه ، فتأمل .

(٢) أى : رئيس أعوان السلطان . وبالأصل ـ هنا وفيما سيأتى ـ « صاحب المحرس » ؛ وهو مصحف على مايظهر . وانظر المصباح . (٣) بالأصل : «فاستقطعوا» ؛ وهو تصحيف.

* * *

أحمدُ بنُ موسَى ٱلتَّمَّارُ ، وأخوه محمدٌ

١٧٤ ودارَتْ عَلَى أحمدَ بنِ مُوسَى ٱلتَّمَّارِ ، وعَلَى أخيـــهِ — دائرة : [1] من مَغْرَمٍ فادِحٍ .

ثم — من بعدِ ذلك — دارَتْ عليه : فى أخيه محمدٍ . دائرة عظيمة .

وذلك : أن أخاه محمدَ بن موسى ، دَخَل فى جماعةِ رجالِ ٱلقَيْرَوانِ ، عَلَى عُبَيدِ ٱللهِ : فى سَلامِ عِيدٍ ؛ فانْدَفَع : يَصِفُ سُوءَ حالةِ ٱلرَّعيَّةِ ، وما نَزَل بهم : من ظُلْمِ ٱلعُمَّالِ .

فوَقَع ذلك — من عُبيدِ ٱللهِ — موقعَ ٱلكَرَاهِيةِ .

واتَّصَلَ ذلك بمَن أسْمَاهُ — : من أهلِ ٱلقَيْروانِ . — فعَقَدُوا عليه شهادةً : عندَ صاحب ٱلخَبَرِ ؛ ورَفَعَها — : على يَدِ محمدِ بن أحمدَ ٱلبَغداذِيِّ . — إلى عُبَيدِ ٱللهِ .

فأمَرَ : بضَرْبِه مِائتَىْ سَوطٍ ؛ فضُرِبَ ضرْباً مُعْنِياً [2] : فمات رحمه ٱللهُ .

* * *

١٧٥ ودارَتْ عَلَى ناسٍ كثيرٍ ، دَوائرُ : من قَتلٍ ، وضَربٍ . إلاَّ أنَّهم ليْسوا من العلماء .

١٧٦ كدائرةِ عروسٍ : فى خَلْعِ لسانِه ؛ وٱبنِ مُعْتِبٍ : فى ضرْبِ ظهرِه .

وأشياءُ كثيرةٌ من هذا البابِ : من جهةِ تَرْكِ : « حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ » : فى الأذان ؛ وتَرْكِ قِراءةِ « بسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمنِ الرَّحيمِ » : فى صلاةِ الفَريضةِ .

* * *

---

(١) بالأصل : « دائرة وعلى أخيه » إلخ . والظاهر : ما صنعنا .

(٢) كذا بالأصل . يعنى : مقصوداً قاسيا ، على ما يظهر .

أبو العبّاسِ بنُ التُّسْتَرِيِّ

١٧٧ وأبو العبّاسِ بنُ التُّسْتَرِيِّ ؛ كان شافعياً : فى مذهبِه ؛ دارَتْ عليه دائرةٌ : ضُربَ ، وعُذِّبَ ، وأُخِذَ مالُه .

* * *

أبو جَعفرِ بنُ خَيْرُونٍ

١٧٨ ودارَتْ علَى أبى جَعفرِ بنِ خَيْرُونٍ ، دائرةٌ سَعى فيها لمَرْوَذِيُّ : حتَّى قُتِلَ .

* * *

ٱبنُ علىٍّ بنِ أبى ٱلمِنْهَالِ

١٧٩ ودارَتْ عَلَى ٱبنِ علىٍّ بنِ أبى ٱلمِنْهالِ ، دائرةٌ : سَعَى عليه فيها زُرَارَةُ ، وأقامَ عليه ثمانينَ شاهداً : أنَّ عندَه حِملَ مالٍ : من مالِ ٱبنُ الصَّائغِ ، أو من مالِ رقادةَ .

فضُرِبَ وعُذِّبَ أصنافَ العَذابِ ؛

وكان يُدْخَلُ رأسُه فى جِرابِ جِيرٍ ؛ فلم يُطعْ[1] : بغُرمِ دِرهمٍ واحدٍ .

ثُم : عَفَا عنه عُبيدُ ٱللهِ ، ووَهَبَه لعمِّه : إسحاقَ ؛ وولَّىَ إسحاقَ بن أبى المِنْهَال — حِينَئذٍ — القضاءَ : ثانيةً ؛ بعدَ موتِ ٱبنِ عِمْرانَ النَّفطىِّ : ٱلذى كانَ ٱسْتَقْضاهُ : بعدَ عزْلِه إسحاقَ بنَ أبى المِنْهَالِ .

* * *

---

(١) كذا بالأصل . ولعل المراد : فلم يعترف بشىء أصلا .

بابُ أسْماءِ قضاةِ القَيْرَوانِ

* * *

عبدُ الرَّحمن بنُ رافِعٍ التَّنُوخِيُّ

١٨٠ قال محمدٌ : فمِن قُدَماءِ قُضاتِهم — فيما ذَكَرَ أبو العَرَبِ بنُ تميمٍ — : عبدُ الرَّحمنِ بنُ رَافِعٍ التَّنُوخِيُّ ؛ لم يَزِدْه : عَلَى أنْ ذَكَر : أنَّه كان قاضياً بإفْرِيقِيَّةَ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ المُغِيرَةِ

١٨١ وعبدُ اللهِ بنُ المُغِيرَةِ بنِ أبي بُرْدَةَ القُرَشِيُّ ؛ ذَكَر أبو العَرَبِ : أنَّه وُلِيَ قضاءَ إفْرِيقِيَّةَ ؛ لم يَزِدْ عَلَى ذلك .

* * *

يَزيدُ بنُ الطُّفَيْلِ

١٨٢ قال أبو العرَبِ : وقد كان يزيدُ بنُ الطُّفَيْلِ التُّجِيبِيُّ ، وُلِّيَ قضاءَ إفْرِيقِيَّةَ : قَبْلَ عبدِ الرَّحمن بن زِيادٍ ؛ وأظُنُّ الذى ولاَّهُ : يَزيدَ بنَ حاتِمٍ .

* * *

عبدُ الرَّحمن بنُ زيادٍ

١٨٣ وعبدُ الرَّحمن بنُ زِيادِ بن أنْعَمَ ؛ ذَكَرَ أبو العَرَبِ : أنَّه وُلِّيَ قضاءَ إفْرِيقِيَّةَ. وذَكَرَ فيمَنْ ولاَّهُ القضاءَ ، اختلافاً : من الرِّوايةِ ؛ فذَكَرَ ابنُ وَضَّاحٍ : أنَّه قال: ولاَّه أبوجَعفَرٍ. وذَكَرَ رِوايةً أخْرَى : أنه إنَّما ولاَّهُ :مَرْوانُ بن محمدٍ .

* * *

ماتِعُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ .

١٨٤ قال : وعزَل يزيدُ بن حاتمٍ : عبدَ الرحمنِ بن زيادٍ ؛ وولَّى بعده : ماتِعَ بن عبدَ الرَّحمنِ الرُّعَيْنِيَّ . وكان ماتِعٌ — فيما ذُكِرَ — : رجُلَ سَوْءٍ .

أبو كُرَيْبٍ

١٨٥ قال أبو العربِ : وولَّى يزيدُ بنُ حاتمٍ (أيضاً) : أبا كُريبٍ عبد الرَّحمنِ بنَ كُريبٍ البَصْرِيَّ ؛ [القضاء] . وكان : رجلاً صالحاً . ذكرَ أبو العربِ أخبارَه : في كِتابِه .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ فَرُّوخ

١٨٦ وعبدُ اللهِ بنُ فَرُّوخٍ ؛ ولاَّه رَوْحُ بنُ حاتمٍ القضاء : مُكْرَهاً ؛ فجَعَل : يَبْكِي ، ويَسْتَعْفِي الخصُومَ ، ويَسْتَرْحِمُ . فأعفاه من القضاء .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ عُمَرُ

١٨٧ وعبدُ اللهِ بنُ عُمرَ بنِ غانمٍ الرُّعَيْنِيُّ ؛ وُلِيَ القضاءَ : بعدَ ماتِعِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ ؛ ولاَّه رَوْحُ بنُ حاتمٍ : سنةَ إحدَى وسبعينَ ومِائةٍ ؛ وهو — يومَئذٍ — ابنُ اثْنَتَيْنِ وأربعينَ سنةً . ومات : سنةَ تسعينَ ومِائةٍ .

* * *

أسَدُ بنُ ٱلفُرَاتِ ، وأبو محْرزٍ

١٨٨ و ١٨٩ ثم وُلِىَ أسَدُ بنُ ٱلفُرَاتِ ، وأبو محْرزٍ : جَميعاً .

قال أبو العَرَبِ : ولم يَكنْ ببَلدِنا قاضيانِ[1] : فى وقتٍ واحدٍ ؛ غيرُهما .

* * *

أحمدُ بن أبى محْرزٍ

١٩٠ ثم وُلِّىَ أحمدُ بنُ أبى محْرزٍ ، ٱلقضاء : بعدَ أبيه ؛ فكان :عَفِيفاً صالحاً .

وكلُّ هؤلاء — ٱلذين سَمَّيتُ من: ٱلقُضاةِ . — هم : ٱلذين ذَكرهم أبو ٱلعَرَبِ : فى كِتابِه . ولم أجِدْ فى كتابِه ، زِيادةً عَلَى هؤلاءِ .

* * *

أبنُ أبى ٱلجَوَادِ

١٩١ قال محمدٌ : ووُلِّىَ أبنُ أبى ٱلجَوَادِ ؛ وكان مَذهبُه : مَذهبَ ٱلكُوفِيِّينَ ؛ فيما بَلغَنى . وعَزَله محمدُ بن الأغْلَبِ .

* * *

سُحنونُ بنُ سَعِيدٍ

١٩٢ ووُلِّىَ سُحنونُ بنُ سَعيدٍ ٱلقضاء ، وأحالَه عَلَى ابنِ أبى ٱلجَوَادِ : فاسْتَقْضَى عليه ، وظَهرَتْ له عليه أموالٌ : تَلدَّدَ فى قضائها ؛ فضَرَبه عَلَى ذلك : بالسَّوطِ .

وكان محمدُ بن ٱلأغْلَبِ : قد أدارَ سَحنونَ بن سَعيدٍ : عَلَى ٱلقضاءِ ؛ حَولاً

---

(١) بالأصل: «قاضيين» وهوخطأ وتصحيف

كاملاً ؛ ثم قيل[1]: قَبِلَ منه بعدَ ذلك : عَلَى أن لا يَرْتَزِقَ له شيئاً ؛ وعَلَى أنْ يُنفِذَ الحُقوقَ عَلَى وَجْهِها : فى الأمـيرِ ، وفى أهلِ بيْتِه . وماتَ سَحنونٌ سَـنةَ أربعينَ : وهو قاضٍ لم يُعزَلْ .

* * *

سُلَيْمانُ بنُ عِمْرانَ

١٩٣ ثم وُلِّىَ القضاءَ — بعـدَ سَحنونٍ — : سُـليمانُ بن عِمرانَ ، المُلقَّبُ : خَرُوفةَ . ثم عُزِلَ .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ طالِبٍ

١٩٤ فوَلِّىَ عبدُ اللهِ بنُ طالِبٍ ؛ وأمَرَه الأميرُ محمدُ بن أحمدَ — المعروفُ : بأبى الغَرَانِيقِ . — : بالنَّظرِ عَلَى سُليمانِ بنِ عِمرانَ .

ثم لمَّا وُلِّىَ إبراهيمُ بن أحمدَ : عَزلَ ابنَ طالبٍ واسْتَقْتَضَى سُليمانَ بن عِمرانَ ؛ وأمَرَه : بالنَّظرِ عَلَى ابنِ طالبٍ . فنَظرَ عليـه : فى ثُلثِ الجَـدّةِ ؛ ودارَ فى ذلك — : عنـد إبراهيمَ . — مَجلسُ مُناظَرةٍ : بحَضرةِ شُيوخِ القَيْرَوانِ ؛ قـد ذكَرْتُه : فى كتابِ : (التَّعْرِيفِ) .

وسمِعتُ مَن يَحكِى : أنَّ إبراهيمَ ، لمَّا وُلِّىَ المرَّةَ الثَّانيـةَ ، أرْسَل : فى ابنِ طالبٍ .

فلمَّا حَضَر[2]: أجْلَسَه خارجاً طويلاً — قَبْـلَ أنْ يَصِلَ إليه . — ثم: أدْخَلَه ، فأجْلَسَه بيْنَ يَدَيْه : مَجْلِسَ الخُصومِ .

---

(١) بالأصل : « قبل » ؛ وهو مصحف ، أو زائد ؛ فتأمل .

(٢) بالأصل : « حضره » ؛ ولعله محرف .

فلمَّا وُلِّيَ ٱبنُ طالبٍ ٱلمرَّةَ ٱلثانيةَ : أحْضر سُليمانَ بنَ عِمرانَ .

فلمَّا حَضَر : أدْخَلَه عَلَى نفْسِه عاجلاً ؛ ثم : أجْلَسَه إلى جَنْبِه ، وكَلمَه فيما وَجَب عندَه : أنْ يُكلِّمَه فيه .

* * *

أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ عَبْدُونِ

١٩٥ ثُم : وُلِّيَ — بعدَ ٱبنِ طالبٍ — : أبو العباسِ محمدُ بن عَبدونِ بن أبي ثَوْر ؛ وأقام قاضياً : نحوَ ٱلثلاثينَ شهراً .

ثُم : عَزَله إبراهيمُ ، ولم يُحِلْ أحداً بعدَه : عَلَى النَّظرِ عليه ؛ وكان : قد وَعَد عيسى بنَ مِسْكينٍ : بأنْ يُبيحَ له النَّظر عليه ؛ ثُم لم يَفعلْ ذلك .

* * *

عبدُ اللهِ بنُ هارُونَ السُّوذانِيُّ

١٩٦ ثُم : وُلِّيَ — بعدَ ٱبنِ عَبدونٍ — : عبدُ ٱللهِ بن هارُونَ السُّوذانِيُّ الكُوفِيُّ ؛ وكان قبلَ ذلك : [كاتبا][1] لسُليمانَ بنِ عِمرانَ .

ثُم : ولاَّه ٱبنُ طالبٍ قضاءَ تُونُسَ ، وأثْبتَه عليها ٱبن عَبدونٍ : إذ وُلِّيَ ٱلقضاءَ .

ثم : ولاَّه إبراهيمُ قضاءَ ٱلقيْرَوانِ ؛ فكان قاضياً : نحوَ ٱلسَّنتَيْنِ ؛ ثم : عَزَله ،

---

(١) لعل هذه الزيادة متعينة .

ووَقَفَه[1] فى جامعِ رقادةَ : فى بيتٍ من حُصرٍ .

وأمَرَ عيسى بنَ مِسكينٍ : بالنَّظرِ عليه ؛ فلم يَجِدْ قِبَلَه شيئاً مَكْرُوهاً ، ولا أحداً مَطْلُوباً . فدَخَل عيسى : عَلَى إبراهيمَ ، فقال له : هذا ٱلشيخُ عَقَلْتَه فى ٱلمسجدِ : وقد كَبِرَتْ سِنُّه ، ولا غِنًى [له] عن قيام ٱلنِّساء .

فقال : نَظَرْتَ عليه ؟ .

فقال : قد فُعِلَ ؛ فلم أجِدْ إليه سبيلاً .

فقال إبراهيمُ : ٱلحمدُ للهِ ٱلذى صدقَ ظنِّى به : فما ظَنَنْتُ إلاَّ خيراً .

* * *

عِيسَى بنُ مِسْكِينٍ

١٩٧ ثم : وَلَّىَ ٱلقضاءَ عيسَى بنُ مِسكينٍ ؛ فكان : زاهِداً مَحْمُوداً ؛ أقامَ قاضياً ، نحوَ ٱلثَّمانيةِ أعوامٍ . ثم عَزَلَه : عندَ خُروجِه إلى صِقِلِّيَةَ .

* * *

ٱلصَّدَفىُّ محمدُ بنُ أسْوَدَ

١٩٨ ووَلَّى ٱلصَّدَفىُّ : محمدَ بنَ أسْودَ ؛ ٱلقضاءَ : لأنَّه عَلِمَ : أنَّ ٱبنَه عبدَٱللهِ [يقولُ] : بخلْقِ ٱلقرآنِ ؛ وأنه لايَدَعُ بعده عيسى على ٱلقضاءِ .

فكان ٱلصَّدَفىُّ : قاضياً لأبى ٱلعبَّاسِ ؛ حتَّى قتل أبو ٱلعبَّاسِ ، ووُلِّىَ زِيادةُ ٱللهِ ٱبنُه : فعزَل ٱلصَّدَفىَّ .

* * *

---

(١) أى : حبسه .

حماسُ بنُ مَرْوَانَ

١٩٩ ووَلَّى حماسَ بن مَرْوانَ ؛ فكان قاضياً : نحوَ السَّنَتَيْنِ ؛ ثم عَزَلَه .

* * *

ابنُ جيالٍ

٢٠٠ ووَلَّى ابنَ جيالٍ : بعنايةِ ابن الصَّائغ ؛ فكان قاضياً : مُدةً يسيرةً ؛ ثم عَزَلَه .

* * *

إبراهيمُ بنُ الخشَّابِ

٢٠١ ووَلَّى القضاء : إبراهيمَ بن الخشَّابِ ؛ فدَخَل الشِّيعِيُّ إفْرِيقيَّة .

* * *

محمدُ بن عُمَر المَرْوذِيُّ

٢٠٢ فوَلَّى أبو عبدِ اللهِ الصَّنْعانيُّ : محمد بن عُمَر المَرْوَذِيَّ ؛ وهو : من أهلِ القَيْرَوانِ .

كان : مُتَشَيِّعاً[1] من قبلُ ؛ وكانتْ القُضاةُ : تُكلِّمُه ؛ فتطاوَلَ على رجالٍ صالحينَ : فضَربَهم وحَبَسَهم ؛ وأتَى عُبيدُ اللهِ من «سجلماسةَ» : فأقرَّ المَرْوَذِيَّ على القضاء .

ووَضَع القَوْمَ ـ : المحبُوسونَ فى حَبْسِ المَرْوَذِيِّ . ـ أيديَهم فى الرَّفْعِ على المَرْوَذِيِّ : بالارْتِشَاءِ وأقْتِنَاءِ الأمْوالِ ؛ وأكْثَرُوا مِنْ ذلك .

فوصَّى إليهم محمدُ بن أحمدَ البغداذيُّ : هذا الفنُّ من الرَّفْعِ دَعُوهُ ؛ إن كان عندَكم سَبَبٌ ـ : من قَدْحِه فى الدَّولةِ . ـ فهو : يَنْفَعُكم .

فعَطَفَ القَوْمُ عَلَى الرَّفْعِ عليه : من هذا البابِ ؛ فعزَلَه ، وعَذَّبَه ؛ ثم قَتَلَه .

* * *

---

(١) بالأصل : « مشيعا » ؛ وهو محرف عنه . أو عن « شيعيا » .

محمدَ بن المَحْفوظِ

٢٠٣ وولِّي القضاءَ ـ بعدَ ذلك ـ : محمدُ بن المَحْفُوظِ ؛ من أهلِ « لموزةَ » وكان شِيعياً من قبلُ .

فكان قاضياً : حتَّى ماتَ : سَنة ستٍ وثلاثِ مِائةٍ .

* * *

إسحاقُ بنُ أبي المِنْهالِ

٢٠٤ ثم: وَلَّى[1] أبو سَعِيدٍ الضَّيْف ـ : إذ كان عاملاً على القَيْرَوَانِ . ـ إسحاقَ بن أبي المِنْهَالِ : على القضاءِ ؛ بأمْرِ عُبَيده اللهِ .

فكان أمْرُه : ضَعِيفاً واهِنا ؛ وكان زُرارةُ[2] يَتسوَّر عليه : في النَّظَرِ بالقَيْرَوَانِ؛ فلا يَمْتَعِضُ، ولا يَنْتَصِرُ ؛ حتَّى عُزِلَ .

* * *

محمدُ بن عِمْرَان النَّفطيُّ

٢٠٥ ثم : وَلَّى عُبَيدُ الله : محمد بنَ عِمران النَّفطِيَّ ؛ وكان من قبلُ : قاضياً بأطْرَابُلُس ـ : و «نفطة» التي نُسِب إليها : مَدينةٌ بقَصطليةَ . ـ فأقامَ : نحوَ السَّنةِ ؛ ثُم ماتَ .

* * *

إسْحَاقُ بنُ أبي المِنْهَالِ

٢٠٦ فوَلَّى عُبَيْدُ اللهِ : إسحاقَ : بن [أبي] المِنهال[3] ؛ فكان قاضياً : حتى مات

---

(١) بالأصل : « ولاه » ؛ وهو محرف عنه .

(٢) بالأصل : « درارة » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٣) أي : مرة ثانية .

عُبَيْـــد اللهِ ؛ فوَلَّى ولدُه أبو القاسم : فثَبَّتَه عليها ؛ حتى مات إسحاقُ بنُ أبي المِنْهالِ .

* * *

أحمدُ بن بَحْرٍ

٢٠٧ فوَلَّى أبو القاسم : أحمـدَ بنَ بَحرٍ ؛ قضاءَ القيرَوان . وكان من قبلُ : قاضياً باطْرابُلس ؛ فهو قاضيها اليوم .

* * *

وكانت قُضاة الجماعةِ فيما سَلَف ـ فى دَولةِ بَنى الأغْلبِ ـ إنَّما يجلس القاضى : ـ إذا كان من غيرِ أهلِ القَيْرَوانِ . ـ بمَدِينة السُّلطانِ برقادةَ .

فلّما دَخَل الشِّيعيُّ : اُستَقْضَى على « رقادةَ » شيخاً (أعنى : كتامِيًّا) يُعرَفُ : بأفْلَحَ ابنِ هارُونَ ؛ ثم ماتَ .

٢٠٨ وانتَقل إلى المَدِينة ـ : التى سمَّاها : المهدِيةَ . ـ فوَلّى زُرَارَةَ بن أحمـدَ : على القضاء ، بها فهو قاضيها اليوم .

انتهى الجزء بحمد الله

* * *

[و بانتهائه تم كتاب علماء إفريقية]

لمحمد بن حارث الخشنى

فهارس الكتاب

١ — فهرس الموضوعات : لكتاب قضاة قرطبة
٢ — فهرس الأعلام : » » »
٣ — فهرس البلدان : » » »

* * *

١ — فهرس الموضوعات : لكتاب علماء إفريقية
٢ — فهرس الأعلام : » » »
٣ — فهرس البلدان : » » »

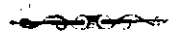

فهـــــــرس الموضوعات

لـكتاب قضاة قرطبة

الصفحة	الموضـــوع
٣	ملـكية النسخة المخطوطة : لابن بطوطة .
٥ — ٧	كلمة الناشر .
١٠—١٢	تقدمة المؤلف ، وسبب تأليفه للكتاب .
١٣	باب من عرض عليه القضاء من أهل قرطبة فأبى :
١٣	عرض منصب القضاء على المصعب بن عمران ورفضه له ؛ غضب الأمير عبد الرحمن من ذلك .
١٤	عرض منصب القضاء على زياد بن عبد الرحمن، ورفضه له وفراره من قرطبة . قول الأمير هشام بن عبد الرحمن : ليت الناس كزياد .
١٤	عرض القضاء على محمد بن عيسى الأعشى ورفضه له ، قول الأمير الحكم : ما يغمنى غير إفراط الدعابة فيه ، ورد محمـد بن عيسى بقوله : على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يدع الدعابة للخلافة .
١٥	رفض قاضى جيان العودة إلى القضـاء .
١٥	عرض القضـاء على يحيى بن يحيى الليثى ، ورفضه له ، وقوله لصاحب الرسالة : المـكان الذى أنا به لما تريدون خير لـكم .
١٦—١٧	عرض القضاء على عثمان بن أيوب بن أبى الصلت؛ وعدم قبوله واستعفاؤه .
١٧	عرض القضاء على إبراهيم بن محمد بن باز ، ورفضه له . رؤيا الأمير محمد ابن عبد الرحمن لمحمد بن باز ، وروايتها لهاشم بن عبد العزيز .

الصفحة	الموضـــــوع
١٨	عرض الأمير محمد القضاء على محمد بن عبدالسلام الخشنى ، ورفضه قبوله. نزعه بعد إصرار الأمير عليه فلنسوته ، ومده عنقه ، وقوله : أبيت أبيت كما أبت السموات والأرض إباية إشفاق لا إباية عصيان .
١٨	عرض القضاء على أبان بن عيسى بن دينار ورفضه وفراره .
١٩	عرض القضاء على بقى بن مخلد ورفضه وقوله للأمير : ما هذا جزاء محبتى وانقطاعى .
٢٠	عرض القضاء على أبى غالب عبد الرءوف بن الفرج ، ورفضه له . تمنى الأمير عبد الرحمن بن محمد لرؤية عبد الرءوف بن الفرج .
٢١	باب : أخبار قرطبة وقضاتها قبل الخلفاء .
٢١—٢٥	تولى مهدى بن مسلم القضاء . أمر عقبة بن الحجاج السلولى لمهدى بن مسلم بأن يتولى كتابة عهده للقضاء بنفسه .
٢٦	تولى عنترة بن فلاح القضاء . استسقاء عنترة بن فلاح بالناس ، وقول أحدهم له : أيها القاضى : قد حسن ظاهرك فحسن باطنك .
٢٧	تولى مهاجر بن نوفل القرشى القضاء . قصة عجيبة رويت عنه حين دفنه.
٢٨—٢٩	تولى يحيى بن يزيد التجيبى القضاء . الأمير عبد الرحمن و بنات يوسف ابن عبد الرحمن الفهرى .
٣٠—٣٧	تولى معاوية بن صالح الحضرمى القضاء . مشاركة معاوية بن صالح لمالك ابن أنس فى بعض رجاله . تمنى محمد بن أحمد بن خيثمة دخول الأندلس للتفتيش على كتب معاوية بن صالح . قول يحيى بن يحيى : إن أول من أدخل الحديث إلى الأندلس معاوية . سفر زيد بن الحباب من العراق إلى الأندلس لأخذ الحديث عن معاوية بن صالح . دخول معاوية بن صالح الأندلس قبل دخول الإمام عبد الرحمن بن معاوية . سفره إلى

الصفحة	الموضـــوع
	الشام وعودته إلى الأندلس بتحف من أهلها إلى الأمير عبد الرحمن . الرمان السفرى . ذهابه إلى الحج ودخوله المسجد الحرام ، وروايته عن أبى الزاهرية : قصته مع زياد بن عبد الرحمن . اجتماعه بمالك بن أنس. رسالة ولد معاوية بحمص إلى ولد معاوية بن صالح بالأندلس .
٣٧—٣٨	تولية عمر بن شراحيل القضاء . تبادل منصب القضاء بين معاوية بن صالح وعمر بن شراحيل . مناقشة معاوية بن صالح الأمير عبد الرحمن بهذا الشأن .
٣٩ – ٤١	تولية عبد الرحمن بن طريف اليحصبي القضاء ، تظلم جبيب القرشى إلى الأمير عبدالرحمن من القاضى عبدالرحمن بن طريف . عدم عمل القاضى بأمر الأمير . قول الأمير للقاضى : من أقدمك على أن تنفذ الحكم ؟. قول القاضى : أقدمنى عليه الذى أقعدك هذا المقعد .
٤٢—٤٥	تولية الأمير هشام بن عبد الرحمن ، المصعب بن عمران الهمدانى القضاء بعد إقناعه . إقرار الأمير الحكم بن هشام لمصعب بن عمران على القضاء. حكمه فى قضية العباس بن عبد الله المروانى بالرغم من وساطة الأمير . مرض المصعب بن عمران وزيارة الأمير الحكم له .
٤٦	قول يحيى بن يحيى الليثى : إن أول من أدخل الفقه بالحلال والحرام ، إلى الأندلس ، زياد بن عبد الرحمن .
٤٧—٤٩	تولية محمد بشير المعافرى القضاء . استشارته لصديق له من الزهاد بشأن قبوله القضاء . سؤال الزاهد له عدة أسئلة . أول ما نفذ من أحكامه حكمه على الأمير الحكم . قول الأمير الحكم : كان فى أيدينا شىء مشتبه ، فصححه لنا محمد بن بشير وصار حلالا . رد ملشهادة أحد أصدقائه ، مناقشة صديقه له فى ذلك . قصته مع شاهد زور .

الصفحة	الموضـــوع
٥٨ ـ ٥٩	شكوى موسى بن سماعة صاحب الخيل للأمير من القاضى محمد بن بشير . دعاء الأمير الحكم الله سبحانه وتعالى بأن يوفقه لاختيار قاض للمسلمين ، بعدما بلغه أن ابن بشـــير القاضى فى السياق ، وأن الموت قد حضره .
٦٠ ـ ٦٢	تولية القاضى سعيد بن بشير . قصة المؤدب الزاهد مع محمد بن بشير وابنه سعيد بن بشير والأمانة التى أودعها طرفه ربيع القومس .
٦٣	تولية الفرج بن كنانة الكنانى القضاء .
٦٥ ـ ٦٧	إرسال الأمير الحكم الفرج بن كنانة ، لتهدئة ثورة عمارة . تهدئته للثورة وإلقاؤه القبض على عمارة وابنه . كتاب الأمير الحكم إلى الفرج بن كنانة . كتاب الفرج بن كنانة إلى الأمير الحكم ، ورد الأمير عليه . كتاب الأمير الحكم إلى حبيش بن نوح ومن قبله من العرب .
٦٧	تولية قطن بن جزء التميمى القضاء .
٦٨	تولية عبيد الله بن موسى الغافقى القضاء .
٦٨	تولية حامد بن محمد الرعينى القضاء .
٦٩	تولية مسرور بن محمد بن بشير المعافرى القضاء .
٧٠ ـ ٧١	تولية يحيى بن معمر الإلهانى القضاء . قول مرة بن ديسم ليحيى بن معمر : إذا وليت القضاء مايكون حظى منك ؟ . هبة الأمير عبد الرحمن بن الحكم لمرة بن ديسم ، على إثر توصية يحيى بن معمر . كتاب يحيى بن معمر إلى أصبغ بن الفرج بمصر ، يستفتيه فيما أشكل عليه من الأمور . قول المؤلف : إنه قرأ رسائل حسانا مما كتب بها أصبغ ابن الفرج إلى القاضى يحيى بن معمر .
٧٢ ـ ٧٣	شهادة أهل العلم والعدل عند الوزراء ، ضد القاضى يحيى بن معمر .

الصفحة	الموضـــوع
٧٢—٧٣	كتابة يحيى بن معمر إلى الأمير : بأن الذى ضم الفقهاء عليه هو يحيى ابن يحيى لعداوة بينهما .
٧٥	تولية الاسوار بن عقبة النصرى القضاء .
٧٦، ٧٧، ٧٨	تولية يحيى بن معمر القضاء مرة ثانية . السبب فى إعادته إلى القضاء ، قسمه : بأن لا يستشير يحيى بن يحيى ، ولا سعيد بن حسان ، ولا زونان ؛ قوله لمن يهدده بالعزل : ليت بغلتى عجرت بى فى سهلة المدور ؛ بعثة وهو فى حالة الأحتضار إلى يحيى بن يحيى ، بقول الله تعالى : (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .
٧٨—٨٢	تولية إبراهيم بن العباس القريشى القضاء . إيقافه لموسى بن حدير موقف الإقرار والإنكار لقضية أقيمت ضده . تولية الأمير عبد الرحمن لموسى ابن حدير الخزانة . سعى موسى بن حدير لدى الأمير ضد إبراهيم بن العباس .
٨٣—٨٤	تولية يخامر بن عثمان الشعبانى القضاء . بين يخامر بن عثمان القاضى والغزال الشاعر القرطبى ، طرح بن الشمر بين سحيات يخامر القاضى سحاءة مكتوبا فيها : يونس بن متى ، والمسيح بن مريم . هتاف الهاتف عليهما . قول ابن الشمر وهجاؤه يخامرا القاضى . تألب الناس على القاضى يخامر .
٨٥	تولية على بن أبى بكر الكلابى .
٨٥—٨٦	تولية معاذ بن عثمان الشعبانى . عزل معاذ بن عثمان عن القضاء بسبب حكمه فى سبعين قضية بمدة سبعة عشر شهراً . تعليق المؤلف على هذا السبب .

الصفحة	الموضوع
٨٧—٨٩	تولية محمد بن زياد اللخمى القضاء . إسناد يحيى بن يحيى الليثى وصيته فى أداء دين، و بيع مال إلى محمد بن زياد . صلاة محمد بن زياد و إسحاق ابن يحيى على جنازة يحيى بن يحيى فى آن واحد . لوم محمد بن زياد لإسحاق بن يحيى على عمله . قول سحنون بن سعيد بجلد من لايريد دفع ما عليه من الديون ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مطل الغنى ظلم » الاختلاف على حد السكران .
٩٢—٩٣	قول محمد بن وضاح : ولى القضاء أربعة اتصل العدل بهم فى آفاق الأرض : دحيم بن اليتيم بالشام ، والحارث بن مسكين بمصر . وسحنون ابن محمد بالقيروان ، وسعيد بن سليمان بقرطبة .
٩٢ — ٩٦	تولية سعيد بن سليمان الغافقى القضاء . حكمه فى قضية المرأة التى لاتريد الإقامة مع بعلها . خروجه من المسجد الجامع ومروره على الفرن الذى يطبخ به فيه خبزه لأخذه .
٩٨— ١٠٠	تولية أحمد بن زياد اللخمى القضاء : قصة محمد بن يوسف الأعرج مع أحمد بن زياد وتدخل صاحب الشرطة . حدوث حدث من بعض أولاد أحمد بن زياد بشذونة و إرسال الأمير محمد من يحقق الخبر . استشارة القاضى أحمد بن زياد كاتبه عمرو بن عبد الله بشأن منصبه ، و إشارته عليه بالاستقالة . نصيحة زيد الغافقىّ لأحمد بن زياد بعدم الإصغاء لعمرو بن عبد الله .
١٠١،١٠٥	تولية عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة القضاء . تظلم عيسى بن فطيس من ابن عائشة للقاضى ، ورده عليه . حكم عمرو بن عبد الله على هاشم ابن عبدالعزيز . جنازة عظيمة لابن القاضى عمرو . مؤمن الشاعر والقاضى عمرو ، مقارنة سليمان بن عمران قاضى القيروان بين عمرو بن عبد الله وسليمان بن أسود . تفضيله لعمرو .

الصفحة	الموضوع
١٠٧—١١٢	تولية سليمان بن أسود الغافقى القضاء . قصة سليمان بن أسود مع الأمير محمد بن عبد الرحمن قبل توليه الخلافة . رفض سليمان بن أسود تناول الغداء والتطيب فى منزل بعض الوزراء . حكم سليمان بن أسود فى تركة قومس بن انتنيان .
١١٥	فرار الفقيه بن الملون من سليمان بن أسود ، والتجاؤه لدار الوزير ابن جهور، وطلب القاضى له .
١٢٠—١٢١	تولية عمرو بن عبد الله القضاء للمرة الثانية . تعقب عمرو بن عبد الله لأحكام سليمان بن أسود هجاء. مؤمن الشاعر لعمرو بن عمرو بن عبدالله، سعى هاشم بن عبد العزيز لعزل عمرو بن عبد الله .
١٢٢—١٢٧	تولية سليمان بن أسود للقضاء المرة الثانية ، تعقب سليمان بن أسود لأحكام عمرو بن عبد الله ، ومطالبته بمال جسر ، استغاثة عمرو بن عبدالله بالأمير محمد بن عبد الرحمن . حدوث أمور شنيعة بين سليمان بن أسود وعمرو ابن عبد الله . اجتماع عمرو بن عبد الله وسليمان بن أسود فى مجلس الوزراء ومناقشتهما . لبعض . اجتماع الفقهاء فى بيت الوزراء . مناقشة سليمان بن أسود لعمرو بن عبد الله فى البطاقة التى رفعت إلى الأمير ضد سليمان . قصة إبراهيم بن قلزم مع سليمان بن أسود .
١٢٩	نعى سليمان بن أسود القاضى للأمير محمد من على منبر المسجد .
١٣٠—١٣٣	تولية عامر بن معاوية اللخمى القضاء ، ذهاب سليمان بن أسود إلى عامر بن معاوية بالديوان . حكم أبى معاوية عامر بن معاوية لأيدون الفتى . خطبته على الناس فى الاستسقاء بخطبة إرميا النبى .
١٣٣—١٣٦	تولية النضر بن سلمة الكلابى للقضاء . التزامه لخطبة استحسنها منه

الصفحة الموضوع

الأمير عبد الله بن محمد . قول أحد الأشخاص : ظلمتنى ياقاضى . قول النضر : فإن أعطوا منها رضوا .. ابن رحمون ونوادره .

١٣٧ — ١٣٨ تولية موسى بن محمد بن زياد الجزامى للقضاء ، مثال من حلم القاضى ابن زياد .

١٣٩ تولية محمد بن سلمة الكلابى أخى النضر بن سلمة . حكاية الكساء الذى اشتراه القاضى بواسطة عبد الله بن قاسم ، وإعادته له . تعديل ابن شراحيل عند القاضى محمد بن سلمة وقوله فى ذلك . قصة رجل سكران .

١٤٥ تولية النضر بن سلمة للمرة الثانية ، وإبقاء محمد بن سلمة على الصلاة . استوزار الأمير للنضر بن سلمة .

١٤٥ — ١٤٦ تولية محمد بن سلمة القضاء للمرة الثانية . عقده لكتاب وصية بثلث ماله . قوله لابن لبابة حينما رآه يجيل بنظره فى أساس المنزل : إن موجودات منزله هى ملك لابنته عافية . رفضه طلب ولده منه الكتابة إلى الأمير لاستخلافه على الصلاة ، وتوصيته للأمير باستخلاف محمد ابن عمر بن لبابة .

١٤٨ — ١٤٣ تولية أحمد بن زياد اللخمى المعروف بالحبيب القضاء . عناية القاضى سليمان بن أسود بالحبيب بن زياد وحثه على التجارة . بيان أنه أول من جمع الأحكام ، وقيد السجلات ، وألف فى الأقضية ، ودوّن كلام أصحاب الرأى ممن استشارهم . قصة إبراهيم بن حسين بن مع المصلبين . جلوس رجل من أهل السوق على مائدة الحبيب وطرده له لسماجته .

١٥٥ — ١٦٠ تولية أسلم بن عبدالعزيز القضاء . مباسطة محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الحكم لأسلم أثناء وجوده بمصر . قصة الرجل النصر إلى الذى أحضر أمامه فى القضاء .

١٦٠ ، ١٦١ تولية أحمد بن محمد بن زياد للقضاء المرة الثانية . سعيه بالرجوع للقضاء بواسطة بدر الحاجب . بين أحمد بن عبادة الرعينى والقاضى الحبيب .

١٦٢ تولية أسلم بن عبد العزيز القضاء المرة الثانية ، وتولية أحمد بن بقى بن مخلد الصلاة .

١٦٣ ، ١٦٦ توليـة أحمد بن بقى بن مخلد القضاء ، عدل أحمد بن بقى وحلمه . الفرق بين أحكام أسلم بن عبد العزيز وأحمد بن بقى . اجتماع أحمد بن بقى مع سكران فى الطريق . مجاملته لأصدقائه .

١٧١ ، ١٧٢ تولية القاضى أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الأصبحى ، وتولية محمد بن أيمن الصلاة .

١٧٢، ١٧٣، ١٧٤ تولية محمد بن عبد الله بن أبى عيسى القضاء . عدله فى قضائه ، و إقامته الحدود على كافة الناس من غير تفرقة أو تمييز .

١٧٥ تولية منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطى القضاء .

١٧٦ تولية محمد بن إسحاق بن السليم القضاء .

١٧٦ خاتمـــة الـكتاب .

فهرس الأعلام والطوائف
لقضاة قرطبة

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
	(أ)	
٩	أبان بن عيسى بن دينار	١٨ ، ٩٠، ٩١
	إبراهيم بن حسين بن خالد	٨٦ ، ٨٧
	إبراهيم بن حسين بن عاصم : صاحب السوق	١٥١ ، ١٥٢
٣١	إبراهيم بن العبـ ـ القرشي	١٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢
	إبراهيم بن عبد الملك المروانى	٤٧
	إبراهيم بن قلزم	١٢٧ ، ١٢٨
	إبراهيم بن لبيب	١٠٥
٧	إبراهيم بن محمد بن باز	١٧
	أحمد بن بشير ؛ المعروف: بابن الأغبس	٥٣
٤٦	أحمد بن بقى بن مخلد : أبو عبد الله	٥٤، ٦٠، ٧٥، ٧٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣
	أحمد بن حزم	٣٤
	أحمد بن خالد	١٥ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤٢، ٤٧، ٤٩، ٧١، ٧٢ ، ١١٤، ١٣٣
	أحمد بن خالد بن الجباب	١٧٣
	أحمد بن أبي خيثمة	٣١
٣٧	أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي	٩٨، ٩٩، ١٠١
	أحمد بن سعيد	٣٥
	أحمد بن عبادة الرعيني : أبو عمر	١٨، ٨٠، ١١٨، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٥ ، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤
	أحمد بن عبد الله بن أبي خالد	٩٣، ١١٦، ١١٧
٤٧	أحمد بن عبد الله بن أبي طالب الأصبحى	١٧١، ١٧٢
	أحمد بن عيسى بن محمد القرى: أبو العباس	٢١ ، ٢٥

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	أحمد بن فرج بن منتيل	٢١، ٢٥، ٢٧، ٦٤
	أحمد بن محمد بن زياد	٣١، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٤٦، ٥٥، ٧٩، ٨٨، ١٠٠
٤٤	أحمد بن محمد بن زياد اللخمي: المعروف بالحبيب	٨٧، ١٣١، ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥
	أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن	٣٦، ٥٣، ٤٧، ٧٥، ٧٧، ٨٢، ٩٢، ١٠٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٣، ١٣٢، ١٣٤
	أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة	٩٩، ١٦٥
	أحمد بن مغيث: الحاجب	١٣
	أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن	٣٥
	إرميا	١٣٣
	إسحاق بن نعمان	١٧٣
	إسحاق بن يحيى بن يحيى	٨٧، ٨٨
	أبو إسحاق: أخو الأمير محمد	١٠٤
٤٥	أسلم بن عبد العزيز بن هاشم: أبو الجعد	١٢٤، ١٢٥، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٠٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦
	إسماعيل بن عثمان بن أيوب	١٦
	إسماعيل بن يحيى المزني	١٥٥
٢٩	الإسوار بن عقبة النصري	٧٥، ٧٦
	أشراف الناس	٧٥
	أشهب بن عبد العزيز	٧٧، ٨٠
	أصبغ بن خليل	٦١، ٩٠، ٩١
	أصبغ بن الفرج	٧٢، ١٣١، ١٣٢
	أصبغ بن عيسى الشقاق	٧٦، ١٦٦، ١٦٧
	أم الاصبغ: أخت عبد الرحمن بن معاوية	٣١، ٤٠
	ابن الأعرابي	٣٣
	الأعوان	١٣٧، ١٥٩
	أم العباس: أخت الأمير عبد الرحمن	٤٠
	أم عمرو: بنت معاوية بن صالح	٣٦

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
	بنو الأغلب	٢٥
	آل السلطان	٨٩
	آل الفرج بن كنانة	٦٤
	امرأة صالحة	١٣٩
	بنو أمية	٢٥ ، ٢٦ ، ١٥٥ ، ١٥٦
	أهل التفقه	٨٦
	أهل الحرم	١٧٤
	أهل حمص	٣١
	أهل الخدمة	١٧٤
	أهل المدينة	٦٥
	أهل الذمة	١٧٤
	أهل الشام	٣١ ، ٣٢
	أهل قرطبة	٨٠
	أهل العلم: العلماء	٨٩، ٩٣، ٩٦، ١٢٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٧
	أيدون الفتى	١٣٢
	أيوب بن سليمان : أبو صالح	١١٨، ١٥٠ ، ١٣٥ ، ١٥٧
	ابن أبي أيوب القرشي	١١٠
	(ب)	
	بدر بن أحمد : أبو الغصن الحاجب	١٥٦ ، ١٦٠
	البربر	٦٥
	بشر بن سلمة	١٦٤
	بشر بن قطن	٦٨
	بشر بن محمد بن موسى القرشي : أبو الحارث	٣٦
	ابن بطوطة = محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي	
	بعض أهل العلم	٧٥، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٩، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٣، ١٧٠
	بعض خواص الأمير	٧٦
	بعض رواة الأخبار	٨٧، ٩٨، ١٠٢، ١٢٧، ١٣٦، ١٤٧ ، ١٦٨

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
	بعض الشعراء	٥٣
	بعض الشيوخ	١٣٥، ١٤٩، ١٥٠
	« فقهاء البلد	١١٨
	بعض الوزراء	١١٩
١٠	بقى بن مخلد	١٩، ١٠٧، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٦٤
	أبو بكر الصديق: رضى الله عنه	١٧، ٨٩، ٩٠
	بكر بن حماد القسام	١٢٨
	أبو بكر بن أبى شيبة	٣١
	أبو بكر بن المنذر	١٧٣
	بلج بن بشر	٢٨
	(ج)	
	جبير بن نفير	٣٢
	جذام : قبيلة	٨٣
	جذمير العجمى	١٤٧
	جعفر المتوكل : الخليفة	٩٣
	جعفر بن يحيى بن مزين	١٥٣
	جند باجة	٤٧
	جند حمص	٤٢
	جند فلسطين	٦٣، ٦٨، ١٣٧
	جند مصر	٣٣
	جند هشام بن عبد الملك	٤٢
	(ح)	
	حارث بن أبى سعد	٧٢
	الحارث بن مسكين: القاضى	٩٣
	أم حاطب بن أبى بلتعة	٤٥
	بنو حاطب بن أبى بلتعة	٤٢
٢٦	حامد بن محمد الرعينى	٦٨

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	الحبيب = أحمد بن محمد بن زياد اللخمى	
	حبيب القرشى	٤٠ ، ٤١
	حبيش بن نوح	٦٦
	حدير بن كريب : أبو الزاهرية	٣٢ ، ٣٥
	حرب : رجل من أهل شبلار	٣٣
	حرملة : صاحب الشافعى	٢٦
	حسام بن ضرار الكلبى : أبو الحطار	٢٩
	حسان الفتى : خادم الأمير عبد الرحمن	٩٠، ٩١
	حسين بن الاسوار بن عقبة	٧٥
	ابن حصن : كاتب القاضى أحمد بن بقى	١٦٧
	الحكم بن عبد الرحمن : الأمير	١٧٥
	الحكم بن هشام المستنصر : الأمير ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٨٣	
	حمدون بن فطيس	٥٧
	حميدة : ابنة معاوية بن صالح	٣٤
	حنظلة بن صفوان الكلبى : صاحب إفريقية	٢٨
	(خ)	
	خالد بن سعد	١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٥
	خالد بن سعيد بن سليمان الغافقى	١٠٧
	خدمة السلطان	٧٥
	خلة : امرأة معاوية بن صالح	٣٥
	(د)	
	داود عليه عليه السلام	١٥٤

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	دحيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم : المعروف بابن اليتيم	٩٢، ٩٣
	أبو الدرداء	٣٢
	(ر)	
	ربيع القومس	٦١
	رجل من أهل الزهد	٦٣–٦٤
	رجل من قريش	١٣٢
	ابن رحمون	١٣٥، ١٣٦
	رسول رب العالمين : عليه الصلاة والسلام	٤١
	(ز)	
	زرياب	١٥، ١٩
	زونان	٧٦، ٨٧
	آل زياد	١٩
٢	زياد بن عبد الرحمن	١٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٦
	زياد بن محمد بن زياد	١٩ ، ١٣٠
	أبو زيد بن إبراهيم	٩٠
	زيد بن الحباب العكلى : أبو الحسين	٣١
	أبو زيد الحذرى	١٠٥
	زيد الغافقى	١٠٠
	(س)	
	سحنون بن سعيد	٨٨ ، ٩٣ ، ١٣١
	سعاد : خادم خلة امرأة معاوية بن صالح	٣٥
	سعد بن معاذ الفقيه	٨٣، ١٥٧
	سعدون بن ناصر بن قيس	٩٤
	أبو سعيد الأشج	٣١
	سعيد بن حسان الفقيه : أبو عثمان	٧٢، ٧٣، ٧٦
	سعيد الخير : ابن الأمير عبد الرحمن بن معاوية	٣٣
٣٦	سعيد بن سليمان الغافقى : أبو خالد	٨٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٧
٢٢	سعيد بن محمد بن بشير	١٥، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٩

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
	سيفان الثورى	٣٠
	سيفان بن عيينة	٣٠
	سكن : كاتب الأمير عبد الله بن محمد	٢٠
	سليمان عليه السلام	١٥٤
٣٩	سليمان بن أسود الغافقى	١٩، ٩٢، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢
	سليمان بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية	٤٢
	سليمان بن سعيد	٩٢
	سليمان بن سليمان بن هاشم المعافرى	١٠٧
	سليمان بن عمران : قاضى القيروان	١٠٥، ١١٥
	سليمان بن محمد بن أبى ربيع	١٤١
	(ش)	
	ابن شراحيل : المعروف بالعجيزة	١٤١، ١٤٢
	شعراء قرطبة	٨٣
	ابن شفى	٤٦
	ابن الشمر	٨٣
	بنوشهيد	١٣٦
	(ص)	
	صاحب المدينة	١١٣، ١١٤
	الصياد : رجل من أهل الزهد والعبادة	١٤٤
	(ط)	
	طرفة : رسول الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى يحيى بن يحيى	١٥
	(ع)	
	ابن عائشة القرشى	١٠١، ١٠٢
	عافية: ابنة القاضى محمد بن سلمة الكلابى	١٤٦

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
٤٠	عامر بن معاوية بن عبد المسلم بن زياد اللخمى : أبو معاوية	١٩ ، ٣٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٩
	بنو العباس	٨٤، ١٢٣
	أبو العباس : من ولد الفرج بن كنانة	٦٣، ٦٧
	العباس بن عبدالله المروانى	٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧
	عباس القريشى: جد بنى العباس بالأندلس	٨٢
	عبد الأعلى بن وهب	٩٠، ٩١
	عبدة بن عبدالله	٣١
	عبدالرحمن بن أحمد بن بقى	١٦٥، ١٦٨، ١٦٩
١٩	عبدالرحمن بن طريف اليحصبى	٣٩، ٤٠، ٤١
	عبدالرحمن بن الحكم : أمير المؤمنين	١٥، ١٦، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٥، ٨٧، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٧، ١٠٨، ١٣١
	عبدالرحمن بن أبى عبدة	٦٥
	عبدالرحمن بن عقبة	٢٨
	عبدالرحمن بن القاسم	٥٥، ٥٦، ٧٧، ٨٨، ١١٦
	عبدالرحمن بن معاوية: أمير المؤمنين	١١، ١٣، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٨٠، ٨٢، ٨٤
	ابنة الأمير عبدالرحمن بن معاوية	٤٢
	عبدالرحمن بن مهدى	٣٢
١١	عبدالرءوف بن الفرج بن كنانة: أبو غالب	٢٠
	عبدالكريم بن أبى الواحد	٦٤
	عبدالله بن خالد: الراوى	١١٧
	عبدالله بن الفرج النميرى	١٠١
	عبدالله بن قاسم	١٣٩، ١٤٠
	عبدالله بن محمد : أمير المؤمنين	٢٠، ١٢٩، ١٣٣، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٦٤
	عبدالله بن محمد الزجالى	١٣٤، ١٤٧
	عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن اللواتى	٣
	عبدالله بن محمد بن على اللواتى	١٧٦
	عبدالله بن محمد بن أبى الوليد: الأعرج	٣٥
	عبدالله بن وهب	٥٥

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	عبدالله بن يونس	١١٩، ١٣١
	عبدالملك بن أبان بن معاوية بن هشام	٢٩
	عبدالملك بن أيمن	٦٧
	عبدالملك بن جهور : أبو مروان الوزير	١١٥
	عبدالملك بن حبيب	٤٩، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٩٠، ٩١
	عبدالملك بن الحسن	٤٦، ٥٧
	عبدالملك بن زونان	٧٢، ٨٧
	عبدالملك بن العباسي القرشي	١١٤
	عبدالملك بن عمر المرواني	٤٧
	عبدالملك بن قطن الفهري	٢٨
	عبدالملك بن مغيث	٦٢
	عبدالله بن عبدالعزيز	١١٠
٢٥	عبيد الله بن موسى الغافقي	٦٨
	عبيد الله بن يحيى : أبو مروان	١٤، ١٥، ٣٨، ٥٥، ٥٦، ٦٢، ٧٣، ٨٧، ٨٨، ١٦٤
٦	عثمان بن أيوب بن أبي الصلت	١٦
	عثمان بن سعيد الزاهد	٧٤، ٧٧، ٧٨
	عثمان بن عبدالرحمن بن عبدالحميد بن أبي زيد	٧١، ٧٢
	أبو عثمان العراقي : الفقيه	٩٢
	عثمان بن عفان : رضي الله عنه	١٧، ١١٥
	عثمان بن محمد	١٤، ١٥، ٥٦، ٦٢، ٧٣، ١٠٣، ١٥٣
	عجب	٩٠
	ابن أخي عجب	٩٠
	العجم	١٥٦
	عدول قرطبة	١١٩
	العرب	٦٥، ٦٦، ٨٣، ١٠١
	عرب الشام : العرب الشاميين	٢٩، ٦٨، ٧٠، ١٣٧
	عرب مصر	٤٧
	عقبة بن الحجاج السلولي	٢١، ٢٢
	عقبة : رجل من أهالي قرى قرطبة	١٠٣
	العقيلي	١٧٣

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	علماء قرطبة	٧٩
	علة : خادم مصعب بن عمران	٤٥
٣٣	على بن أبى بكر بن عبيد الكلابى : الملقب بوانش	٨٥
	على بن أبى طالب رضى الله عنه	٩٠،١٤
	عم محمد بن بزيغ القيم	١١٣
	عم محمد بن عبد الملك بن أيمن	٧٧
	ابن عم محمد بن موسى الوزير	١١٥
	ابن عمار : العدل	١١٧،١١٨
	عمارة: رجل من العرب ثار على الأمير	٦٥،٦٦
	ابن عمارة	٦٦
	عمر بن الخطاب: رضى الله عنه	١٧،١٠٧
١٧	عمر بن شراحيل المعافرى: أبو حفص	٣٧،٣٨،٣٩
	عمر بن عبد العزيز	٢٨
	عمر عيص : القرشى	١١٩
	أبو عمر: أخو الحاجب موسى بن حدير	١٧١
	عمر بن يحيى بن لبابة	١٥٠
	ابن عمران الطلحى : قاضى المدينة	٥٧
	عمران الهمدانى	٤٢
٣٨	عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة : أبو عبد الله	٩٩،١٠٠،١٠١،١٠٢،١٠٣،١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦
	أبو عمرو : بن عمرو بن عبدالله	١٢٠،١٢١،١٢٣،١٢٦
١٣	عنترة بن فلاح	٢٥،٢٦
	عيسى عليه السلام	١٥٨
	ابن أبى عيسى	٧٢
	عيسى بن بكر : المعلم	٣٤
	عيسى الزاهد	٣٥
	عيسى بن فطيس	١٠١،١٠٢
	(غ)	
	غراب : رجل من العامة	٨٨

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	الغزال : الشاعر	٨٣
	غلام : خام القاضي الحبيب بن زياد	١٥٣
	أبو الغمر بن فهد	١٤٧
	(ف)	
	فرج بن سلمة بن زهير البلوى	٧٩، ٩٢، ٩٤، ١٠٩، ١٤٦، ١٦٥، ١٦٦
٢٣	الفرج بن كنانة الكناني	٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧
	ابن فطيس = محمد بن فطيس	
	الفقهاء	١٣٧، ١٥٨
	الفهري = يوسف بن عبد الرحمن	
	فتى: خادم الأمير ومن أصحاب الرسائل	٨٤، ١٤٣
	(ق)	
	قاسم بن أصبغ البياني : أبو محمد	٢٠، ١٢٩
	قاسم بن هلال	٥٥
	ابن القاسم = عبد الرحمن بن القاسم	
٤	قاض كورة جيان	١٥
	بنو قتيبة	٨٧
	قريش	٦٤
	ابن القصيبي : رجل من تجار قرطبة	١٢٢
٢٤	قطن بن جزء التميمي	٦٧
	قومس بن انتنيان	١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣
	القومة : قومة المسجد	١١٥
	(ك)	
	كفات : امرأة محمد بن زياد اللخمي	٩١، ٩٢
	ككوية : ابنة مصعب بن عمران	٤٥
	(ل)	
	الليث بن سعد	٣٠، ٤٦، ٧٤، ٨٨
	(م)	
	مالك بن أنس	٣٠، ٣٤، ٣٥، ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٧٤
	المحتسب	١٦٧

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	محمد : صلى الله عليه وسلم	١٧،٣٢،٣٤،٨٨،٨٩،٩٠،٩١،١٥٨
	محمد بن ابراهيم: المعروف بابن الجباب	٤٠،١٥٣،١٦٨
	محمد بن أحمد بن أبي خيثمة	٣٠
	محمد بن أحمد الشيباني : الزاهد	٥٢
	محمد بن أحمد العتبي	٩٦
	محمد بن أحمد بن عبد الملك : المعروف بابن الزراد	٦٩
٥٠	محمد بن اسحاق بن السليم	٩٠ ١٧٦
	محمد بن اسباط	١٣٥
	محمد بن الأغلب التميمي	٩٣
	محمد بن أمية بن عيسى : صاحب المدينة	١١٠،١١٩،١٤٧،١٤٨
٢١	محمد بن بشير المعافري	١٤،١٥،٢٨،٤١،٤٣،٤٦،٤٧،٤٨،٤٩،٥٠، ٥٢،٥٣،٥٤،٥٥،٥٦،٥٧،٥٨،٥٩،٦٠،٦٩، ١٠٢
	محمد بن تليد بن حامد بن محمد الرعيني	٦٨
	محمد بن جهور	١١٥
	محمد بن حارث الخشني رد بكثرة	
	محمد بن حفص	٦٤
	محمد بن خالد	٥٦
٣٥	محمد بن زياد اللخمي	٨٠،٨٧،٨٨،٨٩،٩٠،٩١،٩٢،٩٨،١٦٧
	محمد بن سعيد : القاضي	٩٧
	محمد بن سعيد بن بشير	٥٤،٥٥
٤٣	محمد بن سلمة الكلابي	١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢،١٤٣،١٤٤،١٤٥، ١٤٦ ، ١٤٧
	ابنة محمد بن سلمة الكلابي	١٤٠
	محمد بن صالح	٣٦
	محمد بن عبد الأعلى	٥٤
	محمد بن عبد البر	١٦٠
	محمد بن عبد الرحمن : الخليفة	١٧،١٨،٩٢،٩٣،٩٨، ١٠١،١٠٥،١٠٧،١٠٨، ١١٢،١١٣،١١٥،١١٧،١١٨،١١٩،١٢٢،١٢٣، ١٢٥،١٢٦،١٢٨،١٥١

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم : صاحب الشرطة	٩٨
٨	محمد بن عبد السلام الخشنى	١٨
	محمد بن عبد الله بن عبد الحكم	١٥٥، ١٥٦
	محمد بن عبد الله بن القوت	٥٨
٤٨	محمد بن عبد الله بن أبى عيسى	٨٧، ٨٨، ٢٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥
	محمد بن على البجلى	١٧٣
١٨	محمد بن عمر : أبو سعيد	٣٩
	محمد بن عمر بن عبد العزيز	٣٣، ٥٨، ٧٠، ٧٦، ١١٤، ١١٥
	محمد بن عمر بن لبابه	٣٤، ٣٥، ٥٨، ٧٩، ٩٦، ١٠٩، ١١٦، ١١٧، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٩
	محمد بن عمران الطلحى : قاضى المدينة	٤٦
	محمد بن عيسى : أبو عبد الله	٥٢، ٨٣
	محمد بن عيسى الأعشى	١٤، ٧٦، ٨٩
	محمد بن غالب	١٤
	محمد بن غالب : يعرف بابن الصغار : لعل الذى هو وقبله واحد	١٣٢، ١٣٨، ١٤٣
	محمد بن فطيس	١٨، ٤٩
	محمد بن قاسم : أبو عبد الله	١١٣، ١٦٦
	محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتى	٣
	محمد بن محمد اللباد : الفقيه	١٧٣
	محمد بن مسور	١٠٢، ١٣٣، ١٢٥
	محمد بن هاشم : الزاهد	١٣٩
	محمد بن هشام	٣٥
	محمد بن وضاح	١٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨٠، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ١٠٩
	محمد بن وليد : الفقيه	١٠٧، ١٥٠، ١٥٧
	محمد بن يحيى	١٧٦

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
	محمد بن يوسف : الأعرج	٩٨
	محمد بن يوسف بن مطروح	١١١، ١١٢
	مروان بن ديسم	٧٠، ٧١
	مروان بن عبد الملك الفخار : أبو عبد الله	٣١
	المساكين	١٤٧
٢٧	مسرور بن محمد بن بشير المعافري	٦٩
	مسلمة بن زرعة	٢٥، ٥٧
	المسيح بن مريم عليه السلام	٨٣
	مشايخ أهل العلم	٧٢
١ و ٢	المصعب بن عمران الهمداني	١٣، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٥٨، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧
٣٤	معاذ بن عثمان الشعباني	٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧
١٦	معاوية بن صالح الحضرمي : أبو عمر	٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٨٧
	أبو معاوية = عامر بن معاوية اللخمي	
	المغيرة بن الحكم	٦٦، ٦٧
	ابن الملون : الفقيه	١١٥
	منخل	١٦٦
٤٩	منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي	١٧٥
	المنذر بن محمد الخليفة	١٨، ١٩، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٤٩
١٤	مهاجر ابن نوفل القرشي	٢٧
١٢	مهدي ابن مسلم	٢١، ٢٢، ٢٥
	مؤدنوا الجامع	١١٨
	مؤمن بن سعيد الشاعر	١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٢١
	موسى بن سماحة : صاحب الخيل	٥٨
	موسى بن محمد بن حدير : الحاجب	٢٠، ٨١، ٨٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
٤٢	موسى بن محمد بن زياد بن يزيد الجذامى	١٣٧، ١٣٨
	موسى بن محمد بن موسى الوزير	٩٩
	بنو موسى الوزير	٦٨
	(ن)	
	ناصر بن قيس	٩٤، ٩٥
	النصارى	١٥٨
	النصرانى	١٥٨، ١٥٩
٤١	النضر بن سلمة بن وليد الكلابى	١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٥
	(هـ)	
	هاشم بن رزين	١١٥
	هاشم بن عبد العزيز	١٧، ٩٩، ١٠٢، ١٠٧، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧
	هشام بن عبد الرحمن : الخليفة	١٣، ١٤، ٢٣، ٤٢، ٣٥، ١٣٠
	(و)	
	والد نصر الفتى : خادم الخليفة	٩٦
	وجوه التجار	٧٣
	ورثة قوس بن انتيان	١١٢
	الوزراء	٧٣، ٧٤، ٧٨، ٨٤، ١١٢، ١٢٤، ١٢٩، ١٤٧، ١٦٤
	أم ولد بدر : حاجب الخليفة	١٦٠
	ولد يحيى بن يزيد التجيبي	٢٩
	وليد بن ابراهيم بن لبيب : أبو العباس	١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١٢٤
	وليد بن هاشم	١٢١
	(ى)	
	يحيى بن اسحاق	١٧٠، ١٧١
	أبو يحيى : صاحب الأحباس	١٤٠
	ابو يحيى بن خميس	١٣١، ١٣٢

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	يحيى بن زكريا	١٦، ٦١، ١٠٠، ١٠٩
	يحيى بن سعيد القطان	٣٠، ٣٢
	يحيى بن مضر القيسى	٥٧
٣٠	يحيى بن معمر الإلهانى	٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٨
	يحيى بن معين	٣٠
١٥	يحيى بن يزيد التجيبي	٢٨، ٢٩
	يحيى بن يزيد بن هشام	٢٩
٥	يحيى بن يحيى الليثى	١٥، ١٦، ٣١، ٣٥، ٤٦، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٩١
	يحيى بن يعمر	١٥
	يحيى بن يوسف بن يحيى المعافرى	٤٩
٣٢	يخامر بن عثمان بن حسان الشعبانى : أبو اليسع	٥١، ٥٢
	يعلى : رسول الحاجب بدر إلى القاضى	١٥٦، ١٥٧
	بنو يفرن : «فى المطبوع « يفرن بريل » وهو تصحيف وصوابه بنى يفرن»	٧٩
	يمير : شيخ أعجمى	٨٤
	يوسف بن يسيل	١١٤
	يوسف بن عبد الرحمن الفهرى	٢٩، ٣٤، ٣٥
	بنات يوسف بن عبد الرحمن الفهرى	٢٩
	يونس بن عبد الأعلى	١١٥
	يونس بن متى	٨٣

فهرس البلدان والأماكن

لكتاب قضاة قرطبة

(ا)

الأسكندرية ٩٣
الأندلس ١٢، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٦٣، ٦٤، ١١٧، ١٥٥، ١٧٣
أربونة ٢١، ٦٢
أرض الحرب ١٢١
أرض المغرب ١١
استجة ٣٩، ٦٠، ٦١، ١٠١
استرقة ٦٤
إشبيلية ٣٠، ٧٠، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ١٥٧
إفريقية ٢٨، ٢٩، ٩٣
إلبيرة ٧٧، ١٧٢، ١٧٣

(ب)

باب العطارين ١٠٩
باب القنطرة ٩٨
باب المسجد ١١٨
باب اليهود ٩٧
باجة ٣٧، ٥٤
بادو: قرية بكورة جيان ٤٢
باغة ١٠٩
بغداد ٣٦
بيت الوزراء ١٢٥

(ت)

تنيس ٢١
تونس ٥٣

(ث)

الثغر ٦٧

(ج)

جامع الزهراء ١٧٦
الجزيرة ٦٨
جليقية ٦٤
جهة الجوف ١٣٠
جوف المدور الأدنى: بقرطبة ٤٢
جيان ١٥، ١٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٦٧، ٧٥، ٨٣، ٨٥، ٩١، ١٠٢، ١٦٣، ١٧٣

(ح)

الحرف: حارة بقرطبة ١٧
حمام الاصطيل: بمصر ١١٥
حمص ٣٠

(د)

دار الوزير ١١٥
درب الفضل ابن الكامل: بقرطبة ٣٧
دمشق ٩٣

(ر)

الربض ٣٥
رحبة عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية: بقرطبة ٤٣
الرملة ٩٣
رية ١٣١

(س)

سرقسطة ٣٢، ٣٣، ٦٥
سوق قرطبة ٨٦

(ش)

الشام ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٤٠، ٤٢، ٩٣
شذونة ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٩٨، ١١٤، ١٣٣، ١٣٧

شقندة ٦٠

(ط)

طليطلة ١٧٣، ١٧٥

طنجة ٣

(ع)

العراق ٣٠، ٣١

العريش ٢٦

(غ)

غافق ٩٢، ١٠٧

غرناطة ٢٨

غليار : قرية فى الجبل من إقليم المدور ٤٢

غناة عبس : مكان بحمص ٣٠

(ف)

فحص البلوط ٩٤، ١٠٧، ١٣٠

فلسطين ٦٣

(ق)

قبرة ٨٥، ١٣٣، ١٤٧

قرطبة ١١ ، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١ ،
٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٧، ٣٩، ٤٢،
٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٦٧،
٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥،
٧٦، ٧٨، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥،
٩٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٣١، ١٣٥،
١٥٦، ١٧٢، ١٧٣

قلعة الاشعث ٨٣

القيروان ٩٣، ١٣١، ١٧٣، ١٧٦

(ل)

لبلة ١٥٨

(م)

ماردة ٢٩، ٣٩، ٩٢، ١٠٧، ١٠٨

المدور ٤٥، ٤٧، ٧٧

المدينة المنورة ٥٣، ٥٦

المسجد الحرام ٣٢

مسجد أبى عثمان ٥٠، ١٠٢

المشرق ٤٦، ١٥٦

مصر ٥١، ٥٥، ٧٢، ٩٣، ١٣١، ١٥٥، ١٧٣

مغرانة : حارة بطرف إشبيلية ٧٠

المغرب ٢٥، ٣٦

مقبرة بلاط مغيث ٥٣

مقبرة الربض ٤٢، ١٧٤

مكة المكرمة ١٧٣

منية الرصافة ٢٩

منية نصر ١٦١

(ن)

نحارس : قرية من عمل قرطبة ١٧٥

فهرس الموضوعات

لعلماء إفريقية

الموضوع	الصفحة
الجزء الأول [بتجزئة الأصل]	١٧٧
رجال القيروان : حفظ محمد بن سحنون لمذهب مالك ونظره وتصرفه في المذاهب الأخرى . رسالة ابن العياد لابن سحنون يقول له : أنبت أقواما لو أن السماء مطرت عليهم أربعين خريفا ما نبتوا . توارى ابن سحنون من سليمان بن عمران القاضي . رفع ابن الأغلب بد سليمان القاضي عنه . قول ابن أبي الحواجب خطيب الجامع لابن سحنون : يازاني يا ابن الزانية .	١٧٨ — ١٨١
عزل ابن أبي الحواجب عن الصلاة والخطبة وتولية ابن طالب	١٨١
حفظ محمد بن ابراهيم بن عبدوس لمذهب مالك . قول بعض الناس : إن اسحاق بن ابراهيم بن عبدوس كان مجاب الدعوة .	١٨٢ — ١٨٣
تولية عبد الله بن سهل القبرياني قضاء صقلية	١٨٣
رحلة يحيى بن عمر الأندلسي إلى المشرق . مؤلفاته . طلب ابن عبدوس ليحيى من قاضي تونس .	١٨٤ — ١٨٥
تولية عبد الله بن أحمد بن طالب القضاء . صلتة لمن يقصده بقطع من القماش وقوله للآخذ : إياك أن تحتقرها وامض بها إلى فلان البزاز .	١٨٦ — ١٨٨
صحبة معتب بن أبي الأزهر لسحنون .	١٨٨ — ١٨٩
زهد أحمد بن معتب بن أبي الأزهر وورعه . ضرب ابن عبدون القاضي له . اختلاف الأقوال بسبب موته .	١٨٩ — ١٩٠
أشارة أحمد بن أبي سليمان على الأمير إبراهيم بن أحمد بتولية ابن طالب القضاء	١٩٠
ذكاء عبد الرحمن بن عمران الملقب بالورنة وجودة حفظه	١٩٢
علم فرات بن محمد العبدي بعيوب الناس وإيقاعه بينهم	١٩٣
تولية عيسى بن مسكين القضاء ، قوله للناس الذين يقومون له بعد توليته القضاء : مكانكم رحمكم الله ؛ إنما يقوم الناس لرب العالمين	١٩٣ — ١٩٥

الموضوع		الصفحة
نسك جبلة بن حمود الصدفى وتقشفه ، قصته مع الجزار الذى استدان منه مبلغا من المال .	١٩٥	١٩٦
صحبة عبد ابن لجبار بن خالد السرتى لحمديس القطان . عداوته لابن طالب وشهادته ضده		١٩٧
تقشف أبو الأحوص أحمد بن عبد الله وتعبده . كلامه فى التفتيش عن عيوب الناس ، تعليق المؤلف على كلامه .	١٩٨	١٩٩
تولية ابراهيم بن أحمد لسليمان بن سالم قضاء صقلية . رواية سليمان لحديث محمد بن مالك بن أنس .	٢٠٠	٢٠١
سعيد بن محمد الحداد وصحبته لسحنون ، رحلته إلى أبى الحسن الكوفى ، قوله لابن عبدون : إن أقررت على نفسك أنك حمار أنشدتكهما .	٢٠١	٢٠٣
تعصب إبراهيم بن عتاب الخولانى لابن سحنون فى مسألة الإيمان ، قول الناس عن إبراهيم بن لبدة أنه عالم الأمير .	٢٠٥	٢٠٦
حماس بن مروان وابن عبد الحكم .		٢٠٧
قول الحامى : سألت سحنونا أن أقرأ عليه كتاب ابن القاسم		٢٠٨
انتهاء الجزء الأول : [بتجزئة الأصل]		٢٠٩
الجزء الثانى : [بتجزئة الأصل]		٢١٠
اجتماع محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبى بأحمد بن نصر ووصفه له بصفات أجابه عنها بقوله: هذه الصفة هى فى القبور .	٢١١	٢١٢
تولية إبراهيم بن أحمد لحسن بن البناء قضاء قسطلية . انتقامه ممن سعى فى عزله . تولية حمدون قضاء الطينة .	٢١٢	٢١٤
تولية ابن بطريقة قضاء اطرابلس ، خروج عبد الله بن الحسن ، المعروف : بابن العبادى من إفريقية إلى بغداد .	٢١٥	٢١٦
طريقة الطوارى بأخذ الناس إلى السجن .		٢١٧
إجازة ابن حكمون للخشنى مؤلف هذا الكتاب فى قراءة كتبه . قول الناس: لم يرق على أعواد منبر القيروان أخطب من أبى الوليد الخطيب . قول المؤلف : ليس من صفة ابن آدم أن يحفظ كل صواب ينطق به . رؤية الخولانى لسحنون فى مجلس قضائه .	٢١٨	٢١٩

الموضوع	الصفحة
أبو الفضل الغرابيلي ومحمد بن سحنون . إدخال محمد بن بسطام كتب ابن المغيرة ، وابن كنانة ، وابن دينار إلى القيروان . التجاء أحمد بن أحمد ابن زياد إلى البغدادي لسؤال عبيد الله التخفيف عنه من المغارم ؛ مؤلفات بن زياد	٢٢٠ — ٢٢٢
حفظ لقمان بن يوسف لمذهب مالك .	٢٢٤
عناية أحمد بن موسى النمار بالمناظرة . قصة بن أبي حفص مع ابن الأشج ، حديث عائشة عن كفارة اليمين	٢٢٥ — ٢٢٦
ذكر الغرباء الطراء على القيروان :	٢٢٧
أبو علي المنصوري ، المعروف : بالسيرافي وتغريمة الناس بعد موته .	٢٢٧
قول ابن البياني لمالك بن عيسى حدثني . . ؛ حفظ أبو سعيد الوكيل لأربعة آلاف حديث .	٢٢٨
تأليف ابن خيرون كتاب نسب الشيعة وأخبارهم لعبيد الله الكبش	٢٢٩
والأمير ابراهيم بن أحمد ، قول إبراهيم بن الخشاب فيمن يطلب القضاء .	٢٣٠
قول سعيد بن الحداد في ابن الخشاب وابن سمحان . علم الغنمي وفضله وعبادته .	٢٣١
عناية محمد بن مسرور النجار بالدرس ، والحفظ ، والمناظرة .	٢٣٢
ذكر المؤلف لأشخاص سنهم كسنه أو فوق ذلك بيسير	٢٣٢
وفاة عبد الله البرقي بسوسة خوفا من صوت الرعد ؛ مجاورة محمد بن عباس النحاس لسعيد بن الحداد .	٢٣٣
عباس بن عيسى ، المعروف : بالمسي وفهمه بعلم الوثائق . تصوف ربيع بن سليمان القطان ومكاتبته للخشني المؤلف	٢٣٤
مصاحبة أبو بكر الكتاني لموسى القطان ، وتكلمه في المسائل .	٢٣٥
باب ذكر الرجال العراقيين	٢٣٦
سبب تلقيب سليمان بن عمران بخروفة . توليه القضاء . أحكامه في بعض القضايا التي كانت تعرض عليه . نوادره وتحكمه بالناس .	٢٣٦ — ٢٤٠
انتهاء الجزء الثاني [بتجزئة الأصل]	٢٤٠
الجزء الثالث [بتجزئة الأصل]	٢٤١
حفظ ابن عبدون لمذهب أبي حنيفة . قصته مع ابن أبي رزين الرائض ؛ قصته مع الركنية	٢٤٢ — ٢٤٥

الموضـــوع	الصفحة
حفظ ابن زرزر لمذهب أبي حنيفة ؛ إجابته لمن سأله عن دواء للحفظ	٢٤٥ ٢٤٦
إحراج سعيد بن الحداد لأبي المنهال بمسألة فقهية.	٢٤٧
بين ابن عمير وابن أخيه . حفر الأمير ابراهيم بن أحمد لحفير أدخل فيه أبو العقان كي يتغوط الناس عليه إلى أن يموت .	٢٤٨
تولية هيثم قضاء تونس ، تولية عبدالله بن هارون السوذاني قضاء تونس .	٢٤٩
قول أحمد بن مثيب للأمير ابراهيم بن أحمد في ابن عبدون القاضي	٢٥٠
سبب تكنى أحمد بن وهب بابي الزبير . قول محمد بن أسود بخلق القرآن.	٢٥١
قراءة كتب المغازي على ابن الكبر. اجتماع المؤلف بأبي عمرو ميمون وقراءته الموطأ عليه . قول ابن حبيب السدري بخلق القرآن	٢٥٢ ٢٥٣
تولية ابن جهال قضاء القيروان.	٢٥٤
مناظرة المؤلف لمحمد بن أحمد الفارسي ، قراءة كتب المغازي على يحيى بن محمد	٢٥٥
باب تسمية من انتحل النظر وتحلى بالجدل من أهل السنة وغيرهم من طبقة علماء القيروان.	٢٥٦
قول سليمان القراء لمحمد بن سحنون يا أبا عبدالله : الله سمى نفسه ؟ . جواب ابن سحنون له	٢٥٦
قول القراء لأبي عثمان سعيد بن الحداد : أين كان ربنا ؟ جواب سعيد له	٢٥٧
مناظرة سعيد بن محمد الحداد لأبي العباس الشيعي في قدم ابراهيم بن أحمد ابن الأغلب	٢٥٨
المجلس الأول .	٢٥٨ ٢٦٢
المجلس الثاني .	٢٦٢ ٢٦٤
المجلس الثالث .	٢٦٤ ٢٧١
المجلس الرابع.	٢٧١ — ٢٧٥
حديث سعيد بن الحداد عن رباح بن يزيد الصوفي	٢٧٥ — ٢٧٨
مناظرة محمد بن محبوب للقدرية . ميل محمد بن علي البجلي إلى مذهب الشافعي . مؤلفاته .	٢٧٨ — ٢٨٩
بين أبو عبدالله الشيعي . وأبو بكر القمودي. ابن الصباغ وحجة الإجماع	٢٨٠

الموضوع	الصفحة
قول ابراهيم بن محمد الضباء : انى أتكلم فى سبعة عشر فنا من العلم. جوازه للخشنى المؤلف . ضربه بالسياط وقتله.	٢٨١
رفض أحمد بن زياد التقليد وأخذه بالنظر .	٢٨٢
تولية على بن منصور قضاء ميلة	٢٨٣
دفاع محمد الرقادى عن مذهب أهل السنة . غرقه فى البحر فى طريقه من القيروان إلى مصر .صحبة عبدالملك بن محمد الضبى لمحمد بن على البجلى	٢٨٤
خوض ابن أبى مسلم فى الأسماء والصفات	٢٨٥
أسماء أهل المناظرة والجدل من طبقة العراقيين	٢٨٦
قول سليمان بن أبى عمفور بخلق القرآن . مؤلفاته . رحلة عبد الله بن الأشج إلى العراق .	٢٨٦
الفزارى ويحيى بن قادم. ابن علية والصلاة بدون قراءة.مناظرة الفزارى له.	٢٨٧
قول أبو اسحاق بن العمشاء فى خلق القرآن	٢٨٨
قول الكلاعى : بخلق القرآن قول محمد المعروف بالمسحى: بخلق القرآن . اعتناق القمودى لمذهب المعتزلة .	٢٨٩
عناية ابن أبى روح بالجدل بخلق القرآن ، وفى الأسماء والصفات . قول أحمد ابن محمد قاضى برقة : بخلق القرآن	٢٩٠
باب ذكر من تشرق : ممن كان ينسب إلى علم ؛ من أهل القيروان	٢٩١
تولية أحمد بن بحر قضاء اطرابلس	٢٩٣
تولية قضاء صقلية لاسحاق بن أبى المنهال ثم نقله إلى قضاء القيروان	٢٩٣
تولية عبيد الله لزرارة بن أحمد قضاء مدينته المهدية	٢٩٥
باب ذكر من دارت عليه محنة من السلطان : من علماء القيروان	٢٩٥
البهلول بن راشد . ابن أبى الجواد	٢٩٥
سحنون بن سعيد ، محمد بن سحنون ، فرات بن محمد العبدى . عبد الله ابن أحمد بن طالب ، يحيى بن عمر	٢٩٦ — ٢٩٧
حسن بن البناء ، موسى بن القطان ، ابراهيم بن عتاب ، أبو القاسم الطورى ابراهيم بن البرذون ، ابن هذيل ،أبو القاسم مولى مهرية ، السدرى ، أحمد بن زياد ، أحمد بن نصر	٢٩٨ — ٢٩٩

ابن اللباد ، أحمد بن موسى التمار . محمد بن موسى التمار . أبو العباس
ابن التستري ، أبوجعفر بن خيرون : ابن علي بن أبي المنهال . ٣٠٠ — ٣٠٢
باب أسماء قضاة القيروان : ٣٠٣
عبد الرحمن بن رافع . عبد الله بن المغيرة ، يزيد بن الطفيل ، عبد الرحمن
ابن زياد ، ماتع بن عبدالرحمن ، أبو كريب . عبد الله بن فروخ . عبد الله
بن عمر ابن غانم الرعيني ٣٠٣ — ٣٠٦
أسد بن الفرات . أحمد بن أبي محرز ، ابن أبي الجواد ، سحنون بن
سعيد ، سليمان بن عمران ، عبد الله بن طالب ٣٠٥ — ٣٠٦
أبو العباس محمد بن عبدون ، عبد الله بن هارون السوذاني . عيسى بن
مسكين الصدفي ، محمد بن أسود ٣٠٧ — ٣٠٨
حماس بن مروان . ابن جهال ، ابراهيم بن الخشاب ، محمد بن عمر المروذي
محمد بن المحفوظ ، إسحاق بن أبي المنهال ، محمد بن عمران النفطي ،
إسحاق بن أبي المنهال ، أحمد بن بحر ٣٠٩ — ٣١١

فهرس الأعلام الكتاب

علماء إفريقية

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	(ا)	
١٦٩	إبراهيم بن البرذون	٢٩٩
٧١ ؛ ٢٠١	إبراهيم بن الخشاب	٢٣٠، ٣٠٩
١٦٤	إبراهيم بن الدمنى	٢٩٧
٢٣ ؛ ١٦٧	إبراهيم بن عتاب الحولانى	٢٠٥، ٢٩٨
١٢٠	ابراهيم بن محمد الضبى؛ المعروف: بابن البرذون	٢٨١
١٢٩	أبو إبراهيم بن أبى مسلم	٢٠٥
٢٤	إبراهيم بن لبابة	٢٠٦
١٥٠ ؛ ٢٠٧	أحمد بن بحر	٢٩٣، ٣١١
٥٣؛ ١٢٢؛ ١٧١	أحمد بن زياد : أبو جعفر	٢٢١، ١٨٢، ٢٩٩
١٠	أحمد بن أبى سليمان : أبو جعفر	١٩٠
٢٥	أحمد ؛ المعروف: بالصواف	٢٠٦
١٨	أحمد بن عبد الله : أبو الأحوص المتعبد	١٩٨
١٦٤	أحمد بن عبدون الأسدى العطار	٢٩٧
٩٦	أحمد بن مثيب	٢٥٠
١٩٠	أحمد بن أبى محرز	٣٠٥
١٤٠؛ ١٥٣	أحمد بن محمد؛ المعروف : بابن شهرين	٢٩٠، ٢٩٤
٥٦	أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن القصرى : أبو جعفر	٢٢٤
٩ ؛ ١٦٤	أحمد بن معتب بن أبى الأزهر	١٨٩، ٢٩٧
٥٨؛ ١٢٣؛ ١٧٤	أحمد بن موسى التمار	٢٠٥، ٢٨٣، ٣٠١

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
٢٢	أحمد بن موسى بن جرير: أبوداود العطار «في المطبوع : قد ذكر أبو العرب بن تميم أباه في هذا الكتاب ، وهو تصحيف . والصواب : قد ذكر أبو العرب بن تميم أباه في كتابه» .	٢٠٥
٣٩؛١٧٢	أحمد بن نصر : أبوجعفر	٢١١، ٢٩٩
٩٩	أحمد بن وهب : أبوالزبير	٢٠١
٦٠	أحمد بن يزيد	٢٢٦
٣	إسحاق بن إبراهيم بن عبدوس	١٨٢
١٣٤	أبو إسحاق ؛ المعروف : بالعشاء	٢٨٨
٨٩؛١٥١؛٢٠٤؛٢٠٦	إسحاق بن أبي المنهال	٢٤٨، ٢٩٣، ٣١٠
١١٨	إسحاق بن نعمان : أبو إبراهيم	٢٧٩
١٨٨	أسد بن الفرات	٣٠٩
	(ب)	
١١٩؛١٤٢	أبوبكر بن القهودى	٢٨٠، ٢٩١
٨٢	أبوبكر الكتانى	٢٣٥
٦٧	أبوبكر ؛ المعروف : بالوكيل	٢٢٩
١٥٨	البهلول بن راشد	٢٩٥
	(ج)	
٣٥	ابن أخت جامع	٢٠٩
١٥	جبلة بن حمود الصدفى	١٩٥
١٠٠؛١٤٩	جعفر بن أحمد بن وهب	٢٥١، ٢٩٣
١٥٩؛١٩١	ابن أبي الجواد	٢٩٥، ٣٠٥
١٠٧؛٢٠٠	ابن جبال	٢٥٤، ٣٠٩
	(ح)	
١٢	حبيب : صاحب مظالم سحنون	١٩٢

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
١٠٥؛١٧٠	ابن حبيب السدرى : أبوحبيب	٢٥٣، ٢٩٩
٤٠؛١٦٥	حسن بن البناء	٢١٣، ٢٩٨
٥٩	ابن أبى حفص	٢٢٥
٤٧	ابن حكمون : أبو محمد	٢١٨
٢٨؛١٩٩	حماس بن مروان	٢٠٧، ٢٠٩، ٣٠٩
٤١	حمدون ؛ المعروف : بابن الطينة	٢١٤
١٦	حمديس بن محمد القطان : أبو جعفر	١٩٧
٧٧	حمود بن حماس	٢٣٣
	(خ)	
٣١	أبو خالد الحامى	٢٠٨
٦٩؛١٧٨	ابن خيرون : أبو جعفر	٢٢٩، ٣٠٢
	(د)	
٤٣	دحمان بن معافى	٢١٥
	(ر)	
١٤٨	أبو زبدة بن خلاد	٢٩٢
١٤٦	ربيع بن سليمان بن سالم المعروف: بابن الكحالة	٢٩٢
٨١	ربيع بن سليمان القطان	٢٣٤
٤٥	ابن الرحمة	٢١٧
١٣٩	ابن أبى روح الملقب : بالبغلة	٢٩٠
	(ز)	
١٥٧	زرارة بن أحمد	٢٩٥
٨٥	ابن زرزر : أبو العباس	٢٤٥
٣٢	الزواوى	٢٠٩
	(س)	
٧٦	سالم بن حماس بن مروان	٢٣٢
١٦٠؛١٩٢	سحنون بن سعيد	٢٩٦، ٣٠٥

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
٣٤	سدور	٢٠٩
٣٠	سعيد ؛ المعروف : بزغلة	٢٠٨
٢٦	سعيد بن إسحاق	٢٠٧
١١٥،٢١	سعيد بن محمد بن الحداد : أبو عثمان	٢٠١،٢٥٧
٦٦	أبو سعيد ؛ المعروف : بالوكيل	٢٢٨
٢٠	سليمان بن سالم ؛ المعروف : بابن الكحالة	٢٠٠
١٣١	سليمان بن أبي عصفور	٢٨٦
١٩٣؛٨٣	سليمان بن عمران ؛ الملقب : خروفة	٢٣٦،٣٠٦
١٥٥	ابن سليمان : أبو بكر	٢٩٤
٧٢	ابن أبي سحان	٢٣١
٥	سهل بن عبد الله بن سهل القبرياني	١٨٣

(ص)

١٢٠؛١٤٥	ابن الصباغ	٢٨٠،٢٩٢

(ع)

٨٠؛١٢٨	عباس بن عيسى ؛ المعروف : بالمسى	٢٣٤،٢٨٥
٤٢	أبو العباس بن بطريقه	٢١٥
١٧٧	أبو العباس بن التسترى	٣٠٢
١٢٤	أبو العباس بن السندى	٢٨٣
١٠٩	أبو العباس بن القيار	٢٥٤
١٧	عبد الجبار بن خالد السرقى	١٩٧
١٨٠	عبدالرحمن بن رافع التنوخى	٣٠٤
١٨٣	عبد الرحمن بن زياد بن أنعم	٣٠٤
١١	عبد الرحمن بن عمران ؛ الملقب : بالنورنة	١٩٢
١٨٥	عبد الرحمن بن كريب البصرى : أبو كريب	٣٠٤
٧؛١١٤؛١٦٣:١٩٤	عبد الله بن أحمد بن طالب : أبو العباس	١٨٦،٢٥٧،٢٩٧،٣٠٦
١٣٢	عبد الله بن الأشج	٢٨٦
٧٨	عبد الله البرقى	٢٣٣
٤٤	عبد الله بن الحسن المعروف : بابن العبادى	٢١٥

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
٤	عبد الله بن سهل القبريانى	١٨٣
١٨٧	عبد الله بن عمر بن غانم الرعينى	٤٠٣
١٨٦	عبد الله بن فروخ	٣٠٤
٩٨	عبد الله بن محمد بن الأشج	٢٥٠
٧٣	عبد الله بن مسرور؛ المعروف: بابن الحجام	٢٣١
١٨١	عبد الله بن المغيرة	٣٠٤
١٩٦؛٩٥	عبد الله بن هارون الكوفى السوذانى	٣٠٧،٢٤٩
٥٤	أبو عبد الله الازارى؛ المعروف : بالضرير	٢٢٣
١٥٤	أبو عبدالله الكندى؛ المعروف: بابن اللقاطة	٢٩٤
١٢٧،١٤٤	عبد الملك بن محمد الضبى؛ المعروف: بالبرذون	٢٨٤،٢٩١
٨٤	ابن عبدون القاضى : أبو العباس	٢٤١
٥٠	أبو عثمان الحولانى	٢١٩
١٧٥	عروس	٣٠١
٩٤	أبو عقال بن جرجر	٢٤٩
٩١	أبو عقال بن الرعناء	٢٤٨
٢٧	ابن علاقة	٢٠٧
٣٧	على بن محمد بن زرقون : أبو الحسن	٢٠٩
١٤٣؛١٢٥	على بن منصور الصفار	٢٨٣،٢٩١
٦٤	أبو على المنصورى؛ المعروف: بالسيرافى	٢٢٧
١٥٢؛١٠٦	أبو على بن أبى المنهال	٢٥٣،٢٩٣
١٧٩	ابن على بن أبى المنهال	٣٠٢
١٠٣	أبو عمرو ميمون؛ المعروف: بابن المعلوف	٢٥١
٩٠	ابن عمير	٢٤٨
١٩	أبو عياش	٢٠٠
١٩٧؛١٤	عيسى بن مسكين : أبو موسى	١٩٣،٣٠٨

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
	(غ)	
٥١	أبو الغصن العرابيلى	٢٢٠
	(ف)	
١٦٢؛١٣	فرات بن محمد العبدى : أبوسهل	٢٩٦؛١٩٣
١٤٤	الفزارى [الرقم المسلسل مغلوط وصوابه : ١٣٤]	٢٨٧
١٣٥	أبو الفضل ؛ المعروف : بابن ظفر	٢٨٨
	(ق)	
١٤٧	قاسم بن خلاد الواسطى	٢٩٢
٨٨	قاسم بن أبى المنهال	٢٤٨
١٦٨؛٤٦	أبوالقاسم الطورى	٢٩٨،٢١٧
١٧٠؛١٦٤	أبوالقاسم مولى مهرية	٢٩٩،٢٩٧
١٠٨	ابن القطونة	٢٥٤
١٣٨	القمودى	٢٨٩
٣٣	ابن أبى قيزون	٢٠٩
	(ك)	
١٠٢	ابن الكبر	٢٥٢
٧٠	الكبش	٢٣٠
	(ل)	
١٧٣	ابن اللباد	٣٠٠
٥٧	لقمان بن يوسف	٢٢٤
	(م)	
١٨٤	ماتع بن عبدالرحمن الرعينى	٣٠٤
٦٥	مالك بن عيسى القفصى	٢٢٨
١٨٩	أبو محرز	٣٠٥
١٣٠	محمد ؛ المعروف : بابن أحد الشركاء	٢٨٥
١٣٧	محمد ؛ المعروف : بالمسحى	٢٨٩
٢	محمد بن إبراهيم بن عبدوس	١٨٢
٦٢	محمد بن أحمد بن تميم : أبوالعرب	٢٢٦

الرقم المسلسل	الاسم	الصفحة
١١٠	محمد بن أحمد الفارسى	٢٥٥
١٠١؛١٩٨	محمد بن أسود : الصدفى	٢٥١،٣٠٨
٥٢	محمد بن بسطام	٢٢١
٢٩	محمد بن بسيل	٢٠٨
١٤١	محمد بن حيان	٢٩١
١٢٦	محمد الرقادى	٢٨٤
٦١	محمد بن أبى زاهر : أبوعبدالله	٢٢٦
٣٦	محمد بن زرقون بن أبى مريم	٢٠٩
١؛٤٩؛١١٣؛١٦١	محمد بن سحنون : أبو عبدالله	١٧٨،٢١٩،٢٥٦،٢٩٦
١٥٦	أبو محمد بن شهرام	٢٩٤
٧٩	محمد بن عباس النحاس	٢٣٣
١٩٥	محمدبن عبدون :أبو العباس	٣٠٧
١١٧	محمد بن على:أبوعبدالله البجلى	٢٧٨
٢٠٢	محمد بن عمر المروذى	٣٠٩
٢٠٥	محمد بن عمر النفطى	٣١٠
٧٤	أبو محمد الغنمى	٢٣١
١٣٦	محمد بن الكلاعى	٢٨٩
١١٦	محمد بن محبوب	٢٧٨
٢٠٣	محمد بن المحفوظ	٣١٠
٥٥	محمدبن محمدالطمار: أبوبكر	٢٢٣
٧٥	محمد بن مسرور النجار	٢٣٢
٦٣	محمد بن أبى المنظور الأندلسى:أبوعبدالله	٢٢٧
١٧٤	محمد بن موسى التمار	٣٠١
١١٢	محمد بن نصر بن حضرم	٢٥٦
٩٣	محمد بن هيثم	٢٤٩
١٦٤	ابن المدائنى	٢٩٧
١٧٦	ابن معتب	٣٠١
٩٧	معمر	٢٥٠
٨٧	أبو المنهال	٢٤٧
٣٨؛١٦٦	موسى بن عبدالرحمن القطان :أبوالأسود	٢١١،٢٩٨

الرقم المسلسل	الإسم	الصفحة
	(ن)	
٨٨	نصر التسورى : أبو حبيب	٢٢٩
	(هـ)	
١٦٩	أبو الهذيل	٢٩٩
٨٦	هشام بن العراق	٢٤٦
٩٢	هيثم	٢٤٩
	(و)	
٤٨	ابن أبى الوليد الخطيب	٢١٨
	(ى)	
١٦٤،٦	يحيى بن عمر الأندلسى	٢٩٧،١٨٤
١٠٤	أبو يحيى بن أبو عمرو ميمون	٢٥٣
١١١	يحيى بن محمد	٢٥٥
١٨٢	يزيد بن الطفيل التجيبى	٣٠٤

فهرس الأماكن والبلدان

لكتاب علماء إفريقية

(ا)

اطرابلس: ٢٠١، ٢١١، ٢١٣، ٢٥١، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣١٠

إفريقية: ٢٠، ٢١٥، ٢١٩، ٣٠٤، ٣٠٩

الأندلس: ٢٣٤

(ب)

باب أبي الربيع: ٢٨٢

باجة: ١٧٩، ٢٣٦، ٣٩٢

البادية: ٢٣٣

برقة: ٢٩٤

بغداد: ٢١٥، ٢٨٦

(ت)

تونس: ١٨٥، ٢٢٤، ٢٤٩، ٢٩٨

(ج)

جامع رقادة: ١٩٨، ٨، ٣

(ر)

رقادة: ٣١١

(س)

سماط العطارين: ٢٨٩

سوسة: ٢٩٤

(ش)

الشام: ١٩٩

(ص)

الصعيد: ١٩٣

صقلية: ١٨٣، ٢٠١، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٩٣، ٣٠٨

(ط)

طينة: ٢١٤

(ع)

العراق: ٢٤١، ٢٨٦

(ف)

الفسطاط: ١٩٣

(ق)

القصر القديم: ٢٢٤

قسطلية: ٢١٣، ٢٩٨، ٣١٠

القيروان: ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ١٩١، ١٩٥، ١٩٩، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١

(ك)

كورة الساحل: ١٤٩

(ل)

لساته [قرية بجوار تونس]: ٢٩٧

لموزه: ٣١٠

(م)

المدينة المنورة: ١٧٨، ٢٠٠

مسجد رحبة القرشيين: ٢٩٩

مسجد ابن فادم : ٢٥٥
مسجد النبي : صلى الله عليه وسلم : ٢٠٠
المشرق : ١٨٤
مصر : ٢٠٧، ٢٨٤
المغرب : ٢٨٠
مكة المكرمة : ٢٢٥
المنستير : ٢١٩
المهدية ٢٩٥، ٣١١
ميلة : ٢٨٣
نقطة : ٣١١

بعض تصويبات واستدراكات

الصفحة	السطر		
٦	٨	الصواب	: تسكين الكاف من كلمة : « أكسفرد » .
٦	١٥	«	: « الديباج المذهب » .
٨	١٣	«	: « قرطبة » (بفتح التاء) .
٩	١٥	«	: « من ذى الحجة » .
١٠	١٥	«	: « طرائق « (بكسر القاف) .
١١	١٠	«	: « الخلفاء » (بكسر الآخر) .
١١	٢٢	«	: « المثل » .
١٣	١٣	«	: « مغيث (بضم الميم) .. لماذا عرضتها » .
١٤	١	«	: « عبيد » (بفتح الباء) .
١٩	١٥	«	: « أما إذا أبيت » .
٢٠	١٤و١٥و١٧	«	: تنوين آخر كلمة : سكن » .
٢٤	٢٠	«	: «القاضى(بفتح الياء)..ومثله(بضم اللام)» .
٢٦	٢٠	«	: « إذا لحظت الناس » .
٢٧	٢	«	: « شبكة » (بكسر التاء) .
٢٨	١٩	«	: كسر آخر كلمة : « قطن » وتنوينه .
٢٨	٢٠	«	: « « « : « بلح » .
٢٩	١٤	«	: « « « : « بن » .
٣٢	١٢	«	: « « « : «جبير» بدون تنوين .
٣٥	١١	«	: ضم « « : « خلة » .
٣٥	١٥	«	: فتح « « : « غير » .
٣٨	١٧	«	: « ووكل » إلخ .
٣٨	١٩	«	: ضم آخر كلمة : «توسعت » .
٣٨	٢١	«	: « معزولا » .
٣٩	٤	«	: حذف أول الآية المزيد بين مربعين .
٣٩	٩	«	: فتح آخر كلمة « عمر » .
٤٦	٧	«	: تنوين آخر كلمة: «شفى» إن كانت بكسر الفاء .
٤٦	١٣	«	: « كاتبه » (بفتح الباء) .

الصفحة	السطر	الصواب :
٤٦	١٥	« : « مجالسة » .
٤٧	٨	« : « حداثته »
٤٩	٤	« : «أرجاء» .
٥٢	٧	« : « الزى » (بكسر الزاى).
٥٣	١٢	« : « والمروءة» .
٥٤	٢١	« : رفع آخر كلة : « تنفذ » .
٥٦	٢٠	« : « لباس» .
٥٧	١٢ و١٥	« : « دمثا . . أراه».
٦٠	١٧	« : « اخرج » (بدون همزة) .
٦١	١٤	« : « إن ربيعا» .
٦٧	٥	« : « وتمنون » (بضم النون الأولى) .
٧٢	٨	« : فتح آخر كلة : « أصبغ » .
٧٣	١٦	« : « الواو من كلة : « مشاروا » .
٧٨	١٧	« : ضم أول كلمة : « ينبوا »
٨٠	١٣	الأحسن : كسر آخر كلمة : «غير» .
٨٣	٧	الصواب : تنوين « « : « يخامر» .
٨٦	٥	« : ضم « « : « ويحقق » .
٨٦	١٠	« : (يا أولى) .
٨٦	٢١–٢٢	« : (١) .. (٢) .. (٣) .. (٤)
٨٨	١٦	« : تنوين كلمة : «سحنون» .
٩٢	٩	« : فتح اللام من كلمة : بالكم» .
٩٢	١٠	« : « . ولا تجعلوا . » .
٩٢	١٦	« : ضم آخر كلمة : « العراق».
٩٣	٤	« : فتح « « : «دمشق» .
٩٤	٢٢	« : ضم « « : « رفع » .
٩٥	١	« : « « : « وثلاثة » .
٩٧	٧	« : « « : « بن » .
١٠٥	١٩	« : « إذ أتاه » .
١٠٨	٢١	« : « ولعله أنث مراعاة .. » .
١٠٩	٢	« : «وأما » ؛ رفع الرقم المذكور.

الصفحة	السطر	الصواب
١٠٩	١٣	« : « أن يعده » .
١٠٩	٢٠	« : فتح الدال من كلمة : « الذهاب » .
١١٢	١	« : « .. تركته (بدون الواو) » على ما يظهر .
١١٢	١٠	« : « الناس مثل » .
١١٥	١٢	« : « أرسلت » (بضم الثاء) .
١١٧	٣	« : « يضر » (بضم فكسر) .
١١٨	١٥	« : « الرعيني » (بضم الراء) .
١٢١	١١	« : « عمرا » .
١٢٣	٥	البيت ورد كذلك بالأصل ؛ وشطرتاه مذكورتان فى بيتين : بتاريخ قضاة الأندلس (ص ٥٨) .
١٢٣	١٢	الصواب : « ثمات ذلك العدل » .
١٢٤	٦	« : « مبرأ » (بفتح الباء) .
١٢٤	١٦	« : « أشد » (بضم الدال) .
١٢٥	١٠ و ١٣	« : « إذ .. بقى بالكسر » .
١٢٦	٤	« : « رافعها » (بضم العين) .
١٢٨	١١	« : « جلوس الصحة »
١٣١	٢	كلمة : « فقال » زائدة من الطابع . وهى المشار إليها بالهامش .
١٣٤	٥	قوله : « حسنة مهذبة مشتملة » ؛ بضم آخر الجميع .
١٣٤	١٤	الصواب : فتح القاف من كلمة : « يقظته » .
١٣٥	١٥	« : ضم آخر كلمة : « أهدم »
١٣٨	١	« : « المروءة » .
١٤١	٢	« : فتح اللام من كلمة : « قبولها » .
١٤٢	٢١	« : « فارسى » .
١٤٣	٢	« : فتح آخر كلمة : طريق » .
١٤٦	٩	« : « لابنتى » (بدون همزة) .
١٥٢	٧	« : « وصيتك » (بفتح الباء والتاء) .
١٥٣	١	كلمة : « إن » ؛ زائدة من الطابع .
١٥٤	٨	الصواب : « ومروءة » (بضم الميم) .
١٥٤	١٥	« : « فهمناها » (تشديد الهاء) .
١٥٦	٢ و ٣	« : ضم آخر كلمة : « الناس » ؛ وآخر كلمة : « طريق » .

الصفحة	السطر	الصواب
١٥٦	٨	« : ضم آخر كلمة : أمير »
١٥٨	١٠	« : فتح « « : «لبلة» بدون تنوين
١٦٠	٦	« : «تمنيه» (بكسر النون)
١٦١	٢٣	« : «وهى محرفة على مايظهر؛ وإن كانت صحيحة لمعنى. أى: واسبق»
١٦٣	١٧	« : فتح آخر كلمة : «حيان»
١٦٩	٩	« : فتح «الراء من كلمة : «أباعمر»؛ وتنوين «فلان» —
١٦٩	١٩	لعل قوله « فما شك »؛ أصله : «فيه شك»، وعليه : فلا داعى للزيادة المذكورة بعده ، فتأمل .
١٧٢	١٨	الصواب : «ما» بدون الواو
١٧٥	٦	« : «فتوفى» (بكسر الفاء الثانية) .
١٨٢	١١	« : « وإسحاق »
١٨٥	٢١	كلمة : « هو »؛ زائدة من الطابع.
١٨٦	٨	الصواب : ضم آخر كلمة : « يجمع ».
١٨٩	٤	« : « ولذلك الصديق صديق».
١٩٣	٥	« : ضم آخر كلمة : « الرواية ».
١٩٣	١٥	قوله : « إلا النيل » إلخ ؛ ورد كذلك بالأصل ، ولعل أصله : « إذ ليس به إلا النيل » الخ.
١٩٧	١	الصواب : تنوين آخر كلمة: « حمديس ».
١٩٨	٧	« : « رقادة » (بالقاف) .
٢٠٥	٦	قوله : فى هذا الكتاب من قبل»؛ ورد كذلك بالأصل . ولعل بأوله نقصاً
٢٠٦	٢	لعل الصواب : « وما يقول » إلخ .
٢١٤	٩و١٠	الصواب : « رقادة (بالقاف)
٢١٦	٨	« : فتح القاف» من كلمة: «فحقد».
٢١٨	٢	« : تنوين آخر كلمة : «حكمون» .
٢٢١	١٣	« كسر العين من : « عياض » .
٢٣٢	١٥	« : « أو تسكون».
٢٣٤	١٨	« : «وهو تصحيف؛ إلا أن يكون المراد منه: «الانزواء»
٢٣٦	١٩	« « بالجيم» .
٢٣٨	٧	« : فتح اللام الأولى من كلمة : فتسللوا » .
٢٤٤	١٤	« :« قد كان الساجدى » (بالضم) .

الصفحة	السطر	الصواب
٢٤٧	٤	« : فتح الدال من كلمة : « مقدميهم » .
٢٤٨	٤	« : ضم آخر كلمة : « عبيد »
٢٦٢	١٦و١٧	قد حدث ـ من الطابع ـ تأخير التعليقة الأولى ، وغلط فى رقمها.
٢٦٥	١١	الصواب : « العموم »
٢٦٦	١٤	« : « أحصن » (بالصاد) .
٢٦٩	٤	« : تنوين آخر : « كلمة »
٢٧٠	١٢	قوله تعالى : (أمن لا يهدى) بكسر الهاء وتشديد الدال.
٢٧١	١	الصواب : فتح الزاى من كلمة : « منزل » .
٢٧١	٣–٥	« : (لم شهدتم)
٢٧٢	٧و٩	« :(أحق بالملك منه) .. (العلم) بكسر العين .
٢٧٨	٢	« : « بنوين آخر كلمة « بعرفات »؛أوفتحه.
٢٧٨	٥و٦	« : « جيد (بالفتح) ... يتعارف » .
٢٧٩	٦	« : « ورئيساً من » الخ .
٢٨٠	٩	« :«من البغضاء»
٢٨١	٢٢	قولنا : والظاهر أنه مصحف الخ .لكن ذكر بعد ذلك ـ فى ترجمة الكلاعى ص٢٨٩ ـ ما يفيد صحته ، وأن المرادمنه: الإعانة على قتلهما
٢٨٢	٣	الصواب : « فتح أول كلمة : « نخبط »
٢٨٤	٣و١٤	« : كسر آخر كلمة : « ابن »
٢٨٧	٢	المطلوب : ضم همزة «أراك» ، وضم آخر « يا فزارى »
٢٩١	١٢	الصواب : (١٣٨). وانظر بتأمل : ص ٢٨٠
٢٩٤	١٣	« : « استحكم » بهمزة وصل ، وبدون فتح
٢٩٥	١٣	قولنا : «وكلاهمامصحف» إلا إن ثبت أنه من قبيلة : «عكل».
٢٩٩	٢٢	رقم (١) جوابه : (٢) والكلام عنه بأول ذيل الصفحة التالية.
٣٠٠	٥	الصواب : « فأبى ابن الطبيب».
٣٠٠	٢٠–٢٣	« : = (٢) .. (١) .. (٢)
٣٠١	١٦	« : « حى » (بكسر الآخر)
٣٠٦	٩و١٠	« : « سليمان » (بالفتح). «واستقضى».
٣٠٨	١	« : ضم الصادمن كلمة: «حصر».
٣١١	١	« : الواو من كلمة : « فولى »
٣٣٥	١٠	الصواب : ١ و ٢٠ .